

آداب

ISSN 0302- 8844 ■ مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

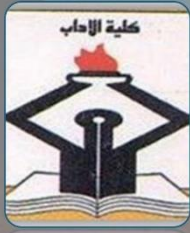
مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم



العدد

50

يناير 2024



آداب



ISSN 0302- 8844 ■ مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

العدد 50. يناير 2024م

| الهيئة الاستشارية | هيئة التحرير |
|---|---|
| أ.د. فدوى عبد الرحمن علي طه أ.د. علي عثمان محمد صالح أ.د. جلال الدين الطيب أ.د. رقية السيد بدر أ.د. تاج السرحان أ.د. حمد النيل محمد الحسن أ.د. مبارك حسين نجم الدين د. يونس الأمين د. محاسن حاج الصافي د. حسن علي عيسى | رئيس التحرير أ.د. صديق مصطفى الريح مدير التحرير أ.د. أزهرى مصطفى صادق علي أعضاء هيئة التحرير أ.د. الصادق يحيى عبد الله د. محمد الفاتح حياتي د. عفاف محمد الحسن د. رشا البارودي د. وليد نورالدائم د. أحمد عبد المنعم سكرتارية المجلة أ. وليد مدثر أ. سارة مأمون |
| تعنون إلى رئيس التحرير: كلية الآداب جامعة الخرطوم. ص. ب 321 أو البريد الإلكتروني: Jurnal.art@uofk.edu أو prof.siddig.alrattyah@gmail.com | |

المحتويات

القسم العربي

| | |
|-----|---|
| 1 | 1. تجليات التناصّ القرآني، نماذج من الشعر السوداني. د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه، د. عبد الحكيم أحمد سر الختم جيني..... |
| 23 | 2. علامة العنوان في ديوان أم درمان تحتضر للشاعر محمد الواصل - مقاربة سيميائية. د. عادل عثمان الهادي |
| 53 | 3. تقنيات السرد الرقمية. القصّة القصيرة جدّاً أنموذجاً: مقاربة سردية. د. فايز صلاح قاسم عثمانة..... |
| 67 | 4. الظواهر الصوتية في اللهجة العامية السودانية. دراسة وصفية من خلال الأمثال الشعبية. د. قريب الله بابكر مصطفى بابكر..... |
| 87 | 5. توظيف الإمكانات الفنية للإذاعة القومية السودانية: برنامج دكان ود البصير أنموذجاً في الفترة من 2016-2017م. د. أمل إبراهيم أحمد أبوزيد، مصعب عبد الكريم هارون عثمان..... |
| 119 | 6. دلالة السنة التركية الفعلية. أ.د. علاء الدين الأمين الزاكي..... |
| 147 | 7. ثبوت الإمامة بالنص والتعيين عند الشيعة الإمامية وموقف ابن خلدون من ذلك. أ.د. فيروز عثمان صالح عثمان..... |
| 163 | 8. فلسفة الأخلاق التطبيقية وعلاقتها بالقضايا المشتركة بين الثقافات. د. رشا علي البارودي..... |
| 189 | 9. دور مصادر المعلومات في رفع الوعي المعلوماتي لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الجزيرة: دراسة حالة كليات التربية. د. يسرا حبيب حسن محمد، د. كثيرة التجاني يوسف إبراهيم، د. نفيسة عبدو حسن أحمد..... |
| 209 | 10. المناعة النفسية لدى لاجئ دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء ولاية الخرطوم. ثوبية إبراهيم مصطفى أحمد..... |
| 245 | 11. قراءة نقدية في كتاب حروب المناخ. تأليف هارالد ولزر - ترجمة نبيل شبيب. عرض وتقديم أ. د. عمر أحمد المصطفى حياتي..... |
| 261 | 12. قراءة في كتاب " السلام والنزاع والعنف: علم نفس السلام في القرن 21". عرض: د. عبير عبد الرحمن خليل عبد الرحمن..... |

القسم الأجنبي

| | |
|--|-----|
| 13. Linguistic Study of Arabic Loan Words in Dinka Language. Sawsan Abdel Aziz Mohammed Nashid..... | 269 |
| 14. Reasons to Write in the Sudanese Academia: a Hard Sciences Perspective. El-Sadig Ezza, Marwa Elbasheer and Shahenaz Nour..... | 293 |
| 15. Apology Strategies in Arabic Used by Teenager Students: A Case Study. Suzan Alamin Mubarak and Nehal Al_Rogi..... | 303 |
| 16. Prehistoric and Historical Burial Sites in Sudan: Theory and Methods of Interpretation. Azhari Mustafa Sadig and Gamal G. Abbass Elhassan..... | 321 |

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يناير ويوليو من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية باللغة العربية والانجليزية والفرنسية مع مراعاة الآتي:

1. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
2. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
3. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني jurnal.art@uofk.edu أو prof.siddig.alrattyah@gmail.com.
4. يراعى في البحث ألا يتجاوز 10.000 كلمة، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (200) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية وعنوان البريد والبريد الإلكتروني باللغتين العربية والإنجليزية.
5. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (2000) كلمة كحد أقصى، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.
6. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث كالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة أو الصفحات) مثال: (صادق. 2021. 14). (Adams. 2000. 14). وتوثق في قائمة المراجع والمصادر كما يلي:
للكتب وبحوث المؤتمرات:
- أحمد بدوي. أسس النقد الأدبي عند العرب. القاهرة، دار نهضة مصر، 1964م.
- قاسم المومني. "علاقة النص بصاحبه دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعرية". عالم الفكر. الكويت: العدد الثالث يناير/ مارس 1997م. 113-128.
- يراعي في المراجع الأجنبية نفس النمط
7. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
8. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.
9. لا تقبل البحوث والدراسات التي تعد لإكمال مطلوبات إجازة الرسائل الجامعية (الدكتوراه).
10. لهيئة التحرير الحق في رفض أي بحث مقدم لها دون إبداء الأسباب.
11. دفع رسوم النشر المقررة على الباحثين غير السودانيين والسودانيين بالخارج أو من خارج الجامعة كل على حسب فئته.

تجليات التناص القرآني، نماذج من الشعر السوداني

د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه - جامعة الملك فيصل
د. عبد الحكيم أحمد سر الختم جيني- جامعة الملك فيصل، وجامعة القرآن الكريم

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى إبراز دلالات التناص القرآني في الشعر السوداني، ذلك الشعر الذي استعان بكثير من ألفاظ القرآن الكريم، ومعانيه وصوره. تتبّعنا نماذج من الأبيات الشعرية التي قيلت في الشعر السوداني، متكئة على معاني القرآن الكريم وألفاظه، فلمسنا بوضوح تزيّنها برداء القرآن الكريم، وتضوّعها بطيبه وتضوّعها بسننه، وذلك في سياقات متماسكة، متعالقة نصياً ومتشابكة دلاليّاً، ومنفتحة على كل الاحتمالات والتأويلات.

وقد خلص البحث إلى نتائج أهمّها: أن الثقافة الإسلامية قد تشرّبها الشعراء السودانيون، وتعمّقت في وجدانهم وسكنت عقولهم. وأن تناصّ الشعراء السودانيّين مع الخطاب القرآني قد زاد النصوص الشعرية ألفاً وتوهّجاً وتوسّعاً في الدلالة. وأن الشعر السوداني حاول الخروج من قضية (التجريد) إلى قضية (التشخيص). وأن الشعراء قد برعوا في استخدام تقنية التناصّ، وقد ظهر ذلك جليّاً في التماسك البنيوي للنصوص الشعرية، مع المحافظة على هيبة النص القرآني وجلاله.

الكلمات المفتاحية: التناصّ القرآني، الشعر السوداني، التجريد، التشخيص

Abstract

This research aims to highlight the implications of Qur'anic intertextuality in Sudanese poetry, which is poetry that has used many of the words, meanings, and images of the Holy Qur'an. We followed examples of poetic verses that were said in Sudanese poetry, relying on the meanings and words of the Holy Qur'an. We clearly noticed her adorning herself with the garment of the Holy Qur'an, her ablution with its perfume, and her ablution with its Sunnah, in cohesive contexts, intertwined textually, intertwined semantically, and open to all possibilities and interpretations.

The research concluded with results, the most important of which are: that Islamic culture has been absorbed by Sudanese poets and has deepened into their consciences and inhabited their minds. The intertextuality of Sudanese poets with the Qur'anic discourse has increased the brilliance, brilliance, and expansion of meaning in the poetic texts. Sudanese poetry tried to move from the issue of (abstraction) to the issue of (diagnosis). The poets excelled in using the technique of intertextuality, and this was clearly evident in the structural cohesion of the poetic texts while preserving the prestige and majesty of the Qur'anic text.

Keywords: Qur'anic intertextuality, Sudanese poetry, abstraction, diagnosis

مقدمة:

إن البحث الدؤوب حول أصول الشعر السوداني، يبدأ بسؤال قديم حول هوية السودان الثقافية، وهل كان هناك شعر سوداني في الحضارات السودانية القديمة أيام الممالك النوبية القديمة، التي بلغت رقتها ذات يوم مصر وفلسطين حتى اصطدمت بالآشوريين؟

ففي الآثار القديمة وجدت عدة مقاطع وقصائد شعرية، لكن هل لهذا الشعر علاقة بالشعر العربي في السودان المعاصر؟ أم أنه جاء في سياق بحث المعاصرين عن جذور سواء في التراث العربي، أو في التراث السوداني القديم بأساطيره وأثاره وحكاياته الشعبية المحلية المتنوعة؟ لأن عملية المزج الشديد بين العروبة والزنوجة؛ ولد خطأً روحياً حفر عميقاً ومازال- في النفسية السودانية وهو عالم التصوف، وقد اختلطت فيه الظواهر الإسلامية بظواهر (العرافة) و(الكجور) وتولد عنها- تحت ضغط المؤثرات الأفريقية- الانصراف عن الذات الإلهية إلى الذات المحمدية، وما يسمى بقضية النور المحمدي السائر في العصور. ثم كان التحول إلى حد ما إلى (الذات المهدية) ثم الانشطار حول شخصيتين يمثلان المهدية والميرغنية، هما السيدان عبد الرحمن المهدي وعلي الميرغني، إضافة إلى شخصيات صوفية ثانوية. المهم أن الصوفية تدخل في نسيج المجتمع السوداني، وأنه كان لها- ولا يزال- زي، وشعائر وإيماءات خاصة - على قدر كبير من التركيز الدرامي- في ضوء ما يسمى «بتسليك القوم» (بدوي، 1978 م، 9-10)*.

وبعد أدب المدائح من صميم الأدب الشعبي، لأنه يعكس لنا المعتقدات الدينية والأوهام والمخاوف الغيبية التي سيطرت على العقلية السودانية في فترة معينة فنستطيع أن نتعرف على المعاني الخلقية التي عملت على توجيه سلوك الفرد، ولا شك أن البيئة الزراعية وما يصحبها من تخلف فكري لها أثر في دفع الفرد إلى الإيمان بالغيبيات؛ لأن الفرد في المجتمعات البدائية غالباً ما يعجز عن تفسير ظواهر الكون يخيفه قصف الرعود والعواصف فهو في صراع دائم مع الشر، حياته مليئة بالمخاوف والأوهام؛ ولذلك يلجأ إلى الإيمان بالغيبيات؛ فيجد لذة روحية وطمأنينة في حياته. فتلك المدائح تكشف لنا عن نفسية الشعب السوداني في الأزمان الغابرة من خلال المعتقدات الدينية، وتقديس الأولياء والدراويش.

* في الطريقة القادرية مثلاً يجلس المريد قبالة الشيخ بحيث تتلاصق الركبتين، وتوضع اليد اليمنى في اليمنى بعد صلاة ركعتين وقراءة الفاتحة، ثم يكون هناك دعاء وترديد كلمة التوحيد ثلاث مرات، وطريقتهما أن تؤخذ كلمة « لا » من طرفه الأيمن ماراً بها إلى المريد إلى جبهته في كلمة «إله» ثم يفرغ كلمة «إلا الله» في طرفه الأيسر، مغمضاً عينيه، ثم يوصي بالعديد من الوصايا. وقد كان بعضهم ينصب خباء على هيئة مسرح ووراءه مجموعة من الكباش، ثم يطلب الراغب في دخول « الطريق » فإذا دخل خلطه بالكباش، ثم يقوم الشيخ بذبح كبش، وحين يسيل الدم يتوهم الناس أنه ذبح المريد.

إن الشاعر السوداني كما يتمتع بواقع خاص وتراث خاص، يتمتع كذلك بكثير من القلق والشك والخوف والتردد، وكثيراً ما ينعكس هذا على الأداة، "فبحوره في الغالب قصيرة ومجزوءة، وصوره مجتمعة حول بؤرة واحدة نافرة وفي حالة شروع وحركة، ومقاطعته يغلب عليها النبر الحاد، ثم إنه يتعرض للجليل أكثر مما يتعرض للجميل، ويقترب من لغة الحياة لشدة انفعاله وقلة ترويه، فهو- وبخاصة في المرحلة الأخيرة- يعبر أجمل تعبير عن هذا الشيء الذي يمكن أن يطلق عليه اسم الواقعية العربية" (بدوي، 1981م، 10)؛ لذلك لن تكون أبداً مهمة تقديم مختارات من الشعر العربي في السودان سهلة، ذلك أنك تجول داخل غابة كثيفة متشابكة الأغصان، ربما تستحيل الرؤية فيها أحياناً، وربما تدخل في متاهة تضلّ فيها القافلة، ولكن كان لابد من التصدي لهذه المهمة الجليلة، بالرغم من كل المخاطر والصعوبات؛ لذا جاءت هذه الدراسة للكشف عن بعض الأشكال الجديدة، التي لم ينظر إليها الباحثون في دراساتهم المختلفة، ومنها: التناسق القرآني المعتمد على القرآن الكريم، وكذلك التناسق القائم على قصة من قصص القرآن. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة. تناول المبحث الأول: تقنية التناسق، أما المبحث الثاني: فقد جاء تحت عنوان دلالات التناسق القرآني، نماذج من الشعر السوداني. فإن وفقنا في ذلك فهو فضل من الله تعالى، وإن كانت الأخرى فحسبنا الاجتهاد وإخلاص النية.

المبحث الأول

تقنية التناسق

يعد التناسق أحد التقنيات الفنية التي توظف في النص الشعري لخدمة المعنى، وإعلاء بنيانه الجمالي. كما أنه جزء من "استراتيجية الانحراف القائمة على مغايرة اللغة الشعرية للخطاب الاتصالي" (موافي، 2004م: ص220).

وبعد التناسق من أبرز التقنيات الفنية التي عني بها نقادة الشعر الحديث ودارسوه، واحتفوا بها بوصفها ضرباً من تقاطع النصوص الذي يمنح النص ثراءً وغنى، ويسهم في النأي به عن حدود المباشرة والخطابة.

وقبل الحديث عن دلالة التناسق في بعده الأدبي، يجدر بنا الكشف عن المرجعية اللغوية له، علماً أنّ مفهوم التناسق لغوياً لا يسعفنا في التعرّف إلى المعنى الاصطلاحي بشكل حاسم "فعلى الرغم من قدم المادة، لم يكن لها مرجع يتصل بالبيئة الأدبية" (عبدالمطلب، 1995م: ص137).

فالتناصّ لفظ يعود إلى جذره اللغوي (نصص)، وقد أورد أصحاب المعاجم اللغوية مجموعة من المعاني لتفسر هذا الجذر، فقد جاء في لسان العرب أن النص: "رفعك الشيء. نص الحديث ينصه نصاً: رفعه وكل ما أظهر فقد عد نصّاً... ونص المتاع نصّاً: جعل بعضه على بعض... والنص: التحريك حتى يستخرج من الناقة أقصى سيرها..." (سليمان، 2005، م، 11-12).

والنظرة المعجمية المستوحاة من مادة (نصص) تسمح لنا بالقول إن لمفهوم التناصّ جذوراً لغوية، وإن لم يرد هذا المفهوم بجذوره الاصطلاحية، فهو صيغة صرفية على وزن (تفاعل) بما تحمله هذه الصيغة الاشتقاقية من معاني المشاركة والتداخل بما يعني تداخل نص في نص آخر سابق عليه، ليسى لدينا نصان: نص سابق، ونص لاحق، بينهما علاقة خاصة قد تبدأ بالمس الرفيق وتنتهي بالتمازج الكلي حتى يبدو الفصل بينهما أمراً في غاية الصعوبة (جابر، 2007، م، 1080 - 1081).

فالتناصّ عبارة عن "حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر؛ لإنتاج نص لاحق" (مرتاض، 1991، م، 75). وهو بهذا المفهوم أمر قائم ومشروع لا مناص منه، حيث لا يمكن قصور نص بريء ينشئه مبدعه من درجة الصفر؛ لأنه "لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما". (مفتاح، 1997، 123، م)

إذن التناصّ بوصفه مصطلحاً نقدياً واسعاً يندرج فيه كل ما يتعلق باستدعاء النصوص السابقة في النص اللاحق. وتعود ولادة هذه المصطلح إلى منتصف الستينات من القرن العشرين في كتابات ميخائيل باختين الذي عنى بالتناصّ: الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص أو لأجزاء من نصوص سابقة. (بنيس، 1990، م، 183-185).

وقد تبلور موضوع التناصّ على يد جوليا كريستيفا التي نظرت إلى النص الشعري بوصفه نتاجاً لنصوص سابقة، يعقد معها النص الجديد علاقة تبادل حوارية، أو هو كما عرفته بدقة: "لوحة فسيفسائية من الاقتباسات والتضمينات" (كريستيفا، 1991، 79)، فكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى؛ الأمر الذي يجعل من النص بوابة مشرعة على ما أنتجته الحضارة الإنسانية. (الغدامي، 1985، م، 131)

أما الناقد الفرنسي جيرار جنييت فقد طوّر هذا المصطلح وعمقه ووسّع آفاه، وعرفه "بعلاقة حضور متزامن بين نصين أو أكثر، أو هو الحضور الفعلي لنص داخل نص آخر"، وأدرجه في تصنيفه للعلاقات النصية المفارقة التي أجملها في أصناف خمسة هي: الاستشهاد والسرقة، والنص الموازي،

والوصف النصي، والنصية الواسعة، والنصية الجامعة، وهو يرى "أن التناسق كل ما يضع النص في علاقة صريحة، أو مخفية مع نصوص أخرى" (بنيس، 1990م، 186).

وعلى الرغم من أن التناسق يبدو مصطلحاً جديداً، فإنه في الواقع مفهوم قديم. وبصفة عامة نجد أن مصطلح التناسق في الأدب العربي مر ببدايات غنية وتحت مسميات نقدية تناسب عصوره القديمة، (كنه، 2008م، 5)؛ ذلك أن من يتمعن في معجم النقد العربي القديم يعثر على أكثر من مصطلح نقدي يشير إلى عملية التداخل بين النص والنصوص الأخرى مثل مصطلحات: الاقتباس والتضمين، والسرقعة والأخذ وغيرها. فقد عرّف النقاد العرب على سبيل المثال الاقتباس بقولهم: «أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن والحديث، ولا ينبّه عليه للعلم به» (الحلي، 1980م، 323). وعرّف آخرون التضمين بقولهم: "أن يضمن الشاعر شعره والناشر نثره كلاماً آخر لغيره قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود (ابن الأثير، 1959م، 203).

ومن الجلي أن مصطلحي الاقتباس والتضمين وفق التعريف السالف يتقاربان مع مفهوم التناسق في صورته الحديثة التي ظهرت في الدراسات النقدية المعاصرة. ومن جهة أخرى سعى عدد غير قليل من النقاد المعاصرين إلى وضع التناسق في تصنيفات متنوعة: لتحديد أبعاده، والإحاطة بطرائقه، فصنّفه بعضهم حسب توظيفه في النصوص صنفين: أحدهما التناسق الظاهر ويدخل ضمنه الاقتباس والتضمين، ويسمى أيضاً الاقتباس الواعي أو الشعوري؛ لأن المؤلف يكون واعياً به. (المغربي، 2004، 285).

والآخر هو التناسق اللاشعوري، أو التناسق الخفي، وفيه المؤلف غير واعٍ بحضور النص أو النصوص الأخرى في نصه الذي يكتبه، ويقوم هذا التناسق في استراتيجيته على الامتصاص والتدويب والتحويل والتفاعل النصي. (نجم، 2001م، 7).

إن من شأن التناسق أن يسعى إلى تخصيص النصوص وتلقيحها بثقافات ورموز وإشارات تنشلها من حومة السطحية والغنائية، لتبدو قادرة على التحليق بقارئها إلى آفاق من العمق والجدة وذكاء التأويل.

ومعلوم أن الأثر الذي أحدثه القرآن في اللغة العربية (لغة العرب) ليس بأقل شأنًا من الذي أحدثه في العرب أنفسهم؛ فاللغة بوصفها مظهرًا اجتماعيًا هي مرآة مجتمعيها، تنحط بانحطاطه وترقى برقيه، فبفضل القرآن ارتقت العربية وارتقت معها لغتها، فالقرآن وحد لهجات العرب بعد أن كانت شتى؛ فتناسق العرب ما كان بينهم من اختلافات لهجية. كما أنساهم الإسلام ما كان من خلافات قبلية؛ ولذلك لم يقتصر دور القرآن على حفظ اللغة العربية من التغير الذي قد ينشأ عن اختلاط الأمم وامتزاجها

فقط؛ بل ساعد على انتشارها بصورة سريعة بين الأمم غير العربية الداخلة في الإسلام؛ فحرص هؤلاء على فهم دينهم، وكذلك حرصوا على الوصول إلى منصب سياسي أو إداري في هذه الدولة الناشئة، وكل ذلك دفعهم دفعا إلى تعلم العربية.

ويعدّ النص القرآني مصدراً ثراً من مصادر الإلهام الشعري الذي يفيء إليه الشعراء أو الأدباء، يستلهمونه، ويقتبسونه منه، إما على مستوى الدلالة والرؤية أو على مستوى التشكيل والصياغة. ويكون ذلك باقتباس نص من القرآن الكريم، بطريقة مباشرة فيذكره كما هو، أو بطريقة غير مباشرة فيحور أو يغير، ثم يوظف ذلك في سياق نصه الجديد؛ لأن القرآن الكريم علّم الأدباء وهو "معجزة الدهور، يفيض بالصياغة الجديدة والمعنى المبتكر، يصور تقلبات القلوب وخلجات النفوس، وهو النص المقدس الذي أحدث ثورة فنية على معظم التعابير التي ابتدعها العربي شعراً ونثراً، ليخلق تشكيلاً فنياً خاصاً متناسقاً المقاطع، تطمئن إليه الأسماع إلى الأفتدة في سهولة ويسر" (مبارك 2007م، 167). فكان أثر القرآن واضحاً في لغة الشعراء وأخيلتهم ومعانيهم، وربما يكون ذلك لكونهم تربوا على هذا الكتاب، فكان تأثيره أكثر وأشدّ فـ " المعاني والموضوعات القرآنية التي وجدت طريقها إلى الشعراء؛ لأنهم في الطليعة التي تربت على روح القرآن، ودرجت على منهجه، وإن تفاوتوا في تمثيل هذه الروح والإخلاص لتوجهاتها" (شرار، 1987م، 23)، كما أن توظيف النص القرآني حمل لهؤلاء الشعراء كنزاً في مختلف المعارف، إذا جاز لنا التسمية من جديد؛ لأن " القرآن الكريم بسحره وبيانه وموضوعاته، وفي قصصه وشخصياته هو المصدر الأساسي الذي عاد إليه الشعراء، يستلهمونه، ويستمدون منه ما يتوقون إليه في أشعارهم، لا عجب في ذلك؛ لأنه الكتاب الذي ظلّ على مر الزمان والمكان الغني بالأسرار، ويشمل جوانب الحياة، وفيه الكثير مما يبحث عنه البشر، من قضايا تقض مضاجعهم، فهو المصدر الذي لا ينضب إذ وجدوه المعين الأول والواسع والخصب للعودة إليه والإفادة منه" (الزهاورة، 2008م، 196).

ويأتي التناسق بتضمين الكلام - نثراً أو نظمًا - شيئاً من القرآن الكريم من غير دلالة على أنه منه، كقول الشاعر:

قد بُلينا في عصرنا بأناسٍ يظلمون الأنعامَ ظُلماً

ويأكلون التراثَ أكلاً ماً ويحبّون المالَ حبّاً جمّاً

فهذا تناسق مع قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً ۝ ١٩ وَتُحِبُّونَ أَمْالَ حُبّاً جَمّاً﴾ (الفجر: 19-20). وقول الشاعر:

إِنْ كُنْتُ أَزْمَعْتَ عَلَى هَجْرِنَا مِنْ غَيْرِ مَا جُرِمَ فَصَبِّرْ جَمِيلٌ
وَإِنْ تَبَدَّلْتَ بَنًا غَيْرِنَا فَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وهو تناص مع قوله تعالى: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: 18)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: 173).

وقول أحدهم:

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ

وهو من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. (البقرة: 156)

ومنه في النثر قول عبد المؤمن الأصفهاني: لا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. وهو تناص مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم: 42).

المبحث الثاني

دلالات التناص القرآني، نماذج من الشعر السوداني

يعدّ التناص من أبرز التقنيات الفنية التي عُني بها شعراء الأدب العربي الحديث، فأقبل الشعراء على توظيف هذه التقنية بوصفها ضرباً من تقاطع النصوص الذي يمنح النص ثراءً وغنى، وتحمل في طياتها دلالات وإيحاءات جديدة قد يعجز التعبير المباشر عن تأديتها. والتناص القرآني يتجلى بوضوح في الشعر السوداني مما يدل على الالتزام الديني. فقد تضمن الشعر حشداً كبيراً من المفردات ذات البعد الديني، ومصطلحات استخدمها القرآن الكريم. وهذا يدل فيما يدل عليه أن الشعراء لديهم ثقافة دينية واسعة. فقد قاموا بامتصاص دلالات المفردات المتناصّة؛ وذلك لإعطاء الخطاب الشعري قيمة فنية ذات تأثير عميق في نفس المتلقي، بعد أن يمنحوها رؤيتهم الخاصة.

ولعل اهتمام الشعراء وكلفهم باستدعاء النصوص القرآنية، والتناصّ معه "لما يمثلها القرآن الكريم من ثراء وعطاء متجددين للفكر والشعور، فضلاً عن تعلق ثقافة الشعراء المعاصرين به تأثراً وفهماً واقتباساً" (جدوع، 2004م: ص134)، إضافة إلى ما يعالجه من قضايا تتطابق وطبيعة الصراع المحتدم على أرض السودان بين قوى الحق والجهاد، وقوى الباطل والاحتلال في فترة سابقة، ذلك أن استحضار الخطاب الديني في الخطاب الشعري المعاصر، يعني إعطاء مصداقية، وتميّز لدلالات النصوص الشعرية، انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني، وقداسته وإعجازه.

وإذا كان الشاعر يقتبس من القرآن بعض ألفاظه وتراكيبه، أو يغترف من نبع معاني القرآن جملة، أو يضمّن شعره أثراً من روح القرآن ووحيه، فإن ذلك كلّه أو بعضه، يظهر بجلاء حيناً وبشيء من الخفاء الفني أحياناً. من خلال أشكال متناصّة واضحة مع القرآن كاشفاً في هذا أو ذاك أبعاداً دلالية متنوعة، ولا بدّ للقارئ بالطبع من أن يمرّ عبر السياق القرآني للوصول إلى الدلالة النصية، لا أن يبقى متعلقاً بالنص القرآني دون أن يفتن إلى أنه مرآة تنعكس عليها أشعة الدلالة النصية للإشارة إلى الواقع.

إن الاستعانة بالنص القرآني في البناء الشعري، لا يعني عند هؤلاء أكثر من توكيد الدلالة الشعرية للوصول إلى المعنى المركز، وهو ما يقابله الاستشهاد في النثر، لكنه في الشعر أكثر تركيزاً وكثافة، وفيه تصرف، ولو طفيف، بالنص القرآني ليتساقق والنص.

تناصّ المفردات والعبارات القرآنية:

يقتبس الشاعر السوداني ألفاظاً من القرآن الكريم لتجسيد الصورة الشعرية؛ وذلك لإضفاءها على تلك الصورة مزيداً من الواقعية، وجعلها أشدّ أثراً وأعمق نفوذاً، إذ تصطبغ المعاني بدلالة تتسم بالوضوح والدقة. يقول الشاعر محمد المهدي المجذوب في قصيدة "المولد":

رَبِّ سُبْحَانَكَ مُخْتَاراً قَدِيرًا

أَنْتَ هَيَاتَ الْقَدَرُ

ثم أرسلت نذيراً... للبشر

آيةً منك ونوراً

فهذه الأبيات الشعرية تتناص مع قوله تعالى من سورة الفرقان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ - وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: 45-46) يأيها الرسول الكريم- إنا أرسلناك إلى الناس جميعا، لتبشّرهم بثواب الله- تعالى- ورضوانه إذا أخلصوا له العبادة والطاعة، ولتندّرهم بعقابه وغضبه، إن هم استمروا على كفرهم وشركهم. فقد ناداه الحق تعالى بأوصاف أودعها فيه للتنويه بشأنه، وزيادة رفعة مقداره وبين له أركان رسالته، فهذا الغرض هو وصف تعلقات رسالته بأحوال أمته وأحوال الأمم السالفة، وذكر له خمسة أوصاف هي: شاهد. ومبشّر. ونذير. وداع إلى الله. وسراج منير. فهذه الأوصاف ينطوي إليها وتنطوي على مجامع الرسالة المحمدية؛ فلذلك اقتصر عليها من بين أوصافه الكثيرة.

وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير، وبشارة فاعليه بحسن الحال في العاجل والآجل، والإنذار من الشر، وهو الإخبار بحلول حادث سيئ أو قُرب حلوله، والنبى عليه الصلاة والسلام منذر للذين يخالفون عن دينه من الكافرين به. وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) غلب عليه التبشير؛ لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته.

ويقول في نفس القصيدة:

صل يا رب على خير البشر
الذي أسرج في ليل حراء
قمرًا أزهى من بدر السماء
يقرأ الناس على أضوائه
حكمة الخلق وأسرار البقاء
..... من إله قد هدى بالقلم
علم الإنسان ما لم يعلم

وهذا يتناص مع الآية الكريمة: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: 1-5)

ويقول:

صل يا رب على المدثر

وأعني وانصر

بشفيع الناس يوم المحشر

الذي يسقي صفاء الكوثر

كما تتناص الأبيات السابقة مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾. (المدثر: 1-2)، ومع قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. (الكوثر: 1-3)

وكقول الشاعر السوداني إدريس محمد جماع:

| | |
|--------------------|-------------------|
| فوق شوكٍ نثروه | إن حظي كدقيقٍ |
| يومَ ربحٍ اجمعوه | ثم قالوا لحفاةٍ |
| قلتُ يا قوم اتركوه | صعبُ الأمرِ عليهم |
| كيف أنتم تسعدوه؟ | إن من أشقاه ربي |

وهي من أبلغ أبيات الشعر العربي الحديث التي وصفت البؤس والشفاء وسوء الحظ، وذلك من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (إبراهيم: 18)، حيث تناصت مفردات وهي: (الريح، اللحظ، العمل، الدقيق، والرماد..الخ).

فتشبهات القرآن كثيراً ما تظهر فيها الأمور المعنوية بالصورة الحسية، فهذا رماد محترق لا تتعلق به آمال ولا يقر له قرار، فقد اشتدت به الريح، وهذا كاف لتبديده وتطهيره. ولزيادة التصوير، أضيف لكل ما سبق أمور يكاد عمل الكافرين معها يكون معدوماً، تلك الأمور هي: (في يَوْمٍ عَاصِفٍ) (لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ) (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) واشتداد الريح كان في يوم عاصف، وإسناد العصف إلى ضمير اليوم مبالغة في الشدة، فالأصل: معصوف فيه، وفي ذلك مجاز عقلي علاقته الزمانية، وقد وصف الضلال بالبعد، ولم يقل المبين؛ لأن الريح طيرت الرماد إلى مسافات بعيدة جداً لو تعقبوها في تلك المسافات؛ لوقعوا في حيرة وضلال بعيد، والمسافات يناسبها البعد.

يقول محمد أحمد محبوب:

والباسقات من الأشجار يقصدها طلاب في ومن يشكون من نصب

وهذا يتناص مع قوله تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ (ق: 10)، و باسقات ؛ أي طوال شاهقات. فالباسقات الطوال استخدمها الشاعر للأشجار.

وقال التجاني يوسف بشير:

ضاق بك الأرض وضج الفضاء وزاحمت دنياك دنيا القدر

يتناص ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: 118)

تناص مع المعاني القرآنية:

لقد ترك القرآن الكريم أثرا عميقا في شعر التجاني يوسف بشير من حيث الأساليب، والمعاني، والمضامين، والصور، وقد استفاد الشاعر من هذه الأساليب والمعاني القرآنية ووظفها في خدمة بناء قصيدته الشعرية، فحينما يريد التجاني يوسف أن يبين شدة الحكم والظلم الذي وقع عليه يقول "المعهد العلمي":

قالوا احرقوه بل اصلبوه بل للريح ناجس عظمه وإهابه

(بشير، 1949م، 62)

وذلك يتناص مع قصة سيدنا إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: 68)، وذلك لما أفحمهم سيدنا إبراهيم، ولم يبينوا حجة، فاستعملوا قوتهم في معاقبته، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: اقتلوه أشنع القتل، بالإحراق، غضبا لآلهتكم. وكذلك مأخوذ من قوله تعالى في المسيح: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء: 157)، فمزج الشاعر في بيت واحد بين صورتين من أشد أنواع القتل ليقدم للمتلقى

صورة الظلم الذي وقع عليه، ويثبتها في خياله وذلك بفصله لأسباب سياسية؛ مما أدى إلى عدم إكمال دراسته في المعهد العلمي، ويقول القصيدة نفسها:

قالوا وأرجفت النفوس وأوجفت هلعاً وهياج وماج قسور غابه

المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۖ ٥٠ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (المدرثر: 50-51) أي: أنهم في نفاهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها، هنا بين النفوس التي اهتزت خوفاً وهلعاً من رأيه، فالتجاني الذي ظل يمارس ضغطاً متواصلاً لمأزقه الوجودي في بيئة شديدة المحافظة، فجّر في الشعر تجربته بلعبة لغوية أبدعت جدلاً جمالياً - إن صح التعبير - صاغ فيه أسئلة الوجود والعدم دون أن يحيلنا إلى كد ذهني، بل انطوى على شفافية وتماسك نسخ المسافة الوهمية بينه وبين نصّه حتى قال في وقت مبكر ما يشبه الوصية، لمن يكتب عنه (محمد جميل، جريدة الرياض، 3 مارس 2005م، العدد 13401).

أنا إن مت فالتمسي في شعري تجذني مدثراً برقاعه

أيضاً نجد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ۖ ١ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (المدرثر: 1-2)

ونجد التجاني يوسف بشير لم يقتبس على الطريقة البلاغية القديمة في الاقتباس في تأثره بالقرآن أسلوباً ومضموناً، بل كان يستفيد من القرآن وأسانيبه، ويستخدم هذه الاستفادة بعد هضمها باتجاه الآية، أو بمعنى آخر ينشده، حيث كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في تشكيل صورة التجاني اللونية، حيث يحمل اللون في شعره دلالات دينية ونفسية وفكرية عميقة، فاللون الأخضر هو المتفوق، ونعزي هذا التفوق إلى تأثير البيئة الدينية التي نشأ فيها الشاعر، فاللون الأخضر يرمز للسلام والرخاء والفأل الحسن، متأثرين في ذلك بمدلولات معاني الخضرة التي وردت في القرآن الكريم، وارتبطت بالطمأنينة والسعادة، كما في قول الله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُوا بِأَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: 21). وفي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْعَمُ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: 31). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًا مُتَرَكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۚ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 99). فحينما ننظر إلى الصورة التي يرسمها ويلونها بالأخضر حيث الخضرة تكسو النيل وتحتضنه الملائكة

ذات الأجنحة الخضراء، فتجتمع خضرتان في الصورة، خضرة النيل وخضرة أجنحة الملائكة نشعر بامتصاص المعاني السابقة من الآيات القرآنية حيث يقول:

أَنْتَ يَا نَيْلُ يَا سَلِيلَ الْفَرَادِيسِ نَبِيلُ مُوَفَّقٍ فِي مَسَابِكِ

حَضَنْتِكَ الْأَمْلَاقَ فِي جَنَةِ الْخُلْدِ وَرَقْتَ عَلَى وَضِيِّ عِبَابِكَ

وَأَمَدْتَ عَلَيْكَ أَجْنَحَةَ خَضْرَاءَ وَأَضْفَتِ ثِيَابَهَا فِي رِحَابِكَ

ويقول:

الرُّوحُ مَا الرُّوحُ إِلَّا طَائِرٌ غَرَدَ لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَاءِ

كَطَائِرِ الرُّوْضِ إِلَّا أَنَّهُ أَبَدٌ يَشْدُو هُنَالِكَ شِدْوُ الْحَائِرِ النَّائِي

يَظْلُ يَهْبِطُ مِنْ دَوْحٍ لِمُتَلَقٍّ وَقَدْ يُغَادِرُ خَضْرَاءَ لِيَخْضِرَاءَ

وهنا يشبه الروح بالطائر الذي له جناحان من نور وظلماء، يغادر من خضراء لخضراء فلنتخيل هذه الصورة الرائعة صورة الطائر ذي الجناحين المكونين من السواد والبياض، وتحتضنه الخضرة إنها صورة بديعة تسلب الأبواب، وتأسر القلوب.

يقول الشاعر ادريس جماع:

إِنَّ حَظِّي كَدَقِيقٍ فَوْقَ شَوْكِ نَثْرُوهُ

ثُمَّ قَالُوا لِحُفَاةٍ يَوْمَ رِيحٍ أَجْمَعُوهُ

صَعُبَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ قُلْتُ يَا قَوْمَ اتْرَكُوهُ

إِنَّ مِنْ أَشْقَاهُ رِيَّ كَيْفَ أَنْتُمْ تَسْعُدُوهُ؟

رغم إن جماعاً قصد معنى غير الذي عنته الآية الكريمة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (إبراهيم: 18)، إلا أنه قد استخدمها لحالة ذاتية. اقتباس من سورة إبراهيم.

يقول ابن عاشور في تفسير الآية: "شَبَّتْ أَعْمَالُهُمُ الْمُتَجَمِّعَةُ الْعَدِيدَةُ بِرَمَادٍ مُكَدَّسٍ فَإِذَا اشْتَدَّتْ الرِّيحُ بِالرَّمَادِ انْتَثَرَتْ وَتَفَرَّقَتْ تَفَرُّقًا لَا يُرْجَى مَعَهُ اجْتِمَاعُهُ، وَوَجْهُ الشَّبِّهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ مِنَ اضْمِحْلَالِ شَيْءٍ كَثِيرٍ بَعْدَ تَجْمُعِهِ، وَالْهَيْئَةُ الْمُشَبَّهَةُ مَعْقُولَةٌ" (ابن عاشور، 1984م، 13/212).

والمُرَادُ بِالْبَعِيدِ الْبَالِغُ نِهَائَةً مَا تَلْتَمِيزُ إِلَيْهِ مَا هَيْئَتُهُ، أَيُّ: بَعِيدٌ فِي مَسَافَاتِ الضَّلَالِ. فالشاعر المعروف بثقافته الدينية وحسه المرهف نظر في المعنى العام للآية الكريمة فاستوحى منه ذلك التمثيل البديع، حيث مثل حظه بدقيق قد نشر في يوم عاصف اشتدَّت فيه الرِّيحُ فانتَثَرَتِ الدقيق وتَفَرَّقَتْ تَفَرُّقًا لَا يُرْجَى مَعَهُ اجْتِمَاعُ. وَوَجْهُ الشَّبِّهِ هُنَا هُوَ الْهَيْئَةُ الْحَاصِلَةُ مِنْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّحْصِيلِ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْأَسْبَابِ.

ويتأثر أسلوبه بالقرآن الكريم، ولا غرو في ذلك، فهو، أحد مكوناته الثقافية. فأحياناً يضمن آياته أو يقتبس مفرداته، فقلوه:

مَارَاعَهَا بَلْ أَثَارَ النَّارِ مِنْ دَمِهَا فَأُورِدَتْ ظَالِمُهَا شَرَّ مَنْقَلَبِ

(جماع، 1989م: ص58)

فيه نظر إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: 227) فالْمُنْقَلَبُ يَتَرَقَّبُ الظَّالِمِينَ لِأَجْلِ ظُلْمِهِمْ، وَالْإِيْهَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، وعدم ذكر عقاب معين؛ لِتَذَهْلُ نُفُوسُ الْمُوَعِّدِينَ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ مُمَكِّنٍ مِنْ هَوْلِ الْمُنْقَلَبِ وَهُوَ عَلَى الْإِجْمَالِ مُنْقَلَبُ سُوءٍ، وقد تناصَّ الشاعر مع معنى الإيهام الوارد في الآية الكريمة، حيث أورد كلمة (منقلب) دون تعريف (بال).

أما قوله:

حَقْدٌ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي جَنْبِيهِ عَشَشَ وَانْتَشَرَ
وَيَعِيشُ مُحْسُوبًا عَلَيْهِ إِنَّهَا إِحْدَى الْكَبَرِ

(جماع، 1989م، 108)

فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ (المدر: 35). فالشاعر تناصّ مع هذه الآية الكريمة؛ لينقل إلى المتلقي جو الإنكار والإبطال الذي حملته الآية للرد عليهم. وجملة (إنها لإحدى الكبر) تعليلاً للإنكار، والضمير (إنها) عائد إلى (سَقَر) في الآية الكريمة، أي هي جديرة بأن يتذكر بها. ولما أراد الشاعر أن يتحدث عن الحقد وصفه بالتعشيش، الذي يدل على الاستقرار والتمكن، وفي هذا تناصّ آخر مع قول الشاعر الكميت بن زيد:

ولما رأيت النسر عزّابن دأية⁽¹⁾ وعشش في وكره جاشت له نفسي

(الكميت، 2000م، 236).

وفي هذا صورة من صور الترشيح التي تعضد الاستعارة وتقوّمها. وفوق ذلك كله أضاف الشاعر إلى معانيه جو التهويل الوارد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾، وإن كانت الآية قد وردت في أمر عظيم، في شأن مقاتلهم في عدة خزنة النار، إلا أنها أجريت مجرى المثل: (إنها لإحدى الكبر).

وأحياناً يجعل من فواصل الآيات قراراً لأبياته:

| | |
|-----------------------------|-------------------------|
| زلزلت سفحها القنابل فارتد | دت إلى الأرض سجدا وجثيا |
| والجواري يسبحن في روعة اليـ | م يبين مظهر سحريا |
| تركها الألغام في البحر أشلا | ء تنرى الماء بكرة وعشيا |
| ولكم أسلمت إلى اليتيم طفلا | كان يختال راضيا مرضيا |

(جماع، 1989م، 91)

فقوله "سجدا وجثيا، بكرة وعشيا، راضياً مرضياً" مقتبس من القرآن الكريم.

ومن التأثير بالقرآن الكريم قول إبراهيم بن علي بقادي أيضاً:

إنسان عين وجود الوقت أوجده مجدد العصر في علم وإتقان

(1) الدأية: الغراب

على المرتضى في أمة وسط مخاطبين بكنتم خير ذي شان

كأنه ينظر إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّعَ إِيمَنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. (البقرة: 143) (كنتم خير أمة أخرجت للناس..).

ويقول المجذوب في قصيدة (الغدير):

إن كان عيسى مسيحا يحيي تراب المقابر

(المجذوب، 1973م، 93)

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾. (المائدة: 110)

وقول محمد أحمد المحجوب:

كل نفس إليه عادت ويبقى الله في غيبه أزيل قناعي

هذه الشمس آية الله لا تشرق إلا في صورة من وداع

يتناص مع قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۚ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: 26-27)،

ومن عبقرية الحب أن يسرقك نوم العين ويلهمك التأمل في ملكوت الله فتناجي من تحب، ودموع العين تمهر هذه المناجاة في سبيل الوصول إلى ذلك السر العظيم. وهذه مسحة صوفية عبقث ليل المحجوب، وألهمته السهر والمناجاة والجود بالدموع فيقول:

كان للحب صلاتي والسجود في حنايا الليل والناس هجود

فتناجينا فما يدري الوجود أي قلب كان بالدمع يجود

والتناسل ظاهر في معاني الأبيات مع معاني قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. (الإسراء: 78).

أما في هذه الأبيات:

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| ألم تر أن الله مبرز خلقه | بتأخير مفضل وتقديم فاضل؟ |
| فقال رفعنا بعضكم فوق آخر | ترى رفع بعض فوق بعض المقابل |
| نعم درجات خصها الله بالذي | تقرب بالفروض ثم النوافل |

(بدوي، 1978م، 31)

ينظر الشاعر إلى قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحَّمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. (الزخرف: 32) وقوله الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ المعنى أن الله سبحانه وتعالى فضل الناس بعضهم على بعض في العقل والذكاء والعلم والعمل والجسم طويلاً وقصراً وجمالاً وقبحاً وغير ذلك.

ومن ثم كان حديثهم المتكرر عن "الإسراء" وعن "المعراج" وكيف كان بالجسم لا بالروح على نحو ما نعرف من شعر الشيخ عمر الأزهري الذي منه:

وهو الذي جازت الجوزا مراتبه حتى ارتقى لسمو فوق كيوان

وذلك يتناسل مع قوله تعالى: ﴿أَفْتَمْرُؤُهُ عَلَى مَا يَرَى ۚ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۚ ١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ ١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾. (النجم: 12-18)

وحيثما يقول الشاعر:

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| ونال ثم دنا منه وخاطبه | من قاب قوسين أو أدنى العلي |
| فجاء بالخمس من خمسين كاملة | ثلاثة بالضياء.. والليل فريضان |

كأنه ينظر الشاعر إلى قوله تعالى:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ٩ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (النجم: 5-10)، وقد شرح هذه الفكرة باستفاضة الشيخ إبراهيم أحمد في القصيدة التي يقول فيها:

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| وأتى خليلك بالبراق فأيقظ الـ | جسم الشريف لنيل كل نجاح |
| فطفقت تقطع للفدافد قاصدا | رحبا لرسل مكنون الأرواح |
| فأقام جبريل الصلاة وأنت كن | ت إمامهم ومنيلهم لرباح |
| (وتدل) معراج الواهب والعلـ | فرقيته بمعونـة الفتاح |
| حتى خرقت سماء بدر دجنة | فلقيت آدم والد الأشباح |
| ولقيت في الثاني ابن مريم والتي | سادت، بعيسى عين كل سماح |
| وبثالث لاقيت يوسف ذا الجد | واليمن والحسن الشهي الضاحي |
| وبرابع لاقيت إدريس العلا | وبخامس هارون ذي الإفصاح |
| وبسادس موسى الكليم، وذا الوفا | والهدى والإيعاظ في الألواح |
| وبسابع لاقيت إبراهيم من | عمر البطاح بابنه السياح |
| لازلت تخترق العلا حتى أتيت | ت بساط قدس جل عن أمداح |
| فرأيت ربك يقظة من غير كيد | ف بعد ما خاطبته بكفاح |

وما نريد أن نصل إليه هو أن الشعر السوداني حاول الخروج من قضية (التجريد) إلى قضية (التشخيص)، وأنه حين لم يستطع أن يدور حول الذات الإلهية دار حول الذات المحمدية، كما في قول الشيخ إبراهيم شريف الدولابي:

والله أكرمـه بطيب تحية يحذوها موسى كليم الطور

وهذا فيه من الآية: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (النازعات: 15-16). ومن: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. (البقرة: 63)

خاتمة البحث:

تبعنا على سبيل التمثيل لا الحصر بعض الأبيات الشعرية التي قيلت في الشعر السوداني، ولمسنا بوضوح تزيها برداء القرآن الكريم وتضوعها بطببه وتضوءها بسناه، في سياقات متماسكة متعلقة نصياً ومتشابكة دلالياً ومنفتحة على كل الاحتمالات والتأويلات.

وقد تبين:

- أن الثقافة القرآنية قد تشرها الشعراء وتعمقت في وجدانهم كما أنها سكنت عقل الشاعر السوداني وقلبه وهيمنت على الأحاسيس والمشاعر وكانت السبب الرئيس في تناص الشعراء مع الخطاب القرآني بالغ الجمال والإعجاز والقداسة والتأثير، مما زاد النصوص الشعرية ألقاً وتوهجاً وتوسعاً في الدلالة
- أن الشعر السوداني حاول الخروج من قضية (التجريد) إلى قضية (التشخيص).
- استخدم الشعراء في تقنية التناص الاستدعاء والاستيحاء من معاني القرآن أكثر من التضمين والاقتباس من ألفاظه، ولعل ذلك أدعى إلى التماسك البنيوي للنصوص الشعرية، وأكثر محافظة على هيبة النص القرآني وجلاله الذي قد يمس به التداخل اللفظي الواسع مع لغة الشعر المعاصر.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

- ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، القاهرة، دار النهضة العربية، 1959م.
- بدوي، عبده، الشعر في السودان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.
- بنيس، محمد، الشعر العربي الحديث- بنياته وإبدالاته، المغرب، دار توبقال، ط1، 1990م.
- الحلبي، شهاب الدين محمود، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق أكرم عثمان يوسف، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، 1980م.
- سليمان، عبد المنعم محمد فارس، مظاهر التناسق الديني في شعر أحمد مطر، فلسطين، جامعة النجاح، رسالة جامعية بإشراف يحيى عبد الرؤوف جبر، 2005م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1995م.
- العلاق، على جعفر، الشعر والتلقي، عمان، دار الشروق، ط1، 1997م.
- عيد، رجاء: القول الشعري، منظورات معاصرة، الإسكندرية منشأة دار المعارف. ط1، 1997م.
- الغدامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير، جدة، النادي الرياضي، ط1، 1985م.
- كريستيفيا، جوليا: علم النص، ترجمة : فؤاد زاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1991م.
- مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناسق، بيروت، دار العودة. ط1، 1997م.
- موافي، عبد العزيز، قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004م.

- الكميّ، ديوان الكميّ بن زيد الأسدي، تحقيق محمد نبيل طريفي، ط1، دار صادر؛ بيروت؛ لبنان، 2000م.

ثالثاً: المجلات

- جابر، ناصر، التناصّ القرآني في الشعر العماني الحديث، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 12، العدد 4، 2007م.
- جدوع، عزة: «التناسّ مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر»، مجلة فكر وإبداع، العدد 13، 2004م.
- كنه، عثمان: مصطلح التناصّ... النشأة والمفهوم، مجلة الآداب، العلاقات الخارجية، جامعة جوبا، العدد 7، 2008م.
- مرتاض، عبدالمملك: «فكرة السرقات الأدبية ونظرية التناصّ»، جدة، مجلة علاقات النادى الأدبي الثقافي، ج 1، 1991م.
- المغربي، حافظ محمد جمال الدين: التناصّ المصطلح والقيمة، مجلة علامات في النقد، الفلاح للنشر والتوزيع. مارس 2004م.
- نجم، مفيد، التناصّ بين الاقتباس والتضمين والوعي واللاشعور، جريدة الخليج، ملحق بيان الثقافة، العدد 55، 2001م.

علامة العنوان في ديوان أم درمان تحتضر للشاعر محمد الواثق - مقارنة سيميائية

د. عادل عثمان الهادي

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية- كلية الآداب- جامعة الملك فيصل وجامعة الخرطوم

المستخلص

تحتل السيميائيات في المشهد النقدي والفكري الحديث مكانة خاصة، فهي نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته وأساليبه التحليلية، إنها علم يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا، وتنطلق أهمية هذه الدراسة من الرهان على قراءة ديوان شعري حديث هو ديوان (أم درمان تحتضر) للشاعر محمد الواثق، وقد أحدث الديوان إشكالية، وأثار جدلاً في مضمونه وهدفه ومحتواه، وتعددت نتائج قراءاته. ونرى أن القراءة السيميائية من أنجع القراءات؛ لكشف ما هو مخبوء من معان ودلالات وراء الرموز والعلامات التي يشتمل عليها الديوان. وتتسم عمليات التأويل السيميائية بجدلية متواصلة تبحث عن الأسرار الخفية، والدلالات العميقة للخطاب الشعري في الديوان موضوع الدراسة، وكأن الكلمات الظاهرة ليست إلا قناعاً لا ينكشف إلا لمن امتلك القدرة على التأمل والتبصر، ومن هنا كانت هذه الدراسة محاولة جادة للكشف عن مضامين ديوان شاعر معاصر له خصوصيته في الأداء، وله خصوصيته في موضوع ديوانه الذي تركز على هجاء مدينته (أم درمان)..

الكلمات المفتاحية: أم درمان تحتضر، القلق، الغربة، الاغتراب، الهرب، نساء أم درمان، الضجر

Abstract

Semiotics holds a special position in modern criticism and intellectual thought. It is a highly specialized cognitive activity in terms of its origins, extensions, and analytical methods. It is a science that draws its principles and foundations from a wide range of knowledge fields such as linguistics, philosophy, logic, psychoanalysis, and anthropology. The importance of this study lies in the challenge of examining a modern poetry collection titled "Um Durman Tuhtadher" by Mohammed Al-Wathiq. The collection has posed problematic questions and sparked debates regarding its content, purpose, and multiple interpretations. We believe that semiotic reading is one of the most effective approaches to uncover hidden meanings and connotations behind the symbols and signs contained in the collection.

Semiotic interpretation processes are characterized by an ongoing dialectic that seeks the hidden secrets and profound connotations of poetic discourse in the subject of this study, namely the collection itself. It is as if the apparent words are merely a mask that can only be unveiled by those who possess the ability to contemplate and perceive. Hence, this study represents a serious attempt to reveal the contents of a contemporary poet's collection, who has its uniqueness in performance, and revolves around the theme of criticizing his city (Um Durman).

Keywords: Um Durman Tuhtadher, Anxiety, Alienation, Estrangement, Escape, Women of Um Durman, Boredom

مدخل البحث:

أصبح العنوان في الدراسات الحديثة ذا أهمية خاصة، وفي النص الشعري والسردى بدرجة واحدة من الأهمية. ويعدّ العنوان مفتاحاً لدراسة النص، وفهم أعماقه ومدلولاته؛ لأنه يجمع بين رواية الشاعر أو الكاتب ورؤيته الإبداعية، وبين تعبيره عن الواقع، وهذا ينطبق على العنوان الرئيس، والعناوين الداخلية. مثل عنوان الديوان العلامة الجامعة التي تنطلق منها دراسة العلامات، وقد اتسمت عناوين محمد الوائق في ديوانه (أم درمان تحتضر) بالانسجام والتماهي مع كل رؤاه وقناعاته التي صمّمها شعراً في هذا الديوان بداية من العنوان الرئيس، وانتقالاً للعناوين الفرعية الداخلية لقصائد الديوان. وقد عبّرت هذه العناوين عن أزمة الشاعر وأزمة الوطن في نظره بصورة عامة، بل عبّرت عن إشكالات وطنه في تقدمه وتطلعات أهله. وقد عكست كل العناوين في المدونة موضوع الدراسة روح الرفض والمفارقة والهرب والشعور بالغربة والرغبة في الاغتراب.

موضوع الدراسة:

تتناول الدراسة قراءة سيميائية لأبرز العلامات في ديوان أم درمان تحتضر للشاعر محمد الوائق وفق آليات المنهج السيميائي البيروني، وفق مستويات تأويل العلامات الثلاثي: المؤول المباشر، والمؤول الدينامي، والمؤول النهائي، وبيان ما تضطلع به العلامات الرئيسة في الديوان، وما يرجع إليها في الديوان من وظائف تتمثل فيما يخلص إليه المؤول النهائي من جنوح نحو التأويل والخلود لمعان مستنبطة من معالجة الشاعر وفق قرائية النص سيميائياً.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في تسليط الضوء على ديوان شعري معاصر مثلّ منحنى شعرياً خاصاً في موضوعه وطريقة معالجته، تمثل في هجاء مدينته أم درمان والتزم بحراً شعرياً واحداً هو بحر البسيط، وقد اخترنا المنهج السيميائي آلية لاستكناه ما يزرخ به الديوان من دلالات وإيحاءات؛ نحاول استكشافها من خلال القراءة السيميائية، ومعتمدين على المنهج البيروني في قراءة العلامات البارزة في الديوان بوصفها هادياً، ومفتاحاً للدراسة.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

تنطلق الدراسة من عدة تساؤلات: ما هي العلامة الجامعة في الديوان؟ وما هي العلامات التي ترجع إليها رجوع الفرع إلى الأصل؟، وما هي السيرورة الدلالية التي قطعها العلامة في الديوان معتمدة على المقام التأويلي الدينامي؟ وما هي الوظائف التي اضطلعت بها العلامة ومتعلقاتها في الديوان ممثلة في المؤول النهائي؟ وهناك تساؤلات ناتجة يروم البحث الإجابة عنها وهي: كيف تمكن الشاعر من التعبير عن القضية المحورية موضوع الديوان وهي هجاء أم درمان؟ وما هي الانفتاحات الدلالية، والأبعاد العميقة التي يثيرها ما عرض له الشاعر من أفكار ومعان في خدمة المعنى الرئيس القائم عليه الديوان؟ وهل أم درمان هنا مقصود بها المدينة التاريخية لذاتها؟ أم أنها مجرد رمز إسقاطي قصد من خلاله الشاعر النفاذ لقضايا أخرى وطنية واجتماعية وسياسية؟ ومن خلال التأويل القائم على العلامة الجامعة والعلامات الفرعية المتعلقة بها، هل استطاع الشاعر التعبير عن المعاني التي يرمي إليها؟ ولماذا يبدو الشاعر كارها الإقامة بوطنه، نازعا نحو الاغتراب والرحيل عنه؟ وما دواعي هذا الهروب عن الوطن؟ وما الذي يبغضه الشاعر في وطنه وبني وطنه؟ ولماذا تمنى لمدينته كل هذا الخراب والدمار؟.

منهجية الدراسة:

تستأنس الدراسة بالمنهج الوصفي الاستقرائي للظاهرة. كما تستعين بآليات المنهج السيميائي البربري وآلياته: للكشف عن المخبوء وراء الرموز والعلامات البارزة في الديوان.

تقديم:

لما كانت " السيميائية " هي المنهج الذي فرضته علينا قراءة ديوان الشاعر محمد الواصل (أم درمان تحتضر)، للنفاذ إلى عمق الديوان واستكناه بواطن الخطاب فيه، كان لابد أن نقارب مفهوم " السيميائية " بوصفها المنهج الذي سنستأنس به في فحص نصوص الشاعر ومعاينتها، والكشف عن شفراتها الجمالية وسيرورتها الدلالية؛ فما " السيميائية "؟ ومن أبرز مؤسسيها؟ وهل عرفها النقد العربي القديم؟ وما علاقتها بالمعارف المجاورة لها؟ وما الأسس النظرية التي نهضت عليها في النقود الغربية؟ وما إجراءاتها التطبيقية؟

السيميائية مفهومًا لغويًا:

يحيل مصطلح (السيميائية) على ألفاظ مشتقة من جذر (و. س. م) ومنها: - الوسم وهو: (أثر الكي، والجمع ووسوم... وفي الحديث: أنه كان يسمُ إبل الصدقة، أي يُعلِّمُ عليها بالكي..)(ابن منظور، مادة سوم) وجاء في جمهرة اللغة:

«السِّيمياء مَمْدُود، والسِّيمياء مَقْصُور،...، وَهُوَ عَلَامَةٌ يَعْلَمُونَ بِهَا أَنْفُسَهُمْ فِي الْحَرْبِ» (ابن دريد، 1087م، 2/863). وما جاء في شعر النقائض قول جرير يهجو خصومه الثلاثة الفرزدق والبُعَيْث والأخطل في بيت واحد قوله:

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مَيْسَمِي وَضَعَا الْبُعَيْثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ

وفي التنزيل العزيز: ﴿سَدَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ (القلم: 16). وقال الليث: "والسِّيمياء ياؤها في الأصل واو، وهي العلامة يُعرف بها الخير والشر. قال تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ (البقرة: 273)، وفيه لغة أخرى السِّيماء بالمد؛ قال الراجز:

غلامٌ رماه الله بالحسنِ يافعاً له سيماءٌ لا تشقُّ على البَصَرِ

(ابن منظور، مادة سوم)

السيمائية المفهوم والمصطلح:

تتعدد التسميات لمصطلح "السيمائية" وتختلف من باحث لآخر، ومن مرجعية إلى أخرى، سواء من المنظرين الغربيين أو عند النقاد العرب. وكأنما في هذا التعدد ما يوحي بعدم الاتفاق على هُويته وتأكُّد إشكاليته، ففي المرجعية الفرنسية سمَّاه المؤسسان لهذه النظرية (سوسير ورولان بارت من بعده) بالسيمولوجيا (Semiologie)، بينما ساد مصطلح السيميوطيقا (Semiotique) في الأوساط الأنجلوسكسونية، والأمريكية منذ (شارلز ساندرز بيرس). ولم يزل السيميائيون الغربيون في محاولات جادة لتحديد الفرق بين مفهومين يَبْدُوَان مختلفين من الناحية اللفظية، وهما: السيميولوجيا (Semiologie) أو السيميوطيقا (Semiotique).

فهل هما بمعنى واحد على الرغم من اختلاف لفظيهما؟ وهل يحدد أيُّ منهما حقلاً معرفياً لا يعدوه؟

فقد قدّم معجم (Hachette) الموسوعي تعاريف وتفاريق واضحة بين هذه المصطلحات؛ إذ عَرَف السيميولوجيا بأنها: "علم يدرس العلامات وأنساقها داخل المجتمع"، وحدد السيميوطيقا بأنها "النظرية العامة للعلامات والأنظمة الدلالية اللسانية وغير اللسانية"، وحدد "السيمائيات (Sémantique)" بأنها "دراسة اللغة من زاوية الدلالة". معنى هذا أن السيميولوجيا علم، والسيميوطيقا نظرية، والسيمائيات دراسة أو منهج إجرائي نقدي (باديس فرغالي، 2008م، 12). لكن الظهور الحقيقي لهذا العلم كان مزدوجاً، في صورة أوروبية على يد اللساني السويسري فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857-

1914م)، وولادة أمريكية على يد الفيلسوف والعالم الأمريكي "تشارلز ساندروز بيرس Charles Sanders Peirce" (1839-1914م)، فقد شهد هذا العلم لحظتي ظهور المصطلح في مكانين مختلفين، إذ أشار الأول (سوسير) إلى علم جديد يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية وسماه السيميولوجيا (دي سوسير، 1990م ص 92-95). أما (بيرس) فكان يبتكر في الوقت نفسه تقريبا تصوره الخاص للسيميوطيقا الذي يعتمد شفرة موضوعية وجمالية مخالفة لشفرة اللغة المألوفة، ويمتد هذا ليدرس أي شيء في الكون كالرياضيات والأخلاق والميتافيزيقا والكيمياء (دانيال تشاندلر، 2008م، 30). أما على المستوى العربي فثمة خلط نلمسه في التعامل مع المصطلح النقدي الذي مازال يعاني الفوضى والاضطراب، إذ نُلفي كثيرا من الدارسين العرب يستعملون مصطلحي (السيميوطيقا) و(السيميولوجيا) على سبيل الترادف، ويختلفون أيما اختلاف في ترجمة مصطلح (السيميائية) من الفرنسية، أو الإنجليزية، فمنهم من يستعمل مصطلح (السيميائيات)، أو مصطلح (السيمائية) وهو المصطلح الراجح بين صفوف المغاربة. ويذهب عبد القادر قنيني مذهب الذين آثروا المضمون الدلالي للمصطلح حيث يقترح مصطلح علم الدلالة (دي سوسير، 1987م، 25)، بينما يُفضّل عادل فاخوري مثلا لفظ (السيمياء) باعتباره مصطلحا عربيا أصيلا وشائعا في كتب التراث (عادل فاخوري، د.ت، مجلد 24، ص 187).

وعبد الملك مرتاض يتساءل وفي أكثر من موضع: من أين؟ إلى أين؟ وبأي منهج نقتحم النص؟ وهذه التساؤلات تقوده إلى المزج بين السيميائية والتفكيكية (مرتاض، 1992م 9).

نتبين مما سبق أنه لا يمكن تجاهل إسهام الباحثين العرب القدامى في هذا العلم، فقد شغلت مسألة العلامات - من حيث وظيفتها وتأويلها - التفكير النقدي العربي منذ القديم باعتبارها "إشكالا (علاميا) يمسّ مسألة المعنى ومسألة الدلائل ومسألتي التمثيل والتأويل فهناك: السمة، والعلامة، والإشارة والإيماء ومعادن المعاني والدلائل باعتبارها أشياء تدل على أشياء أخرى". (الحلواني، 2012م، 23) وإن لم تكن تلك الإشارات قد وصلت إلى ما وصلت إليه السيميائية المعاصرة إلا أنه يمكن اعتبارها أصولا يُتكأ عليها في الدرس السيميائي العربي.

وقفة عند سيميائية بيرس:

بما أننا اخترنا سيميائية شالز ساندروز بيرس منهجا في قراءة ديوان (أم درمان تحتضر) لا بد من الإشارة إلى أن هذه العلامة عند بيرس ثلاثية المبنى (ماثول يحيل على موضوع عبر مؤول)، بينما نجدها ثنائية عند سوسير "دالّ أو صورة سمعية ومدلول أو صورة ذهنية" (العابد، 2011م، 20). وقد انطلق (بيرس) من مبدأ العلامات، يقول في إحدى محاضراته: " لا نملك القدرة على التفكير بلا علامات " (خمري،

1997م، 162) وسوّغ لهذا المبدأ أن يُعدّ الكون الذي يمثل أمامنا "شبكة غير محدودة من العلامات؛ فكلُّ شيء يشتغل بعلامة، ويُدلّ باعتباره علامة، ويُدرّك بصفته علامة". (بنكراد، 2012م، 84). وبعبارة أخرى، إنها تصور متكامل للعالم باعتباره سلسلة لا متناهية من الأنساق السيميائية، فالعلامة لا تحيل على موضوع فحسب، إنها بالإضافة إلى ذلك، تكشف عن معرفة جديدة تخصُّ هذا الموضوع.

إن العلامة عند بيرس وحدة ثلاثية المبنى، وهذه البنية الثلاثية تتطلب تعريف العناصر التي تكوّنها وتحديد دور كل عنصر داخل عملية إنتاج الدلالة:

الماثول: يعيّن الماثول الشيء علامة منظورا إليه داخل التحليل الثلاثي بوصفه عنصرا داخل سيروية التأويل (بنكراد، 2012م، 78)، فالماثل هو الأداة التي نستعملها في التمثيل لشيء ما.

الموضوع: هو ما يقوم الماثول بتمثيله، سواء كان هذا الشيء الممثل واقعياً، أو متخيلاً، أو قابلاً للتخيّل، أو لا يمكن تخيله على الإطلاق. ويلخص بيرس هذا بقوله: "إنه موضوع العلامة الذي تفترضه لكي تأتي بمعلومات إضافية تخص هذا الموضوع" (بنكراد، 2012م، 79).

المؤول: ثالث عنصر داخل نسيج السيميوز، وهو ما يحددها في نهاية المطاف إنه عنصر التوسط الإلزامي الذي يسمح للماثول بالإحالة على موضوعه وفق شروط معيّنة، وهو ما يجعل الانتقال من الماثول إلى الموضوع أمراً ممكناً، إنه يحدد للعلامة صحتها ويضعها للتداول كواقعة إبلاغية (بنكراد، 2012م، 78)، ويقدم محمد بن عياد تعريفا موجزا لمستويات المؤول الثلاثة.

المؤول المباشر: المقدم للمعلومة الأولية الخاصّة بالشيء، وهو ما يفيد معنى العلامة، وحدود معرفته مرتبطة بالمعطيات المباشرة. **المؤول الدينامي** أو "الرّمزي" وهو الذي يرتقي بالعلامة من التعيين البسيط إلى التأويل بمفهومه الشامل، ولذلك هو يؤسس على قاعدة المؤول المباشر ولا وجود له إلا في نطاقه. وبمجرد تخلص المؤول الديناميكي من أثقال المؤول المباشر، يدخل ضمن سيروية اللامتناهي التأويلي. **المؤول النهائي** وهو الذي يكبح جماح المؤول الدينامي بصفته قوّة هائلة يجب أن تستقر على دلالة ما. ومن هنا يكون المؤول النهائي هو ما تريد العلامة قوله، أو ما تستدعيه أي ذلك الأثر الذي تخلقه هذه العلامة في الدّهن بعد أن يتطوّر الفكر تطوّراً مقبولاً (عياد، 2007م، 170).

التعريف بصاحب الديوان:

الشاعر محمد الواثق يوسف المصطفى ولد في ديسمبر من العام 1936م بقرية (النية). وهي قرية تقع شمالي الخرطوم بنحو خمسين كيلومتراً على الضفة الشرقية من نهر النيل، تخرج في مدرسة وادي سيدنا الثانوية؛ ليلتحق بكلية الآداب بجامعة الخرطوم قسم اللغة العربية، وتخرج فيها عام 1962م، بمرتبة الشرف الأولى. ثم التحق بجامعة (كمبردج) حيث حاز فيها على درجة الـ (M.L.H) ببحث أعده عن المسرح العربي القديم بعنوان (خيال الظل)، وذلك في العام 1967م. عمل محاضراً بكلية الآداب جامعة الخرطوم، ثم أستاذاً مشاركاً، ثم رئيساً لقسم اللغة العربية. عمل عميداً للمعهد العالي للموسيقى والمسرح. ثم عميداً لمعهد البروفسور عبد الله الطيب للغة العربية بجامعة الخرطوم. له ديوان شعر (الفراس الأعزل) وديوان شعر (أم درمان تحتضر). له كتاب باللغة الإنجليزية صدر من دار جامعة الخرطوم للنشر تحت عنوان: (تاريخ المسرح العربي). توفي في عام 2014م، رحمه الله.

تقديم لدراسة الديوان:

طبعت أول طبعات ديوان (أم درمان تحتضر) بمطبعة دار الثقافة بيروت عام 1973م، ويشتمل على تسع قصائد دارت جميعها حول موضوع واحد هو هجاء أم درمان، وعلى بحر واحد هو بحر البسيط. ويظل الديوان – رغم ما لقيه من سيل النقد القادح في موضوعه وهجائياته لأم درمان – علامة فارقة في مسيرة الشعر العربي الأصيل في السودان، فهو نخلة متينة الجذور، باسقة الطول، تكاد تلثم من ذيل السحاب بلا كدٍ وإجهاد، إن ألقيت عليها حجراً ألقت إليك ثمراً. "هذا الشعر مازجه اللفظ الفحل، والمعنى البكر المرفود بالموهبة الحقيقية، والمعرفة العالية، والعلم الغزير" (أسعد العباسي، 2009م). وقد هال البعض أن يمس الشاعر قداسة أم درمان، فتصدوا له بالرد نثراً وشعراً، وقد جاءت بعض ردودهم رصينة وموضوعية، وجاء بعضها متفلتاً وقاسياً. وقد لخص الدكتور عبد اللطيف سعيد (عبد اللطيف سعيد، 2007م) هذه الردود بأن طائفة قالت إن دافع محمد الواثق لهجاء المدن هو الحقد، والبعض يقول إن دافعه العنصرية، وآخرون قالوا إن غرضه تهديم الواقع لبناء مستقبل أفضل، وطائفة نسبته للاستعلاء الصفوي الذي يصيب المتعلمين، وهناك من قال إن دوافع الحطية قد تقمصته.

قراءة الديوان في المقام التأويلي:

تمثل علامة (أم درمان) العلامة الجامعة في الديوان، وإليها ترجع بقية العلامات الغالبة على الديوان رجوع الفرع إلى الأصل سواء بالعلاقة الأيقونية القائمة على المشابهة أو الأمارية القائمة على السببية أو غيرها. ويمكن تتبع المسيرة الدلالية وتأويلاتها لهذه العلامة اللغوية (أم درمان). وأهم العلامات الفرعية وهي نساء أم

درمان ورجالها و(مونيك) وحالة الضجر والهرب والاعتراب والشعور بالغربة والضيق والتبرم والإحباط واليأس والقسوة وتمني أفسى أصناف العذاب لهذه المدينة.

المؤول المباشر:

العلامة الجامعة في الديوان هي (أم درمان). وفي معناها البدئي المباشر هي تلك المدينة السودانية العريقة المعروفة. وقد اختلفوا في دلالة الاسم ومن أين جاءت هذه التسمية. أم درمان كموقع قديم اسمها امتداد من حضارة الشهبيناب، أما كاسم، فالاسم نوبي عنجي علوي - نسبة لمملكة علوة - وعاصمتهم مدينة سوبا. وقد كان اسم درمان Derman منتشراً بينهم. ويقال كانت هناك سيدة نوبية علوية (نسبة إلى مملكة علوة) تسكن في المشرع التجاري بحي (الموردة) ولديها ابن يدعى (درمان) فكان الذين يفيدون للتجارة في هذه المنطقة يطلقون عليها اسم أم درمان أي والددة درمان تأدبا وتقديرا لها، وقيل (الدرمان) اسم يطلق على الأطفال الصغار، وقد تستبدل (أل) التعريف بأم في اللغات العربية القديمة فيكون معنى أمدرمان (الدرمان) أي جمع الأطفال الصغار أما إذا كانت منفصلة (أم درمان) فتعني أم الصبية أو أم العيال. ولفظ أم العيال يطلق على المرأة الحكيمة المدبرة التي تحسن إدارة شؤون من تقوم برعايتهم والإشراف عليهم، حتى إن الشاعر الجاهلي الشنفرى الأزدى أطلقها على صديقه (تأبط شرا)؛ لأنه كان يحسن رعايتهم، وتدير شؤونهم أثناء الغزو والحرب فقال في المفضليات (الضبي، د.ت، 110):

وَأَمَّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدْتُ تَقْوَتَهُمْ إِذَا أَطْعَمْتَهُمْ أَوْ تَحَتَّ وَأَقْلَّتِ
تَخَافُ عَلَيْنَا الْعَيْلَ إِنْ هِيَ أَكْثَرَتْ وَنَحْنُ جِيَاعٌ أَيَّ آلٍ تَأَلَّتِ

وقيل نسبة لنوع من الشجر يكثر فيها. ووظيفة المؤول المباشر هي تحديد نقطة الانطلاق للدلالة التأويلية أو السيرورة المنتجة للدلالة، في مسار (السيموز) وانطلاقه في مسيرة التأويل. والعلامة الجامعة هنا هي أم درمان، وهي في معناها المباشر تدل على مكان بعينه يتمثل في مدينة تاريخية عريقة لها مكانتها في نفوس أهل السودان؛ ولذا يتبادر سؤال: لماذا خصها الشاعر بالهجاء أول ما بدأ هجاء المدن السودانية؟ ولماذا أوقف عليها ديوانا بكامله صب فيه جام سخطه وغضبه عليها وعلى أهلها؟ إذن الديوان في المستوى القرآني الأول يُصنَّف ضمن غرضٍ شعري معروف هو الهجاء، وعلى نوع مخصوص منه غير شائع في الأدب العربي هو هجاء المدن.

إذن فما هي السيرورة الدلالية أو (السيموزيس) التي يمكن أن تمثلها العلامة الجامعة (أم درمان) ومتعلقاتها الفرعية في هذا الديوان (أم درمان تحتضر)؟ وهذا يقودنا للدخول مباشرة في مسيرة التأويل لهذه

العلامة، واستنطاقها لنعرف ما هو متوارٍ من معان خلف هذا الهجاء القاسي لهذه المدينة التاريخية العريقة المحبوبة لأهل السودان. إن الإجابة عن ذلك يتمثل في عدة تساؤلات تقتضي منا النظر في المستوى الثاني من التأويل (البرسي) وهو مستوى المؤول الدينامي. وستتناول العلامة الجامعة في الديوان ومتعلقاتها ممثلة في العلامات الفرعية في ضوء المؤول الدينامي وسيرورة الدلالة مستفيدين من دلالة سيميائية عتبة العنوان الرئيس والعناوين الفرعية ممثلة في عناوين القصائد في الديوان.

المؤول الدينامي:

يؤسس هذا المؤول على تناسي المؤول المباشر أو على أنقاضه، ولا يمكن أن يكون له وجود ودلالة إلا من خلال استحضر ووجود المؤول المباشر، ولكن عليه ألا يتوقف عند المعنى المباشر للعلامة الجامعة فلا بد أن يتخلص من معناها المباشر الحرفي حتى ينطلق في مسيرته الدلالية من خلال مسيرة التأويل، وتمثل السيرورة الدلالية سلسلة من الإحالات معتمدة على قراءة ورؤية المتلقي وثقافته وتستمر هكذا حتى يوقفها المؤول النهائي. لأن المؤول المباشر "لا يسعف في استكناه الدلالات إلا باستدعاء مؤول دينامي ننقل بواسطته من المعاني المباشرة إلى المعاني الإيحائية أو المستلزمة قرائيا، إذ نستدعي تجربة سابقة في الوجود عما هو متحقق نصيا، وهي الكفيلة بتناسل المعنى وطرحه في متاهات التأويل... وهذا المؤول يستدعي ضرورة موسوعة إدراكية" (العابد، 2013م، 112). وقد فطن مؤلف الديوان لذلك كيف لا وهو المتعمق في دراسة النقد الحديث ومدارسه، فقد كان موقفه واضحا منذ أن درسنا على يديه طلابا في جامعة الخرطوم، وحين مشاركته في الليالي الثقافية قارنا لقصائد من ديوانه؛ فقد كان يستمع لما يدلي به النقاد بأراء مختلفة حول الديوان، بعضها يمسسه شخصيا ولكنه لا يتدخل بأي تعليق، لا نافيا ولا موافقا لما يعرض من آراء نقدية؛ بحجة أن المبدع ليس هو المتحكم في دلالة عمله الأدبي فهو قارئ له مثله ومثل الآخرين، وهذا مبدأ قد سنته البنيوية على لسان أحد روادها (رولان بارت) الذي أرسى مقولة (موت المؤلف) أي قطع الحبل السري الرابط ما بين العمل الأدبي والمبدع، فالمبدع بمجرد تقديمه لعمله الأدبي للقراء ليس له عليه سلطة وإنما يزوره ويقرؤه مثل الآخرين (رولان بارت، 2019م، 35). وهذا يوسع مفاهيم العمل الإبداعي من خلال مفهوم نظرية التلقي التي تعتمد على ثقافة المتلقي، وفهمه للعمل الأدبي باعتبار أن القراءة من قارئ نموذجي متمكن تعد انتاجا جديدا للنص، وسبرا لأغواره وتفتيقا لمعانيه.

ومن الدراسات القيمة التي تناولت ديوان الشاعر دراسة الأستاذ مصطفى محمد أحمد الصاوي بعنوان: (قراءة في ديوان محمد الواثق أم درمان تحتضر)؛ حيث خلص إلى فهم عميق خلاصته في قوله: "إن الأقلام التي تناولت العمل سعت في الغالب الأعم لمحاكمة الشعر والشاعر، فقد مسَّ الأخير في ظنهم شرف مدينة أم درمان وعفتها، وخطل هذا الرأي يكمن في محاكمته للتجربة الفنية ورؤية الشاعر، وغاب عنهم أن

العمل في مجمله إبداع تخيُّلي، ورؤية فنية لا يشترط فيها تطابق مع الواقع بكل تفاصيله وجزئياته". (مجلة الثقافة السودانية، العدد 29، أغسطس 1995م). إن جبل محمد الواصل الشعري الراسخ وقممه الهجائية السامقة يعتوره كثير من الرمز، ويكتنفه الابتداع الذاتي الخلاق، والوصول الى تلك القمم عن طريق تسليق هذا الجبل الضخم غاية عسيرة المنال لا تليق إلا للأقوياء، ولكن لابد من اعتلاء تلك القمم؛ لأن الصور لا تتضح على السفح من الجانبين إلا بهذا الاعتلاء الصعب. فالرمزية الكامنة ترتقي فوق موجودات الظواهر المادية المتناثرة في العالم الواقعي إلى مدارك الآمال والأحلام المنشودة في العالم المثالي، وتستنجد بالرمز كأصرة تربط بينهما، ومن قبل انتبه الناقدان (أوستين وارين ورينيه ويليك) صاحباً كتاب (نظرية الأدب)؛ لذلك عندما قالوا: "إن الرمز موضوع يشير الى موضوع آخر لكن فيه ما يؤهله؛ لأن يتطلب الانتباه أيضاً لذاته بصفته شيئاً معروضاً" (مصطفى الصاوي، 1995م).

أ.سيمائية عتبة العنوان:

يعود الجذر اللغوي للعتبة لمادة (عَتَبَ) "والعتبة أسكفة الباب...وعتبات الدرج وما يشبهها من عتبات الجبال وأشرف الأرض، وكل مرقاة من الدرج عتبة" (الفراهيدي، د.ت، مادة عتب). واصطلاحاً العتبات هي مجموعة النصوص التي تحيط بالمتن، وتحفزه من عناوين وأسماء المؤلفين والمقدمات والفهارس والحواشي وكل بيانات النشر التي توجد على غلاف الكتاب وعلى ظهره (بلال، 2000م، 21)

عتبة العنوان الرئيسة للديوان هي (أم درمان تحتضر) وهي في شكلها التركيبي النحوي جاءت في صورة الجملة الاسمية المكتملة، فأمر درمان اسم علم لمدينة سودانية عريقة تعد الجزء المكمل لثالث العاصمة المثلثة مع الخرطوم والخرطوم بحري، وهي ليست كسائر مدن السودان حينما يدور الحديث عنها، فقد تغلغت بتاريخها العريق في وجدان أهل السودان، كما كانت موطناً لقامات عديدة في مجال العلم والسياسة والفن. وجاء خبر المبتدأ المكمل للجملة الاسمية في صورة جملة اسمية تدل على استمرارية الحدث المفضي إلى نهاية حتمية هي الموت فليس بعد الاحتضار إلا الموت والفناء عادة. وقد جاء في آخر بيت من أول قصائد الديوان مضبوطاً هكذا "تَحْتَضِرُ" بينما الشائع في تسمية الديوان "أم درمان تُحْتَضِرُ". حيث قال: (الواصل، 1973م، 7)

ثُمَّ اصْطَحَبْتُ كُمَيْتًا اسْتَلَدَّ بِهَا وَخِلْتُ فِي سَكْرَتِي أَمْ دَرْمَانَ تَحْتَضِرُ

وقد مثلت (أم درمان) علامة جامعة وبارزة في الديوان كله، وحتى العناوين الفرعية للقصائد لم يخل منها عنوان كما لم تخل من ذكرها قصيدة في متنها، هذا إن لم ترد أكثر من مرة في النص الواحد، ومن تلك العناوين (لا حبذا أنت يا أم درمان من بلد) و (لكنما أنت يا أم درمان) و (أم درمان تتزوج) و (أم درمان والانهمام)

و(نساء أم درمان) و(فضيحة أم درمان) و(أم درمان مهمومة) و(جنازة أم درمان). ولعله مما يحفز البحث ويشي بأهميته أن عنوان الديوان يشتمل على العلامة الجامعة التي تنطلق منها دراسة المحتوى سيميائيا.

وقد مثلت عتبة العنوان (أم درمان تحتضر) أول مدخل يشي بما تستكته نفس صاحب الديوان من قسوة وشدة على هذه المدينة التي اختارها بعناية ليتخذها أيقونة يصب عليها جام غضبه وسخطه، ويعالج من ثم من خلال هجائها قضيته، فهي أم درمان وهي العاصمة الوطنية وكثيرا ما تغنى بعشقها وجمالها أهل السودان عامة، ولعله لهذا السبب اختارها الشاعر من بين سائر مدن السودان لما لها من مكانة وقديسية اكتسبتها منذ تأسيسها عقب نجاح الثورة المهدية في أخريات القرن التاسع عشر، حيث اتخذها المهدي ومن بعده خليفته عاصمة للدولة بديلا عن الخرطوم عاصمة الترك والإنجليز من قبل. عناها الشاعر دون غيرها في هجائه القاسي عن قصد؛ لأن قصديته في ثنايا الديوان ذات صلة وثيقة بما اكتسبته هذه المدينة من قدسية وتعظيم فسموها (العاصمة الوطنية) فكان منطلق الديوان هو الرجم والرمي لهذا التمثال الذي شاده أهل السودان زورا وبهتانا باسم الوطنية الزائفة وهم أبعد ما يكونون عن فهم الوطنية أو تمثيلها في سلوكهم الجمعي والفردى ورؤاهم السياسية والاجتماعية والثقافية كما يتبادر ذلك من القراءة المتأنية لما وراء نصوص الديوان. وهذا يقودنا لتعليل بعيد، ولكنه مهم يبحث في أسباب اختيار الشاعر لهذه الطريقة في معالجة إشكالية حقيقية يراها في بني وطنه، فهم في نظره من أكثر الناس نفاقا وخداعا في موضوع الوطنية، وقد صور ذلك في عدة مواضع من الديوان (الوائق، 1973م 27، 28)، كما أنهم أكثر الشعوب تغنيا باسم الوطنية والغناء للوطن، وهو يراهم أبعد الناس عن الوطنية بمفهومها الصحيح، فما آفة الأوطان إلا جناتها. هذه خلاصة القراءة المتأنية للديوان حيث أراد الشاعر أن يسلط الضوء على قضية أساسية وإشكالية في الشخصية السودانية فيما يتصل بمفهوم الوطنية الصحيح، فالوطنية عنده ليست أغاني وشعارات وقصائد تغنى، إنما هي سلوك اجتماعي وحضاري وإبداعي يتمثل في مجموعة العطاءات التي يقدمها أبناء الوطن بتجرد ومسؤولية تجاه وطنهم. وقد ذكر الشاعر محمد الواثق ذلك مرة في لقاء تلفزيوني في برنامج ساعة حرة (ويكيبيديا، 2006م) حيث قال بأنهم يتغنون بالوطنية من غير فهم، فهي في أفواههم مثل "حلاوة وطنية!!" هكذا قالها ساخرا من فهم بني وطنه لمفهوم الوطنية. وفي واحدة من إطلاقاته النادرة في الرد على من يستهجنون موقفه الهجائي لأم درمان خاصة قال مرة: "يتسق شعري هنا مع التراث العربي الإسلامي والتوراتي، يتعلق الأمر هنا بالمدينة التي فسدت بعد مهلة إنذارها تجتاحها الأعاصير التي تتواصل أياماً حسوماً؛ فلا ترى لها من باقية!! قلبت مدينة صالح أعاليها أسافلها، وقد ترسل الطير تحمل حجارة السجيل كما في أمر مكة، وأضف إلى هذا قوم عاد وثمود وأصحاب الرس. الأمر لا يختلف كثيراً في الإرث التوراتي، شطت سدوم في مفاصلها فانطلقت البراكين والزلازل بل تعرض أهلها للمسح، أتذكر ما حل بمدينة الأصنام في الجزائر؟ في هذا الإرث الإسلامي التوراتي تكون فيه الأعاصير والبراكين عنصر تطهير تستأنف الحياة بعدها على نمط الطاهرة المرجوة وإلا عاودت الأعاصير فعلها. إن مثل هذا الشعر سلك في عمق التراث العربي التوراتي واتخذ

الرمز منه" (صحيفة الصحافة، 22 أغسطس 2006م)، وقد صاغ هذه المعاني في قصيدته (أم درمان والانهمزام) (الوائق، 1973م، 24).

أَغُوْتُ سَدُومَ وَشَطَّتُ فِي مَفَاسِدِهَا حَتَّى تَرَدَّتْ وَحَالَتْ دُونَهَا الظُّلْمُ
لَا تَجْزَعَنَّ فَلِهَيْبِ النَّارِ طَهْرَهَا مَا عَادَ رَجَسًا عَلَى أَصْلَاحِهَا رَجْمُ
إِذَا امَّحَتْ أُمَّةٌ مِنْ سُوءٍ مَا اقْتَرَفَتْ تَعَاقَبَتْ بَعْدَهَا فِي أَرْضِهَا أُمَمُ

ب. السيرة الدلالية:

أول ما يلفت الانتباه في قراءة الديوان قراءة سيميائية انطلاقاً من العلامة الجامعة (أم درمان) هو سبب اختيار الشاعر لهذه المدينة ليتخذها رمزاً لعموم أهل وطنه تماهياً مع إحساسهم بتقديسها وتقديرها، مقترناً ذلك بتقديس الشخصية السودانية لذاتها عامة، ولذلك اختار الشاعر أظهر رمز يجمع عليه المثقفون والعامّة من أهل بلده ليطلق عليه حمم هجائه القاسي، محطماً تلك الصورة الكائنة في أذهانهم عن أم درمان التي تمثل لهم التاريخ المجيد والحاضر الجميل، فأراد أن يوقظ شعورهم بصدمة قوية حينما يتوجه إليها بهذا الهجاء. وهنا يمكن الاستئناس برأي مهم ورد ضمن مقالة نقدية للشاعر محمد عبد الخالق عن نص ديوان أم درمان تحتضر يقول فيه: "إن قصيد هذا النص في تقديري صدمة للذوق العام الراسي عن نفسه فقد اختار الشاعر رمزاً عزيزاً، وبالقطع هو عزيز عليه هو نفسه، ليصب جام غضبه عليه، فهو يستهدف ما هو أبعد من مدينة أو عاصمة، ليستهدف أن يصدم حالة من الرضا المتبلد الذي يفوق حد الاعتزاز والعزة المرغوبة في اتجاه البذل والعطاء إلى حد مرضٍ بالفخر والعنجهية وتمجيداً للذات، تلك النظرة التي ترى كل ما هو سوداني متميزاً، فالمقصود ليس أم درمان المدينة وأهلها. ولا شك أن هذه النظرة التي تتجاوز حد القول بالخصوصية والتفرد تسيطر على جانب لا يستهان به من المزاج السوداني (محمد عبد الخالق، صحيفة أخبار اليوم، 2006م) هذا الرأي الحاذق نعهده محاولة ناجحة إلى حد بعيد لاعتلاء تلك القمم السامقة لرؤية الصورة من الجانبين. أسعد العباسي، ويكيبيديا، 2009م). وكان نتيجة ذلك أن ظهرت عدة دواوين ترد عليه تمجد أم درمان وتشيد بماضيها وحاضرها وبعضها يتعرض للشاعر بالذم والهجاء القاسي. ولم يكن الشاعر يتضايق من تلك الردود الشعرية المادحة لأم درمان أو المنبرية للدفاع عنها بتمجيدها وتوجيه أقصى أنواع الهجاء له. فهو يرى أن هذه ظاهرة إيجابية وأن الوسط المتلقي بدأ يفهم جزءاً من الرسالة التي يحملها الديوان، فهو قد فهم شيئاً منها وإن كان قد توقف عند الفهم الظاهري في ظنه، ولم يتعمق في مضمون الرسالة المقصودة من وراء هجائه لأم درمان، فهو قد رأى أنه من الناحية الأدبية والنقدية قد أفاد بعض فهمهم في تحريك راكد الإبداع فتحركت القرائح هنا وهناك وصدرت دواوين شعرية تعارض ديوانه (أم درمان

تحتضر) وتنتقد منحاه نحو أم درمان، منها قصيدة (أم درمان تزدهر) للشاعر عادل حسن طه وديوان (أم درمان الحياة) للسماحي الحفيان.. ولعلّ موقف الشاعر محمد الواثق من أم درمان وذمها يتوافق مع نظرة الشاعر الجاهلي تأبط شرا من قبيلته، فهو يُشبهُ في موقف الرفض المشترك بينهما، فقد كان لتأبط شرا ورفاقه من الصعاليك مواقف قوية مثلت الرفض لقناعة قبائلهم وخروجهم عليها بل وشدتهم عليها أحيانا، وإذا أراد الشاعر إهانة القبيلة عمد إلى أعلى ما تقدسه وتجله؛ فيتعرض له بالامتهان والاحتقار كما حدث من تأبط شرا حينما أراد استثارة القبيلة والامعان في إهانتها، حيث قصد جبلا تقدسه وتجله وتقيم عنده الاحتفالات وطقوس الفرح والتعظيم، وكان من عادتهم الطواف بذلك الجبل وعدم الصعود إلى قمته تقديسا وتطهيرا له، وهم يلبسون أزهى ثيابهم وأفخمها، فما كان من تأبط شرا إلا أن قرر الصعود إلى قمته في ثياب رثة وهيئة بالية مستعينا ببعض رفاقه لتعظم صورة الإهانة في نظر القبيلة، فقال بعد أن صعد قمته (الضبي، د.ت، 30-29):

| | |
|--|-------------------------------------|
| وقلة كسنان الرُمح بارزة | ضحَيَانَةٍ في شهور الصَّيفِ محراق |
| بادرتُ قُنَّتَهَا صَحْجِي وما كَسَلُوا | حَتَّى نَمَيْتُ إِلَيْهَا بعد إشراق |
| بِشَرَّتَةٍ خَلَقِي يُوقِي البنانُ بها | شددتُ فيها سريحا بعد إطراق |
| لا شيء في ريدها إلا نعامُها | منها هزيمٌ ومنها قائمٌ باقي |

والقصيدة من اختيارات المفضل الضبي في كتابه (المفضليات) والذين درسوا على يدي الأستاذ محمد الواثق يعرفون مدى إعجابه بهذه المجموعة الشعرية وحرصه على انتخاب عيونها ليبدع في تحليله في قاعات الدراسة، فلا استبعد تأثره بذلك الموقف وأشباهه. وربما تأثر أيضا بقصيدة (الأرض اليباب) لـ (تي إس إليوت) والتي أكسبته شهرة واسعة.

وقد يتبادر سؤال مهم هو: هل الشاعر لا يعرف قيمة أم درمان وقدرها كما يعرفه السودانيون قاطبة؟ أو أن الشاعر إن كان قد اتخذ من أم درمان (أيقونة) يعني بها كل الوطن من قبيل علاقة الجزء والكل، فهل هو مبغض وكاره لها حقيقة؟ الإجابة عن ذلك تكشف عنها القصيدة الثانية من الديوان (لكنما أنت يا أم درمان) ففي هذه القصيدة يؤكد الشاعر حبه الدافق لمدينة أم درمان ولوطنه عامة حب أضناه وبرى جسده، ولكن في المقابل الحب لا يمنعه من قول الحقيقة إن لم يجد طريقا لتوصيلها غير هذه الطريقة التي اختارها ممثلةً في هذه الصورة الرافضة لكل ما هو موجود ومعهود في وطنه مقبول ومسكوت عنه، ففي الأبيات الأولى من هذه القصيدة يقول: (الواثق، 1973 م، 9):

وَدَّعْ لِمَيْسَ وَدَاعِ الْوَائِقِ الْخَالِي قَدْ كُنْتُ مِنْ أَمْرِهَا فِي أَيِّ بِلْبَالٍ
قَدْ كَانَ حَبِّكَ أَوْجَاعًا أَكْتَمَّهَا وَأُزْجِرَ الدَّمْعَ لَا يَهْمِي بَتَّهْمَالٍ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَنِّي تُخْلِجُنِي بَعْدَ التَّجَارِبِ مَنِي ذَاتُ خُلْخَالٍ
غَادَرْتَنِي مَثْقَلًا أَرعى النُّجُومَ ضَنْئًا لَا أَسْتَقِرُّ مِنَ الْبَلَوَى عَلَى حَالٍ

فقد اتخذ الشاعر من (لميس) رمزا لأم درمان التي لم يحظ فيها بالراحة والسعادة التي كان يريجوها، وقد مثلت (لميس) المحبوبة هنا على عادة الشعراء العرب أيقونة إذ تجمعها مع العلامة الجامعة أم درمان المشابهة؛ ولذا عبر الشاعر عن حبه لها، ولكنه حب خاص، حب كله أوجاع وآلام (قد كان حبك أوجاعا أكتمها). ويصور ألمه واضطرابه كلما اقترب منها (قد كنت من أمرها في أي بلبال)، إنه الإحساس بالغربة بين الأهل وفي ربوع الوطن، والغربة هنا تمثل أمانة تتماهى مع العلامة الجامعة باعتبارها سببا ونتيجة، فالغربة ناتجة من علاقته المتوترة مع أم درمان وقناعات وسطها الاجتماعي والسياسي والثقافي الرافض لها، فالشاعر يحاول جاهدا أن ينشد لها الصلاح والأصلاح حسب رؤيته الخاصة، لكنها لا تعينه فقد (تمرغت في أباطيل وأوحوال) ونتج عن ذلك أن احتار الشاعر في أمر وطنه، وفي أمر مدينتهم المقدسة (أم درمان) (قد كنت من أمرها في أي بلبال). وقول الشاعر:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَنِّي تُخْلِجُنِي بَعْدَ التَّجَارِبِ مَنِي ذَاتُ خُلْخَالٍ

هذا البيت يجسد حب الشاعر الغريزي لوطنه ومرتع صباه، وأم درمان تمثل رمزا لذلك الوطن، ولكنه في الوقت نفسه يراه وطنًا بائسا وحائرا قعدت به همة أهله، وأثخنت جراحه الاختلافات الإيديولوجية والجهوية و الإثنية القبلية، وعلا فيه صوت النفاق والخديعة مما أقعده عن السير في ركب الأمم، فبقي خائرا وضعيفا بسبب مواقف أهله، فهم في نظره يتغنون بوطنية زائفة أقرب للنفاق منها إلى الحقيقة والمصادقية، فقد ذكر ذلك الشاعر نفسه في إحدى اللقاءات التلفزيونية وفي واحدة من البرامج الثقافية الحرة (برنامج ساعة حرة، تلفزيون السودان 2006م). ذكر أن مما يؤلمه أن أهل بلاده يحسبون أن الوطنية هي تلك الأغاني والأنشيد التي تمجد الوطن وتفوه بها حناجرهم من غير تطبيق لمعناها أو تمثيل لقيمها، واستخدم مستهجنا منهم ذلك السلوك أن يتعاملون معها كأنها "حلاوة وطنية!!" ونسوا أن الوطنية الحقبة تتمثل في الصدق في تمثيل المبادئ التي تعلي من شأن الوطن، وتسعى لتقدمه وتعمل على تفجير الطاقات وتنمية القدرات البشرية والقانونية والاجتماعية والسياسية التي ترتقي بالوطن حتى يتبوأ مكانه بين الأمم. وهنا يحضرني رأي للشاعر أسعد الطيب العباسي (مقال سابق، 2009م) يمضي في هذا المنحى حيث يرى أن الوثائق أعطى لوطنه الكثير، ولا يزال عطاؤه مستمرا استمراراً لا يتسقى إلا مع الحب الذي يكنه لبلاده ومدنها، ولا نعيب الطبيب الذي

يعمل مشرطه في جسد العليل ليشفيه عن طريق الجراحة. والناظر لأشعار محمد الواصل الأخرى سيدرك مدى ذلك الحب. يقول في قصيدته (مثاب مصطفى) التي رثى بها والده قوافٍ مطرزة بالحنين لسودانه وأهله والحزن يمازجه والغربة توجعه:

أرتاد أسباب الغنى فتحلني ضيفا على لمع السراب الواهم
أتركت نهر النيل يصدح طيرة وشريت تغريدا ببخس دراهم

وقد يرى البعض أن الهجاء طبع غالب على الشاعر بدليل أنه تعرض لعدد آخر من مدن بلاده بالهجاء كذلك! وفي ظني أن هجاء الشاعر لأم درمان مختلف تماما من حيث المحتوى والقصيدة والغاية عن هجائه لغيرها من مدن السودان، وربما كان هجاءه لتلك المدن الأخرى كان من قبيل التعمية والتمويه على هجائه لأم درمان، أو من قبيل المداعبات الأدبية والرغبة في استثارة المساجلات الشعرية، ولم يكن قصده كذلك في هجائه لأم درمان، إذ أوقف عليها ديوانا كاملا نسج قصائده بروية وعمق ورصانة في الأداء؛ لأنه ينطلق من فكرة ومن قضية اختار لها هذه الطريقة في المعالجة.

ومن العلامات الفرعية التي حفل بها الديوان واتخذها الشاعر أمارات تلتقي مع العلامة الجامعة أم درمان علامة المرأة في أم درمان، فهو حينما يصف المرأة في أم درمان ويقسو في أوصافها لا يعني نساء أم درمان ووصفهن حقيقة بذلك الوصف بقدر ما يتخذ المرأة أمارا تدل في مظهرها ومخبرها دلالة أمارية على المعنى الذي يرمي إليه، فهو حين وصف نساء أم درمان بقوله (الواصل، 1973م، 25):

إن زانها أدب

أولونها الذهب

ما نفع مظهرها

لو جسمها خشب؟

ألا يتبادر إلى ذهنك وصف القرآن للمنافقين في الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ الْيَوْمُ بِآيَةٍ فَهُمْ يُرْجَوْنَ﴾ (المنافقون: 4)، فهو يربط بين تغنيهم الزائف بالوطنية وحقيقة مواقفهم تجاه الوطن في هذا التناسل الاجتراري مع الآية القرآنية. وفي هذه القصيدة نفسها تطل علينا علامة أخرى لا تخلو منها قصيدة في الديوان وهي الاعترا ب عن

الوطن والبحث عن بديل اضطرت له ظروف بلده بعد أن اضطرت حاله واضطرت هواجس الفراق في نفسه، ولم يعد يطيق البقاء في ما أسماها (بقعة النكد) وفي تسميتها بقعة النكد مبادلة في التسمية بين المقدس والمدنس إذ عرفت أم درمان بـ (بقعة المهدي) بعد أن طهر السودان من دولة الكفر كما يسميها أنصاره واتخذها عاصمة لدولة المهديّة. والشاعر يبدو أنه ينضح بالحب لأم درمان، ولكنه حب من نوع خاص حب كله أوجاع وآلام:

قد كان حبّك أوجاعاً أكثّمها وأزجرُ الدمع لا يهيمى بتهمالٍ

فهو يحبها الحب الغريزي للوطن، ولكنه يبغضها للسب ذاته لأنه لا فكاك عنها وشأنها يهيمه وأمرها يشغله، كل هذه المعاني يحملها قوله (الواثق، 1973م، 9):

غادرتني مُثَقلاً أرعى النجوم ضئياً لا أَسْتَقِرُّ من البلوى على حالٍ

وحبّ الوطن غريزة في النفس لم يخالفها صراحة إلا شاعر العربية أبو الطيب المتنبي الذي عرف باختلافه عن الآخرين، وشقه طريقاً غير معهودة عند الناس فيقول (البرقوقي، 1980، ص 241):

غَنِيَّ عن الأوطانٍ لا يَسْتَفْزُني إلى بَلَدٍ سافَرْتُ عنه إيابُ

وفي سياق الحديث عن ثنائية الحب والبغض في الديوان تتجلى لنا علامة فرعية بارزة وتبدو ملامحها واضحة في الديوان تكشفها علامات أخرى ذات صلة وثيقة بها هي علامة (الغربة) والشعور بالضجر والتبرم من البقاء بأم درمان وبالوطن عامة، تفصح عن ذلك الأبيات الأولى من الديوان (الواثق، 1973م، 5):

لا حبّذا أنت يا أم درمان من بلد أمطرتني نكدا لا جادك المطر

من صَحْنٍ مسجديها حتى أرومتها حطّ الخمولُ بها واستحكم الضَجْرُ

فالشاعر في حيرة من أمره مع أم درمان (قد كنت من أمرها في أي بلبال) فهو حيناً يحدثنا عن حبّ يرى جسده وأضناه ألاماً:

غادرتني مثقلاً أرعى النجوم ضئياً لا أَسْتَقِرُّ من البلوى على حالٍ

ولكنه سرعان ما ينتفض متبرئاً منها ومن كل ما يربطه بها الواصل، (1973، م، 11):

يا صوتٌ دُعني فما أم درمان منزلتي لولا الأواصرُ من عمٍّ ومن خالٍ

ظلت لميس تمثل صورة أم درمان في ديوان الشاعر، فهي رمز للسرور والفرح الذي فارقه في موطنه وبين أهله، وأصبح يشكو الوحشة والغربة في الإقامة بينهم، ويطلب الراحة في الرحيل بعيداً عنهم؛ لأن أم درمان بفعل أهلها تقتل فيه الهمّة والتطلع، فيقول في استفهام تعجبي (الواصل، 1973، م، 10):

أكلّمَا قُمْتُ لِلْعَنْقَاءِ أَنْشِدُهَا قَامَتْ لَمِيسُ إِلَى هَجْرِي وَإِذْ لَالِي؟

فهو يريد أن يرحل عنها ويبتعد عنها؛ حفاظاً على ما تبقى من همته وعزمه، وكي يحتفظ لها ببعض وجه جميل فيها يشده نحوها سماه أحياناً الأواصر التي تشده نحو أهله، فهي ديار العم والخال، فهو لا يبغضها حقيقة ذلك البغض الذي يتبادر كما قلنا من ظاهر الديوان، فهو يبين سبب رغبته في الرحيل (الواصل، 1973، م، 10):

كيما ارتقُ لأم درمانَ ما اخترمتُ تلك العناكبُ من جُلبابها البالي
كي أسألُ السحبَ أن تَغشَى أباطحها بواكفٍ من عميمِ المزنِ هطّالٍ
حتى أقول إذا التاريخُ عاتبني لقد دفعتُ حميدا مَهْرَهَا الغالي

فهو ليس رحيل انقطاع وإنما رحيل تواصل، فعبارة (مهرها الغالي) كفيلة ببيان ما يمكنه لأم درمان من حب وتعلق. لكن في القصيدة نفسها سرعان ما تعود أم درمان (لميس) هي المثبّطة للهمّة فيقول:

لكنّما أنْتِ يا أم درمان غانيةٌ تمرّغتُ في أباطيلٍ وأوْحالٍ
هَجَنْتُ كلَّ جميلٍ كنتُ أعشقهُ فلا أرى في جميلٍ غير مُحتالٍ

يصفها بكونها (غانية) والغانية هي الحسناء التي اكتفت بجمالها الفطري الطبيعي عن أية إضافات تجميلها، والذنب ليس ذنباً كما يبدو بل ذنب أهلها، فهذا التعبير (تمرغت في أباطيل وأوْحال) تتبدى فيه الثنائية الضدية بوضوح مقروء مع الذي يليه (فلا أرى في جميل غير محتال) فلك أن تقف عند هذه المفارقة التصويرية في بيان سلوك هذه المحبوبة الذي لا يجد له الشاعر تفسيراً فقله (هجنت كل جميل كنت أعشقه) يمثل علامة تعبيرية عما يمكنه لها من حب وقوله (لا أرى في جميل غير محتال) يمثل علامة وصفية

تنتفتح على التفسير الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي يرفضه ويغضبه الشاعر. وعند القراءة السيميائية لأبد من فك شفرات العلامات لمعرفة ما تحمله من دلالات متوارية حيث يتركز الإحساس بالغربة في هذه الأبيات كما يتركز الإحساس بالرفض أيضا، حيث يراها غائبة لا تستحق ما تمرغت فيه من الأباطيل وما لحقها من الخطايا، ولعله يأخذ على بني وطنه مأخذ سياسية واجتماعية وثقافية منها: التبديل والاحتفال في المواقف السياسية والاجتماعية باسم الدين حيناً، وباسم الوطنية أحياناً. وفي ظني أن الصوت السياسي يظهر في هذه الأبيات، فكلما حاول الشاعر أن يرمي بصره في الأفق القادم عله يرى صورة زاهية وطارئة لبلده تأبى أفعال الساسة والقادة في بلاده إلا أن تهزم هذا الأمل والتطلع نحو الأفضل في نفس الشاعر (الوائق، 1973م، 10):

أَكَلَّمَا شَدْتُ تَمَثَّلَا لِعَقَّتْهَا تَشِيدُ لِلْعَارِ صَرَحًا فَوْقَ تَمَثَّالِي

ولعل الهرب من الواقع المير الذي يعايشه الشاعر في الواقع لا يتلاءم مع قناعاته، ولكنه عبر عنه بهذه الصورة الرمزية في صورة هذه المدينة المقدسة عند أهل السودان. وقد أخذ هذا الهرب صورتين في الديوان هرب إلى عوالم أخرى حددها بالشرق أو بالغرب وهرب إلى الخمر وعالمها التخيلي، ولكنه كان أكثر تركيزاً على هربه للغرب الأوروبي خاصة (الوائق، 1973م، 18):

نَشَدْتُكَ اللَّهُ هَلْ فِي الْأَرْضِ مَتَسَعٌ غَرَبًا إِلَى فَاَسَ أَوْ شَرْقًا إِلَى الصِّينِ
شَرْقًا إِلَى الصِّينِ أَوْ مِنْ دُونِ ذَا بَلَدٍ فِيهِ أَحَلِّقُ أَوْ قَبْرُ يُوَارِيْنِي

يطلب ذلك وهو شديد التعلق بوطنه (يا أمنا ما عقوقا إن رحلت غدا) كما أنه مبغض للإقامة فيه متعلق بحياته التي عاشها في أوروبا، ولا يجد بُدًّا من الرحيل والاعتراب إذ أضناه انتظار صلاح الحال في بلده، والذي أقعدته مفاهيم أهله وسلوكياتهم السياسية والاجتماعية المعوجة من الانطلاق نحو الرقي والتطور ولذا يقول (الوائق، 1973م، 32):

يَا أَمَّنَا مَا عَقُوقَا إِنْ رَحَلْتُ غَدَا فَقَدْ خَجَلْتُ وَأَغْرَى الْعَارُ بِالسَّفْرِ
إِنْ تُبَلِّغَنِي قَرَى بَارِيسَ أَجْنَحَةً قُرْبَ الْحَقُولِ فَلَا تَشْتَدِّي فِي أَثْرِي
مَتَى حَلَلْتُ فَهَرُ الرُّونِ يُشْعِرُنِي بِأَنَّنِي بَشَرٌ مِنْ طِينَةِ الْبَشَرِ
فَإِنْ بَدَتْ قُرْبَهُ مَوْنِيكَ أَبْصَرُهَا فَمَا النِّسَاءُ وَمَا أُمُ الدَّرْمَانِ يَا بَصْرِي

ويبدو أنه رحيل من غير رجعة، كما أنه رحيل مبرر فلم تعد تجدي الحيلة في البقاء وقد يئس من صلاح الحال فهو في الاغتراب عن وطنه يبحث عن ذاته وعن كيانه المفقود. (فهر الرون يشعرني بأني بشر من طينة البشر). والمرأة في الديوان مثلت أيقونة متكاملة للحياة سواء في وطنه أو مغتربه الذي يتوق إليه، فالمرأة هي رمز الحياة بكل تفاصيلها المرّضي عنها والمرفوض منها؛ ولذلك شكلت المرأة حضوراً بارزاً في الديوان، فهو حينما يتحدث عن نساء أم درمان وقد أوقف قصيدة كاملة على هذا العنوان (نساء أم درمان) (الوائق، 1973م، 35)، وأم درمان المرأة عند الشاعر أخذت أشكالاً مختلفة فهي أمه (يا أمنا ما عقوقا إن رحت غدا) و(يا أمنا من أبونا...) وأحياناً تبدو أم درمان زوجة للشاعر في قصيدة عنوانها (أم درمان تتزوج) (الوائق، 1973م، 13):

وَعَدْتَنِي بَعْدَ قُرْبِي مِنْكَ يَا أُمَ دَرْمَانَ بِالْوَلَدِ لَكِنْ كَعَهْدِكَ يَا أُمَ دَرْمَانَ لَمْ تَلِدِي
قَالُوا تَزَوَّجْتَهَا مِنْ بَعْدِ مَا اكْتَهَلْتُ وَأَذْبَلَ الدَهْرُ مِنْهَا زَهْرَةَ الْجَسَدِ
وَقَالَ قَائِلُهُمْ أَنْثَى بِلَا رَحِمٍ تَهَوَّى الرِّجَالُ وَلَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ
قَدْ كَانَ مَضْجَعُهَا قَبْرًا لَطَائِفَةٍ مِنَ الْمُحِبِّينَ أَفْنَتَهُمْ بِلَا عَدَدٍ

وفي قوله (وعدتني بعد قربي منك بالولد) تظهر لنا علامة الإنجاب في مقابل علامة العقم. والإنجاب علامة أيقونية في علاقتها بالزوجة أم درمان، ولكنها علامة ظلت غائبة وغياها أورث الشاعر الحزن والألم، والإنجاب يأخذ معاني عديدة منها إنجاب الوطن أبناء وطنيين حقيقيين ومخلصين وأصحاب همم عالية، يمثلون قادة أفاضاً ينتشلون وطنهم من دركه السحيق!!، والعقم في المقابل يأخذ في القراءة السيميائية بعداً آخر فهي (أنثى بلا رحم) وكم تعلق بها من المحبين الراجين منها إنجاباً للقادة الأفاض الذين يغيرون واقع أمتهم، ويشقون طريقها نحو التقدم بين الأمم، ولكن هيهات!!

وعلامة الغربة والاعتراب في الديوان شديدة الارتباط بعلامات أخرى هي الضجر وتمني أقصى درجات العذاب لهذه المدينة ممثلاً في الحرق والبراكين والغرق، فهو لا يبالي حينما يتبرأ من كل شيء يربطه بأم درمان إلا آصرة الدم التي لا يستطيع عنها فكاً إذ لا سبيل لإنكارها، فلم يعد بعد ذلك يؤلمه ما يصيبها من حمم النيران التي يرجو أن تطهرها من رجسها. وهو هنا يتماهى مع شخصية نيرون في قسوته على مدينته روما، والذي أضرم فيها النيران وراح يعزف ويغني في مكان عال يشهد كل عذاباتها رجاء أن تطهرها من رجسها النيران كما يظن، فيقول (الوائق، 1973م، 12):

مَا لِي إِذَا الْوُخْرُ أَدْمَاهَا وَمَزَّقَهَا لَا الْجِلْدُ جَلْدِي وَلَا السَّرْبَالُ سِرْبَالِي

نيرون أضرم فلا يبقى لها أثرٌ واعزف نشيدك فوق المرقبِ العالي

ويكاد الشاعر يفصح في هذا الموقف عن سبب كرهه وبغضه الحياة بالوطن الذي أثخنه الجراح في تحليل سياسي ذي بعد اجتماعي عميق، فقد ذكر شيئاً من آفات المجتمع التي أقعدت وطنه، ولم يستطع قاداته علاجها ممثلاً في ذلك التنازع العرقي والقبلي والجهوي. وهو لا يرى في الأفق علاجاً لهذا الداء المتمثل في التنافر والتباغض، والذي قعد ببلده عن اللحاق بركب التقدم بين الأمم، ولم يفلح السياسة وقادة المجتمع في علاجه، وإنما زادوه اضطراباً واشتعالاً مراعاة لمصالحهم الحزبية والسياسية الخاصة. فيقول معلناً الرحيل عن أم درمان (الوطن) إذ لم تسمع نصحه وبقيت سادرة في غيما فيقول:

أما أنا إن جَعَلْتُ النارَ السِّنةً نيرونُ دَعْنِي فقد أَعْلَنْتُ تَرْحَالِي
من كلِّ أحمدٍ من أوْشيكَ منقبضٌ من كلِّ هارونَ لا يَرْضَى بملوَالِ

وكل اسم من هذه الأسماء الأربعة يمثل وجهة من وجهات وطنه الأربع بما في ذلك جنوب السودان قبل انفصاله عن الوطن الأم.

كما أن علامة الشعور بالغربة في أم درمان (الوطن) مشتركة مع علامة الاغتراب والتعلق بوطن بديل لم يوفق الشاعر في الوصول إليه أو ظل ينشده في دواخله ممثلاً في الغرب عامة وفرنسا على وجه الخصوص، ارتبط كل ذلك بعلامة الضجر والتبرم والضيق من البقاء في أم درمان وهو يستدعي استعداداً وصبراً من نوع خاص عند المحن، فيستدعي محنة المسلمين في (غزوة أحد) حينما اشتد عليهم الأمر، والتفّ عليهم العدو من كل ناحية ودارت عليهم دائرة الحرب، كما يستدعي صبراً على البلاء لا يقل عن صبر نبي الله أيوب على مرضه (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) (ص: 41-42)، فيقول (الوائق، 1973م، 14):

إن كَانَ حَكْمُكَ أَنَا لَا نُفَارِقُهَا فَاجْعَلْ لَنَا أَجْرَ مَنْ قَد مَاتَ فِي أَحْدٍ
أَوْهَبْ لَنَا مِنْكَ صَبْرًا نَسْتَعِينُ بِهِ أَوْ مَا حُبُّوتَ بِهِ أَيُّوبَ مِنْ جَلْدٍ

في المقابل تتبدى علامة الاغتراب بصورتها المشرقة الزاهية، يتبعها تفتق مزاج الشاعر عن كل وصف بديع لائق براحته النفسية واعتدال مزاجه هناك، حيث (مونيك) ممثلة الوجه المشرق للمرأة والحياة، ولا تخلو قصيدة من ذكرها:

متى أمرُ على باريسَ مُنطلقا حيثُ الأنيسُ وحيثُ العيشةُ الرغدُ
قد كنتُ ألقى بها مونيكَ يُعجبني جمالُها الغضُّ من لينٍ ومن أودٍ
مجاوِزُ ثغرها البسامُ بعضُ في وعاقِدُ خُصلةً من شَعرها بيدي

المؤول النهائي:

علينا نذكر أن المؤول النهائي ليس مستقلا عن حركة المؤول الدينامي، إلا أنه يمثل قوة تكبح جماح هذا المؤول وتمنعه من الشطط والابتعاد كثيرا في تهويم التأويلات، ويقترح على الذات المؤولة خانة تأويلية تمنحها الراحة والاطمئنان، والسياق النصي هو المتحكم في تحديد هذه الخانة التأويلية. إن وظيفة المؤول النهائي هي إيقاف حركية هذه السيرورة الدلالية من الشطط التأويلي، ويجب التأكيد على أن كلمة نهائي هنا لا تعني النهائية داخل الزمن، بحيث إن الدلالة التي يحددها النهائي ستشتغل على أنها دلالة مستمرة في التأويل هي أيضا فالمؤول النهائي هو نهائي داخل سيرورة، أي داخل سلسلة من الإحالات، ذلك أن ما يتم اقتراحه بوصفه دلالة نهائية قد يصبح نقطة انطلاق لسيرورة جديدة من الإحالات والتفسيرات "إنه ينتج سلسلة من التسنيات التي تدرج التأويل داخل مسارات معينة، وكل مسار يملك قوانينه (سياقه) الخاصة" (بنكراد، 2005م، 25-26).

وبعد تلك الرحلة البيروية في (ديوان أم درمان تحتضر) يمكننا التوقف عند أهم الوظائف التي اضطلعت بها العلامة الجامعة وعلاماتها الفرعية في الديوان، وتمثلت أهم تلك الوظائف في الوظيفة النفسية والوظيفة الإيديولوجية والوظيفة الوجودية والجمالية.

الوظيفة النفسية: وتمثلت الوظيفة النفسية فيما يزخر به الديوان من نفثات الضجر والرفض والشعور بالغربة والرغبة في الاغتراب والهرب من هذا الواقع المير الذي يعيشه الشاعر في أم درمان (وطنه) وقد سماها (بقعة النكد).

والسيكولوجية هي الوظيفة المهمة بدراسة الحالة النفسية المسيطرة على الشاعر والتي توجه دلالة العلامات التي يتضمنها الديوان وتفسيرها بصورة واضحة بوصفه تأويلا نهائيا للعلامة. وقد تبدت هذه العلامة بوضوح في عدة صور تعبيرية في الديوان، فكانت علامة السأم أبرز العلامات النفسية في الديوان وقد ظهرت في أول قصائد الديوان، ثم تتابعت بتعبيرات وصور مختلفة في بقية قصائد الديوان (الواثق، 1973م، 6):

يا بعض أهلي سئمتُ العيشَ بينكم وفي الرحيل لنا من دُونكم وَطَرُ

سألتك الله ربَّ العرشِ في حُرْقٍ إني ابتأسْتُ وإني مَسَّني الضرُّ

فقد تضافرت علامتا السَّأم واليؤس في هذين البيتين لتصورا حالة الشاعر النفسية التي لا تطيق البقاء بأم درمان فتشرَّب نفسه للفكاك من هذه القيود والانطلاق بعيدا. وقد تمثلت الوظيفة النفسية في هروب الشاعر من واقعه إما لعالم الخمر والسكر عله ينسى بقاءه في أم درمان، أو تأكيد رغبته في الرحيل والابتعاد إلى عوالم أجمل ذاق فيها طعم الحياة الهانئة والعيش الرغيد هناك (الوائق، 1973م، 11):

فرحتُ أنشدُ في الحانوتِ سلوتها وأكتمُ الناسَ أقوالي وأفعالي
فما هناك يقينٌ بتَّ أعلمه سوى الزجاجة تجلو الشكَّ بالمال

وقوله: (الوائق، 1973م، 19):

حتى أرى في خيالِ السُّكرِ مُنطلقِي في قلبِ باريسَ أو في ضفةِ السَّين

وتتجسد الغربة النفسية في الديوان بالتأويل وبالتصريح من قبل الشاعر ما يبرز أزمته النفسية الناتجة عن عوامل عدة كلها ذات صلة ببقائه في أم درمان أو بقعة النكد كما يسميها (الوائق، 1973م، 22):

مونيكُ ما زلتُ في أم درمان مُغتربا حتى كأنَّ وجودي عندها عَدَمُ

وفي غمرة هذا اليأس وذاك القنوط تبدو بارقة أمل بعيدة في نفس الشاعر، وهو وإن تمنى لها العذاب فيبرر ذلك بالرغبة في تطهيرها، فهو يلتمس لها بعض العذر، فقد أجبرتها مواقف أهلها على هذا السلوك المعوج، فهي الكسيفة النفس مكسورة خاطر والجناة، وهم أهلها -من كانوا سببا في ضياع الوطن- كأن لم يفعلوا شيئا، وهي تشعر بالذنب وتتمنى أن تثوب لرشدها (الوائق، 1973م، 28):

يا ليتَ شعري أيمحى ذنبُ غانيةٍ وتغسلُ العارَ من سَاحاتها السَّحْبُ
فقدَ لمحتُ نقاءَ في سَريرتها إن ذُكِرَ الظُّهرُ فأم درمان تنتحبُ

ويتوجه بالسؤال مباشرة لمن كانوا سببا في انحراف أم درمان تلك الغانية المجني عليها (الوائق، 1973م، 28):

قُلْ لِلأَلَى ضَا جَعُوا أَمْ دَرْمَانْ هَلْ أَرْقُوا بعد الحرام وهل في صَمَتِهِمْ غَرْقُوا؟

ويتجلى ذلك التساؤل بوضوح أكثر في قصيدة (فضيحة أم درمان) في قوله بعد أن قذفوها بالزنا، وأنها قد أنجبت ابنها من سفاح؛ فأنهالوا عليها بالضرب مرة وبالرجم مرة أخرى. (الواثق، 1973م، 29):

أَتَجْلِدُونَ عَجُوزًا عَظُمُهَا خَرُّ منكوبة ذات أوجاعٍ وأثرٍ
وتتركون بها الجاني لِسَطَوَتِهِ من مستحلٍ شديدٍ البطشِ نطاحٍ

الوظيفة الوجودية:

نقصد بها الوظيفة التي ترتبط بالماهيات أو الوجود، وبمعنى أدق هي الوظيفة التي ترتبط فيها العلامة بماهية معينة كالحب والكراهية والسعادة والضجر والشعور بالغيرة، وغيرها من الماهيات التي تتعلق فيها العلامة مع فكرة الديوان ككل. ومن أهمها فكرة الإصلاح التي ينشدها الشاعر لمدينته أم درمان، ولوطنه عامة حتى وإن سلك لذلك مسلكاً غير معهود فبدا قاسياً على مدينته وعلى وطنه، ولكن يظل موقفه ثابتاً لا يتماهى مع هذه الصورة الشائنة فيعلن الفراق إذا استحالت استقامتها (الواثق، 1973م، 29):

وقد سئمتكِ يا أم درمان فاستمعي إما استقيمي وإما اليوم نفترق

ويتجلى البعد الفلسفي الوجودي من خلال قراءة الديوان قراءة تكاملية وسيميائية الفهم الأنطولوجي أو الوجودي "رهن بالجواب عن سؤال الوجود، وأساسها البحث في خفايا النص ودلالته القصية في ضوء سياقاته الوثائقية ومقاماته الوجودية بقراءة تتطلب آلية التأويل للحقائق الرمزية التي تيسر لنا فهم الكون وتحث الإنسان على مزيد معرفة نفسه". (الحلواني، 2012م، 61) وقد ظل شاعر أم درمان تحتضر دائم البحث والتأمل في حاضره، هارباً منه في أغلب الأحيان، بحثاً عن ذاته ووجوده؛ فيعلن الرحيل من غير رجعة (الواثق، 1973م، 32):

إن تبلغني قرى باريس أجنحةً قُربَ الحقولِ فلا تشتدي في أثري
متى حلتُ فخر الرون يُشعري بأنني بشرٌ من طينة البشرِ

الوظيفة الأيديولوجية:

الأثر الأيديولوجي في الأدب يتجلى من خلال البحث عن العلاقة بين الأدب والنزعة العقائدية أو السياسية وقد يكون الجانب الأيديولوجي واضحاً وصارخاً في العمل الإبداعي. وقد يتدثر خلف الجماليات أو القيم التعبيرية الأخرى، والأستاذ الواصل لم يكن ينطلق من أيديولوجية سياسية واضحة وصارخة، وإنما كان حسه الوطني الخالص هو الغالب على ديوانه من خلال التأويل، وإن كنا لا نعدم إشارات فكرية وعقائدية هنا وهناك في الديوان في سياق تشخيص أدواء وطنه ممثلاً في مدينته أم درمان، فكثيراً ما تعرض بالرفض لمسلك الاتجاهات العقائدية المتصارعة في وطنه، وهي في نظره مما أقعده وأهدر طاقاته، صراع يميني ويساري باسم الدين مرة وباسم الاشتراكية التي رمز لها بأحد مقرها (لينين) في أكثر من موضع (الواصل، 1973م، 17):

قَامَتْ تُذَكِّرُنِي مَا قَالَ لِينِينَ

إِنَّ الْحَكِيمَ الَّذِي تَرْجُو الْمَسَاكِينَ قَالَ السَّقَاةُ لَنَا لَا شَكَّ مَجْنُونُ
كوني كخالتك أم درمان لاهية إِنَّ الْعَقَائِدَ إِرْهَاقٌ وَتَوْهِينُ
إِنَّ الْعَقَائِدَ فِي أَمِ دَرْمَانَ مَهْزَلَةٌ أَوْدَى بِحُرْمَتِهَا تَجَرُّدَهَا قَيْنُ

ولا شك أنه يعني مسلماً بعينه سلكه السياسيون في بلده فكانت التجارة باسم الدين مرة وباسم الاشتراكية مرة أخرى وقد اضطربت مواقفهم بين اليمين واليسار فيقول (الواصل، 1973م، 18):

حَيْنَا يَطُوفُ بَبَيْتِ اللَّهِ سَاكِنُهَا سَعِيَا وَحِينَا عَلَى أَعْتَابِ لِينِينَ
فَقُلْتُ شَأْنُكَ يَا أَمِ دَرْمَانَ حَيْرَتِي مَعَوِجَةُ الْفِكْرَامِ مَنْقُوصَةُ الدِّينِ؟

فهذه الصورة الشعرية الساخرة من مسلک أهل أم درمان أوضح ما تكون بياناً في اضطراب مواقفهم وحيرتهم.

خاتمة البحث:

انطلقت دراسة ديوان (أم درمان تحتضر) للشاعر محمد الواصل في التعرف على ما تتضمنه القراءة السيميائية من تلمس للمعاني المستترة والمتوارية خلف العلامة الجامعة (أم درمان) مقروءة مع العلامات

الفرعية التي ترجع إليها بصلة أو بسبب وفق قراءات المنهج السيميائي البيروني للعناوين والنصوص والذي يقوم على ثلاثية مدلول العلامة التي تمثل الماثول والذي يحيل بدوره إلى موضوع تأويلي استعانة بمؤول تدخل في سياقه العلامة متنقلة من دلالة إلى أخرى وفق حركة التأويل أو السيميوز في المصطلح السيميائي. وقد اتضح من خلال القراءة المتأنية للعلامات أن الديوان ليس كما يظن البعض أنه مثل نظما عبثيا وتشكيلا أسلوبيا وبيانيا لا طائل ولا قضية من ورائه. فقد تبين أن الديوان يحمل في طياته رسالة وطنية بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية. وقد اختار صاحب الديوان هذه الطريقة في المعالجة عن قصد ليلفت انتباه بني وطنه إلى زيف معتقدهم الوطني الشكلي وليطلب منهم تصحيح مفهوم الوطنية حتى تنعكس إيجابا على وطنهم في سلوكهم الفردي والجمعي.

ولما كان منهج الدراسة مستعينا بالمنهج السيميائي البيروني استأنست الدراسة بآلياته وأدواته فانطلقت الدراسة بعد التعريف بالسيميائية مفهومها ومصطلحا مع التركيز في تعريفها على سيميائية عالم السيميائيات الأمريكي شارلس ساندروز بيرس وفق ما يقتضيه المسار التأويلي البيروني، فبدأت الدراسة بالمقام التلفظي ممثلا في المؤول المباشر للعلامة ثم انتقلت الدراسة تماشيا مع ما سماه بيرس بـ "السيميوز" فانطلقت العلامة الجامعة (أم درمان) ومتعلقاتها التي ترجع إليها إلى مسار التأويل فيما عرف بالمؤول الدينامي، ثم خلصت الدراسة للمؤول النهائي ممثلا في الوظائف التي اضطلعت بها العلامة ومتعلقاتها وأبرزها الوظيفة النفسية والإيديولوجية والوظيفة الوجودية.

وتتمثل أهم نتائج الدراسة في:

- أن الشاعر لم يكن يقصد الهجاء لذات أم درمان، وأنه حينما يقسو عليها فهو من باب الرغبة في صدمة الشعور العام حتى ينتبه إلى الرسالة التي يريد إيصالها حتى وإن بدت قاسية مؤلمة في ظاهرها، فهو مثل الطبيب الجراح يعمل مشرطه في جسد مريضه ليستأصل موضع الداء ويبدأ مسيرة العلاج.
- تجلت في الديوان علامات أيقونية وأمارية تدل على حب الشاعر لأم درمان، وأنه قسا عليها من باب الرغبة في الإصلاح وتشخيص ما بها من أدواء وأخطاء، متمنيا لها التطهير والتكفير عن حالها.
- شكلت المرأة حضورا لافتا في الديوان أولا في شخصية أم درمان التي حرص على تصويرها أنثى في عدد من القصائد، ولكنها أنثى متبدلة مخادعة أحيانا. وصور نساءها كالأفاعي سما واحتيالا واغتيالا. ورغم ذلك فقد صورها زوجة له، وتمنى منها الولد، ولكنها ظلت عقيما في دلالة على عقمها في إنجاب أي وجه إيجابي ينتظر، بينما مثلت (مونيك) الوجه المشرق للمرأة والحياة.

- استخدم الشاعر كثيرا من الثنائيات الضدية التي عالج فيها موقفه من أم درمان، ومن المرأة خاصة، وعند حديثه عن الغربة والاعتراب. وعند حديثه عن مونيك وعن نساء أم درمان.
- ظهرت في الديوان براعة الشاعر اللغوية والأسلوبية والبلاغية والتي كان لها الأثر البالغ في توجيه اهتمام قارئ الديوان مثل أسلوب التكرار والتقديم والتأخير والتضاد وغيرها من أساليب البلاغة.

المصادر المراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم

- الشاعر محمد الواثق. ديوان أم درمان تحتضر، دار الثقافة، بيروت ط1، 1973م.

ثانياً: المراجع

- بنكراد، سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، ط 5، 2002م.
- بنكراد، سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش. س. بيرس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2005م.
- البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1980م.
- بلال، عبد الرازق بلال، مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000م.
- تشاندلر، دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2008م.
- التقي، محمد عثمان، حوار أجراه الأستاذ التقي محمد عثمان مع الشاعر بالملحق الثقافي لصحيفة الصحافة، 22 أغسطس 2006م.
- الحلواني، عامر:

- على عتباتها تبنى النصوص، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس، وحدة البحث في المناهج التأويلية، دار نهى للطباعة والنشر والتوزيع، صفافس، تونس، 2012م.
- في القراءة السيميائية، كلية الآداب بصفافس، تونس، 2005م.

- بوخلخال، عبدالله بوخلخال، مصطلح السيميائية في البحث السيميائي العربي الحديث، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عتّابة، 1995م.
- خمري، حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط 1، 1997م.

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط1، 1987م.
- دي سوسير، فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1985م.
- ذريل، عدنان بن ذريل: اللغة والدلالة، آراء ونظريات، اتحاد كتّاب العرب، دمشق، 1981م.
- سعيد، عبد اللطيف سعيد، "ليت شعري"، مقال منشور بصحيفة الصحافة السودانية، 15 يناير 2007م.
- سلدن، رمان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، 1990م.
- الضبي، المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط6، دار المعرفة، مصر، د.ت.
- العابد، عبد الجيد العابد، النص السردي بين غفل الإكسيولوجيا وتناسل الإيدولوجيا، قراءة في رواية وقت الرحيل لنور الدين محقق، 2013م.
- العباسي، أسعد الطيب العباسي، محمد الواثق وهجاء المدن السودانية، منشور أكتوبر، ويكيبيديا، 2009م.
- العابد، عبد المجيد العابد، سيميولوجية الرواية العربية: مقال، ضمن مجلّة علامات السعودية، ج74، مج 19، يولييه، 2011م.
- عبد الخالق، محمد عبد الخالق، الواثق على بوابة المدينة المحرمة، مقال بصحيفة أخبار اليوم السودانية، 25 أكتوبر 2006م.
- عياد، محمد بن عياد، في مناهج البحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفافس، تونس، وحدة البحث في المناهج التأويلية، 2007م.
- الغدامي، عبدالله بن محمد الغدامي، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1985م.
- فاخوري، عادل فاخوري، حول إشكالية السيميولوجيا " السيمياء "، مقال ضمن مجلّة عالم الفكر، مجلد 24.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

- فوغالي، باديس، مصطلح السيميائية والترجمة، مقارنة تأصيلية إجرائية، كلية الآداب، جامعة العربي بن المهيدي، أم البواقي، الجزائر، بحث مقدم في فعاليات الملتقى الدولي الثاني المنعقد بالجزائر يومي 14-15- أبريل 2010م.
- مرتاض، عبد الملك مرتاض، الأصول السيميائية في فكر شارل بيرس، مقال: ضمن مجلّة علامات السعودية، ج4، مج 1 يونيه، 1992م.
- مرتاض، عبد الملك مرتاض دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة " أين ليلاي" لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1992م.
- ابن منظور، لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر، 1968م.

تقنيات السرد الرقمية

القصة القصيرة جداً أنموذجاً: مقارنة سردية

د. فايز صلاح قاسم عثمانة

أستاذ الأدب والنقد المشارك - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك فيصل - المملكة العربية السعودية

المستخلص

هدف الباحث: تتبع حيثيات دقيقة تعالج حقيقة هذا النوع، وتبيان إيجابيات وسلبيات محدّدة، ذات محاور دالة على طبيعة الموضوع وفائدته في الدراسات الأدبية النقدية الحديثة؛ يجليها البحث في التنقيب والجدة والأصالة عن فحوى الرقمنة، ودورها الفاعل في النصّ الأدبيّ السرديّ -على وجه الخصوص- بناءً وشكلاً ومضموناً؛ وذلك بتقني أثر هذا النوع الرقميّ وتتبعه في مختلف وسائل التواصل الاجتماعيّ -والإنترنت خاصّة- ضرورة قصوى في حياة المثقّف، وهو ما يجعل السلوك الفطري بالرغم من صده لكلّ الأبواب يهتري شيئاً فشيئاً أمام قوّة أكبر منه، وهي: الحاجة الماسّة للتعايش مع معطيات الحياة بأشكالها كافّة ومواكبتها بمختلف تجلياتها. استخدم الباحث المقاربة السردية في محاولة لتقريب وجهات نظر تقرّ بوجود هذا النوع الأدبيّ في الدراسات النقدية الحديثة؛ ولكونها المقاربة التي تحمل على عاتقها تحليل الخطاب القصصيّ ودراسة مختلف نصوصه وفهمها، وأبعاده بتقنياته ومكوناته السردية. تشير نتيجة الدراسة إلى أنّ القصة القصيرة الرقمية تتبع مسارين مختلفين؛ الأول: يشمل الكتاب غير الماهرين الذين يتمسّكون بالسرد التقليديّ، بينما الثاني: يتضمّن الكتاب الماهرين الذين يتقنون الكتابة ويتعمّقون في فهم القصة القصيرة جداً، ويبتكرون فناً رائعاً عبر المنصّات الرقمية. تشير الدراسة أيضاً إلى أهميّة شروط الكتابة الفنيّة، ودقّة المعلومات، والجمهور المستهدف، والمنصّة في تحقيق نجاح القصة القصيرة الرقمية؛ بتقارب العناصر الفنيّة والسردية في هذا النوع من القصة، ويجب توافر التآزر بينها في هيكل القصة لتحقيق النجاح الفنيّ.

الكلمات المفتاحية: قصة قصيرة جداً - السرد - التقنيّات - القصة الرقمية - التلقّي

Abstract

The goal of this research is to examine the digital short story genre and evaluate its merits and drawbacks within the context of modern critical literary studies. The study explores the novelty and originality of digital content and its active role in narrative texts, specifically in terms of structure, form, and content. It emphasizes the necessity of understanding the impact of digital storytelling across various social media platforms and the internet, as it has become an essential aspect of intellectual life. The research adopts a narrative approach to analyze and understand the diverse texts and dimensions of narrative discourse, incorporating techniques and narrative components. The findings reveal that the digital short story follows two distinct paths. The first path involves inexperienced writers who adhere to traditional narrative conventions, while the second path comprises skilled writers who possess mastery over writing and demonstrate a deep understanding of the essence of the short story. These writers excel in creating captivating art through digital platforms. The study underscores the significance of technical writing conditions, information accuracy, target audience identification, and platform selection in ensuring the success of a digital short story. It highlights the convergence of artistic and narrative elements within this genre, emphasizing the need for their harmonious integration within the story's structure to achieve artistic excellence.

Keywords: very short story - narration - techniques - digital story - reception

مقدمة:

شغلت القصّة القصيرة جدّاً الرقمية كثيراً من الأوساط النقدية الحديثة؛ منشغلة في تقنياتها وطرق موائمتها للأنواع السردية الأخرى من حيث: التحليل والبناء شكلاً ومضموناً، ونظراً لشغف وتسارع وتيرة وسائل التواصل الاجتماعي؛ أصبح هذا الفنّ نوعاً سردياً قائماً بحدّ ذاته في العصر الحديث؛ وهو ما دعانا للبحث عن تلك التقنيات الفنية المكثفة، التي تجعل منها عملاً أدبياً يلقي رواجاً واسعاً كما هي الأنواع الأدبية الأخرى، بالرغم من ظهور رؤى مختلفة الأطوار لهذا النوع الأدبي؛ فالبعض يعدّها نوعاً من الكتابة العليا إلى حدّ ما في المجال السردية، وأنّ كتابتها قد تبدو أصعب من الرواية التي تتّسع لعالم شاسع من اللغات والأصوات والأحداث، وأنها أصعب من القصّة القصيرة التي قد تقبل التّطويل والاستطراد والحوارات... والبعض الآخر، يرى في القصّة القصيرة جدّاً أنها جنس أدبيّ رقمي وأنّ المصطلح غائم لدى الكثير من الأدباء والقراء.

مرت القصّة القصيرة جدّاً بمراحل متعدّدة في النشر، ممّا أدّى إلى توسّع دائرة انتشارها في أوساط المتلقّين، ووصولها إلى أكبر عدد منهم، وهو ما انعكس إيجابياً على الواقع والمستوى الفنيّ والكمي.

يستحضر الأدباء والنقاد اليوم زمن القصّة القصيرة جدّاً، وهو الزمن ذاته الذي سيطرت فيه شبكة الإنترنت على حياة الناس وطرق معيشتهم، فلا بدّ من تأمل طبيعة العلاقة بين هذين القطبين: (القصّة القصيرة جدّاً والإنترنت) بدءاً من إقبال المثقّف على قراءة القصص بنسختها الإلكترونية ومروراً باستخدام الوسائط المتعدّدة في كتابة القصّة القصيرة جدّاً، وصولاً إلى القصّة القصيرة جدّاً الرقمية بكلّ تجلّياتها.

تتطلّع القصّة القصيرة جدّاً في هذه الأيام بوصفها النصّ الأدبيّ الأقدر على التقاط تفاصيل الأنغام المتنافرة لإيقاع عصرنا العربيّ المتغيّر، والتجسّد الإبداعيّ لهمومة المؤرّقة.

حاول الباحث في هذا العمل التعرّف على القصّة القصيرة جدّاً الرقمية في جانبين: النظريّ والتطبيقيّ، تمحور الجانب الأوّل، حول: القصّة القصيرة جدّاً الرقمية؛ مفهومها، نشأتها، وتطوّرها، وتحول القصّة القصيرة جدّاً إلى الرقمية. وتمحور الجانب الثاني، حول: تقنيات القصّة القصيرة جدّاً الرقمية: الاستباق، الاستشراف، المفارقة، الترميز.

وبخصوص الإشكاليّات المطروحة؛ يتناول البحث إشكاليّة عامّة تتمحور حول: الإبداع القصصيّ المقدّم عبر المنصّات الإلكترونية، وهنا يبرز التساؤلّ التالي الذي تطول إجابته، وهو: هل يطوّع الإبداع

ليواكب التقنية الحديثة، أم العكس تطوُّع التقنية لتواكب الإبداع؟

واجه البحث صعوبات تمثَّلت في: قلَّة المراجع التي عالجت هذا الموضوع، ورغم كلِّ هذا حاولنا جاهدين البحث والتقصِّي الدقيق لهذا النوع الأدبيِّ الرقميِّ، من أجل الوقوف على إيجابيات تخدم المادَّة الأدبيَّة والنقدية في حقل الدراسات السردية الحديثة.

1-1: القصَّة القصيرة جدا الرقمية: Digital Storytelling

تعرف القصَّة القصيرة جداً، بأنَّها: جنس أدبيُّ حديث يمتاز بقصر الحجم، والإيحاء المكثَّف والانتقاء الدقيق، ووحدة المقطع، وعلاوة على النزعة القصصية الموجزة، والمقصديَّة الرمزية المباشرة وغير المباشرة، فضلاً عن خاصية التلميح، والاقتضاب، والتجريب، واستعمال النفس الجمليِّ القصير المرسوم بالحركة، والتوتُّر المضطرب وتآزُّم المواقف والأحداث بالإضافة إلى سمات الحذف والاختزال والإضمار (حمدوي، 2013م، 16)؛ يتبلور ذلك، في: "الحكي" أو "السرد" للجمع بين الجوانب: البصريَّة والسمعية والنصية لإمتاع المتلقِّي؛ إنَّها الكتابة العليا إلى حدِّ ما في المجال السردية.

يشير التعريف السابق إلى أنَّ القصَّة القصيرة جداً: نوع أدبيُّ جديد يقوم على التكثيف الدلالي والإيحاء والسرعة - ونضيف بما يتوافق مع دراستنا- أنَّه يتشكَّل في كثير منه عبر وسائط تكنولوجية وإلكترونية، لا بدَّ أن يتقنها المؤلِّف الرقمي، فهو: عالم بجانب وأديب في جانب آخر، وذلك لأنَّ النصَّ الرقميَّ تقوم التقنية حياله بوصفها وعاء ووعياً يتجاوز دوره مهمة استيعاب النصِّ وتقديمه للمتلقِّي إلى التأثير في مجمل العملية الإبداعية من بدايتها إلى نهايتها، تأثيراً يبدأ في وعي المبدع ومنطلقاته وشعوره، مروراً بإعادة تشكيل أدواته وصياغة خطابه الأدبيِّ بصفة عامَّة، ودفع الأثر - النصَّ الأدبيِّ- بتأثيرات التقنية في لغة النصِّ ومجازاته وصوره ودلالته وموضوعاته وقضاياها ومعالجاته على مختلف المستويات؛ ويمتدُّ هذا الأثر إلى عملية التلقِّي التفاعلية بين المبدع والمتلقِّي، الذي يشارك في إعادة إنتاج النصِّ (زعلة، 1434هـ، 2). فقد كتب الروائيُّ أرنست همنغواي قصَّة من ست كلمات، عدَّها أفضل أعماله على الإطلاق؛ تقول القصَّة: "للبيع: حذاء طفل، لم يريده أحد".

إنَّ اقتران الرقمية بالأدب، يعني: إضافة خصوصية مثيرة للتساؤل والاستغراب على معنى الأدب الذي يقوم على تناظر دائم مع العلوم الدقيقة، وتعدُّ الآليات الرقمية الدعامة الأساسية للقصص الرقمية، وهي: مجموعة من العناصر الفنيَّة والتقنيَّة وتتعلَّق الفنيَّة منها بأسلوب الكاتب وقدرته على حيك عناصر النصِّ، ويتعدَّى الأمر إلى صياغتها بما يتناسب مع طريقة العرض وتقنية تتمثَّل في الدراية الواسعة في مجال البرمجيَّات والربط بين بنيات النصِّ الظاهرة والمخفية، والتي، هي: مزيج بين علامات عدَّة، مثل: اللغة

والصور والصوت، بالإضافة إلى فتح المجال آلياً أمام المتلقي للتفاعل مع النص؛ ليتحقق التفاعل في أعلى درجاته بين أطرافه الإبداعية (صوالح، 1438هـ، 13)؛ فتتجلى أركان القصة القصيرة جداً الأساسية، في: القصصية، والجرأة، والوحدة، والتكثيف، والمفارقة، وفعليّة الجملة، والسخرية، والإدهاش، واللجوء إلى الأنسنة، واستخدام الرمز والإيماء والتلميح والإيهام. واعتماداً على ما سبق: يتّضح أنّ غاية كاتب القصة القصيرة جداً الرقمية تتمحور حول: نقل رسالة للجمهور بطريقة إبداعية محكمة يعتمد على فنون أدبية سرديّة محدّدة (القاضي وآخرون، 2010م، 33)؛ لإيصال رسالته إلى عديد من القراء والتأثير فيهم عن طريق النصّ من خلال: الفيديوهاات والصوت والرسوم المتحركة: Digital Storytelling Animated من أجل جعل النصّ فاعلاً وحيوياً للجمهور بمختلف أنواعهم.

نشأة القصة القصيرة جداً الرقمية:

لقد مرّ الأدب العربيّ بمراحل تاريخية عكست تطوّر الفكر العربيّ، وآليات تفكيره، وأشكال تعبيره، واكتمل حركات نقدية رصدت مناخ تطوّر الأدب؛ كان الأدب في البدء ينقل شفاهة وكذلك النقد، يحاكي بساطة الأدب والحياة، ثمّ تعقّدت الحياة فتعقّد الأدب، وعبر عن شكل جديد في التفكير (البريكي، 2006م، 19)، يعني ذلك: أنّ العلاقة بين شكل الحياة وشكل التعبير علاقة طردية متداخلة في معظم الأحيان؛ ثمّ حلّ التطوّر الكبير في مجال التكنولوجيا، فكيف الإنسان عطاءه، وتلقيه وفق هذا التطوّر الذي أصاب أدوات التواصل ممّا أسهم في تطوّر أشكال التعبير، التي تعبر عن تحوّل عميق في النظر إلى العالم، فكلّ ممارسة إنتاجية جديدة للفكر والثقافة والإبداع تثير تساؤلات حول شرعية وجودها ومدى قدرتها بفعاليتها على خلق مساحة أوسع لتفجير طاقات التفكير والخلق، وهي: تساؤلات يحصنها مبدأ فلسفيّ، يعدّ كلّ انتقال حضاريّ، هو بمثابة انتقال في أسئلة الواقع، ثمّ في وسائل التفكير في الواقع؛ وهو مبدأ يعزّز فكرة البحث المستمرّ لدى الإنسان عن أكثر الإمكانيات الواسطة، التي تسمح له بالتعبير عن تصوّره للعالم ورؤيته للوجود، وهذا ما يجعل فكرة البحث تتجدّد (كرام، 2009م، 25)؛ فالقصص الرقمية ليست مجرد حقائق وصور فقط؛ بل هي نصوص إبداعية متقنة هدفها المتلقي بشكل خاصّ لجعله شريكاً في صلب الحدث وأكثر تفاعلاً. وعبر هذه الرحلة الطويلة لانتشار القصة القصيرة جداً، التي بدت في مراحلها الأولى من صفحات، ومروراً بالنشر الكتابي المطبوع، وهي مرحلة اتّسع فيها مجال النشر والتعاطي لهذا الفنّ؛ إلا أنّ المرحلة الأخيرة التي نعيشها اليوم والمتتمّلة في النشر الإلكتروني عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ، استطاعت أن تجذب إليها عدداً كبيراً من المتلقين والمهتمين بهذا الفنّ، ممّا زاد توجّهه وانتشاره (مغيض، ومناصرة، 2014م، 342).

فرض التطوّر التكنولوجي هذا النوع الأدبيّ؛ إذ يرى أحد الباحثين أنّ القصة القصيرة جداً ستكون

جنس المستقبل بلا منازع مع التطور السريع للحياة البشريّة والاختراعات الرقمية الهائلة وسرعة الإيقاع في التعامل مع الأشياء وكلّ المعنويات الذهنيّة والروحيّة (مغيض، ومناصرة، 2014م، 342). ونظراً لهذا التركيب المعقّد جاءت صعوبة القصّة القصيرة جدّاً؛ فهي أصعب من الرواية ومن القصّة القصيرة؛ كونها تتّسع لعالم شاسع من اللغات والأصوات والأحداث، مع العلم بأنّ القصّة القصيرة جدّاً ولدت من رحم القصّة القصيرة: "يعدّ الصحافيّ الأمريكيّ "كين بيرنز" أوّل من مهّد طريق "السرد الرقميّ القصصيّ" عام 1999م بسلسلة الأفلام الوثائقيّة: "The Civil World" التي تناول فيها الحرب الأهليّة الأمريكيّة، مضمّناً المحتوى كلّ الأدوات المتاحة من صور فوتوغرافيّة إلى شهادة رواة، ومتخصّصين، ومقاطع أفلام سينمائيّة، وسيناريو مكتوب..." (قطب، 2022م، 94 وما بعدها).

تطور القصّة القصيرة جدّاً الرقمية:

ظهرت القصّة القصيرة جدّاً في عصر التحوّلات والإغراءات، التي ألحّت في الانعتاق من الاشتراطات الفنيّة لكتابة القصّة القصيرة؛ لنقل الأحاسيس تبعاً لاستيعاب العصر، إذ تمّ نقل الإيقاع البطيء للحدث إلى الإيقاع الحادّ للرؤيا، وسواء تمّ هذا بسبب الرغبة الملحة في التغيير والتي وراءها دوافع جوهريّة نابغة من متغيّرات الحياة التي نعيشها (دومه، 1998، ص 251)؛ فلا بدّ لكتابتها من ثقافة واسعة، ومنهجية محكمة، ورؤية ثابتة على الصعد كافّة؛ كي يؤسّس لتفاعل واضح مع متلقّيها: "وحيثما نعاين الظاهرة السردية، نجد أنّها تقوم بمجملها على قاعدة التواصل، وبناء عالم افتراضيّ ذي محمولات ثقافية، فهي تؤسّس لعلاقة تفاعل بين النصوص ممثّلة بالكتّاب، والقراء ممثّلين بالمتلقّين لها، فتكون المادّة السردية مناقلة بين هذين الطرفين على سبيل الإرسال، والتلقّي، والتأويل، والمشاركة في فضاء متخيّل من الأحداث، والوقائع (إبراهيم، 2020م، 34 وما بعدها)؛ حيث تكون نهايتها سريعة بعد ذروة الحدث مباشرة، على العكس من الأنواع الأخرى من العمل القصصيّ. وقد تعددت مصطلحات هذا الجنس الأدبيّ ومن بين هذه التسميات: القصّة القصيرة جدّاً، ولوحات قصصيّة، وومضات قصصيّة، ومقطوعات قصيرة، وبورتريهات، وقصص، وقصص قصيرة، ومقاطع قصصيّة، ومشاهد قصصيّة، والأقصوصة، وفقرات قصصيّة، وملامح قصصيّة القصّة القصيرة اللوحة، والقصّة اللقطة، والكبسولة، والقصّة البرقيّة، وحكايات، ولقطات قصصيّة، القصّة الومضة، وقصص مينيمايّة (حمداوي، 2014م، 15 - 16)، وقد جرّ الاختلاف في التسمية، ووفق النظرة إلى استناد النقاد إليها ألا وهو القصّة القصيرة جدّاً؛ فهي خلاصة لتجربة سردية صاحبها يمتلك باعاً طويلاً في الكتابة السردية دون منازع.

2-1: تحول القصّة القصيرة جدّاً إلى الرقمية: Converting very short stories to digital

ظهر الإعلام الجديد (الانترنت) في نهاية التسعينيات، ممّا شكّل تحوّلاً كبيراً على مستوى النشر

وخاصة في السنوات الأخيرة، فتنبؤ هذا النشر الإلكتروني وتعددت مواقعه وصفحاته، فظهرت المواقع الإلكترونية، والمنتديات الثقافية والأدبية الإلكترونية، والصحف الإلكترونية، والمواقع الشخصية الإلكترونية: "المدونات" لكثير من الأدباء والمثقفين، ومع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، مثل: الفيسبوك، وتويتر، والواتس أب، ويوتيوب.. خلال الأعوام الأخيرة أسهمت جميع هذه المواقع الإلكترونية على شبكة الانترنت العالمية في رفد النشر الإلكتروني للقصة القصيرة جداً؛ إذ إنَّ الأدب الرقمي يتميز أساساً بمنح القارئ الفرصة للفعل والمشاركة في بناء النص: "مع تزايد استخدام الهواتف الذكية، والأجهزة اللوحية، وشاشات سطح المكتب، بدأ كبار الناشرين بإصدار القصص المصورة والروايات المصورة والمناغا في أشكال رقمية"⁽¹⁾.

ويحسب لكثير من القاصين العرب ريادتهم في هذا المجال، وتوظيفهم السردية من جانب وفي جانب الأدب بخاصة: تحولات الأدب الرقمي بشكل متسارع عبر منصات التواصل الاجتماعي، والمساهمة في تجاوز بعض العوائق التي تعترض المشروع الأدبي الرقمي العربي، إيماناً منهم بأنَّ من وسائل هدم الفجوة الرقمية بيننا وبين الغرب، تعميق صلتنا بالرقميات، والانكباب على قراءة نصوص الأدب الرقمي العالمية، وتمثلها وابتكار الأسئلة وتجديد المفاهيم والمصطلحات والأدوات؛ لأنَّ الرقميات أفق إنساني مفتوح، وواعد، على أصعدة كثيرة، يهْمُنَا منها الصعيد الأدبي.

يحسب للقاص جبير المليحان تأسيس أول موقع يعنى بهذا الفن الأدبي، حيث أسس شبكة القصة العربية <http://www.ArabicStory.net> التي أنشئت باسم موقع القصة العربية في يوم 9 مايو عام 2000م، ثمَّ حوّلت إلى شبكة القصة العربية عام 2003م بإضافة منتدى القصة العربية في 19 مارس عام 2003م، وأضيف لها مطبوعات شبكة القصة العربية بصور أول كتاب ورقي باسم: قصص من السعودية ومن أوائل الأدباء السعوديين الذين سجّلوا في الموقع عبد العزيز الصقعي، خالد العوض، هيام آل مفلح وآخرون.... (الغامدي ومناصرة، 2014م، 356)

تطوّر هذا المنتدى وتوسّع ليحتوي حتى الآن ما يزيد على 123337 مشاركة من قبل 733 عضواً؛ ويتحمّل مؤسس الموقع الإلكتروني جميع مصاريفها، وامتدَّ إخلاص جبير المليحان لهذا الفن من فنون الأدب مطوّعاً التقنية الحديثة للإسهام في الانتشار عبر فضاءات مختلفة، فأنشأ مجموعة على شبكة (الواتس أب) تحمل اسم: (القصة العربية) وتضمُّ 30 قاصاً وأديباً وناقداً، ويديرها المليحان، وتحمل العديد من الأطروحات وتناقش العديد من القضايا المتعلقة بالقصة القصيرة جداً.

⁽¹⁾ للمزيد بهذا الخصوص، عام 2012م، عرضت DC Comics بيع قصصها المصورة أو الكومكس من خلال متاجر الكتب الإلكترونية الثلاثة الكبرى: متجر أمازون كيندل ومتجر أي بوكس ومتجر نوك، وكذلك من خلال الموقع www.readcenterentertainment.com ومن خلال كوميكسولجي. كان دي سي كومكس أول من عرض تنسيقات متعدّدة للقراء وتنزيل الإصدارات الرقمية في اليوم نفسه مثل نظرائها المطبوعة. وذكرت الشركة أنّها ترى المستقبل في القصص المصورة الرقمية، ولكن مبيعاتها الرقمية تساعد أيضاً في الكتب المطبوعة (للمزيد، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، قصص مصورة رقمية: <https://ar.wikipedia.org/wiki> وقت وتاريخ الدخول: الساعة الرابعة مساءً 2024/2/13م).

وكانت مواقع التواصل الاجتماعيّ حاضنة لكثير من المجموعات التي تعنى بالقصة القصيرة جداً، على موقع: (فيسبوك)، ومن تلك المجموعات التي تضمّ عدداً كبيراً من المهتمّين: مجموعة، بعنوان: نادي القصة السعوديّ، ومجموعة أخرى، بعنوان: القصة القصيرة جداً، وأخرى بعنوان: ملتقى السرد، ومجموعة بعنوان: رواق السرد، وغيرها من المجموعات الأخرى التي تحفل بها هذه المواقع وتحظى بتفاعل كبير، وتحتوى على العديد من التجارب الإبداعية في كتابة القصة القصيرة جداً.

3-1: تقنيات السرد في القصة القصيرة جداً الرقمية: Narrative techniques in the digital short story

لعبت التقنيات السردية: "المفارقة الزمنية" (برنس، 2003، ص20) دوراً محورياً ومهماً في بنية النصّ السردية بشكل عامّ؛ فبدونها يصبح النصّ خالياً من جمالية فنيّة تذكّر في حقل السرد، وانطلاقاً من هذا الجانب نتوقّف بالبحث عند نماذج فنيّة للقصة القصيرة جداً الرقمية؛ عزّزت بنيتها بتقنيات سردية أضفت جماليّات فنيّة في نصوصها المختارة، نذكر منها: -على سبيل المثال لا الحصر- بناءً على شروط وعاء النشر: بعض من قصص أدباء كتبوا على منصّات التواصل، مثل: "قيس يمكن سرديات العزلة" لـ: "حسن النعيمي" قائلاً: "اليوم هاتفْتُ أبي، وذكر أنّه صار بعيداً عن مزرعته عصراً بسبب الحجر المنزليّ، لكنّه قال إنّ ما يؤلمه أكثر أنّه لم يعد باستطاعته أن يضع ماءً بارداً للطيور عند رواحها وقت العصري".

وفي نموذج آخر، يقول: "إذا جاء العصرُ حملتُ كتاباً، وصعدتُ إلى سطح بيتي، حيثُ أجدُ السماءَ مميّ، أفتحُ الكتابَ، وأسرُحُ بنظري في السماء فلا أرى ديبب الطائرات، يدنو الغروبُ فألتقطُ صورا، وكأنّه غروبٌ مودّع لا يعود، يرفعُ الأذانُ: صلُّوا في رحالكم، أمُدُّ سجادتي، وأطيلُ سجودي، ثمّ أبدأ في حوارٍ مع القمر إلى حينٍ لا أعلمه.

وفي النموذج الثالث، يقول: "اليوم جلستُ في مكّتي ... احترتُ ماذا أقرأ، شعرتُ أنّ الكتبَ تساوت، وأنّ الأفكارَ صارت أسنّة، قررتُ أن أفتحُ كتاباتي أيّام الصبا، قرأتُ فخرجتُ من عزّلي إلى عالمٍ أرحب من نطاقِ مدينتي، حتّى جاءني اتّصالٌ أعادني قسراً إلى عزّلي المنزليّة!

وفي النموذج الرابع، يقول: "اليوم نظرت من نافذتي رأيتُ أرضاً شاسعة، وسماءً تحجبها بعضُ الغيوم، وكلُّ الأصوات حُضرت إلا صوتُ الإنسانِ فأغلقتُ النافذة، وعدتُ أتصفّحُ كُتبي"

وفي النموذج الأخير، يقول: "الإحساس بالحريّة يبدأ بالنظر من خلالِ النافذة، لذا فالسجونُ لا نوأفد لها!". (النعيمي، 1442، ص9)

يمكن القول: من خلال القراءة الفاحصة للقصص من الناحية الفنيّة، بتحقيق أبرز الأركان الأربعة

التي تنهض عليها القصة القصيرة جداً، وهي: وحدة الفكرة والموضوع والتكثيف والقصصية والجرأة؛ فمن ناحية وحدة الفكرة والموضوع، فإنّ من البدهي أنّ بنية القصة القصيرة جداً تميل إلى تجنّب الحشو والاستطالة، ولا يقصد بذلك أن تسيطر فكرة واحدة على القصة؛ بل أن تتوحد الأفكار لتأدية المعنى المراد بما يعزّز مبدأ التكثيف (الحسين، 2000م، 33 — 39) فقد لوحظ في القصة الأولى: حديث عن الحجر المنزلي، التي يخلّفها عادة يومية أن يضع ماءً بارداً للطيور، وفي القصة الثانية: إشارة إلى الكتب التي يحملها ويسرح ينظر فيها إلى السماء، وفي القصة الثالثة: حول جدلية العزلة والعالم الرحب، التي تحرّك رؤية كلّ واحد فينا في نطاق مدينته، وفي القصة الرابعة: يلمح إلى أننا وسط أرض شاسعة وسماء تحجبها بعض الغيوم، وفي القصة الخامسة: إشارة إلى أدوارنا في الحياة التي تقودنا إلى الحرية أو السجن.

لجأت القصص الخمس إلى أبرز ركن من أركان القصة القصيرة جداً، وهو: "التكثيف"، فيعدّ العنصر الأساس الذي يشكّل بنيتها ويمنحها هويّتها التي تميّزها عن غيرها من أنواع السرد، يتجاوز مسألة الاقتصاد اللغوي إلى المهارة في تكثيف الفكرة، العناصر، والحوار، والمشهد والحدث وهذا الركن يتأزّر بحقي مع حاجة التغريدة في تويتير إلى تطويع اللغة حيث الاختصار الشديد مع إصابة الهدف: "ويحدّد بعض النقاد حجم نصّ القصة القصيرة جداً المثاليّ بخمسين كلمة...". (حسان، 2023م، 183، 210)

يتجلّى ركن القصصية في مجمل التغريدات السابقة في التركيز على لحظة تحوّل الحدث أو تغير مساره على نحو مفاجئ في القصة القصيرة جداً، كما هو معلوم لا تأخذ كل ما في القصصية من عناصر، بل إنّ هذه القصصية قد تتجلّى في حوار قصير أو تبدّل المشهد أو رصد لحظة أو توثب حدث، كذلك الشخصية يتمّ تقديمها وهم في لحظة فاعلة أو تغير، دون تقديم أوصاف مفصلة إلا بقدر يخدم الإيحاء. (الحسين، 2000م، 34)

ففي القصة الأولى: وفي اللحظة التي هانفت أبي، وذكر أنّه صار بعيداً عن مزرعته عصرّاً بسبب الحجر المنزلي، ليرى فيها الحياة تحوّلت من الحرية العالم إلى القيد المنزلي.

وفي القصة الثانية والثالثة: رصد اللحظة التي تشكّل منعطفاً؛ جاء العصر حملت كتاباً وصعدت إلى سطح بيتي حيث أجد السماء قريبة منّي، لم تسعفه المسافة ولا الوقت بسبب عزلي.

أمّا القصة الرابعة: تتراجع فيها القصصية إلى حدّ ما، إلى الحدث أو تغير مسار اللحظة بالقدر الذي تركز فيها جانب المشهد مثير للتأمل: "منظر الغيوم".

وفي القصة الخامسة: تبدو القصصية واضحة في ضبط حالة يومية، تشي بسيرة إلى حدّ كبير

وهي الحرّية أو السجن.

لعلّ أبرز التقنيات التي اتكأت عليها القصص، هي: "المفارقة والتميز" وهما عنصران من أبرز عناصر هذا الفنّ (الحسين، 2000م، 41)؛ إذ إنّ المفارقة في الأساس: تعبير عن معنيين نقيضين في الوقت نفسه، وهي توحى بكشف حقيقة هذا العالم، الذي يقوم في مجمله على التناقضات المثيرة للدهشة والأسى، هذا الكشف وجه من أوجه الرسالة التي يقدّمها الخطاب اليوم على مواقع التواصل الاجتماعيّ. (سليمان، 1999، ص32)

تأتي المفارقة في القصّة الأولى في اللحظة التي هاتفت أبي، وذكر أنّه صار بعيداً عن مزرعته عصرًا بسبب الحجر المنزليّ، ليرى فيها الحياة قد تحوّلت من الحرّية العالم إلى القيد المنزليّ، مزرعته (الحياة) = المنزل (الحصار).

تأتي المفارقة في القصّة الثانية والثالثة فيما ترمي له أبعاد تختبئ خلف المعنى الظاهريّ المجازيّ للكلام، وهي: أنّ الإنسان أحياناً عندما يكون قريباً من الوصول للحقيقة ووضوح الرؤية يكون الوقت قد فات؛ "جاء العصر حملت كتاباً وصعدت إلى سطح بيتي حيث أجد السماء قريبة مِنّي" لم تسعفه المسافة ولا الوقت بسبب عزلي: مدينتي (الحياة) = عزلي (قيود).

وتعتمد القصّة الرابعة والخامسة في مفارقتها: إلى إبراز ما يمكن إحداثه، ويكون واضحاً وتبدو القصصيّة واضحة في ضبط حالة يوميّة تشي بسيرة إلى حدّ كبير، وهي: الحرّية أو السجن؛ الحرّية = السجن. إنّ الإدهاش وعمق الأثر بوصفهما ضمن خصائص القصّة القصيرة جدّاً حاضراً بقوة في مجمل القصص. (الحسين، 2000، ص49)

واعتماداً على ما سبق: لوحظ تمثّل البنيات الحركيّة في مستويات القصّة القصيرة جدّاً: منها ما هو حرفيّ في القصّة الأولى: "اليوم هاتفْتُ أبي، وذكر أنّه صار بعيداً عن مزرعته عصرًا بسبب الحجر المنزليّ، لكنّه قال: إنّ ما يؤلّه أكثر أنّه لم يعد باستطاعته أن يضع ماءً بارداً للطيور عند رواحها وقت العصريّ" والشريط المتحرك من أسفل إلى أعلى، ومنها: ما هو سمعيّ كالموسيقى المصاحبة لغرض القصّة، ومنها: ما هو مرئيّ كاللوحات اللونيّة التي صاحبت عرض القصّة في القصّة الخامسة. فالقاصُّ هنا: يعبرُ عمّا يريده من الحياة من الحرّية التي رافقته في ازدياد، وقد نلحظ اهتمام القاصِّ هنا بالتشكيل البصريّ للقصّة، وكذلك توظيف علامة التعجُّب!، فالقاصُّ يستغلُّ الشكل الطباعيّ ليعبر عن المسكوت عنه، أو ليوصل فكرته من خلال هذه الأعمال البصريّة وهو يرمز في القصّة إلى الحرّية والقيد.

انطوت مجموعة: "إذا قيس يمكن" على عناصر حركيّة؛ لكنّها تقلّ كلّما تقدّمنا في الولوج بأنّجاه (الإبحار) في غصونه حتى ما يخصّ الموسيقى التي تكون مؤثّرة في القصّة الأولى ليخفت أنينه الذي كان متصاعداً، فيكون أقرب إلى الهجوع منه إلى الثورة والهيجان "الإحساس بالحريّة يبدأ بالنظر من خلال النافذة، لذا فالسجون لا نوافذ لها!".

ينطبق الحال أيضاً على موقع: تويتّر، الذي حفل بالعديد من المعرّفات عن القصّة القصيرة جدّاً، كما شهدت إطلاق العديد من الأوسمة: (الهاشتاقات) التي تدعو إلى كتابة قصة قصيرة جدّاً؛ ومن القصص القصيرة جدّاً والمؤثّرة والواقعيّة المنشورة على موقع اليوتيوب قصّة، بعنوان: "فتاة القطار والعجوز المتحرّش"، فهي تغري المتلقّي في التفكير والتأمّل وطرح جملة من الأسئلة قبل وبعد القصّة، لوحظ أنّها تشتمل على عناصر القصّة كاملة من حيث: العنوان والحلّ والمشكلة والأحداث والسرد والمكان والزمن والشخصيّات؛ ومن الضروريّ أن تشتمل هذه العناصر على تقنيات محدّدة، كي يكتب لها النجاح، مثل: الحذف والخلاصة والوقفة والمشهد.



<https://www.youtube.com>

وفي نموذج آخر مهتمّ وخاصّ بقصص الأطفال للرسوم المتحرّكة؛ والفائدة المرجوة منه لتعلّم وتعليم الأطفال، لوحظ: في تتبّع بعضاً من القصص أنّها تحتوي على عناصر القصّة من، بداية: التسلسل بحدث ما، وعرض الأحداث والصراع والعقدة، ونهاية الحلّ. وقد تكون نهاية مغلقة أو مفتوحة: "وحول استخدام السرد القصصيّ في التعليم هدفت دراسة هزاري وآخرين، إلى الكشف عن فاعليّة السرد القصصيّ الرقبيّ على تنمية فهم المسموع عند منسوبي الفهم المباشر والاستنتاجيّ لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة، وذلك باعتبار أنّ هناك ضعفاً في فهم المسموع في المراحل الدراسيّة المتقدّمة، يعود إلى عدم الاهتمام بتنميته باستراتيجيات سليمة مواكبة لتكنولوجيا المعلومات منذ مراحل مبكرة...". (قطب، 2022، ص70 وما بعدها)



<https://www.youtube.com>

وخلاصة القول: تتخذ القصّة القصيرة جدّاً الرقمية منحنيين اثنين، منحنى: لا يجيد أصحابه فنّ الكتابة، فيبقون أسرى السرد العاديّ، الذي غالباً ما يتماهى مع فنّ الخاطرة أو يلامس القصّة القصيرة جدّاً، ومنحنى آخر: أتقن أصحابه فنّ الكتابة وحذقوا أدوات كتابتها، وتعمّقوا في فهم القصّة القصيرة جدّاً، فأبدعوا فناً جميلاً عبر منصّات وملحات دالة.

يتوقّف الرهان على نجاح هذا الفنّ الأدبيّ الرقميّ، بربطه بعوامل محدّدة، منها: شروط الكتابة الفنيّة الجيدة، وتمثّل السرد فيها بمختلف عناصره وأساليبه وسياقاته ومكوناته من الجانب الأدبيّ؛ ثمّ المحتوى ودقّة المعلومة، والجمهور المختصّ، والمنصّة وحجم المساحة المقدّمة للكاتب، التي تتيح له نشر العمل. من هنا، يتأتّى نجاح السرد التفاعليّ الرقميّ، الذي يتيح للمتلقّي أن يبدع في قراءة النصّ، وينتج نصوصاً أخرى تقتفي أثر العمل الذي سبقه، ضمن سياق الشروط التي سبق ذكرها أعلاه.

لوحظ من خلال تتبّع عناصر القصّة الرقمية المذكورة أعلاه في أكثر من موقع؛ توافق لا يستغنى عنه ما بين تلك العناصر والتقنيات السردية في القصّة القصيرة جدّاً بشكل واضح وجليّ، وذلك ما يقرب العمل من بعضهما، بشقيّيه: الرقميّ والكتابيّ على الصعيد الفنيّ.

ولكي نحكم على العمل القصصيّ الرقميّ؛ لا بدّ من اجتماع العناصر الفنيّة والخصائص معاً، فهما محوران جوهريّان في آليّة البناء النصّي للقصّة القصيرة جدّاً.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبدالله، السردية العربية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2020م.
- البريكي، فاطمة، مدخل الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب. ط1، 2006م.
- حمداوي، جميل، من أجل تقنية جديدة لنقد القصّة القصيرة جداً، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2014م.
- الحسين، أحمد جاسم، القصّة القصيرة جداً، الأوايل للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2000م.
- خيرى، دومه، تداخل الأنواع في القصّة المصريّة القصيرة 1960-1990، الهيئة المصريّة العامّة، القاهرة، ط1، 1998م.
- زعلة، على أحمد. النصّ الرقمي بين الإنتاج والتلقي (قراءة في التشكيل الجمالي والدلالي)، مؤتمر الأدباء السعوديين الرابع (الأدب السعودي وتفاعلاته)، المدينة المنورة، 1434هـ.
- زهور، كرام. الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، رؤية النشر والتوزيع القاهرة، ط1، 1998م.
- سليمان، خالد. المفارقة في الأدب دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، عمان، ط1، 1999م.
- صوالح، وهبة. السردية الرقمية آليات إنتاج السرد الرقمي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1438هـ.
- الغامدي، صالح، ومناصرة حسين. القصّة القصيرة والقصّة القصيرة جداً في الأدب السعودي، وكالة عمادة البحث العلمي للكراسي البحثية - كراسي الأدب السعودي بجامعة الملك سعود، الرياض، 2014م.
- النعيمي، حسن. قيس يمكن سرديات العزلة، دار سطور عربية للنشر والتوزيع، ط1، جدة. 1442هـ.

المجلات:

- حسان، إيمان. تقنيات السرد النسوي في القصّة القصيرة جداً مجموعة (ظلال العزلة) للأدبية عزيزة الطائي أنموذجاً، مجلة بحوث كلية الآداب، المجلد 34، العدد 1. يوليو 2023م.

- قطب، فاطمة. الاتجاهات الحديثة في سرد القصّة الرقمية وعلاقتها بتفضيلات الجمهور المصريّ. المجلة المصريّة لبحوث الاتّصال الجماهيريّ، المجلد 4، العدد 1، يوليو 2022م.

الأنترنت:

- ويكيبيديا الموسوعة الحرّة، قصص مصوّرة رقمية: <https://ar.wikipedia.org/wiki> وقت الدخول وتاريخه: الساعة الرابعة مساء 2024/2/13م.

الظواهر الصوتية في اللهجة العامية السودانية

دراسة وصفية من خلال الأمثال الشعبية

د. قريب الله بابكر مصطفى بابكر

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية - جامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية

المستخلص

عنوان هذا البحث الظواهر الصوتية في اللهجة العامية السودانية دراسة وصفية من خلال الأمثال الشعبية، وأهدافه هي توضيح الظواهر الصوتية بتبيين العلاقة بين اللهجة العامية السودانية والعربية الفصحى، وتوضيح أسباب الظاهرة الصوتية، ودراسة مواضع الظواهر الصوتية بالتطبيق على الأمثال الشعبية، وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي وصولاً إلى نتائج مهمة منها: أكثر الأصوات تغييراً ملموساً هي الأصوات اللثوية وهي: الثاء والذال والظاء - خرج صوت القاف من مخارج متعددة منها ما هو موجود في الفصحى ومنها ما هو في عامية أخرى - رقت بعض الأصوات مثل الطاء والراء، كما توصل الباحث إلى توصيات منها: على الباحثين مواصلة البحث في دراسة الأمثال الشعبية - على المتخصصين في مجال الأدب والبلاغة دراسة الأمثال الشعبية دراسة بلاغية لإبراز المعاني العظيمة التي تضمنتها - على الأساتذة في الجامعات والمعاهد إعطاء الطلاب مثل هذه الموضوعات بوصفها واجبات، أو بحوثاً صفية؛ حتى يتم استيعاب دراسة معظم الأمثال الشعبية.

الكلمات المفتاحية: الظواهر - الصوت - العامية - السودان - المثل

Abstract

The title of this research is the phonetic phenomena in the Sudanese colloquial dialect, a descriptive study through popular proverbs. Its objectives are to clarify the phonetic phenomena by showing the relationship between the Sudanese colloquial dialect and classical Arabic, clarifying the causes of the phonetic phenomenon, and studying the locations of the phonetic phenomena by applying them to popular proverbs.

The researcher followed the descriptive and analytical approach. Reaching important results including: The sounds that have changed most significantly are the grammatical sounds, which are the (tha' ذال), the (dha' دال) and the (tha' ظاء). The (qaf قاف) sound came out from multiple sources, some of which are found in classical Arabic and some of them are in other colloquial ones. Some sounds, such as the (tā' طاء) and (ra' راء), were softened. The researcher also reached recommendations, including: Researchers must continue research in the study of popular proverbs. Specialists in the field of rhetorical literature must study popular proverbs in a rhetorical study to highlight the great meanings they contain. Professors in universities and institutes must give students such topics as assignments or class research. In order to understand the study of most popular proverbs.

Keywords: phenomena - sound - colloquial - Sudan - proverb

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بدين الحق بشيراً ونذيراً، وأرسله للناس كافة فكان هداية للخلائق وسراجاً منيراً، فإنّ انتشار الإسلام في دول العالم كافة حمل معه اللغة العربية إلى تلك الشعوب، فتعرّبت بعد عجمتها واهتدت بعد ضلالها، ولاشكّ أنّ الذين حملوا هذا الدين كانوا من قبائل مختلفة من جزيرة العرب؛ لذلك تعدّدت اللهجات في تلك الدول، والحكم والأمثال هي الوعاء الذي يحفظ اللغة أو اللهجة مهما طال بها الزمن، وتعاقت الأجيال؛ ولذلك سبب اختيار هذا الموضوع هو دراسة اللهجة التي تكلم بها أهل السودان عبر العصور منذ دخول الإسلام وإلى يومنا هذا وهي كامنّة في الأمثال الشعبية التي تدور بين الناس وقد تضمّنت الكثير من الحكم والوعظ والإرشاد.

وقد درس الباحث نماذج من الأمثال الشعبية في أربعة أبحاث: بحث عن الظواهر الصوتية وهو ما بين يدي القارئ الكريم، وبحث عن الاختلاف النحويّ وقد نشر في (مجلة ألسنة المحكمة بإندونيسيا، العدد الثاني 2021م) وبحث عن الظواهر الصرفية وهو في مرحلة التحكيم في (مجلة كلية الآداب بجامعة جنوب الوادي بجمهورية مصر العربية)، وبحث عن التطوّر الدلالي وهو تحت الإعداد.

أهداف البحث:

1. توضيح مواضع الظواهر الصوتية في اللهجة العامية السودانية، وعلاقتها باللغة العربية الفصحى.
2. توضيح أسباب الظواهر الصوتية.
3. دراسة مواضع الظواهر الصوتية بالتطبيق على الأمثال الشعبية.

منهج البحث:

اتّبع الباحث المنهج الوصفيّ التحليلي، وقد رتّب الأمثال حسب أوائلها ترتيباً هجائياً، واكتفى بعرض الجانب الصوتي للأمثال في هذا البحث.

هيكل البحث:

يتكوّن البحث من مستخلص ومقدمة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جمهورية السودان ودخول العرب والإسلام.

المبحث الثاني: اللهجة السودانية والأمثال.

المبحث الثالث: الظواهر الصوتية في اللهجة السودانية.

وقد ختم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع

المبحث الأول

جمهورية السودان ودخول العرب والإسلام

جمهورية السودان:

هي دولة عربية إفريقية تقع في شمال شرق إفريقيا، تحدّها مصر من الشمال وليبيا من الشمال الغربي وتشاد من الغرب وجمهورية إفريقيا الوسطى من الجنوب الغربي وجنوب السودان من الجنوب وإثيوبيا من الجنوب الشرقي وإريتريا والبحر الأحمر من الشرق، ويبلغ عدد سكان السودان نحو 43 مليون نسمة (تقدير 2018م). وتبلغ مساحته 1,886,068 كيلومتر مربع، ما يعادل: 728,215 ميل مربع، ممّا يجعله ثالث أكبر دولة من حيث المساحة في إفريقيا وفي العالم العربي. ويقسم نهر النيل أراضي السودان إلى شطرين شرقي وغربي وتقع العاصمة الخرطوم عند ملتقى النيلين الأزرق الأبيض رافدي النيل الرئيسيين. ويتوسّط السودان حوض وادي النيل .

يمتدّ تاريخ المنطقة التي تشكل السودان الحالي إلى العصور القديمة، حيث شهدت حضارة كرمة (من 2500 - 1500 قبل الميلاد)، ثم أصبحت تحت سيطرة المملكة المصرية الحديثة لنحو خمسة قرون، وأعقب ذلك صعود مملكة كوش (من 785 قبل الميلاد - 350 ميلادية)، والتي بدورها سيطرت على مصر لما يقرب من قرن، وبعد سقوط كوش، بنى النوبيون ثلاثة ممالك مسيحية وهي نوباتيا، والمقرة، وعلوة، واستمرت المملكتان الأخيرتان حتى عام 1500 ميلادية، وبين القرنين الرابع عشر والخامس عشر استوطن البدو العرب معظم السودان، وبين القرنين السادس عشر والتاسع عشر سيطرت سلطنة سنار على وسط وشرق السودان، بينما حكمت سلطنة دارفور الغرب، والعثمانيون أقصى الشمال، وشهدت هذه الفترة أسلمة وتعريباً واسعياً النطاق.

من 1820م إلى 1874م تمّ غزو السودان بأكمله من قبل الأسرة العلوية، وبين عامي 1881 و1885م، قوبل حكم الأسرة العلوية بثورة ناجحة بقيادة محمد أحمد المهدي الذي أعلن نفسه المهدي المنتظر، مما أدّى إلى إنشاء الدولة المهدية، وتمّ إنهاء هذه الدولة في نهاية المطاف في عام 1898م من قِبَل البريطانيين، الذين حكموا السودان مع مصر بعد ذلك .

شهد القرن العشرون نمو القومية السودانية، وفي عام 1953م منحت بريطانيا السودان الحكم الذاتي، وتمّ إعلان الاستقلال في 1 يناير 1956م، ومنذ الاستقلال حكمت السودان سلسلة من الحكومات البرلمانية غير المستقرة والأنظمة العسكرية، وتحت حكم المشير جعفر النميري أدخل السودان الشريعة الإسلامية إلى القضاء عام 1983م؛ وقد أدّى ذلك إلى تفاقم الخلاف بين الشمال الإسلامي - مقرّ الحكومة - والمسيحيين وغيرهم في الجنوب؛ فتسبّبت الاختلافات في اللغة والدين والسلطة السياسيّة في حرب أهليّة بين القوات الحكوميّة المتأثرة بشدّة بالجهة الإسلامية الوطنيّة والمتمرّدين الجنوبيّين، الذين كان فصيلهم الأكثر نفوذاً هو جيش التحرير الشعبيّ السودانيّ، وأدّى ذلك في نهاية المطاف إلى انفصال جنوب السودان عام 2011م (الأربعاء 27-12-2023م <https://ar.wikipedia.org/wiki>).

دخول العرب والإسلام:

دخل الإسلام في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان والي مصر آنذاك عمرو بن العاص رضي الله عنه، كما تدلّ الوثائق القديمة على ذلك ومن بينها اتفاقية البقط التي أبرمها عبد الله بن أبي السرح مع النوبة في سنة 31 هجرية؛ لتأمين التجارة بين مصر والسودان، وقيل قبل ذلك؛ لأنّ الاتفاقية تضمّنت الاعتناء بمسجد دنقلا، ومن المشهود أنّ جماعات عربيّة كثيرة هاجرت إلى السودان واستقرّت في مناطق البداوة في أواسط السودان وغربه ونشرت معها الثقافة العربيّة الإسلامية، وازدادت الهجرات العربيّة إبان الفتوحات الإسلاميّة، وجاء إلى السودان العلماء المسلمون في مرحلة ازدهار الفكر الصوفيّ فدخلت البلاد طرق صوفيّة سنيّة مهمّة تجاوز نفوذها السودان ليمتدّ إلى ما جاوره من أقطار (الأربعاء 27-12-2023م <https://ar.wikipedia.org/wiki> (شوقي، 1995م، 10/ 654).

اللغات الأساسيّة:

اللغة الرسميّة والرئيسية هي اللغة العربيّة مع وجود بعض اللغات المحليّة التي تصل إلى أكثر من 300 لغة منها لغات البجا في شرق السودان، وتشمل (اللغة التجرية والبدويّة) وهذه تشمل البني عامر، والهندنوة، والحلنقة، والبشاريين، والأمراء، واللغات النوبيّة في شمال السودان من مدينة دنقلا وحتى

مدينة أسوان في جنوب مصر وتشمل (الدينقلاوية والحلفاوية)، ولغات غرب السودان ومنها: (الجور، والفلاتة، والهوسا والزغاوة، والفور، والداجو، والمساليات)، وتتفرّع اللغة العربيّة إلى لهجات عدّة منها لهجة الجعليين والبقارة والشكريّة وغيرهم (الأربعاء 2023-12-27م <https://ar.wikipedia.org/wiki/2023-12-27>).

المبحث الثاني

اللهجة السودانية والأمثال

اللهجة السودانية:

اللهجة: طَرَفُ اللِّسَان، ويُقال: جَرَسَ الكلام، ويُقال: فصيح اللَّهْجَة واللَّهْجَة. وهي اللغة التي جُبلَ عليها الإنسان فاعتادها، ونشأ عليها، ورجلٌ مُلَهَّجٌ بكذا، أي: مُولَعٌ به. (الفراهمي، 1985م، ج1 ص254) والعاميّة هي مَا نطق بِهِ الْعَامَّةُ على غير سَنَنِ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ، وَهي خلاف الفصحى (إبراهيم وآخرون، 2004م، 2/629).

واللهجة السودانية هي لهجة عربيّة تستخدم في الجزء الشماليّ من السودان وفي أغلب أواسط البلاد وبصورة أقلّ في جنوب البلاد، واللهجة السودانية أقرب إلى اللهجة الحجازية، ويُلفظ حرف القاف كلفظ الحرف (G) في اللغة الإنجليزية.

اللهجة السودانية تستعير بعض الكلمات من اللغات النوبية، وأيضاً تستخدم في جميع أنحاء السودان، وتعدّ رابطاً بين الأهالي وتعرف بين المجموعات غير العربيّة في الجنوب بلهجة جوبا، أو عربي جوبا، وتعدّ اللهجة السودانية من أكبر اللهجات العربيّة المتكلّم بها حالياً ويتحدث بها في عدة دول مجاورة؛ حيث يتكلّم بها في غرب إريتريا وشرق تشاد وأفريقيا الوسطى وجنوب السودان (الأربعاء 2023-12-27م <https://ar.wikipedia.org/wiki/>).

تعريف المثل لغة واصطلاحاً:

تعريف المثل لغة:

يظهر من غير واحد من المعاجم، كلسان العرب ومختار الصحاح، أنّ للفظ (المثل) معاني مختلفة، كالنظير والصفة والعبارة وما يجعل مثلاً لغيره يُحذَى عليه إلى غير ذلك من المعاني (ابن منظور، 1993م، 610/11-الرازي، 1999م، 1/291).

تعريف المثل اصطلاحاً:

ورد في تعريف المثل: قسم من الحكم، يرد في واقعة لمناسبة اقتضت وروده فيها، ثم يتداولها الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغيير لما فيه من وجازة وغرابة ودقة في التصوير.

فالكلمة الحكيمة على قسمين: سائر منتشر بين الناس ودارج على الألسن فهو المثل، وإلا فهي كلمة حكيمة لها قيمتها الخاصة وإن لم تكن سائرة.

الأمثال بشكل عام:

المثل جملة مفيدة موجزة متوارثة شفاهة من جيل إلى جيل، وهو جملة محكمة البناء بليغة العبارة، شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات، وإذ يلخص المثل قصة عناء سابق وخبرة غابرة اختبرتها الجماعة فقد حظي عند الناس بثقة تامة، فصدّقوه لأنه يُهتدى به في حلّ مشكلة قائمة بخبرة مكتسبة من مشكلة قديمة انتهت إلى عبرة لا تُنسى. وقد قيلت هذه العبارة في جملة موجزة قد تغني عن رواية ما جرى.

والمثل ليس شكلاً من أشكال الفنون الشعبية فقط، وإنّما هو عملٌ كلامي يستحث قوة ما على التحرك، ويعتقد قائل المثل أنه يؤثّر أعظم الأثر في مسار الأمور وفي سلوك الناس، فالمعنى والغاية يجتمعان في كل أمثال العالم وهي- وإن اختلفت في تركيب جملها أو في صلاحها أو مدلول حكمها أو سخرتها- كتابٌ ضخم يتصفّح فيه القارئ أخلاق الأمة وعبقريتها وفطنتها وروحها، والمثل هو تعبير عفوي عن موقف أو حدث موجز لحدّ البلاغة، وهو عبارة عن خلاصة تجارب وحكم الأجيال السابقة. ومن مميزات الأمثال الشعبية أنّها بسيطة في لغتها وكلماتها وهي تحاكي كلّ العقول على اختلاف أنماطهم وثقافتهم كما أنّها تمتاز بربط الجيل الحالي بالجيل السابق(الأربعاء27-12-2023م <https://mufahras.comh>).

المبحث الثالث

الظواهر الصوتية في اللهجة السودانية

قد تقدّم في المبحث السابق أنّ العرب الذين هاجروا إلى السودان هم من أهل البوادي في الجزيرة العربية؛ ولذلك حملوا معهم لهجاتهم العربية التي يتكلمون بها وكانت لهجاتهم مختلفة ممّا أدّى إلى الاختلاف بين اللهجات السودانية، ومع تلك الفروق الدقيقة بين اللهجات إلّا أنّها تجتمع في كثير من

الأحكام اللغوية من نحو وصرف وأصوات ودلالات المعاني، والأمثال التي انتشرت في المجتمع السوداني تمثل ذلك؛ حيث يصاغ المثل بلهجة عامية ويفهم معناه في كل أنحاء السودان، وتضمنت الأمثال الحكم والمواعظ والإرشادات المهمة للأجيال الحديثة.

الظواهر الصوتية:

توجد الكثير من الظواهر الصوتية في اللهجة العامية السودانية وتختلف عن العربية الفصحى، وسوف يذكر الباحث ما تعلق بالأمثال الواردة في هذا البحث بمشيئة الله، وهي كالآتي:

أولاً: نطق الثاء تاء في مثل: (اثنين - اتنين) .

ثانياً: نطق القاف جيماً قاهريّة (g)، في مثل: (قالوا).

ثالثاً: نطق القاف كافاً في (قتل - كتل).

رابعاً: نطق الذال ضاداً في مثل: (أذن - أضان).

خامساً: نطق الذال زائياً في (اعتذر - اعتزّر).

سادساً: نطق الذال دالاً في (دقن - دقن).

سابعاً: نطق الظاء ضاداً في (قرض - قررض).

ثامناً: نطق الطاء تاءً في (تخطئك - تختاك).

تاسعاً: نطق الراء مرققة في مثل: (درب)

ومن أكثر الأصوات التي تطوّرت وتغيّر نطقها في اللهجات العامية صوت القاف، وقد وصفها سيبويه ومن جاء بعده من النحويين والقراء بأنّها مجهورة، وقد ذكر رمضان عبد التواب ما حدث لصوت القاف من تطور في قوله: "عرفنا من قبل أن القاف كما ينطق بها مجيدو القراءات في مصر، صوت لهوي شديد مهموس" (رمضان، 1997م، 80).

ونستنتج من وصف القدماء لهذه الصوت أنّه كان يشبه إلى حدّ كبير، تلك القاف المجهورة التي

نسمعها الآن بين القبائل العربيّة في السودان، وجنوب العراق، فهم ينطقون بها نطقاً يخالف نطقها في معظم اللهجات العربيّة الحديثة؛ إذ نسمعها منهم نوعاً من الغين.

يقول كانتينو: وبما أنّ قِسماً كبيراً من الألسن الدارجة العربيّة ينطق بقاف مجهورة، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح، بأنّ القاف كان بالفعل حرفاً مجهوراً في العربيّة القديمة، ويمكن أن يكون نطقه مهموساً في العربيّة الفصحى اليوم، ناتجاً عن كونه أصبح مهموساً في اللهجات الحضرية المدنية؛ لأنّ أغلبية المثقفين اليوم، هم من أصل مدنيّ.

ويبدو أنّ القبائل العربيّة، لم تكن تنطق القاف بصورة موحّدة، فهي ابن دريد اللغويّ يقول: فأما بنو تميم، فإنّهم يلحقون القاف بالكاف، فتغلظ جداً، فيقولون: الكوم، يريدون: القوم، فتكون القاف بين الكاف والقاف. وهذه لغة معروفة في بني تميم.

وقد تطوّرت القاف في اللهجات العربيّة الحديثة، تطوّراً كبيراً، فهي في كلام مصر والشام همزة، كما تنطق غيناً في بعض مستويات النطق في السودان وجنوبي العراق، وفي بعض الكلمات في مصر، مثل: يقدر يغدر. وتسمع جيماً كالجيم القاهريّة، في بعض البيئات بصعيد مصر، وبين كثير من قبائل البدو في الصحراء.

وكلّ نوع من هذه الأنواع الثلاثة للتطوّر له أمثله في العربيّة القديمة، فمن الأمثلة التي وردت بالقاف والهمزة، ما رواه أبو الطيب اللغويّ، من قول العرب: قشبه وأشبه، أي: لأمه وعابه، والقوم زهاق مائة وزهاء مائة، أي قريب من مائة. والقفز والأفز، أي: الوثب.

ومن الأمثلة التي وردت بالقاف والغين قولهم: غلام أقلف وأغلف، أي: لم يخن. والقمز من الناس والغمز، أي: الرذال ومن لا خير فيه، وقلقل في الأرض وغلغل، أي: ذهب في الأرض.

ومن أمثلة القاف والجيم قولهم: بائقة وبائجة للداهية، وأحنق وأحنج، أي: ضمير الفرس، وتلقّفت البئر وتلجفت، أي: أكل الماء جوانبها، وزلقت الموضع وزلجته، أي: ملسته، والملاحظ أنّ التطوّر الذي أصاب القاف هنا بأنواعه كان بتغيير مخرجها، وتطوّر الصوت بتغيير مخرجه يكون بأحد طريقتين: إمّا بانتقال المخرج إلى وراء، أو إلى الأمام؛ باحثاً الصوت في انتقاله عن أقرب الأصوات شهاً به، من الناحية الصوتيّة. فتعمّق القاف في الحلق عند المصريّين لا يصادف من أصوات الحلق، ما يشبه القاف إلا الهمزة، لوجود صفة الشدّة في كلّ منهما. فليس غريباً إذن أن تطوّرت القاف في لغة الكلام عندنا إلى الهمزة، فليس بين أصوات الحلق صوت شديد إلا الهمزة، أمّا الانتقال بمخرج القاف إلى الأمام، فنجد أن

أقرب المخارج لها هو مخرج الجيم القاهريّة والكاف، فلا غرابة أن تتطوّر القاف إلى أحدهما، وقد رجح تطوّر القاف في لغة البدو، وبعض أهالي صعيد مصر، إلى الجيم القاهريّة أنّ القاف في الأصل صوت مجهور، فحين تتطوّر تنتقل إلى صوت مجهور أيضاً، يشبهها صفة؛ لهذا اختارت القاف في تطوّرهما الأمامي، الجيم دون الكاف؛ لأنّ كلا من القاف الأصليّة، والجيم القاهريّة، صوت شديد مجهور، هذا ويلاحظ كانتينو أنّ اللهجات الحديثة، التي صار القاف القديم فيها حرفاً مهموساً أي: القاف التي نطقها اليوم، أو الكاف، أو الهمزة هي لهجات حضريّة. (رمضان، 1997م، 79-81)

مصدر الأمثال: اعتمد الباحث على الشبكة الدوليّة في الحصول على المادّة العلميّة مع أنّ الباحث سودانيّ، وعاش في وسط السودان وتجوّل في شماله وجنوبه وشرقه وغربه؛ لصلات القرابة المنتشرة في كلّ أنحاء السودان، وقد سمع الباحث هذه الأمثال من أفواه الناس مباشرة منذ الصغر.

المواقع التي أخذ منها الباحث الأمثال:

الموقع الأول (<https://www.youandinfo.com>) وقد اشتمل على 232 مثلاً سودانياً.

والموقع الثاني (<https://mawdoo3.Com>) وقد اشتمل على 76 مثلاً سودانياً، ومن الجدير بالذكر أنّ هذين الموقعين اشتملا على أمثال شعبية لمعظم الدول العربيّة، مصنّفة حسب الدول.

معيّار اختيار الأمثال: اختار الباحث الأمثال التي اشتملت على الظواهر الصوتيّة، وتجنّب الباحث التكرار؛ لأنّ الظاهرة تتكرّر في عدد من الأمثال.

شرح الأمثال: شرح الباحث الأمثال الواردة في البحث؛ لأنّها باللهجة العاميّة؛ فحتاج إلى شرح باللغة العربيّة الفصحى.

عرض الظواهر الصوتيّة الواردة في الأمثال:

1. (إِثْنَيْنِ كَانَ قَالُوا لِيكَ أَضْآنَكَ مَا فِي أَهْيَشَا) والصياغة الفصيحة: (اثْنَانِ إِنْ قَالَ لَكَ أَذْنُكَ لَا تُوجَدُ فَالْمَسْهَا).

يقال لدفع السامع للاستجابة للنصح، خصوصاً لو تكرر النصح من اثنين فصاعداً فلا بدّ من اتباعه وإن كان السامع لا يقتنع بالنصح وذلك للمبالغة في الإقناع بكلام الناصحين حتى لو قالوا لك: "

أذنك لا توجد" فلا بدّ من لمسها، مع أنّك متأكّد من وجودها لعلها قطعت وأنت لا تدري.

الظاهرة الصوتيّة الأولى نطق الثاء تاء في (اثنين – إثنين)، وقد ذكر سيبيويه مخرج الثاء في قوله: "ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال، والشاء"، وقال عن مخرج التاء: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والذال، والتاء" (سيبيويه، 1988م، 4/433).

والظاهرة الثانية نطق القاف في (قالوا) جيماً قاهريّة (g)، وذكر المبرّد مخرج القاف في قوله: "أول مخارج ألفم ممّا يلي الحلق مخرج القاف ويتلّو ذلك مخرج الكاف" (المبرّد، 1963م، 1/192)، وقد ورد في المعجم الوسيط: "وتطورت القاف في اللهجات العاميّة تطوراً أبعد أثراً فبقي تسمع في لغة الكلام همزة وفي بعض القراءات وفي اليمن وصعيد مصر وبين كثير من قبائل البدو تنطق كالكاف الفارسيّة [يعني جيماً قاهريّة. (g)]" (إبراهيم وآخرون، 2004م، 2/709).

2. (الأسد ما كتّل مرّتو) والصياغة الفصيحة: (الأسد ما قتّل امرأته)

يقال للمرأة التي تخاف صحبة زوجها؛ لأجل أن تدخل في نفسها الطمأنينة وتسعد بطيب العشرة معه، فمهما كان الرجل شرساً في طباعه تجده رقيق المعاملة مع زوجته وأولاده كالأسد يفترس حيوانات الغابة، ولكنّه رقيق عطوف مع أنثاه وأشباله.

الظاهرة الصوتيّة نطق القاف كافاً في (قتل - كتّل) وقد حدث بسبب تقارب المخارج بينهما. وقد ذكر محمد سالم عن مخرج القاف: "أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، أسفل مخرج (القاف) ويخرج منه (الكاف)، وهذان الحرفان يوصفان باللهويّة، لأنّهما يخرجان من آخر اللسان، عند اللهاة فنسبنا إليها" (محيسن، 1997م، 1/88). وقد تقدّم ما ذكره رمضان عبد التواب نقلاً عن ابن دريد عن نطق بعض القبائل العربيّة القاف فقال: "يبدو أنّ القبائل العربيّة، لم تكن تنطق القاف بصورة موحدة، فيها هو ابن دريد اللغوي يقول: "فأما بنو تميم، فإنهم يلحقون القاف بالكاف، فتغلظ جداً، فيقولون: الكوم، يريدون: القوم، فتكون القاف بين الكاف والقاف. وهذه لغة معروفة في بني تميم" (رمضان، 1997م، 79-81).

3. (الإضيئة دُ قو و اعتزّز ليّهو) والصياغة الفصيحة: (الأذينة، اضربه ثمّ اعتذر له)

يقال لمن يخطئ في حقّ الآخرين، ثمّ يعتذر لهم استخفافاً بهم، فهو قصده النيل منهم واستحقارهم، ثمّ يعتذر لهم حتى لا يناله العقاب، فهو يعاملهم معاملة الحمقى، فكلمة (الإضيئة) تطلق

على الشخص الأحمق الذي يصدق كل ما يقال.

الظاهرة الصوتية نطق الذال ضاداً في (الإضيئة)، وذلك مثل ما ورد في (أذن - أضان). وقد ذكر صبي الصالح مخرج الأحرف اللثوية فقال: "الأحرف اللثوية: وهي ثلاثة: الطاء والذال والطاء، ومخارجها متقاربة، ما بين ظهر اللسان مما يلي رأسه وبين رأسي الثنيتين العلين. وتسعى لثوية لخروجها من قرب اللثة". (صبي، 1960م، 279)، والظاهرة الثانية نطق القاف جيماً قاهريّة (g) في كلمة (دقو)، والظاهرة الثالثة نطق الذال زايّاً في (اغترز)، وعن تطوّر صوت الذال في العاميّة قال أحمد تيمور: "تذكّرة: كان اللازم ذكرها في التاء والرّأي، أي: تزكرة؛ لعدم وجود الذال في العاميّة ولكيّها عُرِفَت عند كَتَبَتِهم بالذال، وهي تطلق على الورقة الصغيرة يكتبها شخص خطاباً لآخر". (تيمور، 2002م، 2/ 294)، وقد ذكر أحمد مختار عمر تغييرات صوت الذال في قوله: "قد تنطق الذال زايّاً كما في: ذلك، التي تنطق: ذلك، وقد تنطق: دالاً، كما في: ذهب، التي تنطق: ذهب". (أحمد، 1993م، 45).

4. (البَيْتُو مِنْ قِزَازْ مَا يَفْلِقُ بِالْحُجَارِ) والصياغة الفصيحة: (الَّذِي بَيْتُهُ مِنْ زُجَاجٍ لَا يَزِيهِ الْآخَرِينَ بِالْحِجَارَةِ).

يقال للنصح والإرشاد لمن فيه نقص حتى لا يعتدي على عامة الناس تشبيهاً له بالذي يمتلك بيتاً من الزجاج، فلا ينبغي له أن يرمي الآخرين بالحجارة، فلا شكّ أنّه الخاسر حين يأتيه الردّ بالمثل من الآخرين؛ لأنّه سوف يفقد بيته، كذلك إذا أهان الشخص الناقص عامة الناس أو سيّهم فلا بدّ أن يأتيه الردّ فيكشف ما به من نقص.

الظاهرة الصوتية نطق القاف جيماً قاهريّة (g) في (قزاز، ويفلق)، وقد وضّح الباحث القلب المكاني (زجاج - جزاز) في البحث المتعلّق بالظواهر الصرفيّة، ثمّ قلبت الجيم قافاً، ونطقت القاف جيماً قاهريّة.

5. (البِيرْقُصْ مَا بَغْطِي دِقْنُو) والصياغة الفصيحة: (الَّذِي يَرْقُصُ لَا يَغُطِّي لَحِيَّتَهُ).

يقال عند المواقف التي تحتاج إلى الصواب والابتعاد عن الخطأ، فاللحية هي رمز التدين المانع من فعل المنكرات، فإن أراد الملّتي أن يرقص فلا يستطيع تغطية لحيته؛ فلذلك لا بدّ من الامتناع عن الرقص، و(الدقن) في العاميّة يقصد بها شعر اللحية مأخوذة من (الدقن) وهو مجمع عظم اللحين حيث تنبت اللحية فأطلق المحل وأريد الحال، وورد في الصحاح "دَقْنُ الإنسان: مَجْمَعُ لَحْيِيهِ" (مرعشلي،

1975م، 1713).

الظاهرة الصوتية نطق الذال دالاً في (دَقَن - دِقَن) مع ملاحظة تحوّل الفتحة إلى كسرة في الدال والقاف، وكذلك نطق القاف جيماً قاهريّة (g) في (يرقص، ودقن).

6. (التَسْوِي كَرِيْتُ فِي الْقَرْضُ تَلْقَاهُو فِي جِلْدًا) والصياغة الفصيحة: (الَّذِي تَعْمَلُهُ الشَّاةُ فِي شَجَرِ الْقَرْطُ يَعُودُ عَلَيْهَا فِي جِلْدِهَا)

يقال للتحذير من فعل الأذى للآخرين؛ لأنّ ذلك سوف يعود على الشخص عاجلاً أو آجلاً تشبيهاً له بحال الشاة وما تفعله بشجر القرط، كتكسير أغصانه والعبث بأوراقه وهو يستعمل في دبغ الجلود، ومهما طال الزمان فسوف تذبح الشاة ويدبغ جلدها بتلك الشجرة التي فعلت بها الأذى.

وقد ذكر الخليل القرط في قوله: "والسَّلْمُ: ضرب من الشجر، الواحدة بالهاء، ووَرْقُهُ: القرط، يُدْبَغُ به، ويقال للمدبوغ بالقرط: مَقْرُوط" (الفراهيدي، 1985، 7/ 266). وكلمة (كريت) تطلق على الشاة قصيرة الأذنين في العامية السودانية.

الظاهرة الصوتية نطق القاف جيماً قاهريّة (g) في (القرض، وتلقاهو)، وكذلك الظاء نطقت ضاداً (قرط - قرض).

وقد ذكر رمضان عبد التواب الخلط بين صوت الظاء والضاد فقال: "وقد وصلت إلينا بعض الأخبار، التي تؤكد لنا أن الناس كانوا يخلطون الضاد بالطاء في بعض الأحيان، فقد روى أبو علي القالي أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه: "يا أمير المؤمنين، أَيْضَحِي بَضْبِي؟ قال: وما عليك لو قلت: بظبي؟! قال: إنها لغة...."، و سجل الجاحظ مثل هذا الخلط بين الضاد والطاء فقال: "وزعم يزيد مولى ابن عون، قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء، فكان إذا دعاها، قال: يا ضمياء بالضاد،...ويذهب المستشرق برجستراسر إلى أنّ نطق الظاء، كان قريباً من نطق الضاد، وكثيراً ما تطابقتا وتبادلتا، في تاريخ العربية". (رمضان، 1997م/71).

8. (الْجَايَاكَ مَا بَتَخْتَاكَ) والصياغة الفصيحة: (الَّتِي سَوْفَ تَأْتِيكَ لَا تُخْطِئُكَ).

يقال للتذكير بقضاء الله وقدره، أي: أنّ الشيء المقدر لا مفرّ منه مهما حاول الإنسان دفعه عنه، فلا بد من أن يصيبه.

الظاهرة الصوتية نطق الطاء تاءً في (تخطئك - تختاك).

وقد ذكر سيبويه مخرج الطاء فقال: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء" (سيبويه، 1988م، 4/433). وهذا يدل على تخفيف النطق من المطبق إلى غير المطبق مع ملاحظة اتحاد المخرج للطاء والتاء.

9. (الرَّيْدُ الْكَثِيرُ لَا بُدَّ تَعْقِبُوْ عَدَاوَةٍ) والصياغة الفصيحة: (الْحُبُّ الْكَثِيرُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَعْقِبَهُ عَدَاوَةٌ).

يقال لمن يحبّ شخصاً بإفراط ويعطيه كلّ وقته وفكره ووجدانه، فالملاحظ أنّ مثل ذلك الحبّ ربما ينقلب إلى عداوة بسبب عدم استحقاق الطرف الآخر هذا الحبّ العميق الصادق، والمثل يحمل نصحاً وإرشاداً بأنّ تحبّ الآخرين هوناً ما، ولا تحبّ بإفراط؛ لتترك جانباً لتحمل وقوع الخطأ من الجانب الآخر؛ وبهذا لا ينقلب الحبّ عداوةً.

الظاهرة الصوتية نطق الثاء تاءً (الكثير - الكثير)، وقد ذكر أحمد مختار عمر تغيرات صوت الثاء في قوله: "قد تنطق الثاء سينا كما في: ثقافة، والتي تنطق: سقافة، أو تنطق تاء كما في: ثلاثة، التي تنطق: ثلاثة، أو تنطق صاداً كما في: عثمان التي تنطق: عصمان". (مختار 1993م، 45). والظاهرة الثانية نطق القاف جيماً قاهرةً (g) في (تعقبوا).

10. (الْمَالُ تَلْتَوُ وَلَا كَيْلَتُو) والصياغة الفصيحة: (الْمَالُ ثُلْثُهُ وَلَا قَيْلَتُهُ).

يقال من أجل التصبر على ضياع بعض الأشياء، فمن ضاع منه ثلثا ماله وبقي الثلث فهو رابح بالمقارنة مع من ضاع منه كلّ المال، فالقتل مقصود به ضياع المال بأكمله، وتبدو الاستعارة المكنية واضحة.

الظاهرة الصوتية الأولى نطق الثاء تاءً (ثلث - تلت) كما مرّ في أمثال سابقة، والظاهرة الثانية نطق القاف كافاً في (قتل - كتل) وقد حدث بسبب تقارب المخارج بين القاف والكاف، وقد مرّ كذلك في أمثال سابقة.

11. (إِنْ جَادَتْ بِخَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ تَنْقَادُ....وَكُنْ عَاقَتْ تَقْطَعُ سِلْسِلَ الْحَدَّادِ) والصياغة الفصيحة: (إِنْ سَهَلَتْ بِخَيْطِ الْعَنْكَبُوتِ تَنْقَادُ....وَأِنْ اسْتَعْصَمَتْ تَقْطَعُ سِلْسِلَ الْحَدَّادِ).

يقال في تصريف الأمور وحدوثها بقدر الله تعالى فإن يسرها الله جل جلاله تسهل ولو سُجِبَتْ بخيط العنكبوت، وإن لم يرد الله لها الحدوث تستعصي على الناس ولو سُجِبَتْ بسلاسل الحديد، وفي المثل تذكير بقدر الله تعالى، فما على العبد إلا أن يرضى بما قدّره الله جل جلاله، وكلّ ما يفعله العبد هو سبب فقط.

الظاهرة الصوتية نطق الطاء تاءً (خيط - خيت) والظاهرة الثانية نطق القاف جيماً قاهريّة (g) في (تنقاد)، وقد سبق توضيح هذه الظواهر في أمثال تقدّمت.

12. (إِنْ عَجَبَكَ مَالُكَ شَوْفُ ضُلِّ الضَّحَى وَإِنْ عَجَبُوكَ رُجَالُكَ شَوْفُ التُّرَابِ) والصياغة الفصيحة: (إِنْ أَعْجَبَكَ مَالُكَ فَانْظُرْ إِلَى ظِلِّ الضَّحَى وَإِنْ أَعْجَبَكَ رِجَالُكَ فَانْظُرْ إِلَى التُّرَابِ).

يضرب هذا المثل لمن يفتخر بالمال والأهل؛ فيذكره المثل بأن المال زائل كظلّ الضحى، وكذلك عليه أن يتذكر أن الأهل والعصبة من الرجال يموتون يوماً ما، ويدفنون في التراب، وفي المثل حكمة ونصح وإرشاد إلى السلوك القويم.

الظاهرة الصوتية نطق الطاء ضاداً (ظِل - ضُل)، وقد سبق توضيح الظاهرة في (قرظ - قرض).

13. (بَخِيتُ شَكْرُوهُ... قَالَ ذَاكَ شَهْرُ تَانِي) والصياغة الفصيحة: (بَخِيتُ عندما شَكْرُوهُ... قَالَ ذَاكَ شَهْرُ تَانِي).

يقال لمن يجتهد في المرة الأولى، ثمّ عندما يسمع ثناء الناس عليه يشعر بالفخر والاعتزاز فيجتهد للمرة الثانية فيقع في خطأ شنيع، وهذا المثل سببه أنّ الرجل الذي يسعَى (بخيت) رأى الهلال في أوّل ليلة وعندما هتف الناس باسمه: "بخيت رأي الهلال بخيت رأي الهلال..."، قال لهم: "ذَاكَ شَهْرُ تَانِي"، يعني: ذاك هلال آخر.

الظاهرة الصوتية الأولى نطق القاف جيماً قاهريّة (g) في كلمة (قال)، والظاهرة الثانية نطق الذال دالاً في (ذاك - داك)، وقد ذكر رمضان عبد التواب تغيير صوت الذال فقال: "وقد ضاع صوت الذال كذلك، في اللهجة العامية المصرية، وحل محله الدال، نحو: دَهَبَ دَهَبَ، دَيْلَ دَيْلَ، أو الزاي، نحو: ذُكِرَ زُكِرَ، ذُلَ زُلَ". (رمضان، 1997م، 45)

وهذا يدلّ على تشابه اللهجات العربيّة خصوصاً بين اللهجة المصريّة والسودانيّة؛ لكثرة التداخل

بين البلدين الشقيقين، والظاهرة الثالثة نطق الثاء تاءً (ثانٍ - ثاني).

14. (تَعِيسَ الحَظَّ يَلَاقِي العِضْمَةَ فِي الفَشْفَاشِ) والصياغة الفصيحة: (تَعِيسُ الحَظَّ يَجِدُ العِظْمَ فِي الرِّثَةِ)

يقال للشخص الذي لا يسعفه الحظ مهما توفرت له الأسباب وتيسرت له الأمور، تشبهاً له بمن يجد عظماً داخل الرثة بعد إنضاجها وهو أمر مستحيل.

الظاهرة الصوتية نطق القاف جيماً قاهريّة (g) في (يلاقي)، والظاهرة الثانية نطق الظاء ضاداً في (العظم - العضة)، وقد سبق توضيح مثل هذه الظواهر، والملاحظ في هذا المثل هو نطق الظاء كما هي في كلمة (الحظ)، ونطقت ضاداً في (العضمة).

15. (دَزَبَ السَّلَامَةَ لِلْحَوْلِ قَرِيبٌ) والصياغة الفصيحة: (دَزَبُ السَّلَامَةِ لِلْحَوْلِ قَرِيبٌ).

يضرِب المثل للتأني وعدم العجلة في الأمور؛ ليحصل الإنسان على السلامة وعدم وقوع المكروه، فعلى فرض المثل لو سرت حولاً كاملاً ثم وصلت إلى أهلِكَ بالسلامة فبعدَ الحول مدة قصيرة ما دمت وصلت سالماً، وأتمنى لو يكتب هذا المثل بجوانب الطرق السريعة.

الظاهرة الصوتية ترقيق الراء في (درب)، وذكر عبد الواحد المالقي عن تفخيم الراء وترقيقه فقال: "واعلم أن القراء يقولون: الأصل في الراء التغليظ، وإنما ترقق لعرض" (المالقي، 1990م، 4/49)، والظاهرة الثانية نطق القاف جيماً قاهريّة في (قريب).

16. (صَاحِبُ بَالَيْنٍ كَضَّابٌ) والصياغة الفصيحة: (صَاحِبُ بَالَيْنٍ كَذَّابٌ).

يضرِب المثل لمن يريد أن يقوم بعملين في وقت واحد، فيحتاج كل عمل لاهتمام معيّن، فلا يستطيع إتقان أحدهما ولا كليهما، وهو بهذا كأنه يكذب على نفسه، فينبغي عليه إتقان أحدهما أولاً، ثم بعد الفراغ منه يشرع في الآخر.

الظاهرة الصوتية نطق الذال ضاداً في (كذاب - كضاب).

17. (قَلْبِي عَلَيَّ، جَنَائِي وَقَلْبُ جَنَائِي عَلَيَّ، حَجَرٌ) الصياغة الفصيحة: (قَلْبِي عَلَى وَلَدِي وَقَلْبُ وَلَدِي عَلَيَّ كَالْحَجَرِ)

يقال للولد العاق بوالديه، فيذكر بأنَّ الوالدين قلباهما يفيضان بالحنان والعاطفة والشفقة نحوه، ولكنَّ قلبه قاسٍ مثل الحجر نحوهما، لا يعطف عليهما، ولا يرحمهما، فيذكر بذلك لعلَّه يرجع عن عقوقه.

الظاهرة الصوتية نطق القاف جيماً قاهريّة (g) في كلمة (قلب) وترقيق الراء في كلمة (حجر) والأصل التفخيم.

18. (ما يَنْفَعُ الْجَسْنَ بَعْدَ الضَّبْحِ) والصياغة الفصيحة: (لا يَنْفَعُ الْجَسْنَ بَعْدَ الذَّبْحِ).

يضرب المثل لمن فعل شيئاً لا يمكن استدراكه تشبيهاً له بمن ذبح حيواناً ثم صار يجسسه ليعرف هل هو سمين أم لا، والجسّ هو تحسس مواضع معينة يعرف من خلالها سِمَن الحيوان أو عدمه، وفي الفصحى ورد في لسان العرب: "الْجَسْنُ: اللَّمْسُ بِالْيَدِ. جَسَّهُ بِيَدِهِ يَجْسُهُ جَسّاً وَاجْتَسَّهُ أَي مَسَّهُ وَلَمَسَهُ. وَالْمَجَسَّةُ: الْمُؤْضَعُ الَّذِي تَقَعُ عَلَيْهِ يَدُهُ إِذَا جَسَّهُ". (ابن منظور، 1993 م، 6/ 38).

الظاهرة الصوتية نطق الذال ضاداً (الذَّبْح - الضَّبْح).

19. (مَكْسَحَةٌ وَتَقُولُ لِلصَّائِغِ ثَقْلَ الْخُلْخَالِ) والصياغة الفصيحة: (مَكْسَحَةٌ وَتَقُولُ لِلصَّائِغِ ثَقْلَ الْخُلْخَالِ).

يقال لمن يتناول للحصول على الأشياء من غير مؤهلات، تشبيهاً له بالمرأة الكسيحة التي لا تستطيع المشي ثم هي تطلب من صائغ المجوهرات أن يصنع لها خلخالاً ثقيلاً.

ومعنى الكَسَح في معجم العين: "شَلَلٌ في إحدى الرجلين إذا مشى جَرَّها جَرّاً. ورجلٌ كَسَحان. وكَسِجٌ يَكْسَحُ كَسْحاً فهو أَكْسَحُ... الكَسَحُ العَجْز، يقال: فلان كَسِجٌ: أي عاجز ضعيف. والأَكْسَحُ: الأعرج". (الفراهيدي، 1985 م، 3/ 59)

وفي معجم متن اللغة: "كسح: كسحا: أصابه الكساح، وهو أكسح وكسحان وكسح وكسيح؛ وهي كسحاء وكسيحة. وهم وهن كُسَح؛ وهم كسحان. و[كسح] الرجل: ثقلت إحدى رجله في المشي، فإذا مشى كأنه يكسح الأرض أي يكنسها". (رضا، 1960 م، 5/ 62)، ومعنى الخلخال في معجم اللغة العربية المعاصرة: "خُلْخَال [مفرد]: ج خَلَخِيل: حِجْل، حُلِيّة من فِضّة كالسِّوَار تحلّي المرأة بها رِجْلها، تُلبَس حول الكعب" (أحمد، 2008 م، 1/ 676).

الظاهرة الصوتية الأولى نطق القاف جيماً قاهريّة في (تقول، وتقل)، والظاهرة الثانية نطق الثاء تاءً في (ثقل – تقل). وفي الحقيقة قد اجتمعت ظاهرتان صوتيتان في كلمة (تقل).

خاتمة

في الختام يتقدّم الباحث بأهمّ النتائج والتوصيات بعد أن وقف على أهمّ الظواهر الصوتية التي وردت في بعض الأمثال الشعبية السودانية، وتتمثّل النتائج في الآتي:

- أكثر الأصوات تغييراً ملموساً هي الأصوات اللثوية وهي الثاء والذال والظاء.
- خرج صوت القاف من مخارج متعددة، منها ما هو موجود في الفصحى، ومنها ما هو في عامية أخرى.
- رُققت بعض الأصوات مثل الطاء والراء.

ومن التوصيات:

- على الباحثين مواصلة البحث في دراسة الأمثال الشعبية.
- على المتخصّصين في مجال الأدب البلاغة دراسة الأمثال الشعبية دراسة بلاغية؛ لإبراز المعاني العظيمة التي تضمّنتها.
- على الأساتذة في الجامعات والمعاهد إعطاء الطلاب مثل هذه الموضوعات بوصفها واجبات، أو بحوثاً صفية؛ حتى يتمّ استيعاب دراسة معظم الأمثال الشعبية.

المصادر والمراجع

أولا الكتب:

- أحمد مختار عبد الحميد. أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، عالم الكتب. (د.ت).
- أحمد مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
- تيمور، أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور. معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، المحقق: دكتور حسين نصّار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة - مصر، الطبعة الثانية، 1422 هـ - 2002 م.
- حجازي (الدكتور محمود فهمي حجازي). علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني. الدر النثير والعذب النميز في شرح مشكلات وحلّ مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير، عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الأموي المالقي، ت 705 هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الله أحمد المقرئ، أصل التحقيق: أطروحة دكتوراه للمحقق، دار الفنون للطباعة والنشر - جدة، 1411 هـ - 1990 م.
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي. مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، 1420 هـ / 1999 م.
- رضا ، أحمد رضا. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، دار مكتبة الحياة - بيروت، 1380 هـ - 1960 م.
- رمضان، رمضان عبد التواب. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة 1417 هـ - 1997 م.
- سيوييه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر. الكتاب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
- شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي، دار المعارف - مصر، الطبعة الأولى، 1960 - 1995 م.
- صبيحي، إبراهيم الصالح. دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1379 هـ - 1960 م.

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي. كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
- المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس. المقتضب، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. - بيروت، (د.ت).
- محيسن، محمد سالم. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م.
- مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، (د.ت).
- مرعشلي، نديم - أسامة مرعشلي. الصحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، تقديم: عبد الله العلايلي، (د.ت).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي. لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - 1414هـ

ثانيا: مصادر من الشبكة العنكبوتية

- تعريف-المثل-لغة-واصطلاحا <https://mufahras.com/>
- حكم وأمثال شعبية سودانية <https://www.youandinfo.com>
- حكم وأمثال سودانية <https://mawdoo3.com>
- دخول العرب والإسلام <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- السودان <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- قاموس المعاني <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-en>
- اللغات الأساسية <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- اللهجة السودانية <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- لهجة عامية <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>

توظيف الإمكانيات الفنية للإذاعة القومية السودانية: برنامج دكان ود البصير أنموذجاً في الفترة من 2016-2017م

د. أمل إبراهيم أحمد أبوزيد- أستاذ مساعد- كلية الآداب- قسم الإعلام
مصعب عبد الكريم هارون عثمان - بكالوريوس الآداب العام بمرتبة الشرف

المستخلص

تهدف هذه الورقة إلى دراسة الإمكانيات الفنية المتاحة للإذاعة؛ إذ إنها تُمثّل إحدى المقوّمات الأساسية للعملية الإذاعية وذلك بالوقوف على مدى توظيفها في الإذاعة السودانية من خلال دراسة برنامج دكان ود البصير في الفترة (2016-2017م). اتّبع الباحثان المنهج الوصفي والمنهج التاريخي وأسلوب المسح. كما اعتمد في جمع المعلومات على عددٍ من المصادر الثانوية مثل الكتب والدوريات والمجلات والإنترنت، بالإضافة إلى المصادر الأولية مثل المقابلة مع خبراء في مجال العمل الإذاعي عموماً والدراما بصورة خاصة، بالإضافة إلى بعض الأكاديميين، كما استخدم الملاحظة بجانب تحليل المضمون. ومن ثمّ توصّلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج أهمّها: أنّ برنامج دكان ود البصير قد اعتمد على عددٍ من الإمكانيات الفنية أبرزها الصوتُ البشري واللغة الدارجة التي تؤثر في مستمعي البرنامج- لم يكن هنالك استخدامٌ للمؤثرات المصنوعة وكلُّ المؤثرات المستخدمة كانت مؤثرات طبيعية أو بشرية- لم يتمّ التوظيف الأمثل للإمكانيات الفنية في برنامج دكان ود البصير.

الكلمات المفتاحية: الإمكانيات الفنية، الإذاعة، دكان ود البصير، السودان

Abstract

This research aims to study the available technical capabilities of radio which represent one of the basic factors of broadcasting process, identifying its usage in the Sudanese radio through Dukan Wad Al-Baseer programme in the period (2016-2017). The research adopts the descriptive and historical approach and the survey method. To collect the data, the researcher depends on a number of secondary sources like books, periodicals, journals and the internet, as well as primary resources like interviews with experts in the field of radio in general and drama in particular in addition to some academia in the communication field. The most important findings of the research are that Dukan Wad Al-Baseer programme depended on a number of technical capabilities specifically the human voice using the colloquial language that affects listeners of the programme. All the effects used were either natural or human no created ones were employed, so the technical capabilities were not properly employed in Dukan Wad Al-Baseer programme.

Keywords: Technical capabilities, Broadcasting, Dukan Wad Al-Baseer, Sudan

مقدمة:

إن الإمكانيات الفنية هي كافة الوسائل والأدوات الضرورية التي تسهم في إعطاء المادة الإذاعية الشكل المقبول للاستماع. وتبدأ هذه الإمكانيات من الصوت البشري، وتنتهي عند الإخراج الإذاعي.

كما أن للإذاعة تأثيراً بالغ الأهمية نظراً لدورها في تشكيل العقول باستخدام وسائل الإقناع المباشرة وغير المباشرة من خلال الحوار والإلقاء والمؤثرات الصوتية وفترات الصمت وغيرها، خاصة وأن برامجها ترضي جميع الأذواق، ومختلف المستويات الثقافية، كما أنها تتيح للنشء خبرات غنية حية (الشريف، 2010، ص48). والراديو في ظل التحديات الحالية التي ترتبط بالتطور التقني واحتدام سوق المنافسة بين الوسائل الاعلامية تواجهه الكثير من التحديات في الحفاظ على مكانته، منها توظيف الإمكانيات الفنية المتعددة للإذاعة التي لها دور في إخراج العمل الإذاعي بشكل جاذب للمستمع.

إن للراديو عناصر متكاملة مناط بها تقديم المضمون في قالب متميز وهي الإمكانيات الفنية التي تلعب دوراً في تفضيل برنامج على الآخر، ومحطة إذاعية على غيرها. وعليه فإن مشكلة الورقة تتمثل في كيفية توظيف الإمكانيات الفنية للراديو في تقديم المادة الإذاعية، وكيفية الاستفادة المثلى من الإمكانيات الفنية في جذب المستمعين خاصة في هذا العصر الذي أصبح فيه تنافس قوي تتعرض له وسائل الإعلام التقليدية من الوسائل الحديثة. لهذا الغرض تم الأخذ ببرنامج دكان ود البصير باعتباره دراسة حالة للنظر في تلك الكيفية. وتتمحور مشكلة البحث في السؤال التالي: ما هي الإمكانيات الفنية المستخدمة في برنامج دكان ود البصير، ولتسهيل الوصول للإجابات العلمية تم طرح مجموعة من الأسئلة منها:

1. ما هي أبرز الإمكانيات الفنية المستخدمة في برنامج دكان ود البصير؟ وهل يوجد تفاوت في استخدام الإمكانيات الفنية بين حلقات البرنامج؟
2. هل استخدمت الإمكانيات الفنية الاستخدام الأمثل في البرنامج؟ وما هي الإمكانيات الفنية التي كان يمكن استخدامها؟
3. كيف يمكن توظيف التكنولوجيا لتطوير الإمكانيات الفنية للراديو؟

تهدف الورقة إلى التعرف على الإمكانيات الفنية للراديو في الإذاعة السودانية، وكيفية استخدامها. بالإضافة إلى بيان أبرز الإمكانيات الفنية المستخدمة في برنامج دكان ود البصير، ومعرفة التفاوت في استخدام الإمكانيات الفنية للراديو.

تتبع الدراسة المنهج الوصفي، وأسلوب المسح، ودراسة الحالة؛ ويهدف هذا المنهج إلى وصف

الظاهرة أو الأشياء التي يريدها الباحثان، وتحليل البيانات لمناقشة الأسئلة، كما تستخدم أيضاً المنهج التاريخي لتتبع تطور الراديو، وتتبع مسيرة الإذاعة السودانية، وبرنامج دكان ود البصير. وذلك اعتماداً على أن المنهج التاريخي يساعد الباحثان "في توطيد الحقائق، والتوصل إلى استنتاجات تخص الماضي، عن طريق يحدد الأماكن، ويقيم ويفسر الدليل الذي يمكننا من خلاله معرفة الماضي بشكل منتظم وموضوعي" (آري و جاكوبس و رازافي، 2013، م، 534). كما يستخدم أيضاً منهج تحليل المضمون وذلك بهدف الوصف الموضوعي المنظم والكمي للإمكانيات الفنية في برنامج دكان ود البصير، وتحليل المضمون هو طريقة بحثية مطبقة على مواد مكتوبة أو مرئية بهدف التعرف على خواص محددة للمادة، ويمكن للمواد التي يجرى تحليلها أن تكون كتباً مدرسية، أو صحفاً، أو خطابات، أو برامج إذاعية أو تلفزيونية أو أي من الوثائق (آري و جاكوبس و رازافي، 2013، م، 529). واختار الباحثان هذه المناهج لأنها الأنسب لطبيعة الدراسة.

تعتمد هذه الدراسة على عدة أدوات لجمع البيانات وتتمثل في المصادر الأولية التي تشمل الملاحظة دون المشاركة التي تتمثل في "المشاهدة والمراقبة لسلوك ما، أو ظاهرة معينة في ظل ظروف وعوامل بيئية معينة من أجل الحصول على معلومات دقيقة لتشخيص هذا السلوك، أو هذه الظاهرة، ويتم توظيف ما تم الحصول عليه لتحقيق أهداف البحث" (الدليعي، 2016، م، 128). وذلك في الاستماع إلى الحلقات الخاصة ببرنامج دكان ود البصير إلى جانب اختيار أفضل الأوقات للاستماع، واستخدام كذلك المقابلة التي تعرف بأنها "محادثة أو حوار موجه بين الباحثان من جهة، وفرد أو أفراد آخرين من جهة أخرى بغرض جمع المعلومات اللازمة للبحث. والحوار يتم عبر طرح مجموعة من الأسئلة من الباحثين التي يتطلب الإجابة عليها من الأفراد المعنيين بالبحث" (الدليعي، 2016، م، 142). وقد أجرى الباحثان المقابلة مع مختصين في مجال الإنتاج الإذاعي بصورة عامة، والدراما على وجه الخصوص. واعتمد عليها في الحصول على معلومات غير مكتوبة من قبل المبحوثين. وأيضاً تستخدم استمارة تحليل المضمون لحلقات برنامج دكان ود البصير. كما تستخدم المصادر الثانوية التي تتضمن الكتب والدوريات والمجلات والدراسات السابقة والنشرات ومصادر من الانترنت. وقد بلغت العينة (13) حلقة من حلقات برنامج دكان ود البصير، تم اختيارها وفقاً للطريقة العشوائية البسيطة بدلاً عن الأسبوع الصناعي نظراً لعدم الاستقرار في بث حلقات البرنامج.

مصطلحات البحث (التعريفات الإجرائية):

الإمكانيات الفنية:

يقصد بالإمكانيات الفنية للراديو الأدوات الضرورية التي يستخدمها الكادر الفني الإذاعي وتتمثل في: الصوت البشري، والموسيقى، والمؤثرات الصوتية، واستغلال فترة الصمت. ويسهل فيه خلق البيئات الزمانية والمكانية المختلفة دون تكاليف باهظة. (فتح الرحمن، 2010، ص أ)

الإذاعة:

وسيلة سمعية تجارية أو خاصة تعتمد على استخدام مزيج من التسجيلات السمعية السابقة، بالإضافة إلى البث المباشر الحي. وقد تكون الإذاعة تجارية عامة تقوم بتغطية عدد متنوع من المواضيع والاهتمامات التي تخص المجتمع الواسع، أو خاصة تركز على تحقيق هدف واحد كما هو الحال في الإذاعات التربوية والدينية والدعائية أو الاقتصادية (حمدان، 1986، ص246).

أطلع الباحثان على عدد من الدراسات السابقة، منها الدراسة الأولى، (يسري السر حسن السنوسي، 2018م). تتمثل مشكلة البحث في الوقوف على برنامج دكان ود البصير لمعرفة معالجة البرامج الإذاعية في إطار التنمية الذي يجب أن يقوم بالدور التعليمي والثقافي والترفيهي في الإذاعة السودانية. هدفت الورقة إلى تتبع مسيرة الإذاعة السودانية والمراحل المختلفة التي مرت بها، والنظر إلى ما قدمته من برامج ومواد إذاعية بالتطبيق على برنامج دكان ود البصير. توصلت الدراسة إلى أن برنامج دكان ود البصير من البرامج ذات الأثر الواضح لإسهامه في عملية التنمية الريفية بتناوله العديد من الموضوعات المتعلقة بالتنمية بقالب درامي جذاب، وبلغة سهلة مما يساعد المستمع على استيعاب ما يقدم من مادة علمية، ومعلومات مذاعة بسهولة (السنوسي 2018م، 5). ركزت هذه الدراسة على العلاقة التبادلية بين القائم بالاتصال والمتلقي؛ وذلك للوقوف على أحد الجوانب التي تقدمها الإذاعة للمستمع ألا وهو الجانب التنموي، بينما ركزت الدراسة الحالية على جانب صناعة المادة الإذاعية دون اصطحاب المتلقي، واتفقت مع هذه الدراسة في أدوات جمع البيانات عدا الاستبانة، كما إنها استخدمت المنهج الوصفي والتاريخي.

ثم هناك دراسة: (عفرأ أحمد فتح الرحمن 2010) تتمثل مشكلة الدراسة في أن دراما الراديو نشأت مستمدة وجودها من المسرح، فكانت تقلده، ولم تكن هنالك دراما للراديو خاصة به، فقد كانت تنقل الحفلات المسرحية، والأعمال الدرامية وتأثرت به وبكل تحولاته من حيث البناء الدرامي، فكان على التمثيلية أن تختزل الصورة المرئية في صورة ذهنية من خلال سماع عناصر التمثيلية للراديو التي تخلق الصورة المفقودة في ذهن المتلقي. وهدفت الدراسة إلى تقديم مقترح للمساهمة في الارتقاء بكتابة دراما الراديو من خلال الاستفادة من التقنية، وتبسيط فكرة تأليف دراما الراديو لغير المتخصصين والتعرف على البناء الفني، والإحاطة بالمشكلات والمعوقات التي تعترض كتابة النص ووضع حلول لها. توصلت الدراسة إلى أن التقنية لكتابة المسرحية ألقت بظلالها على تقنية الكتابة الإذاعية، وأن التطور التكنولوجي أثر على أسلوب تقنية الكتابة الإذاعية. وتوصلت أيضاً إلى أن المواكبة والدراسة والثقافة بالنسبة للمؤلفين أدت لتطور تقنية الكتابة (العوض، 2015م، 144).

وتميزت الدراسة الحالية باستخدامها لتحليل المضمون. إن الاتفاق بين هاتين الدراستين يتمثل في

أن تقنيات الكتابة الدرامية ترتبط بشكل مباشر بالإمكانيات الفنية المستخدمة في الدراما الإذاعية، فالكتابة هي إحدى فنيات العمل الإذاعي الأساسية، أما التقنية فتتمثل في الكيفية التي يتم من خلالها توظيف الكتابة الإذاعية كإمكانية فنية قادرة على توصيل المعلومة في قالب درامي. كما تناولت هذه الدراسة الجوانب الفنية للكتابة الدرامية، كما عملت على تقديم معلومات لغير المتخصصين في الكتابة الدرامية بغرض تبسيط عملية الكتابة الإذاعية للدراما. كما اتفقت الدراسات أيضاً في المنهج ومصادر جمع المعلومات.

يقصد بمجتمع البحث جميع مفردات أو وحدات الظاهرة موضوع الدراسة. وشمل المجتمع عينة من حلقات البرنامج وقد بلغت العينة (13) حلقة من حلقات برنامج دكان ود البصير تم اختيارها وفقاً للطريقة العشوائية البسيطة بدلاً عن الأسبوع الصناعي؛ نظراً لعدم الاستقرار في بث حلقات البرنامج.

تعتمد هذه الورقة على عدة أدوات لجمع البيانات وتتمثل في المصادر الأولية التي تشمل:

أولاً: المقابلة، وهي اتصال شفهي مع أفراد العينة، "وتسير وفق خطة معينة وتتسم بالمرونة أحياناً، ويعبر فيها الفرد عن رأيه في الموضوع المطروح عن الأسئلة". (باهي، 2002م، 54). وقد استعان الباحثان بالمقابلة وذلك بهدف الوصول إلى المعلومات التي تعذر الحصول عليها من الكتب. وقد مثلت إضافة في الفصل الثالث الذي لا يمكن فصله بأي حال من الدراسة الميدانية التي اعتمد فيها الباحثان على تحليل المضمون. إن المقابلة قد أضافت للباحثين معلومات مهمة ارتبطت بالراديو وتوظيف الدراما في برمجته.

ثانياً: الملاحظة دون المشاركة وتعرف بأنها المشاهدة والمراقبة الدقيقة لسلوك أو ظاهرة معينة، وتسجيل الملاحظات أولاً بأول، كذلك الاستعانة بأساليب الدراسة المناسبة لطبيعة ذلك السلوك أو تلك الظاهرة بغية تحقيق أفضل النتائج، والحصول على أدق المعلومات. (المحمودي، 2019م، 149). إن الملاحظة قد مثلت إضافة للباحثين ومع متابعة تحليل حلقات البرنامج خاصة أن هناك بعض المواقع التي تحتاج إلى دقة الملاحظة مثلاً ما يرتبط بالنبرات وتفاوت مستويات الصوت لدى الممثلين.

ثالثاً: استمارة تحليل المضمون، حيث أعد الباحثان صورة أولية من استمارة تحليل المضمون. وقد اشتملت الصفحة الأولى من النسخة الأولية على المعلومات الأولية فيها: عنوان البحث، والمعد، والمشرف، بالإضافة إلى بيانات البرنامج الأساسية.

أما الجزء الثاني من الاستمارة فقد احتوى على جداول التحليل المقترحة من قبل الباحثين التي تمت صياغتها بالاستفادة من الإطار النظري، بالإضافة لخبرة الباحثان بالاستماع لبعض حلقات البرنامج، واحتوى الجدول الأول على وصف للإمكانيات الفنية المستخدمة في البرنامج وهي (الصوت البشري، المؤثرات الصوتية،

فترات الصمت، تقسيم المسامع، الموسيقى الدرامية). أما بقية الجداول فقد احتوت على الفئات الفرعية المتضمنة لكل فئة من الفئات الرئيسية.

ينحصر الإطار الزمني في الفترة من يناير 2016- ديسمبر 2017م والإطار المكاني للورقة على الإذاعة السودانية بأم درمان برنامج دكان ود البصير أنموذجاً.

مقدمة الأشكال والقوالب الفنية لبرامج الراديو:

يعد الراديو أحد منجزات الحضارة الإنسانية، وقائداً للثورة اللاسلكية، ومؤشراً جيداً للنمو العقلي الذي لا ينفصل عن التطور المتزايد مع اتساع دائرة الحاجات اليومية معطياً للعالم مساحة تقريب لكثير من المعاني والمعاليم التي لولا الراديو حينها لم تكن معروفة؛ وعليه فيمكن القول أن الإذاعة عملت على إعادة تعريف الأشياء في أذهان المستمعين مستفيداً من إمكانياته الفنية العالية.

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار الفضائيات التي يشهدها العالم في كافة الأماكن فما يزال الراديو يحظى باهتمام كبير محافظاً على مكانته بين وسائل الإعلام الأخرى، ويعود هذا الأمر لمجموعة من الخصائص والمميزات التي يمتلكها الراديو.

يعرف (فضيل دليو) البرامج الإذاعية على أنها "مادة الإرسال الإذاعي التي تتناول موضوعات متنوعة (سياسية، ثقافية، اقتصادية، تربوية، ترفيهية)، سواء في شكل الإلقاء العادي للأخبار أو في أشكال فنية إعلامية خاصة ومؤثرات حيوية مناسبة" (دليو، 2003م، 147)، ويبدأ البرنامج كفكرة في ذهن معدّه الذي يحاول أن يجسدها على الورق حتى تجد المنتج الذي يتبناها، ويتفق على إخراجها إلى حيز الوجود في شكل برنامج إذاعي مباشر، أو مسجل يبث فيما بعد (معهد الإعلام، 2006م، 2)، أو يحفظ في جهاز الكمبيوتر ويستعاد في وقت الحاجة. ووفقاً (لهشام بوبكر) فإن هذا يستدعي معرفة رغبات الأفراد والجماعات، واهتماماتهم ومدى إدراكهم ووعيهم واطلاعهم على الواقع، وما يحيط من الأحداث والظواهر المختلفة، كما يستلزم معرفة نفسياتهم حتى توافق البرامج التي تقدمها الإذاعة مع متطلباتهم ومع أذواقهم (بوبكر، 2017م، 42).

تعد الإذاعة المسموعة وسيلة جماهيرية تتصف بالتنوع والتعدد في أشكالها البرمجية نظراً لأن مستمع الإذاعة تتغير اهتماماته، وتعدد احتياجاته فبذلك كان من المهم على القائمين بالاتصال مراعاة هذا التعدد في الأذواق والأمزجة للجمهور. وهذا يتطلب وضع خارطة إذاعية متنوعة الأشكال في البرامج المقدمة للمستمعين ومنها: الحوار، برامج المناقشات، برامج المنوعات، المجالات الإذاعية، التحقيق الإذاعي، برامج

الحديث المباشر، الدراما الإذاعية.

تعد الدراما قالباً فاعلاً لبث رسائل توعوية وثقافية لمختلف المجتمعات لما لديها من قدرات كبيرة يتمتع بها صانعوها، كما أنها واحدة من وسائل الإقناع القوية مع أنها لا تميل في أكثر الحالات إلى مخاطبة العقل بشكل مباشر. فالدراما الإذاعية تعتمد عليها شعوب في تغيير صورتها الذهنية لدى شعوب أخرى. كما توظف الدراما أيضاً في إيصال بعض المعلومات المعقدة بطريقة واضحة، وإذا أخذنا فيروس كورونا مثالا في توجيه الناس إلى الالتزام بالإرشادات الصحية فإننا نجد توظيفاً للدراما الإذاعية بمعلومات مبسطة؛ فالدراما تعتمد في الأساس على عنصرين مهمين هما: التأليف، والإخراج.

الإمكانيات الفنية للراديو:

الراديو عبارة عن صوت يعبر عن حركة أو مشاعر تخلق صوراً ذهنية، فهو الذي يصنع الصورة؛ لأنه يعبر عن شيء يجري حدوثه فالصوت هو العنصر الأساس، والوسيلة الوحيدة التي تستخدمها الإذاعة منذ نشأتها؛ فتحمل هذا الصوت وتقوم بتوصيلة إلى المستمع. وقد يكون الصوت كلمة منطوقة، أو موسيقى، أو أغنية، أو مؤثراً صوتياً (طبيعياً أو صناعياً) (البريدي، 2016م، 38)؛ ولهذا ينبغي على كل من يتصدى لإنتاج المواد البرمجية للراديو أن يعي تماماً حقيقة الصوتيات التي يستخدمها، وأن يلم إلماماً كاملاً بالإمكانيات الفنية للوسيلة التي يستخدمها ومنها:

الصوت البشري:

المقصود بالصوت البشري صوت الإنسان، والصوت البشري معقد، فهو يتركب من أنواع مختلفة في الشدة من درجات صوتية متباينة. كما أن لكل إنسان صفة صوتية خاصة (بصمة) تميز صوته عن صوت غيره من الناس. وهناك درجات للصوت، ومن الضروري أن يكون صوت المذيع أو الممثل قادراً على التكيف بسهولة مع الحالة أو المعنى أو الموقف المطلوب. وأياً كان الموضوع أو النص فإن على المذيع أن يؤكد للمستمع اقتناعه الصادق بالموضوع وانفعاله الطبيعي تجاهه، مع الحرص على وضوح المعاني وتجنب الرتابة التي تفسد حيوية الحديث، وكذلك ينبغي على المذيع أو الممثل أن يستجيب للمشاعر والأحاسيس التي تملها كلمات أو مواقف معينة، بحيث يأتي ذلك في إطار طبيعي، وكأنه يجري محادثة مع صديق.

إن الصوت البشري- في أثناء الحديث- يمكن أن يعكس أو يعبر عن أي شيء يمكن تخيله، سواء أعلق الأمر بالمعاني أم بالشعور. ويتم ذلك بواسطة التنوع في درجات الصوت. والمدة الزمنية التي يستغرقها نطق الكلمة أو الكلمات، وقوة الصوت أو الضغط الصوتي على كلمة من الكلمات أو جزء منها، أي درجة

الصوت وشدته. والمقصود بتنويع الصوت " الملامح الصوتية التي تؤدي إلى تنويع معاني الرسائل اللغوية أي التنويعات الصوتية التي تجعل الكلمة أو الجملة توحى بمعنى معين أو تؤكد معنى مقصود". (الحسن، 2017م، 23-24)

توظيف فترات الصمت:

الأصل في الإذاعة أنها وسيلة سمعية، فبرهة الصمت هي الخروج عن القاعدة التي تجذب اهتمام المتلقي أكثر من أي شيء لما بعد الصمت (فتح الرحمن، 2010م، 53). تعكس فترات الصمت معاني كثيرة في العمل الإذاعي، فهي إلى جانب استخدامها فاصلاً بين الكلمات والجمال والعبارات، يمكن توظيفها لإحداث تأثير معين في حالات محددة. (عبد الغفار، 2013م، 37).

إن فترات الصمت من الإمكانيات الفنية التي تحتاج إلى فريق إذاعي يقوده مخرج خلّاق يعمل على حسن توظيفها، ومن المزايا التي توفرها توظيف فترات الصمت جعل المستمع يعيش جو البرنامج أو التمثيلية الإذاعية، ويكون محيطاً بكل التفاصيل، كما أن هذه الثواني من الصمت تعين المستمع في الترتيب الدقيق للأحداث ومشاركاً أصيلاً فيها.

المؤثرات الصوتية:

وفقاً لما يرى (روبرت هيلارد وماجي الحلواني)، هناك مجموعتان رئيسيتان من المؤثرات الصوتية تشمل المجموعة المسجلة والمجموعة اليدوية؛ إذ إن أي تأثير صوتي مرغوب يمكن أن يوجد في داخل القرص المبرمج (CD)، أو في داخل شريط التسجيل التقليدي، وعادة ما تكون المؤثرات الصوتية الحية أكثر تأثيراً من سواها، وتشمل المؤثرات اليدوية أحياناً مثل فتح الباب أو غلقه (هذه الأصوات يمكن أن تنبعث من الباب الصغير الفعلي الموجود قرب المايكروفون) وأصوات خشخشة ورق السلوفان الذي يوحى بصوت النار المشتعلة، ومن المهم أن لا تكون هناك مبالغة في استخدام المؤثرات الصوتية، وأن تتحدد في المواقف التي تستدعي ذلك فقط.

وتهدف المؤثرات الصوتية إلى تصوير المكان والديكور الذي تقع فيه الأحداث، كما تسعى المؤثرات الصوتية إلى تحديد زمن الأحداث، وتوجيه انتباه المستمع إلى الأحداث فضلاً عن الربط بين فقرات البرنامج، وتعميق الاحساس بالفكرة البرمجية، والمشاركة في الإحياء بتطورات الأحداث (الحديثي، 2019م، 52)

يرى الباحثان أن العصر الحديث قد شهد تطوراً كبيراً في استخدام المؤثرات الصوتية في البرامج الإعلامية كافة، ولم يقتصر هذا الاستخدام على البرامج الإذاعية فقط، بل تعداه إلى البرامج التلفزيونية

كذلك، إذ يتم وضع المؤثرات الصوتية عن طريق استخدام الكمبيوتر. ولم يتوقف هذا الاستخدام على المؤثرات الجاهزة، بل صارت عملية المحاكاة للمؤثر الصوتي أيسر وأكثر استخداماً خاصة في البرامج الإذاعية إذ تحدث تلك المؤثرات نقلة للمستمع بين المسامع والتأثير على المزاج العام للحالة السمعية.

اللغة:

إن الكلمة المنطوقة هي وحدة الأداء، وهي الكلمة التي يمكن ترجمتها إلى الصوت، وتلك التي تساعد على تكوين الصورة الذهنية لدى المتلقي. ومن مميزاتها أنها كلمة مقبولة ومفهومة، وبسيطة، وغير متكلفة. وأسلوب كتابة هذه الكلمة يمكن تسميته بالأدب الإذاعي. (الحسن، 2008م، 87)

يعتمد الممثل الإذاعي على اللغة المنطوقة دون سواها في الأداء، لذا فهو مطالب بأن ينقل للمستمعين كل أحداث القصة بتفاصيلها الدقيقة وانفعالاتها من خلال الأداء الصوتي المجرد. ولغة الحوار الدرامي هي سيدة الموقف في الدراما الإذاعية. وهي التي تقوم مقام الإكسسوار والإضاءة والديكور والملابس، وكل ما تعرضه خشبة المسرح أو شاشة السينما أو التلفزيون، والملاحظ أن لغة التمثيلية الإذاعية ليست لغة مستقرة على حال واحدة، بل تختلف باختلاف المواقف الدرامية ذاتها. (عوض، 2001م، 118)

يرى الباحثان أن عملية صنع المادة الإذاعية المقدمة للجمهور ينبغي أن تراعى فيها بعض الأمور التي تتعلق بقراءة نفسية الجمهور واحتياجاته، من هذه الأمور اختيار اللغة التي تقدم بها المادة الإذاعية وعلى أساسها ينبنى نجاح العملية الاتصالية من عدمه.

المسامع:

المسمع هو الوحدة التي يتم على أساسها بناء التمثيلية كلها. وهو أصغر وحدات العمل الإذاعي الدرامي، ويقابله في التلفزيون (المشهد)، وعلى المؤلف كتابة كل مسمع في دراماه بدقة كافية لإظهار عناصره (زمان، مكان، حدث، شخصيات)؛ لذا وجب على المؤلف توزيع عمله إلى مسامع، ولكل مسمع فكرته المحددة في إطار البنية الكلية للتمثيلية. (الفاضل، 1995م، 17)

الموسيقى الدرامية:

الموسيقى الدرامية هي الموسيقى التي يتم توظيفها للتعبير عن مواقف معينة؛ فهي تساعد على تصوير الجو النفسي للموقف بوصفه عاملاً مساعداً لنقل هذا الجو للمستمع. ونجد أنه عن طريق هذه الموسيقى الدرامية نستطيع تصوير مواقف كثيرة منها: مواقف الحب والفرح والحزن والترقب والألم واليأس.

وكذلك تستخدم الموسيقى الدرامية في عمل الألحان المميزة للبرامج والأعمال الدرامية مثل التمثيليات والمسلسلات وعلى أنها نقالات وفواصل من مسموع إلى مسموع، ومن فقرة إلى فقرة. فالموسيقى الدرامية تكون مصاحبة للعمل ودافعة له في أحيان كثيرة بحيث تقوم مقام بعض أجزاء الحوار والمواقف. (البريدي، 2016م، 39). وفي كثير من (المسامع) تزداد أهمية الموسيقى الدرامية عن أهمية الحوار حيث يتاح لها المجال للظهور والتأثير والتعبير عن المواقف الصامتة التي لا تتضمن حواراً؛ وهي بذلك "تعد عنصراً مهماً من عناصر التعبير الفني" (محمد، 2005م، 197).

تسمي الموسيقى الدرامية لدى بعض المتخصصين بالموسيقى التصويرية، وهي التي توظف بغرض التركيز على حدث بعينه داخل المسامع الإذاعية. وقد يعاد استخدام الموسيقى التصويرية في التمثيلية أو المسلسل وجعلها فواصل صوتية، كما تستخدم موسيقى تصويرية من بعض المؤلفات القديمة من أسطوانات وأغان.

الإطار الميداني: إجراءات الدراسة الميدانية

مجتمع البحث:

يقصد بمجتمع البحث جميع مفردات الظاهرة المراد دراستها، سواء أكانت هذه المفردات بشراً، أم مؤسسة، أم أنشطة تربوية، أو نصوص مكتوبة، أو منطوقة، أو غير ذلك. (المشهداني، 2017، ص 43). ويقصد بمجتمع البحث أيضاً جميع مفردات أو وحدات الظاهرة موضوع الدراسة. وشمل المجتمع عينة من حلقات البرنامج.

حجم عينة البحث:

ويشمل عينة البحث جميع حلقات برنامج دكان ود البصير الذي يث عبر الإذاعة السودانية وذلك خلال الفترة (2016-2017م)، ويبلغ مجموع الحلقات لهذه الفترة (49) حلقة، (محمود، 2021م) بواقع (34) حلقة بثت خلال العام 2016م بنسبة (69%)، و (15) حلقة بثت خلال العام 2017م بنسبة (31%).

طريقة سحب العينة:

استخدم الباحثان أسلوب العينة بديلاً للحصر الشامل، ويمكن تعريف العينة بأنها نموذجاً، يشمل جانباً أو جزءاً من وحدات المجتمع الأصلي المعني بالبحث، تكون ممثلة له، بحيث تحمل صفاته المشتركة، وتغني الباحثين عن دراسة كل المجتمع الأصلي (قنديلجي، 2007م، 137). وفي تحليل المضمون يتم

اختيار العينة وفقاً للأسبوع الصناعي (عينة منتظمة)، ولكن لعدم الاستقرار أو الانتظام في بث الحلقات قام الباحثان باختيار العينة وفقاً للطريقة العشوائية البسيطة، وتعرف بأنها الطريقة التي تؤدي إلى احتمال اختيار أي فرد من أفراد المجتمع بوصفه عنصراً من عناصر العينة، فلكل فرد فرصة متساوية لاختياره ضمن أفراد العينة، كما أن اختيار أي فرد في العينة لا يؤثر في اختيار فرد آخر (أبوعلام، 2006م، 165). وهناك عدد من المبررات لاختيار العينة العشوائية البسيطة:

1. احتمالية التمثيل الحقيقي فيها أعلى من الطرق غير العشوائية.
 2. تساعد هذه الطريقة على الحصول على فروق ضئيلة، وغير منتظمة بين خصائص المجتمع وخصائص العينة.
 3. أي فروق تحدث بين خصائص المجتمع وخصائص العينة هي وليدة الصدفة، وليست راجعة إلى أي تحيز مقصود كان أم غير مقصود.
- وقد تم اختيار العينة وفقاً للطريقة العشوائية البسيطة بدلاً عن الأسبوع الصناعي نظراً لعدم الاستقرار في بث حلقات البرنامج.
- تمكن الباحثان من الحصول على حلقات البرنامج من الإذاعة السودانية حيث تم تحديد عدد الحلقات التي تم بثها في كلا العامين. وبلغت عينة البحث (13) حلقة من حلقات برنامج دكان ود البصير مقسمة على العامين (2016، 2017م) ووفقاً لنسب توزيع عدد حلقات المجتمع على العامين. لذا اختار الباحثان عينة عشوائية بسيطة مكونة من (9) حلقات من حلقات العام 2016م بنسبة (69%) من العينة، واختاراً (4) حلقات عشوائياً من حلقات العام 2017م بنسبة (31%). وتبلغ العينة حوالي (26%) من المجتمع الكلي لذا فهي عينة مناسبة، وممثلة للمجتمع.

اختبار الصدق والثبات:

صدق أداة البحث:

يقصد بصدق بالأداة مدى صلاحيتها في قياس ما وضعت لقياسه، (سليمان، 2009م، 584) للتحقق من صدق أداة البحث. وقد قام الباحثان بعرضها على عدد من المحكمين الأكاديميين للتأكد من صحتها العلمية في مجال الإعلام. وقد قدم المحكمون عدداً من الملاحظات على استمارة تحليل المحتوى.

ثبات أداة البحث:

يقصد بالثبات مدى قدرة المقياس على إعطاء نفس النتائج، أو قربة منها عند إعادة تطبيق المقياس

في فترات مختلفة. (محمود، 2019م، 676). وعلى هذا الأساس تسعى عملية الثبات إلى التأكد من وجود درجة عالية من الاتساق بالنسبة للبعدين الآتين:

- أ. الاتساق بين الباحثين القائمين بالتحليل: الاتساق بين محللين، ويعني توصل محللين يعملان بشكل منفرد أحدهما عن الآخر إلى النتائج نفسها، أو إلى نتائج متقاربة عندما يستعملان التصنيف نفسه، ويتبعان خطوات التحليل وقواعده نفسها.
- ب. الاتساق الزمني: وهو أن يتوصل الباحث إلى النتائج نفسها بتطبيق فئات التحليل ووحداته نفسها على المضمون نفسه إذا جرى التحليل في أوقات مختلفة، أي أن يعيد الباحث إجراء البحث بعد مضي شهر أو أكثر على إجرائه التحليل الأول.

وسواء استخدم الباحث الأسلوب الأول أو الثاني فيجب أن يكون هناك اتفاق عال بين الباحثين في الطريقة الأولى أو بين التحليل الأول والثاني إذا استخدم الباحثان الطريقة الثانية ويجب أن تكون التغيرات بين التحليلين طفيفة، ويتم حساب ذلك عن طريق معادلة رياضية إحصائية تعرف بمعادلة هولستي (المشهداني، 2017م، 130-130) وهي:

$$\frac{2^M}{(2^n) + (1^n)} = \text{معامل الثبات}$$

حيث n :

M = عدد الحالات المتفق عليها.

$n = 1$ = عدد الحالات التي قام بترميزها المحكم رقم (1) أو الباحثان في التحليل الأول.

$n = 2$ = عدد الحالات التي قام بترميزها المحكم رقم (2) أو الباحثان في التحليل الثاني.

لإيجاد ثبات أداة البحث قام الباحثان بتحليل أربع حلقات من برنامج دكان ود البصير في الدراسة الاستطلاعية، ثلاثة من العام 2016م، وواحدة من العام 2017م وقد تم اختيارها عشوائياً ثم بعد نحو أربع أسابيع أعاد التحليل مرة أخرى. قام الباحثان بإيجاد الثبات لاستمارة تحليل المحتوى من خلال معادلة الثبات لهولستي، حيث قام باستخراج معامل الثبات لكل (بُعد) أو لكل جدول ثم استخرج الثبات الكلي للاستمارة، وبعد ذلك استخرج الصديق الذاتي. والجدول التالي يبين نتائج الدراسة الاستطلاعية.

جدول (1) يوضح نتائج التحليل الأول والثاني والثبات والصدق الذاتي لجميع الفئات

| النوع | التحليل الأول | التحليل الثاني | نقاط الاتفاق | نقاط الاختلاف | الثبات | الصدق الذاتي |
|-------------------------------|---------------|----------------|--------------|---------------|--------|--------------|
| الفئة الرئيسية | | | | | | |
| الإمكانات الفنية | 377 | 388 | 377 | 11 | 0.98 | 0.98 |
| الفئات الفرعية | | | | | | |
| الصوت البشري | 98 | 100 | 98 | 2 | 0.98 | 0.98 |
| المؤثرات الصوتية | 7 | 9 | 7 | 2 | 0.87 | 0.93 |
| فترات الصمت | 86 | 86 | 86 | 0 | 1 | 1 |
| عدد المسامع | 84 | 88 | 84 | 4 | 0.97 | 0.98 |
| الموسيقى الدرامية | 8 | 8 | 8 | 0 | 1 | 1 |
| اللغة | 94 | 97 | 94 | 3 | 0.98 | 0.98 |
| القلب | 75 | 76 | 75 | 1 | 0.99 | 0.99 |
| مصادر المعلومات | 22 | 24 | 22 | 2 | 0.95 | 0.97 |
| الموضوعات | 63 | 63 | 63 | 0 | 1 | 1 |
| الاتجاهات | 44 | 44 | 44 | 0 | 1 | 1 |
| مجموع الفئات الفرعية (الكلية) | 581 | 595 | 581 | 14 | 0.98 | 0.98 |

يتضح من جدول (1) الذي يوضح نتائج التحليل الأول والثاني في الدراسة الاستطلاعية ويبين نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف، ومنه تم استخراج قيم الثبات عن طريق معادلة هولستي ومن قيم الثبات تم استخراج الصدق الذاتي لأبعاد استمارة الإمكانيات الفنية، يتضح من الجدول أن الثبات لجدول الفئة الرئيسية للإمكانيات الفنية بلغ (0.98) وبلغ الصدق الذاتي (0.98). ويتضح أيضاً أن الثبات للفئات الفرعية تراوح بين (0.87، 1) وهي نسب عالية تدل على صلاحية الاستمارة للاستخدام في الدراسة الحالية حيث أن الثبات (0.70) يكون كافياً لاعتماد صلاحية الاستمارة وأن الثبات (0.80 فأعلى) يعد درجة عالية. بين الجدول كذلك أن الصدق الذاتي للاستمارة تراوح بين (0.93، 1) وهي أيضاً نسب عالية. يستنتج من نتائج التحليل للدراسة الاستطلاعية صلاحية استمارة تحليل المحتوى للاستخدام في الدراسة الحالية.

برنامج دكان ود البصير:

ثمة برامج تقدمها الإذاعة السودانية تعرف ببرامج المتابعة الجماهيرية. ويغلب على هذه البرامج التفاعلية بين الجمهور والإذاعة إلا أن هناك بعض البرامج خالفت هذه القاعدة، ووجدت متابعة كثيرة رغم أنها تعتمد على المادة المسجلة كبرنامج دكان ود البصير، الذي استمرت الإذاعة السودانية في تقديمه قرابة الأربعة عقود. يتناول الباحثان في هذا المبحث برنامج دكان ود البصير من حيث الفكرة وهدف البرنامج، والرسائل التي يقوم بها، والشخصيات المؤدية للأدوار.

فكرة البرنامج:

لما كانت الدراما الإذاعية مادة مقبولة للمستمع على اختلاف بيئته جاءت فكرة قيام برنامج يربط بين الجانب الكوميدي والتاريخي في قالب بجمع بين المتعة والنفع؛ أي بين الترفيه والمعلومة، وإذا ما أخذنا في الاعتبار عملية الإعداد الإذاعي التي تحتاج إلى وعي بطبيعة الجمهور المقدمة له المادة نجد أن برنامج دكان ود البصير قد وجد منطقة وسطى تتيح له درجة من القبول من كل الفئات؛ حيث يجد المثقف ومتوسط التعليم والأمي ضالته في هذا البرنامج.

إن الفكرة المركزية التي يقوم عليها البرنامج هي تعميق المضمون عبر قضايا وعلاقات اجتماعية، ومن ثم الولوج للأحداث والقضايا التاريخية، والتعريف بتاريخ السودان عن طريق تقديمه في قالب مبسط يتناسب مع جميع المستويات، إن حلقات البرنامج لا تركز على جانب واحد يكون الحديث حوله بل تتنوع الموضوعات بجانب الموضوع الرئيسي في نسج درامي بنائي متصل الأفكار متنوع الطرح.

ووفقاً لكاتب البرنامج ومعدّه الدكتور عبدالمطلب الفحل، فقد أراد أن يقدم تاريخ السودان للمستمع في قالب مقبول ومهضوم، فوجد أن أقرب القوالب مناسبة لهذه الفكرة هو الدراما، ومن المعروف أن الدراما تنقسم إلى قسمين كوميديا وتراجيديا، ولم يرد أن يجعل الناس ييكون إنما أراد أن يجعل في حياتهم الطرفة، وليس الطرفة من أجل الطرفة فقط، بل هناك رسائل يعمل البرنامج على إيصالها للمستمع لهضم المادة التاريخية باعتبارها مقبلات مثل الدراما الكوميديا بشكل عام، وذلك بالتركيز على الكوميديا الراقية التي لا تسيء لأحد، ولا تنقص من قدره.

وقد حاول الكاتب التركيز في الدراما على التاريخ باعتبار أن الدراما ناقل للتاريخ، فليس من المستحسن أن نبدأ مباشرة بالتاريخ إذ تكون بداية البرنامج بمدخل تعريفية للمستمع بتناول القضايا الحياتية. فهذه الموضوعات تمثل أداة جذب للمستمع فيعبر الانتباه للبرنامج؛ ليجد نفسه متابعاً لأحداث

التاريخ وهو الهدف من البرنامج. فالإحساس الداخلي للكاتب يعطيه التصور للمدى الزمنى الذي يستطيع المستمع أن يقبل المعلومة الجافة، وهنا يتم تغيير المسامع بقطع الحديث ليكون بداية موضوع جديد، أو دخول أحد الممثلين فيسلم عليهم لكسر الحدة للمسمع، ثم بعد هذا التداخل والشعور بأن المستمع قد تغيرت حالته يتم العودة إلى التاريخ مرة أخرى (الفحل، 2021م)

وقد أقر د. عبدالمطلب الفحل في مقابلة مع الإعلامي سعيد عباس (عباس، 2021م) أنه لم يكتب أي كلمة في البرنامج بلا مرجع طوال (35) عاماً، وأنه قدم عشرات المراجع خلال الحلقات. ورغم أن البرنامج لم يتعرض لأي محاولات حكومية لإيقافه إلا أن السياسيين كانوا متابعين له لحظة بلحظة. ومن دلائل ذلك أن في إحدى المرات قابل وزير التعليم وقد ذكره بحلقة انتقد فيها المعاناة في شراء الطباشير والكراسات والكتب. وقد وجد البرنامج استمراريته من تفاعل الناس معه سواء مواطنين بسطاء أو مثقفين أو سياسيين. ومن أهم ما يتعلق بالنص أنه يتميز بالحيوية فالكاتب يعطي للممثلين حرية الحركة داخل النص فمثلاً الممثل يمكنه أن يقول (إنت يا ود الضهبان بقيت ما بتشوف نظرك ما ضعف، فيقوم الآخر يرد) فهذا يجعل المزاج السوداني حاضراً في النص.

نشأة البرنامج:

بدأت فكرة البرنامج عام 1980م بغرض عرض تاريخ السودان بصورة سهلة وسلسة، وذلك هو الأسلوب الأمثل، وأفضل أنواع العمل الإذاعي لدى المستمعين. واللغة المستخدمة هي اللغة الوسطى المفهومة والمحبوكة للجميع، على أن تكون بعض الفقرات باللغة الفصحى بالذات النصوص التاريخية مثلاً، وأقوال وأحاديث الساسة والمفكرين. أما لماذا تم اختيار دكان ود البصير ليكون مكاناً ومسرحاً لهذا البرنامج، فلأنه بمثابة النادي ويوجد في جميع مدن السودان وقراه، ويجمع كل فئات المجتمع. واختير اسم ود البصير لأن البصير في السودان هو صاحب الحكمة، يعالج قضايا الناس، ويعالج المرضى بالطب الشعبي النبوي أحياناً، ويقدم الأمثال الشعبية والعربية والأشعار والأغاني والمدائح وغيرها (عبدالجبار، 2015م، 240-241)

قال الأستاذ إبراهيم البرعي أنه أول من أخرج هذا البرنامج قائلاً: "أن فكرة البرنامج وجدت من واقع تعليم مادة التاريخ التوثيقي عن طريق الدراما وكان ذلك عام (1982-1983م). ويتصور الأستاذ البرعي أن هذا الدكان وهو في الواقع الأمر ليس خيالاً بل استوحاه من دكان موجود في (أبو روف) ويحمل الاسم نفسه. ولعله قصد باختياره لهذا الاسم الرمز إلى التاريخ والإشارة إلى ذلك وكما يقال بأن ود البصير هو أحد أفراد جيش المهدي، وأحد رجال المهدي. ولعل عراقية (أبو روف) الموجودة بأمدردمان حالياً تمثل التاريخ، وترمز أيضاً إلى جو (الدكان- البرنامج).

وأوضح صاحب البرنامج أن الغرض هو دراسة التاريخ بصورة درامية ليسهل للمستمع الاستفادة من هذه المعلومات. وفي بداية هذا البرنامج أخذ تاريخاً جافاً وبعده كانت رؤية المخرج هي ربط هذه الحقائق التاريخية والوثائق مع العلاقات الاجتماعية، وتعميق هذا المضمون بدراما اجتماعية، وبدأ بالفعل بالفلسفة الرامية إلى التعليم والتثقيف ودراما بنسب متفاوتة. وتكون هنالك معالجات اجتماعية للحياة اليومية. (السنوسي، 2019م، 131) وذكر بروفيسور صلاح الدين الفاضل أن أولى حلقات البرنامج تم بثها في العام (1982م) من إخراج إبراهيم البزعي (الفاضل، مقابلة، 2021م). ويرى الباحثان أن العام (1982م) هو التاريخ الأرجح لبداية البرنامج لقرب المخرجين من الإذاعة أكثر من المؤلف وقتها خاصة بروفيسر صلاح الدين الفاضل الذي كان من القلائل الذين وثقوا للدراما الإذاعية.

تفاصيل البرنامج:

اسم البرنامج: برنامج دكان ود البصير

مكان البث: الإذاعة السودانية هنا أم درمان على الموجة أف أم 95، وعلى الموجات المتوسطة والقصيرة والطويلة وعلى الانترنت.

زمن البث وتاريخه: الجمعة الساعة الخامسة عصراً، ويعاد الاثنين عند العاشرة والنصف صباحاً.

مدة البرنامج: 23 إلى 25 دقيقة.

نوع البرنامج: برنامج تسجيلي.

الفئة: برنامج تاريخي بمعالجة درامية اجتماعية.

المعد: عبد المطلب الفحل

المخرج: طاهرة محمد أحمد

شعار البرنامج:

عرف المستمع للإذاعة بعض البرامج من شعاراتها أيّاً كان شكل الشعار بصوت مديع، أو مؤثر صوتي، أو موسيقى مخصصة. مثل ما تميزت تلك البرامج الإذاعية بشعاراتها، فإن لبرنامج دكان ود البصير شعار يميزه عن بقية البرامج.

يبدأ برنامج دكان ود البصير بقول المذيع (الإذاعة السودانية تقدم دكان ود البصير) بعد ذلك يأتي شعار البرنامج. والشخص الذي قام بتسجيل الشعار هو أحد الممثلين في البرنامج وهو الممثل حاكم سلمان المعروف في البرنامج بشخصية ود سلمان. (دردشة مع د. عبدالمطلب الفحل، 2021م). ويقول عبدالمطلب الفحل أن الفضل في اختيار موسيقى شعار البرنامج يعود إلى الأستاذ إبراهيم البزعي، وهو أول من أخرج البرنامج. والشعار مأخوذ من مقدمة موسيقية لأغنية (يقظة شعب) التي كتبها الشاعر النوبي مرسي صالح سراج، وغناها الفنان محمد وردي. (الفحل، 2021م)

يلاحظ الباحثان أن استخدام موسيقى الشعار في البرنامج تنقسم إلى موسيقى مقدمة وهي التي تلي صوت المذيع، بعدها يتم ذكر أسماء فريق العمل على غير المعتاد في بقية البرامج الدرامية الأخرى حيث يتم الاكتفاء بذكر اسم المعد والمخرج فقط، وأيضاً في الختام يأتي الشعار بعد كلمة المذيع (كنتم مع برنامج دكان ود البصير) وذلك يعني أن الشعار يستخدم مقدمة وخاتمة في برنامج دكان ود البصير.

مادة البرنامج:

الأمر الذي يريده الباحثان معرفة الجوانب الفنية المتعلقة بالكتابة بصفتها واحدة من الإمكانيات الفنية المستخدمة في البرنامج على خلاف ما هو شائع أن الكتابة ترتبط بالمضمون مباشرة، والتنوع والشمول في الموضوعات فقط. إن عملية إعداد حلقة واحدة كانت تستغرق مدة يومين لكتابتها ويقوم الكاتب بتجهيز النص لحلقتين، النص الأول أساسي والثاني احتياطي وأحياناً قد يتم تسجيل النصين في حال حدوث ظروف طارئة لفريق العمل عندها يتم الرجوع إلى الحلقة البديلة، الكتابة من ناحية فنية للحلقة الواحدة تحتاج إلى ستة عشر صفحة (A4). ما يقوم به المعد هنا هو دور تشخيصي وإخراجي وصف كامل للشخصيات مع بيان للمسامع وطرق الأداة وذكر عبارات مثل يضحكون، يتضجرون، يسخر أحدهم من موقف ما، إذن دور المخرج هنا دور تنفيذي أكثر منه تفسيري. (الفحل، 2021م)

الشخصيات:

قدم برنامج دكان ود البصير خلال مسيرته التي قاربت الأربعين عاماً شخصيات درامية متنوعة الأداء، بأسماء معروفة للمستمع منها الثابت ومنها المتغير حسب ما تتطلبه ظروف الحلقات، وما يستجد من أحداث. ووفقاً لمتابعة الباحثين واستماعه لحلقات البرنامج فسيحاول تقديم قراءة للشخصيات التي شاركت في برنامج دكان ود البصير بالإذاعة السودانية:

1. شخصية ود البصير، هي الشخصية المحورية التي عليها مدار حلقات البرنامج. وود البصير هو رجل كبير، ومن أعيان القرية، وهو صاحب الدكان حيث اجتماع الناس وتفاركهم وتشاركهم في القضايا الخاصة والعامة. وقد قام بتأديتها الممثل يس عبدالقادر عليه رحمة الله، واختفت بذلك شخصية ود البصير كدور، لكن ظل الدكان منارة في القرية.
2. شخصية د. عمر، هي شخصية عالية الثقافة، وهو طبيب يرجع إليه أهل القرية في المسائل الطبية وتلقي المعرفة، وهو الذي يدير دفة الحوار في التاريخ، ومعظم حديثه في البرنامج باللغة العربية الفصحى. وفي أداء هذه الشخصية الممثل عثمان محمد صالح.
3. شخصية أستاذ السر، هي شخصية معلم متقاعد بالمعاش لديه ذخيرة لغوية ومعرفية جيدة، وهو من مديري الحوار. وفي تمثيل هذه الشخصية الممثل عثمان علي الفكي.
4. شخصية الباشمهندس: اشتهر في الدكان بهذا الاسم، ولا يعرف المستمع للبرنامج من هو المهندس. وغالباً ما يرجع إليه أهل الدكان والقرية في الاستشارات المتعلقة بالمباني والشوارع خاصة أثناء الخريف. ويؤدي هذه الشخصية الممثل عبدالفتاح محمد عبدالفتاح.
5. شخصية طيفور، هو الذي خلف شخصية ود البصير في الدكان، ويقوم بتجهيز الماء والبلح للجالسين، وهو أصغرهم لأنه يناديهم بـ (عمي فلان). ويقوم بأداء هذه الشخصية الممثل عبدالعظيم أحمد عبدالقادر.
6. شخصية حاج سعيد، هو رجل جزار مسئول عن توفير اللحم لأهل القرية. ودائماً ما يقول عنه د. عمر "حاج سعيد بعرف من وين تؤكل الكتف". ويؤدي هذه الشخصية الممثل عبد الرافع حسن بخيت.
7. شخصية ود الذهبان، هذه الشخصية أقرب للشخصية السودانية العادية، يصبر على تلبية الدعوات، ويكثر من حلف الطلاق، ولا يمكن أن يفصل المستمع بينه وبين شخصية ود سلمان لاستشهاده به في الحديث بقوله: (ولا كيف يا ود سلمان). ويقوم بتأدية شخصية ود الذهبان الممثل حسبو محمد عبدالله.
8. شخصية ود سلمان، هي من الشخصيات المعروفة في الدكان بحبها للأكل عامة، ولحم الضأن بصفة خاصة، حتى أن الطرائف التي في البرنامج من مشاكسات بين ود الذهبان وود سلمان حول أسعار اللحم. وفي أداء دور هذه الشخصية الممثل حاكم سلمان، وهو الشخص الوحيد الذي يرتبط اسمه في البرنامج باسمه الحقيقي.
9. شخصية حاج مكي، هي من الشخصيات غير الرئيسة في البرنامج، حيث تتغيب في كثير من الحلقات، وهو متزوج من (الحجة)، وهو ممثل باسمه الحقيقي (مكي محمد عثمان).
10. شخصية (الحجة)، هي المرأة الوحيدة التي تشكل حضوراً بين الرجال في برنامج دكان ود البصير، وتسمى بالمصطلح السوداني (فَرَّاشَة)، وهي زوجة حاج مكي. وتؤدي هذه الشخصية الممثلة فتحية محمد أحمد.

11. شخصية (سلام جا)، وهذه الشخصية كانت في السابق صوتاً لأبناء الجنوب، وبعد انفصال الجنوب قام معد البرنامج بتحويل الشخصية مع الإبقاء على الممثل الذي يؤدي الدور علماً بأن الممثل ليس من أبناء الجنوب، والاسم الجديد هو (ود البلاغ) في شخصية مزارع بسيط، ويؤديها الممثل الرشيد أحمد.
 12. شخصية (ود الفكي) وهي من الشخصيات المؤسسة لدكان ود البصير، وهي شخصية مرحلة معروفة بالطرفة، وبادعاء المعرفة، وكذلك هو معروف بشعر الدوبيت، وأثناء الحوار يمثل صوته جزءاً من المؤثرات الصوتية البشرية. ويؤدي هذه الشخصية الممثل عبدالرحمن الشبلي.
- التسجيل والمونتاج للبرنامج:**

يتم تسجيل حلقات برنامج دكان ود البصير بأستديوهات الإذاعة السودانية قبل يوم الجمعة بثلاثة أيام، وغالباً يوم الاثنين. و تتم عملية التسجيل وفق تجهيز النص من قبل المعد لمتابعة المخرج. وقد تعاقب على إدارة العملية الفنية عدد من الفنانين أمثال الرشيد أحمد، وبكري مشي، وعباس محمود. كانت عملية المونتاج في السابق شاقة ومتعبة، وتستغرق وقتاً طويلاً عن طريق الأشرطة التي يتم فيها تسجيل المادة المراد إجراء المونتاج لها، ولكن بعد ظهور المونتاج الرقمي أصبح الأمر سهلاً. والذي يسهل عملية المونتاج في هذا البرنامج ثبات الشخصيات، وعدم وجود مادة خارجية أو فواصل. (محمود، 2021)

المخرجون الذين تعاقبوا على البرنامج:

1. أول من قام بإخراج برنامج دكان ود البصير هو المخرج إبراهيم البزعي، وهو صاحب اقتراح تخفيف المادة التاريخية للبرنامج، وتنوع الأداء؛ وذلك لمراعاة تفاوت المستمعين.
2. محمد بشير دفع الله، وهو معروف بشخصية حريكة.
3. عمر إسماعيل العمراني، وهو كاتب ومخرج.
4. أحمد عبدالله عمر، وهو كاتب ومخرج.
5. سعاد محمد الحسن، ممثلة ومخرجة.
6. طاهرة محمد أحمد، وهي آخر المخرجين حتى توقف البرنامج. (بخيت، 2021م)

العمل الميداني:

فئات التحليل:

يقصد بفئة التحليل مجموعة من الكلمات ذات معنى متشابه أو تضمينات مشتركة. وتعرف أيضاً بأنها العناصر الرئيسة أو الثانوية التي يتم وضع وحدات التحليل فيها (كلمة أو موضوع أو قيم... إلخ)، والتي يمكن وضع كل صفة من صفات المحتوى فيها، وتصنف على أساسها. (طعيمة، 2004م، 272) يعتمد تحليل

المضمون في دقته على تصنيف المادة حسب مضمونها؛ لذلك يحتاج الباحثان للدقة والموضوعية في عملية التصنيف.

قام الباحثان بتصنيف فئات التحليل أولاً حسب الإمكانيات الفنية الرئيسية، وشملت فئات (الصوت البشري، المؤثرات الصوتية، فترات الصمت، عدد المسامع، الموسيقى الدرامية، اللغة). ثم فئات الصوت البشري وشمل (نبرة صوت حادة، نبرة صوت متوسطة، نبرة صوت منخفضة، تقليد أصلي، تقليد غير أصلي). وفئات المؤثرات الصوتية وشملت (أصوات طبيعية (بشرية)، أصوات طبيعية (من الطبيعة)، أصوات مصنوعة (فتح باب، مرور سيارة). ثم فئات فترات الصمت وشملت (الصمت الاستفهامي، الصمت التعجبي، الصمت الختامي). ثم عدد المسامع. وهناك أيضاً فئات الموسيقى الدرامية وشملت (موسيقى فواصل (دخول وخروج، وموسيقى مواقف). وفئات اللغة وشملت (الفصحى، الدارجة، لغة المثقفين، لهجات المناطق). وفئات القالب وشملت (التقرير، القصة، الخبر، الطرفة، الحوار). وفئات مصادر المعلومات وشملت (المصادر التاريخية، الكتب، رسائل الدكان، أخرى). وفئات الموضوعات وشملت (التاريخي، السياسي، الديني، الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي، أخرى). وأخيراً فئات الاتجاهات وشملت (التثقيف، الترفيه، التوعية، التعليم).

يستنتج من نتائج التحليل للدراسة الاستطلاعية صلاحية استمارة تحليل المحتوى للاستخدام في الدراسة الحالية.

تحليل الدراسة الميدانية.

عرض نتائج التحليل:

السؤال الرئيس، ما هي أبرز الإمكانيات الفنية للراديو المستخدمة في برنامج دكان ود البصير؟

جداول التحليل:

جدول رقم (2) يوضح الإمكانيات الفنية المستخدمة في برنامج دكان ود البصير

| المرتبة | النسبة % | التكرار | الفئة |
|---------|----------|---------|------------------|
| الأولى | 26.90 | 322 | الصوت البشري |
| الخامسة | 2.25 | 27 | المؤثرات الصوتية |
| الثانية | 23.47 | 281 | فترات الصمت |

| | | | |
|-------------------|------|-------|---------|
| عدد المسامع | 279 | 23.30 | الثالثة |
| الموسيقى الدرامية | 26 | 2.17 | السادسة |
| اللغة | 262 | 21.88 | الرابعة |
| المجموع | 1197 | %100 | |

يتضح من جدول (2) أن الصوت البشري أتى في المرتبة الأولى بين الإمكانيات الفنية المستخدمة في برنامج دكان ود البصير بنسبة (26.90%)، وفي المرتبة الثانية أتت فترات الصمت بنسبة (23.47%)، ثم المسامع بنسبة (23.30%)، واللغة في المرتبة الرابعة بنسبة (21.88%)، وفي المرتبة الخامسة المؤثرات الصوتية بنسبة (2.25%)، وفي المرتبة الأخيرة الموسيقى الدرامية بنسبة (2.17%). يرى الباحثان أن هذه الإمكانيات الفنية تمثل المنظومة السماعية التي يخاطب بها الراديو المستمع، ويعزي الباحثان مجيء الصوت البشري في المرتبة الأولى لاعتماد الرسالة الإعلامية المسموعة بشكل كبير عليه؛ إذ ليس منطقياً تصميم رسالة إذاعية مسموعة دون أن يكون الصوت البشري متضمناً لها.

جدول رقم (3) يوضح وحدات الصوت البشري

| المرتبة | النسبة % | التكرار | الفئة |
|---------|----------|---------|-----------------|
| الثانية | 32.60 | 105 | نبرة صوت حادة |
| الأولى | 45.03 | 145 | نبرة صوت متوسطة |
| الثالثة | 17.08 | 55 | نبرة صوت منخفضة |
| الخامسة | 2.17 | 7 | تقليد أصلي |
| الرابعة | 3.10 | 10 | تقليد غير أصلي |
| | %100 | 322 | المجموع |

يتضح من جدول (3) الذي يوضح وحدات الصوت البشري أن نبرة الصوت المتوسطة جاءت في المرتبة الأولى بنسبة (45.03%)، والحادة في المرتبة الثانية بنسبة (32.60%)، والمنخفضة في المرتبة الثالثة بنسبة (17.08%)، والتقليد غير الأصلي في المرتبة الرابعة بنسبة (3.10%)، والتقليد الأصلي في المرتبة الخامسة بنسبة (2.17%).

تتنوع المساحة الإذاعية في الأصوات وذلك من خلال مساحة التنوع الصوتي واستخدام النبرة الخاصة بكل صوت. ويرى الباحثان أن كثيراً من الممثلين في برنامج دكان ود البصير يتفاوت استخدامهم لنبرات الصوت كل حسب قدراته؛ لذلك جاء استخدام النبرة المتوسطة بشكل أكبر لأنها تمثل المنطقة

الوسطى بين منطقتي القرار والجواب، والنبرة الحادة تستخدم عادة في إظهار الاندهاش أو التفاعل أو الانزعاج. وتم استخدام التقليد الأصلي وغير الأصلي بصورة ضعيفة، وربما يعود هذا الأمر إلى قلة المواقف المرتبطة بالتقليد الأصلي للأصوات المشابهة، أو غير الأصلي للأصوات غير المشابهة.

جدول رقم (4) يوضح المؤثرات الصوتية

| المرتبة | النسبة % | التكرار | الفئة |
|---------|----------|---------|------------------------------------|
| الأولى | 100 | 27 | أصوات طبيعية (بشرية) |
| - | - | - | أصوات طبيعية (من الطبيعة) |
| - | - | - | أصوات مصنوعة (فتح باب، مرور سيارة) |
| %100 | | 27 | المجموع |

يتضح من جدول (4) الذي يوضح المؤثرات الصوتية أن الأصوات الطبيعية البشرية حازت على النسبة الكاملة (100%) بينما لم تستخدم الأصوات الطبيعية من الطبيعة أو المصنوعة نهائياً. ويرى الباحثان أن اعتماد برنامج دكان ود البصير على الأصوات الطبيعية البشرية يعود إلى طبيعة البرنامج إذ أنه يعتمد على الحوار في نقل المادة التاريخية للمستمع في قالب درامي، إذ إن استخدام المؤثرات الصوتية في الغالب يكثر في حالة الدراما البحتة إضافة إلى مجموعة الممثلين في البرنامج والأزمان المخصص للحلقات فيعتمدون بشكل أكبر على المؤثرات الحية مثل التصفيق والطقطقة بالأصابع.

جدول رقم (5) يوضح فترات الصمت

| المرتبة | النسبة % | التكرار | الفئة |
|---------|----------|---------|--------------|
| الثانية | 34.87 | 98 | صمت استفهامي |
| الثالثة | 16.37 | 46 | صمت تعجبي |
| الأولى | 48.75 | 137 | صمت ختامي |
| %100 | | 281 | المجموع |

يتضح من جدول (5) الذي يختص بفترات الصمت أن الصمت الختامي أتى في المرتبة الأولى بنسبة (48.75%)، وفي المرتبة الثانية الصمت الاستفهامي بنسبة (34.87%)، والصمت التعجبي في المرتبة الثالثة بنسبة (16.37%). ويرى الباحثان أن الصمت الختامي يرتبط بالمسامع الإذاعية في أغلب الحالات، وهو بمثابة

تمهيد من الممثل للمستمع، ليستعد للانتقال إلى مسمع جديد بعد انتهاء المسمع السابق، أما الاستفهامي والتعجبي فيستخدمان للتركيز على القضية أو الخبر أو التقرير أو القصة.

جدول رقم (6) يوضح عدد المسامع

| المرتبة | النسبة % | التكرار | الفئة |
|---------|----------|---------|-------------|
| الأولى | 100 | 279 | عدد المسامع |

يوضح جدول (6) الذي يشير إلى عدد المسامع أنها بلغت (279) مسمع، بمتوسط (21.46) مسمعا للحلقة الواحدة البالغة (13) حلقة، وقد بلغ أقل عدد للمسامع في الحلقة الواحدة (18) مسمعا في الحلقة الثالثة في حين بلغ أعلى عدد من المسامع (23) مسمعا في الحلقة التاسعة. يرى الباحثان أن المسامع الإذاعية الخاصة ببرنامج دكان ود البصير تتنوع في طريقة الأداء، واشترك الشخصيات داخل المسمع الواحد، وطرح أكثر من فكرة داخل المسمع، وهذا مما يمكن أن يشوش المتلقي.

جدول رقم (7) يوضح الموسيقى الدرامية

| المرتبة | النسبة % | التكرار | الفئة |
|------------|----------|---------|----------------------------|
| الأولى - م | 50 | 13 | موسيقى فواصل (موسيقى دخول) |
| الأولى - م | 50 | 13 | موسيقى فواصل (موسيقى خروج) |
| - | - | - | موسيقى مواقف |
| 100% | | 26 | المجموع |

يتضح من جدول (7) الذي يشير إلى الموسيقى الدرامية أن موسيقى الفواصل (الدخول والخروج) استخدمت مناصفة بنسبة (50%)، بينما لم يتم استخدام موسيقى المواقف.

يرى الباحثان أن مخرجي البرنامج لم يبذلوا مجهوداً ملاحظاً في استخدام الموسيقى الدرامية بشكل يتناسب وجماهيرية البرنامج واكتفوا فقط باستخدام الموسيقى الدرامية في بداية ونهاية كل حلقة بغير فواصل تعطي انتقالاً مريحاً أما موسيقى المواقف لم يتم استخدامها إطلاقاً مع أن في البرنامج كثير من المسامع التي كانت تحتاج لاستخدام الموسيقى الدرامية.

جدول رقم (8) يوضح اللغة

| المرتبة | النسبة % | التكرار | الفئة |
|---------|----------|---------|-------------|
| الثانية | 35.49 | 93 | فصحى |
| الأولى | 49.61 | 130 | دارجة |
| الثالثة | 14.88 | 39 | لغة مثقفين |
| - | - | - | لهجات مناطق |
| %100 | | 262 | المجموع |

يتضح من جدول (8) الذي يتناول اللغة أن اللغة الدارجة أتت في المرتبة الأولى بنسبة (49.61%)، وفي المرتبة الثانية أتت اللغة الفصحى بنسبة (35.49%)، بينما جاءت لغات المثقفين في المرتبة الثالثة بنسبة (14.88%) بينما لم يتم استخدام لهجات المناطق نهائياً. يرى الباحثان أن استخدام اللغة الدارجة بشكل أكبر ضمن حلقات البرنامج كان أمراً متوقعاً نظراً للجمهور الذي يخاطبه البرنامج إذ ترتبط اللغة الدارجة بالوجدان العام مما يجعلها أكثر تأثيراً على المستمعين، أما الفصحى فغالباً ما تستخدم في المناقشات العلمية الجادة بين الممثلين، أما لغة المثقفين فتستخدم المصطلحات التي يعدها المستمع العادي غريبة في لفظها وهي لغة بعيدة عن قالب الدرامي، وهو القالب الأساسي في البرنامج، ونتيجة لاستخدام البرنامج للغة الوسطى العامة المفهومة والمتداولة بشكل واسع فلم تستخدم لهجات المناطق.

جدول رقم (9) يوضح القالب

| المرتبة | النسبة % | التكرار | الفئة |
|---------|----------|---------|---------|
| الخامسة | 5.08 | 12 | تقرير |
| الثالثة | 14.40 | 34 | قصة |
| الرابعة | 12.28 | 29 | خبر |
| الثانية | 28.81 | 68 | طرفة |
| الأولى | 39.40 | 93 | الحوار |
| %100 | | 236 | المجموع |

يتضح من جدول (9) أن قالب الحوار أتى في المرتبة الأولى بنسبة (39.40%)، وفي المرتبة الثانية قالب الطرفة (28.81%)، وأتى قالب القصة في المرتبة الثالثة بنسبة (14.40%)، ثم قالب الخبر بنسبة (12.28%)، وفي المرتبة الأخيرة قالب التقرير بنسبة (5.08%). يرى الباحثان أن برنامج دكان ود البصير اعتمد على عدد

من القوالب وهي الأشكال التي تقدم بها البرامج، ومن المعروف أن هذه القوالب ترتبط بنوعية البرامج داخل البرمجة الإذاعية، إلا أن هذا البرنامج جمع بين عدد من القوالب في طيات حلقاته تصدرها الحوار، الذي اعتمد عليه فريق العمل لارتباطه بتكوين المسامع، ثم الطرفة كأداة نقل جاذبة من مادة التاريخ إلى المادة الدرامية، أما التقارير فمثلت بعداً علمياً للبرنامج استفاد منها في مادته.

جدول رقم (10) يوضح مصادر المعلومات

| المرتبة | النسبة % | التكرار | الفئة |
|---------|----------|---------|---------------|
| الأولى | 45.34 | 39 | مصادر تاريخية |
| الثانية | 32.55 | 28 | كتب |
| الثالثة | 13.95 | 12 | رسائل الدكان |
| الرابعة | 8.13 | 7 | أخرى |
| %100 | | 86 | المجموع |

يتضح من جدول (10) أن المصادر التاريخية أتت في المرتبة الأولى من حيث مصادر المعلومات بنسبة (45.34%). والمرتبة الثانية الكتب بنسبة (32.55%). والمرتبة الثالثة رسائل الدكان بنسبة (13.95%). والمصادر الأخرى بنسبة (8.13%). ويرى الباحثان أن تصدر المصادر التاريخية يعود إلى طبيعة البرنامج، وهدفه العام الذي أريد منه تقديم تاريخ السودان في قالب درامي جاذب، ومن مزايا هذا البرنامج مع أنه برنامج تسجيلي أنه يستقبل رسائل المستمعين، وما فيها من تنوع بين شكر أو انتقاد لفريق البرنامج في تناول قضية ما، أو تقديم مقترحات لموضوعات تتعلق بالتاريخ. وغالباً ما تكون هذه الرسائل غير راتبة في البرنامج؛ لذلك لم تحز على نسبة كبيرة من مصادر المعلومات التي تم الاعتماد عليها، أما المصادر الأخرى ويقصد بها: المجلات و الدوريات، وبعض تقارير المؤتمرات. وهي غالباً ما تكون متباعدة الفترات؛ لذلك أتت في المرتبة الأخيرة بين مصادر المعلومات في البرنامج.

جدول رقم (11) يوضح الموضوعات

| المرتبة | النسبة % | التكرار | الفئة |
|---------|----------|---------|---------|
| الأولى | 28 | 56 | تاريخي |
| الرابعة | 11 | 22 | سياسي |
| السادسة | 6 | 12 | ديني |
| الخامسة | 10 | 20 | اقتصادي |

| | | | |
|---------|-----|------|---------|
| اجتماعي | 32 | 16 | الثالثة |
| ثقافي | 51 | 25.5 | الثانية |
| أخرى | 7 | 3.5 | السابعة |
| المجموع | 200 | %100 | |

يتضح من جدول (11) الذي يبين الموضوعات التي تم تناولها في البرنامج أن الموضوعات التاريخية حازت على المرتبة الأولى بنسبة (28%)، والموضوعات الثقافية في المرتبة الثانية بنسبة (25.5%)، والموضوعات الاجتماعية ثالثاً بنسبة (16%)، والسياسية رابعاً بنسبة (11%)، وفي المرتبة الخامسة الموضوعات الاقتصادية بنسبة (10%)، ثم الدينية بنسبة (6%)، والموضوعات الأخرى بنسبة (3.5%). ويرى الباحثان أن هذا البرنامج مع تركيزه على التاريخ بشكل أكبر نجد بقية الموضوعات ذات اتصال بالتاريخ كالقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وفي الحلقة الواحدة يتطرق الممثلون في عرضهم للتاريخ وربطهم له بالحاضر إلى مقارنات ترتبط بهذه الموضوعات تكاد تكون متقاربة، عدا الموضوعات الدينية التي تكون في مواسم؛ لذا أنت بنسبة ضعيفة والموضوعات الأخرى كالرياضة والقضايا الطبية عادة ما نجد الحديث في الحلقات التي تصادف مباريات الهلال والمريخ؛ فتتضمن مكائيدات ومقارنات بين واقع الرياضة بين اليوم والأمس.

جدول رقم (12) يوضح الاتجاهات

| | | | |
|---------|---------|----------|---------|
| الفئة | التكرار | النسبة % | المرتبة |
| تثقيف | 53 | 37.85 | الأولى |
| ترفيه | 39 | 27.85 | الثانية |
| توعيه | 26 | 18.57 | الثالثة |
| تعليم | 22 | 15.71 | الرابعة |
| المجموع | 140 | %100 | |

يتضح من جدول (12) أن الاتجاهات التثقيفية أتت في المرتبة الأولى بنسبة (37.85%)، والترفيهية في المرتبة الثانية بنسبة (27.85%)، وفي المرتبة الثالثة التوعية بنسبة (18.57%)، وفي المرتبة الرابعة التعليمية بنسبة (15.71%). يرى الباحثان أن الأهداف العامة من الموضوعات ترتبط بأهداف الاتصال الجماهيري، فالمادة التاريخية المقدمة من خلال البرنامج تمثل مصدراً للتثقيف لبعض المستمعين، كما أن الكوميديا الراقية والدراما الجاذبة تصنع مساحات ترفيهية عالية لا تخرج عن الذوق العام، وتحافظ على جو

البرنامج. أما التعليم والتوعية من الاتجاهات التي دعا البرنامج فيها إلى التخلي عن بعض الممارسات الخاطئة بشكل غير مباشر مثلاً كالحلف بالطلاق. وهنا يجيء دور التوعية ثم التعليم؛ لذلك كان هذا الترتيب متزناً بين الموضوعات واتجاهاتها.

خاتمة:

توصلت الدراسة إلى نتائج وتوصيات كما يلي:

أولاً: النتائج

- يعد الصوت البشري، والموسيقى الدرامية، وفترات الصمت من أبرز الإمكانيات الفنية المستخدمة في الإذاعة السودانية. كما تؤثر طبيعة البرنامج إن كان مباشراً أو مسجلاً على نوع الإمكانيات الفنية المستخدمة.
- يتم استخدام الإمكانيات الفنية للراديو لصناعة المادة الإذاعية وفقاً لشكل ومضمون البرنامج، والكادر البشري المنفذ، وقد يستخدم ذات الكادر إمكانيات فنية في عمل، ولا يستخدمها في عمل آخر.
- اعتمد البرنامج بشكل أساسي على الصوت البشري في حلقاته. كما توصلت إلى أنه يوجد تفاوت ملحوظ في استخدام بعض الإمكانيات الفنية من حلقة إلى أخرى: كالمؤثرات الصوتية، والتقليد بنوعيه الأصلي وغير الأصلي.
- توصلت الورقة إلى أن الصوت البشري أتى في المرتبة الأولى بين الإمكانيات الفنية المستخدمة في برنامج دكان ود البصير. وفي المرتبة الثانية أتت فترات الصمت، وفي المرتبة الخامسة المؤثرات الصوتية، وفي المرتبة الأخيرة الموسيقى الدرامية.
- من حيث وحدات الصوت البشري أشارت النتائج إلى أن نبرة الصوت المتوسطة جاءت في المرتبة الأولى، والحادة في المرتبة الثانية، والمنخفضة في المرتبة الثالثة، والتقليد غير الأصلي في المرتبة الرابعة، والتقليد الأصلي في المرتبة الخامسة. أما من حيث المؤثرات الصوتية فأشارت إلى أن الأصوات الطبيعية البشرية حازت على النسبة الكاملة، بينما لم تستخدم الأصوات الطبيعية من الطبيعة أو المصنوعة نهائياً.
- وفيما يلي فترات الصمت بينت الورقة أن الصمت الختامي أتى في المرتبة الأولى، وفي المرتبة الثانية الصمت الاستفهامي، والصمت التعجبي في المرتبة الثالثة. ومن حيث استخدام الموسيقى الدرامية فقد توصلت إلى أن موسيقى الفواصل (الدخول والخروج) استخدمت مناصفة، بينما لم يتم

استخدام موسيقى المواقف. ولم تستخدم موسيقى الفواصل رابطاً بين المسامع؛ مما قلل مساحة التنوع الأدائي، والفصل بين المسامع على اختلاف شكل الأداء.

- لم يتم التوظيف الأمثل للمونتاج الرقمي للاستفادة منه للارتقاء بمحتوى مادة برنامج دكان ود البصير.
- إن التوظيف الأمثل تم لبعض الإمكانيات الفنية داخل برنامج دكان ود البصير كالصوت البشري، والموسيقى الدرامية، وفترات الصمت. بينما هناك بعض الإمكانيات شأها نوع من القصور في حلقات برنامج دكان ود البصير؛ ولذا فإن التوظيف الأمثل لم يتم لكافة الإمكانيات داخل البرنامج.
- مع أن هدف البرنامج هو إتاحة المعلومات التاريخية في قالب درامي يناسب الأذواق المحلية إلا أنه لم يتم استخدام لهجات المناطق الخاصة. بينما تم التركيز على استخدام اللغة الدارجة.

ثانياً: التوصيات

- الاستفادة من المؤثرات الصوتية بشكل أكبر في حلقات البرنامج، وذلك من خلال توظيف المؤثرات الطبيعية الحية والاجتهاد في صنع مؤثرات صوتية سودانية تناسب طبيعة البرنامج.
- التنوع في محتوى البرنامج، وذلك بتوظيف الموسيقى الدرامية عامة، وموسيقى الفواصل بشكل خاص.
- يمكن أن يستفيد الممارسون للعمل الإذاعي من جعل عملية البث المباشر أقرب إلى المادة المسجلة، خاصة في عملية توظيف الصوت البشري، والتحكم في النبرات التي على أساسها يترتب وضوح الصوت المرسل إلى المتلقي.
- يمكن أن يستفيد المخرجون من الإلمام بطريقة التأثير الإيجابي على شكل المادة قبل الاستماع إليها، وذلك عبر فحص شامل للمادة من خلال استمارات تعتمد على تحليل المضمون، وترتبط بالإمكانيات الفنية الأساسية التي تعد مقومات للعمل الإذاعي.
- الاستفادة من التقدم التكنولوجي الكبير الذي يشهده العالم، وينعكس على العملية الفنية في الإذاعة حيث لم يعد اختيار قالب الإذاعي، وتصميم موسيقى مواقف أو مؤثرات صوتية أمراً صعباً على المخرجين. كما أن عملية التمثيل أو الأداء لأي فقرة من فقرات البرنامج لم تعد مرتبطة باجتماع مجموعة العمل في مكان واحد، حيث يمكن لأي من فريق العمل تسجيل وإرسال فقرته، أو دوره الذي ينبغي عليه أن يؤديه إلى مخرج البرنامج، والذي بدوره يقوم بترتيب المسامع وفقاً للسيناريو العام الموضوع مسبقاً.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- أبوعلام، رجاء محمود، **مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية**، مصر، دار النشر للجامعات، ط 5، 2006م.
- آري، دانيال، جاكوبس، ولوكي جيزر و رازافي آسشار. **مقدمة للبحث في التربية**، ترجمة سعد الحسيني، عمان، دار المسيرة، 2013م.
- المشهداني، سعد سلمان، **مناهج البحث الإعلامي**، العين، دار الكتاب الجامعي، 2017م.
- باهي، أسامة حسين، **البحث التربوي: كيفية إعداد وكتابة تقريره العلمي**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
- البريدي، سكرة علي، **محاضرات في الكتابة للراديو والتلفزيون**، مصر، جامعة المنوفية، كلية التربية النوعية، 2016م.
- بن جخدل، سعد الحاج 2019م، **الأطر التمهيدية للبحوث العلمية**، عمان، دار البداية، د.ت.
- الجمال، راسم، **مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الإعلامية**، القاهرة، مركز جامعة القاهرة للتعليم، 1990م.
- الحديثي، عبدالقادر صالح، **دراسة في البرامج الحوارية لإذاعة BBC العربية**، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2016م.
- الحسن، عبد الدائم عمر، **الدليل المرجعي حول تقنيات فن الإلقاء وتقديم البرامج الإذاعية**، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2017م.
- الحسن، عبد الدائم عمر، **الحوار الإذاعي**، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2008م.
- الدليمي، ناهدة عبد زيد، **أسس وقواعد البحث العلمي**، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، د.ت.
- سليمان، أمين علي محمد، **القياس والتقويم في العلوم الإنسانية: أسسه وأدواته وتطبيقاته**، القاهرة، دار الكتاب الحديث، 2009م.
- طعيمة، رشدي أحمد، **تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية مفهومه، أسسه، واستخداماته**، القاهرة، دار الفكر العربي، 2004م.
- عبدالغفار، عادل، **الاتجاهات المعاصرة في الإعداد والتقديم الإذاعي والتلفزيوني**، القاهرة، دار العالم العربي، 2013م.

- عوض، عوض إبراهيم، لغة الإذاعة دراسة تحليلية، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر والتأليف، 2001م.
 - الفاضل، صلاح الدين، فن الرؤية عبر الأذن: دراسة في الدراما الإذاعية، الطبعة الثانية، الخرطوم، منشورات مركز المسرح السوداني، 1995م.
 - قنديلجي، عامر إبراهيم، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، عمان، دار اليازوري العلمية، 2007م.
 - مجيد، فتحي، الاتصال: مفاهيمه، نظرياته، ووسائله، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003م.
 - محمد، حسن علي، فنون الكتابة والحديث للراديو والتلفزيون، القاهرة، دار البيان للطباعة والنشر، 2005م.
 - المحمودي، محمد سرحان علي، مناهج البحث العلمي، صنعاء، دار الكتب، ط 3، 2019م.
- ثانياً: المجالات العلمية والدراسات

- محمود، سميرة شكري محمد، المجلة العلمية لكلية التربية جامعة أسيوط. مجلد 35، ع 7، الأخطاء الشائعة في إجراءات التحقق من صدق وثبات أدوات القياس المستخدمة في البحوث العربية، 2019م.
- معهد الإعلام، الإذاعات الخاصة في الضفة والقطاع: النجاحات والتقصير وإمكانات المستقبل، "دراسة استكشافية"، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2006م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

- تامر جواد الشريف، تقويم برامج التربية الإسلامية المقدمة في الإذاعات المحلية في ضوء معايير جودة البرامج الإذاعية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية غزة، كلية التربية، 2010م.
- السنوسي، يسري السر حسن، معالجة البرامج التنموية في الإذاعة بالتطبيق على الإذاعة السودانية برنامج دكان ود البصير أنموذجاً في الفترة من 2010-2017م، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم الإعلام، 2018م.

- عبد الجابر، محمد علي، دور وسائل الإعلام في التربية الوطنية - دراسة تطبيقية في البرنامج الإذاعي دكان ود البصير 1980-2013م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الرباط الوطني، كلية الدراسات العليا 2015م.
- العوض، عاصم محمد، تقنيات كتابة الراديو في الإذاعة السودانية تطبيقاً على الفترة 2000 إلى 2013م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الموسيقى والدراما، قسم الدراما، 2015م.
- فتح الرحمن، عفراء أحمد، البرامج الأدبية في الإذاعة السودانية تحول المادة الأدبية المكتوبة إلى منطوقة في الفترة من 1970-1995م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم الإعلام، 2010م.

رابعاً: مواقع الانترنت:

- <http://dspace.univ-setif2.dz/xmlui/handle/123456789/848>، 2017م، هشام أبوبكر، محاضرات في مقياس مؤسسات الإعلام والاتصال، جامعة محمد الصديق بن يحيى، الجزائر، تاريخ الدخول >2019/10/26م.
- <https://www.alrakoba.net/1722121/> سعيد عباس، في ونسة داخل (دكان ود البصير).. عبد المطلب الفحل: رفضت تغيير (الدكان) (بإقالة)، صحيفة الراكوبة، 2021/5/2م، 5:15pm.
- https://www.youtube.com/watch?v=MZnpEkL00IE&ab_channel=sympatic000 برنامج دكان ود البصير- دردشة مع د. عبدالمطلب الفحل وممثلي البرنامج، تاريخ الدخول 2021/3/24م، 9:18pm.

خامساً: المقابلات

- بخيت، عبد الرافع حسن. 2021/3/16 م. ممثل بالإذاعة السودانية والمسرح القومي، مقابلة شخصية.
- الفاضل، صلاح الدين. 2021 / 6 / 27 م. مخرج درامي وأستاذ جامعي، مقابلة شخصية، قسم الإعلام، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.

- الفحل، عبد المطلب. 2021/2/16م، كاتب برنامج دكان ود البصير ومعدّه، مقابلة شخصية، جامعة المشرق.
- محمود، عباس 2021/4/2م. فني تسجيل ومونتاج بالإذاعة السودانية، مقابلة شخصية، مكتب الفنيين، الإذاعة السودانية.

دلالة السنة التركية الفعلية

أ.د. علاء الدين الأمين الزاكي

جامعة الخرطوم - كلية الآداب - الدراسات الإسلامية

المستخلص

تناول البحث مسألة ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبقي فعله من بعد موته جائزاً، ودلالة هذا الترك على الأحكام الشرعية، خاصة الذي توفرت فيه شروط الترك، وتبدو أهمية الموضوع في أن هناك أفعالاً لا شك في مشروعيتها حكم عليها بالبدعية بحكم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلها، فلزم التفريق بينها، وبين البدعة، وقد قسمت البحث إلى خمسة مباحث تناولت فيها تعريف السنة التركية الفعلية، وحجيتها، وعلاقتها بالبدعة وأنواع السنة التركية، ودلالاتها.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج أهمها ما يلي:

- إحداث قسم جديد من أقسام السنة النبوية أسميته السنة التركية الفعلية خاصة إذا علمنا أن علم مصطلح الحديث ليس توقيفياً.
- الفرق الشاسع بين البدعة التي يحرم فعلها، والسنة التركية التي يشرع فعلها ولو لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم.
- إن باب المعاملات يحتاج إلى هذه السنة التركية باعتبار أن الأصل فيها الإباحة .
- إن دلالة هذه السنة تدخل في دلالة الأفعال وهي تختلف بحسب السياق.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، باب المعاملات، السنة، السنة التركية

Abstract

The research dealt with the issue of the significance of what the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, left behind and whose actions remained permissible after his death, especially if the conditions were met. The importance of the topic appears in the fact that there are actions whose legality is undoubtedly ruled as heretical, since the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, did not do them, so it is necessary to differentiate between them and Heresy. The research was divided into five sections in which it dealt with the definition of the actual leave Sunnah, its validity, its relationship to heresy, the types of leave Sunnah, and its significance.

The research concluded with a number of results, the most important of which are the following:

- Creating a new section of the Prophet's Sunnah, which we call the actual leave Sunnah, especially if we know that the terminology is not arbitrary.
- There is a huge difference between heresy, which is forbidden to do, and the leave Sunnah, which is permissible to do even if the Prophet, may God bless him and grant him peace, did not do it.
- The chapter on transactions needs this leave Sunnah, given that the original is the epitome.
- The meaning of this Sunnah is included in the meaning of verbs, and it varies according to the context..

Keywords: Prophet's Sunnah, the chapter on transactions, Sunnah, Leave Sunnah

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فإن السنة المطهرة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع وهي حجة بلا خلاف بين العلماء بكل أنواعها القولية، والفعلية، والتقريرية.

ومن أنواع السنة التي ذكرت مؤخراً السنة التركبة، وبما أن الترك يعد فعلاً عند كثير من العلماء إلا أن هذا الترك قد يلتبس على بعض الناس ويحصل الخلط بين السنة التركبة التي يجوز فعلها، وبين البدعة الممنوعة خاصة في جانب العبادات، فكان لابد من بيان هذا الأمر وإزالة هذا اللبس حتى لا تسد أبواباً للخير بسببه.

مشكلة البحث:

يتعرض البحث لتروك النبي صلى الله عليه وسلم، والتي يجوز فعلها بعد موته رغم عدم فعله لها، وماهي دلالتها على الأحكام الشرعية.

أسئلة البحث:

ماهي السنة التركبة الفعلية؟ وماهي أقسامها؟ وهل هي حجة؟ وما ضابطها؟ وماهي دلالتها على الأحكام؟

الدراسات السابقة:

كتبت بعض الرسائل والأبحاث في السنة التركبة بل وجمع كثير من المصنفين تروك النبي صلى الله عليه وسلم في كتب وأبحاث، ولكن حسب علمي لم يكتب أحد في موضوع السنة التركبة الفعلية باعتبار أنه مصطلح جديد، علماً بأن علم المصطلح ليس توقيفياً بل اجتهادي الغرض منه ضبط التعامل مع السنة المطهرة.

منهج البحث:

سلكت المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على جمع المعلومات وتحليلها، مع توثيقها بالرجوع إلى مظاهرها، وتخراج الأحاديث من كتب السنة مع التنصيص على تصحيحها إذا كان الحديث في غير الصحيحين.

هيكل البحث:

المبحث الأول: تعريف السنة التركبة الفعلية.

المبحث الثاني: حجية السنة التركبة الفعلية.

المبحث الثالث: الفرق بين السنة التركبة الفعلية والبدعة.

المبحث الرابع: أنواع السنة التركبة الفعلية.

المبحث الخامس: دلالة السنة التركبة الفعلية.

المبحث الأول**تعريف السنة التركبة الفعلية**

ولتعريف السنة التركبة الفعلية علينا أن نعرف السنة التركبة أولاً ثم من بعد ذلك نعرفها باعتبارها فعلية.

أولاً: تعريف السنة التركبة

قال الغامدي: "أن يسكت الرسول صلى الله عليه وسلم عن الفعل غير الجبلي مع قيام المقتضى وعدم المانع" (الغامدي، د.ت، 301/2).

وقال السلي: "أن يترك النبي صلى الله عليه وسلم فعل الشيء مع قيام الداعي له" (السلي: 2005م، 408).

وقال المنياوي: "أن يترك النبي صلى الله عليه وسلم فعل الشيء مع وجود المقتضى وانتفاء الموانع" (المنياوي، 2011، 318).

اتفقت التعريفات على ثلاثة أمور:

الأول: عدم ورود الفعل عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني: وجود المقتضى.

الثالث: انتفاء الموانع من الفعل .

قال الشاطبي: "إن سكوت الشارع عن الحكم في مسألة ما أو تركه لأمر ما على ضربين:

أحدهما: أن يسكت عنه أو يتركه، لأنه لا داعية له تقتضيه، ولا موجب يُقرر لأجله ولا وقع سببٍ تقريره، كالنوازل الحادثة بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنها لم تكن موجودةً ثم سكت عنها مع وجودها، وإنما حدثت بعد ذلك، فاحتاج أهل الشريعة إلى النظر فيها وإجرائها على ما تبين في الكليات التي كمل بها الدين (الشاطبي، 2008م، 282/2). والضرب الثاني: أن يسكت الشارع عن الحكم الخاص، أو يترك أمراً ما من الأمور وموجبه المقتضى له قائمٌ، وسببه في زمان الوحي العام وفيما بعده موجودٌ ثابتٌ، إلا إنه لم يُحدد فيه أمرٌ زائدٌ على ما كان من الحكم العام في أمثاله، ولا ينقص منه." (الشاطبي، 2008م، 282/2).

و مما سبق يتبين أن السنة التركبة يشترط لها شرطان:

- الشرط الأول: أن يوجد السبب المقتضي لهذا الفعل في عهده - صلى الله عليه وسلم -، وأن تقوم الحاجة إلى فعله، فإذا كان الحال كذلك وتركه - صلى الله عليه وسلم - ولم يفعله كان تركه لهذا الفعل سنة.
- الشرط الثاني: انتفاء الموانع؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - قد يترك الفعل -مع وجود المقتضى له - بسبب وجود مانع يمنع من فعله.

وملخص الأمر أن تركه - صلى الله عليه وسلم - لا يخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يترك - صلى الله عليه وسلم - الفعل لعدم وجود المقتضى له، وذلك كتركه قتال

مانعي الزكاة.

الحالة الثانية: أن يترك - صلى الله عليه وسلم - الفعل مع وجود المقتضى له بسبب قيام مانع، كتركه - صلى الله عليه وسلم - فيما بعد قيام رمضان جماعة بسبب خشيته أن يكتب على أمته و فعل عمر - رضي الله عنه - في جمعه للناس على إمام واحد في صلاة التراويح.

الحالة الثالثة: أن يترك - صلى الله عليه وسلم - الفعل مع وجود المقتضى له وانتفاء الموانع، كتركه - صلى الله عليه وسلم - الأذان والإقامة لصلاة العيدين.

والذي تكلم عليه العلماء وجعلوه سنة تركية هو أن يترك - صلى الله عليه وسلم - الفعل مع وجود المقتضى له وانتفاء الموانع، ولا شك أن تركه يعدُّ سنة كترك النبي صلى الله عليه وسلم ركعتي السعي بين الصفا والمروة، وتركه للأذان والإقامة لصلاة العيدين، والجنابة، وتركه ركعتي تحية المسجد عند دخول المسجد الحرام، وهذا لا شك أن فعله يكون بدعة .

وبناءً على ما سبق فإن السنة التركبة على ضربين:

- الأول: ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم مع قيام المقتضى، وانتفاء المانع وهذا يسمى فعله بعد موته صلى الله عليه وسلم بدعة .
- والثاني: ما تركه بسبب عدم وجود المقتضى أو وجود المانع، وهو يسمى بالسنة بالتركبة وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: إذا كان مطلوباً تركه يسمى بالسنة التركبة غير الفعلية أي التي لا يجوز فعلها.

القسم الثاني: إذا كان مطلوباً فعله فيسمى بالسنة التركبة الفعلية التي جاز فعلها من بعده صلى الله عليه وسلم رغم تركه لها وهو المقصود بالبحث هنا.

تعريف السنة التركبة الفعلية:

وبناءً على ما سبق يمكن تعريف السنة التركبة الفعلية على أنها هي: ترك النبي صلى الله عليه وسلم لفعل لعدم توفر المقتضى أو قيام المانع المنصوص عليهما في كلامه صلى الله عليه وسلم أو كلام أحد أصحابه رضي الله عنهم بحيث لو قام المقتضى وانتفى المانع بعد وفاته يكون فعله سنة، ويكون فاعله متابعاً فيه النبي صلى الله عليه وسلم.

فهي تركبة باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلها، وهي فعلية على أنها فعلت من بعده صلى الله عليه وسلم بمسوغ شرعي.

وسميت سنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عدم وجود المقتضى أو وجود المانع لفعلها عليه الصلاة والسلام فكانت سنة من هذا الباب؛ خاصة إذا علمنا أن عدم وجود المقتضى ووجود المانع لا بد وأن يكون بتنصيب من النبي صلى الله عليه وسلم، أو أحد أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، وليس اجتهداً.

المبحث الثاني

حجية السنة التركبة الفعلية

أولاً: حجية تركه صلى الله عليه وسلم إذا توفر شرطاً السنة التركبة فيه:

فقد ذهب جمهور العلماء إلى حجية السنة التركبة ومن أقوال العلماء في ذلك ما يلي:

قال الشافعي: "وللناس تبرُّ غيره من نحاس وحديد وورصاص، فلما لم يأخذ منه رسول الله ولا أحد بعده زكاة؛ تركناه اتباعاً بتركه" (الشافعي، 1940، ص 191).

تبويب الإمام ابن خزيمة في صحيحه فقال: "باب ترك الصلاة في المصلي قبل العيدين وبعدها اقتداء بالنبي واستئناً به". (ابن خزيمة، 1424هـ (2/345)

وقال السمعاني: "إذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من الأشياء وجب علينا متابعتة فيه". (السمعاني، 1999م، 1/311)، ومثله قال الزركشي (د.ت، 4/191). وابن النجار (1997م، 2/165). وغيرهم.

وقال ابن القيم: "إن تركه - صلى الله عليه وسلم - سُنَّةٌ كما أن فعله سُنَّةٌ، فإذا استحَببنا فعل ما تركه كان نظير استحبابنا ترك ما فعله، ولا فرق" (ابن القيم، د.ت، 2/281).

وقال الشاطبي: "إن ترك العمل به من النبي - صلى الله عليه وسلم - في جميع عمره، وترك السلف الصالح له على توالي أزمانهم قد تقدم أنه نص في الترك، وإجماع من كل مَنْ ترك؛ لأن عمل الإجماع كنصه" (الزركشي، د.ت، 4/191).

والأدلة على ذلك كثيرة جداً يمكن الرجوع إليها في مظانها باعتبار أن البحث يتناول فقط قسماً واحداً من السنة التركبة وهي الفعلية.

ونقل عن الشيخ عبد الله الغماري في رسالته (حسن التفهم والدرك لمسألة الترك)، عدم حجية السنة التركبة، وقال: "والترك وحده إن لم يصحبه نص على أن المتروك محظور لا يكون حجة في ذلك بل غايته أن يفيد بأن ترك ذلك الفعل مشروع، وإما أن ذلك الفعل المتروك يكون محظوراً فهذا لا يستفاد من الترك وحده وإنما يستفاد من دليل يدل عليه" (الغماري، 1435هـ، 11).

والظاهر من كلام الغماري أنه يرى بأن الترك يفيد مطلق المشروعية في ترك الفعل دون إصدار الأحكام الشرعية من الحرمة والكراهة والوجوب والندب.

وقد ذكر في رسالته أدلة لا تخلو من نظر وذكر من الإلزاميات ما لا خطام له، ولا زمام كقوله: "إن الترك كدليل يدخله الاحتمال والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال" (الغماري، 1435هـ، 13).

ولا يخفى على أحد أن الاحتمال المذكور في القاعدة الذي يبطل به الاستدلال هو الاحتمال الصحيح، وليس كل احتمال بحسب الحال والسياق، وإلا لبطل الاستدلال بالعموم مثلاً مع احتمال التخصيص، والمطلق مع احتمال التقييد، وفي هذا إبطال لأدلة لا حد لها ولا حصر. ثم أنكر على ابن السمعاني استدلاله بحادثة الضب على السنة التركبة لما ترك أكله صلى الله عليه وسلم وقال: "إن تركه لم يفد الوجوب بل الإباحة فلا دليل له بل هو دليل عليه" (الغماري، 1435هـ، 13).

والرد على إنكاره يكون من ناحيتين:

الأولى: إن هذه المسألة من المعاملات والأصل في المعاملات الإباحة وليس هي من العبادات التي الأصل فيها التوقف، ونقل شيء أو ترك شيء فيها يرجع إلى هذا الأصل ولو كان هذا الفعل من العبادات لما ترددنا في القول بالحرمة كترك الأذان والإقامة لصلاة العيدين؛ لأن التغليظ في وصف البدعة بالضلالة يدل على التحريم.

الثانية: إن مجرد الامتناع عن الأكل من الصحابة رضي الله عنهم يدل على التأسّي والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، والإمساك عن الأكل يفهم منه اعتقاد الحرمة بدليل قول خالد رضي الله عنه: "أَحْرَامُ الضَّبِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟" (البخاري برقم 5391)، و(مسلم برقم 1946). حتى جاء بيان

النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "الضَّبُّ لَسْتُ أَكُلُهُ وَلَا أَحَرِّمُهُ"، (البخاري برقم 5536) (مسلم برقم 1943).

ثانياً: حجية السنة التركبية الفعلية

والفعل إذا ترك بسبب عدم وجود المقتضى أو وجد مانع فهو على ضربين:

الضرب الأول: أن يكون هذا المتروك أو المسكوت عنه من العبادات المحضة في أصلها وهيئتها وأوقاتها وقد اختلف أهل العلم في ذلك على قولين:

القول الأول: أنه يعد سنة وبالتالي يكون حجة وهو ظاهر مذهب الشافعية والحنابلة.

وقالوا: إن ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم بسبب عدم وجود المقتضى في زمانه أو قام المانع يكون حجة ويعمل بها إذا توفر المقتضى لها أو زال المانع وهذا يظهر من خلال الاجتهادات في الفروع الفقهية بسبب الأفعال التي تركها النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن تيمية: "والترك الراتب سنة كما أن الفعل الراتب: سنة، بخلاف ما كان تركه لعدم مقتضى، أو فوات شرط، أو وجود مانع، وحدث بعده من المقتضيات والشروط وزوال المانع ما دلت الشريعة على فعله حينئذ، كجمع القرآن في الصحف" (ابن تيمية، 2004م 172/26)

القول الثاني: لا يجوز فعل هذا المتروك لأن فعله يكون بدعة.

وقالوا: إن القرية والتعبد لله بمقتضى يوجب تحصيل هذا الفعل، لو كان مراداً لله شرعاً، فإذا لم يشرعه فهذا دليل على أنه في حقيقته ليس بقرية ولا عبادة صحيحة وإن تخيل المبتدع ذلك. وهذا القول فيه تضيق لواسع وإهمال لقيود ذكرها الشارع كذكر المقتضى أو النص على المانع، والشارع لا يذكر في الأغلب الأعم قيداً عبثاً بل لفائدة كدلالة مفهوم المخالفة عند الجمهور.

الضرب الثاني: أن يكون الفعل من المعاملات والوسائل التي الأصل فيها الإباحة كالنوازل الحادثة بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا لم يتوفر السبب المقتضى لها في عهده أو قام مانع من فعلها ثم توفر المقتضى بعد وفاته أو انتفى المانع. ولم أقف على قول أحد من الذين حصروا البدعة في العبادات يمنع العمل بها؛ لأن الأصل في المعاملات الإباحة حتى يرد الدليل بمنعها، وهذا يدل على سعة الشريعة وسماحتها وأنها فتحت الباب لابتيكار معاملات، ووسائل أكثر فاعلية دون

المساس بالشرع الحنيف.

المبحث الثالث

الفرق بين السنة التركبة الفعلية والبدعة

قد يقع بعض اللبس عند بعض الناس بين البدعة والسنة الفعلية التركبة باعتبار أن ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم خاصة في جانب العقائد والعبادات لا يجوز إحداثه من بعده فإذا أحدث كان بدعة وما تركه النبي صلى الله عليه وسلم كيف يسمى سنة؟.

وللتوضيح هناك خيط رفيع جدا بينهما ولإزالة هذا اللبس أقول ما يلي:

أولاً: أوجه الاتفاق بين السنة التركبة الفعلية، والبدعة

1. يتفق الاثنان في عدم نقل الفعل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأت دليل ناقل للحالة الأصلية وهي التوقف في العقائد والعبادات فالسنة التركبة الفعلية لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم وإن فعلت من بعده، وكذا البدعة لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم وإنما أحدثت من بعده.
2. إن السنة التركبة هي إحدى الطرق التي تعرف بها البدعة وتميز بها البدعة عن غيرها باعتبار أن السنة التركبة لها ضوابط تظهر بسببها البدع.

ثانياً: أوجه الاختلاف بين السنة التركبة الفعلية والبدعة.

1. البدعة لا يجوز فعلها لأنها مما أحدث بغير مسوغ ولا دليل، أما السنة التركبة فيجوز فعلها رغم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلها.
2. إن السنة التركبة يشترط لها شرطان كما ذكرنا سابقاً هما عدم توفر السبب المقتضى وقيام المانع، فعلى هذا تكون السنة التركبة مقيدة بهذين الشرطين وذلك مما يميزها عن البدعة بل وتعرف بها البدعة فكأنما كان الاثنان علة للترك فإذا زالت العلة رجع الأمر إلى أصله فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً.

فالأذان والإقامة لصلاة العيدين بدعة من بعده صلى الله عليه وسلم ولا يجوز إحداثهما لتوفر السبب المقتضى في زمانه صلى الله عليه وسلم ولم يوجد مانع.

ومثال السبب: ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتال مانعي الزكاة لعدم وجود الامتناع عن دفع الزكاة من الناس، فلما وجد في عهد أبي بكر رضي الله عنه قاتلهم على ذلك، وتركه قتل المنافقين بسبب الفتنة حتى لا يتحدث الناس بأن محمداً صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه.

3. من ناحية الحكم الشرعي إن السنة التركيبية الفعلية قد تعترضها ثلاثة من الأحكام التكليفية الخمس وهي الوجوب والندب والإباحة أما البدعة فهي محرمة عند عامة العلماء خاصة عند من حصرها في العبادات.

قال الشاطبي: " ثبت في الأصول أن الأحكام الشرعية خمسة نخرج عنها الثلاثة فيبقى حكم الكراهية وحكم التحريم فاقتضى النظر انقسام البدع إلى القسمين فمنها بدعة محرمة ومنها بدعة مكروهة وذلك أنها داخلة تحت جنس المنهيات - وهي - لا تعدو الكراهية والتحريم فالبدع كذلك " (الشاطبي، 2008م، 36/2 - 37)

وبين الشاطبي كلامه بقوله: " فإذا وجدت في كلامهم في البدعة أو غيرها (أكره هذا، ولا أحب هذا، وهذا مكروه) وما أشبه ذلك، فلا تقطعن على أنهم يريدون التنزيه فقط؛ فإنه إذا دل الدليل في جميع البدع على أنها ضلالة فمن أين يعد فيها ما هو مكروه كراهية التنزيه؟ اللهم إلا أن يطلقوا لفظ الكراهية على ما يكون له أصل في الشرع، ولكن يعارضه أمر آخر معتبر في الشرع فيكره لأجله، لا لأنه بدعة مكروهة" (الشاطبي، 2008م، 78/2).

واستدلوا بحديث العرياض رضي الله عنه: (وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) (ابن حنبل، برقم 17144)، و(ابن ماجه، برقم 42).

يقول عفانة: " وليس المقصود بالكراهية في كلام الشاطبي الكراهية التنزيهية وإنما الكراهية التحريمية، لأن الكراهية التنزيهية اصطلاح للمتأخرين لم يعرف عن المتقدمين من السلف؛ فلم يقولوا فيما لا حرج فيه إنه مكروه، ولم يكن من شأنهم أن يقولوا فيما لا نص فيه: هذا حلال، وهذا حرام؛ لئلا يكونوا ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ (النحل: 116) (ابن عفانة، 2004م، 78).

قال ابن تيمية حينما سُئِلَ عَنْ صَلَاةِ الْقَدْرِ: "إِنْ هَذِهِ الصَّلَاةُ لَمْ يَسْتَحِبَّ أَحَدٌ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ هِيَ بِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ - إِلَى أَنْ قَالَ وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَتْرَكَ وَيَنْهَى عَنْهَا" (ابن تيمية، د.ت، 122/23).

المبحث الرابع

أنواع السنة التركيبية الفعلية

تنقسم السنة التركيبية الفعلية إلى عدة أقسام:

القسم الأول: ترك الاستفصال في مقام الأحوال، وهو ما رسمه الشافعي من قاعدة جليلة في هذا الباب قال الجويني: (قال الشافعي: ترك الاستفصال في حكايات الأحوال مع الاحتمال يتنزل منزلة العموم في المقال). (الجويني، 1997م، 1/122)، ومقصود كلامه أن عدم التفصيل في مقام الأحوال يكون من العموم وإذا كان كذلك كان حجة في كل ما يصلح أن يكون تحته.

قال في المسودة: " وهذا ظاهر كلام أحمد رحمه الله؛ لأنه احتج في مواضع كثيرة بمثل ذلك وكذلك أصحابنا" (آل تيمية، د.ت، ص108).

قال ابن السمعاني: "ومما يدخل في باب العموم القول في ألفاظ الشارع في حكايات الأحوال" (ابن السمعاني، 1999م، 1/235).

قال القرافي: "الاحتمال المرجوح لا يمكن أن يكون مسقطاً للاستدلال؛ فإنه لا يكاد يوجد نص لاحتمال فيه ولا واقعة لاحتمال فيها، ولكن تلك الاحتمالات مرجوحة، والعمدة على الظواهر" (القرافي، 1973م، 186).

وكما هو معروف أن العموم من عوارض الألفاظ، وليس الأفعال ولكن هنا أخذ الفعل حكم العموم وصح به الاستدلال، فكون النبي صلى الله عليه وسلم ترك الاستفصال في أمر كهذا يدل على عمومته في كل ما يصلح أن يكون تحته.

القسم الثاني: ما تناولته عموم نصوص الشريعة مع العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله، ولو في باب العبادات؛ لأن العموم حجة شرعية، ولا يصف فاعل العموم بالبدعة وإن لم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفعله.

مثل: وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة بعد الرفع من الركوع فقد ذهب عدد من العلماء إلى أن ذلك يسن والدليل على ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم: (إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نضع أيماننا على شمالكنا في الصلاة) (ابن حبان: 2012م برقم 4762)، و(الطبراني: برقم 10851)، وعن وائل قال:

"رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ، قَرِيبًا مِنَ الرُّسْغِ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ" (ابن حنبل: أخرجه في المسند برقم 18873)، وصححه الألباني في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، ص 87).

وقال ابن حزم: "ويستحب أن يضع المصلي يده اليمنى على كوع يده اليسرى في الصلاة، في وقوفه كله فيها" (ابن حزم، د.ت، 39/3).

القسم الثالث: عدم الفعل لعدم وجود المقتضى فإذا وجد بعد وفاته كان فعله سنة تركية كما بينا سابقاً وكما سيأتي بيانه لاحقاً.

القسم الرابع: عدم فعله صلى الله عليه وسلم لقيام المانع من ذلك فإذا زال بعد وفاته كان فعله سنة.

القسم الخامس: ما كان داخلاً تحت أصل أو قاعدة من قواعد الشريعة، كرفع اليدين في الدعاء على المنبر يوم الجمعة.

المبحث الخامس

دلالة السنة التركيبية الفعلية

والمراد بالترك هنا المقدور عليه كالفعل لأن التكليف بما ليس في مقدور المكلف غير جائز، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الترك فعل، كما قال السبكي: "لقد وقعت على ثلاثة أدلة تدل على أن الكف فعل لم أر أحدا عثر عليها" (السبكي، د.ت، 100/1).

ومن هذه الأدلة ما يلي:

1. قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: 63).

قال الشيخ الشنقيطي: "فسى الله جل وعلا عدم نهى الربانيين والأخبار لهم صنعا والصنع أرخص مطلقاً من الفعل فدل على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعل بدليل تسمية الله له صنعا" (الشنقيطي، 2001م، ص 46).

2. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يُرَبِّ إِنَّا قَوْمِي آتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان:30).

قال السبكي: "وَالْخَاصِلُ أَنَّ الْأَخْذَ التَّنَاوُلَ وَالْمَهْجُورَ الْمُتْرُوكَ فَصَارَ الْمَعْنَى تَنَاوُلُهُ مَتْرُوكًا أَيْ فَعَلُوا تَرْكَهُ"، (السبكي، 1413هـ، 1/100).

3. قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: 79). فسعى الله عدم تناهيهم عن المنكر فعلا وضمهم على هذا الفعل، فقال - سبحانه: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

4. ومن السنة قوله - صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده). (البخاري: البخاري برقم 10)، (ومسلم برقم 40)، فسعى ترك الأذى إسلامًا وهو يدل على أن الترك فعل.

وكما ذكرنا سابقاً أن الراجح من أقوال أهل العلم أن السنة التركية الفعلية حجة شرعية وهنا نبين دلالة هذه السنة على الأحكام الشرعية.

والدلالة بالجملة تنقسم إلى قسمين: لفظية، وغير لفظية.

فأما غير اللفظية، فتتقسم إلى قسمين: وضعية، وعقلية.

وأما اللفظية، فتتقسم إلى ثلاثة أقسام: طبيعية، وعقلية، ووضعية.

والوضعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مطابقة، وتضمن، والتزام (الفتوحى، 1997 م 1/125).

وبما أن الترك فعل فهو يدخل في قسم الدلالة غير اللفظية.

والمقصود بدلالة الترك هنا هي: الأحكام الشرعية المستفادة من الترك الذي يفعل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لذاته. والمقصود به الترك المجرد عن الأدلة التي توجه دلالاته على حكم شرعي معين.

ويمكن تناول دلالاتها على الأحكام في جانبين:

الأول: جانب العبادات

ففي جانب العبادات تكون دلالة السنة التركية الفعلية على عدة وجوه بحسب السياق وما صاحب ذلك من قرائن:

أولاً: ما تركه عليه الصلاة والسلام بسبب مانع ولا شك عند انتفاء المانع يكون الفعل سنة ويدور حكمه بين الأحكام التكليفية الخمسة.

ومثال ذلك: جمع الناس في صلاة التراويح في المسجد على إمام واحد:

وهي من المسائل التي تركها النبي صلى الله عليه وسلم وتركت في عهد أبي بكر رضي الله عنه وصدر من خلافة عمر رضي الله عنه ثم جمع عمر الناس على إمام واحد في المسجد واحتج بها عدد من الناس على جواز البدعة وهي ليست كذلك.

وقد ذهب إلى جواز جمع الناس في المسجد في صلاة التراويح جماهير الفقهاء؛ وقال النووي: "قال صاحب الشامل قال أبو العباس وأبو إسحق صلاة التراويح جماعة أفضل من الانفراد لإجماع الصحابة وإجماع أهل الأمصار على ذلك" (النووي، د.ت، 33/4)، وذلك بسبب انتفاء المانع الذي من أجله ترك النبي صلى الله عليه وسلم فعلها وهو خشية أن تفرض على الأمة.

قال ابن تيمية بعد أن نقل قول الشافعي وأحمد على جواز صلاة التراويح في المسجد جماعة: "قالوا: فقيام: رمضان إنما لم يجمع النبي صلى الله عليه وسلم الناس عليه خشية أن يفترض، وهذا قد أمن بموته، فصار هذا كجمع المصحف وغيره" (ابن تيمية، 1986م، 310/8).

وقال الحافظ بن حجر: "قال ابن التين وغيره استنبط عمر - رضي الله عنه - ذلك من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم من صلى معه في تلك الليالي، وإن كان كره ذلك لهم فإنما كرهه خشية أن يفرض عليهم وكأن هذا هو السر في إيراد البخاري لحديث عائشة رضي الله عنها عقب حديث عمر فلما مات النبي رضي الله عنها حصل الأمن من ذلك ورجح عند عمر ذلك" (ابن حجر، 1379هـ، 252/4).

وقال ابن بطال: "إن قيام رمضان سنة لأن عمر لم يسن منه إلا ما كان رسول الله يحبه، وقد أخبر عليه السلام بالعلة التي منعت من الخروج إليهم، وهي خشية أن يفترض عليهم، وكان بالمؤمنين رحيمًا، فلما أمن عمر أن يفترض عليهم في زمانه لانقطاع الوحى؛ أقام هذه السنة وأحيائها" (ابن بطال، 2003م، 147/4).

وقال المهلب، وابن الملقن: "وفيه: أن الأعمال إذا تركت لعلة وزالت العلة أنه لا بأس بإعادة العمل، كما أعاد عمر صلاة الليل في رمضان في الجماعة". (ابن بطال، 2003م، 147/4).

وبالنظر إلى ما ورد من أدلة في القيام مع الإمام حتى ينصرف وما فيه من فضل مثل قوله صلى الله

عليه وسلم: (إنه من قام مع الأمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة)، أخرجه ابن حنبل في المسند برقم (21447)، وأبو داؤود في السنن (1375)، وسنن الترمذي (806)، وسنن النسائي 3/ 83، وابن ماجه في السنن (1327)، فيكون حكم الاجتماع على صلاة التراويح مندوباً.

ومثال آخر: بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام، حيث ترك النبي صلى الله عليه وسلم إعادة البيت على قواعد إبراهيم وذكر مانعاً من ذلك وهو قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: (لَوْ لَا جِدْتَانِ قَوْمِكِ بِالْكَفْرِ)، فَقَالَ لَهَا: (أَلَمْ تَرَيِ أَنَّ قَوْمَكَ حِينَ بَنَوْا الْكَعْبَةَ اسْتَفْصَرُوا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُرَدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقَالَ: لَوْ لَا جِدْتَانِ قَوْمِكِ بِالْكَفْرِ) (البخاري: برقم 1583، ومسلم في الصحيح برقم 1333).

فواضح أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك الكعبة على ما هي عليه ولم يردّها إلى قواعد إبراهيم عليه السلام لوجود مانع من ذلك.

قال عبدالوهاب الشنقيطي: "والحديث يدل على أن بناءها على قواعد إبراهيم هو الواجب في حكمها، فتركه لمصلحة الناس" (الشنقيطي: 1415هـ، 353).

وقال ابن القيم: "أمسك النبي - صلى الله عليه وسلم - عن نقض الكعبة وإعادتها على قواعد إبراهيم لأجل حدثان عهد قريش بالإسلام، وأن ذلك رُبَّمَا نَفَّرَهُمْ عَنْهُ بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِ" (ابن القيم: د.ت، 4/ 120). فلما زال المانع قام عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما ببناء الكعبة على قواعد إبراهيم، ولم يعلم لفعله مخالف فكان إجماعاً على أنه سنة ولو كان بدعة لما توبع عليه.

ويشهد لذلك قول مالك رحمه الله تعالى لما استشاره هارون الرشيد في بناء الكعبة على قواعد إبراهيم فقال له مالك: "أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشاء أحد منهم أن يغيره؛ إلا غيره فتذهب هيئته من قلوب الناس" (ابن عبد 1387هـ، 50/10). فمالك رحمه الله إمام من أئمة أهل السنة لم يقل لهارون إنه بدعة، ولا يجوز لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله، ولكنه أقر الجواز وسد الذريعة فقط.

مثاله كذلك: لمس الأركان الأربعة من الكعبة عند الطواف.

من المعلوم أن ابن عباس رضي الله عنهما، أنكر على معاوية رضي الله عنه لمس الأركان الأربعة لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك وقال له: (إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَسْتَلِمُ إِلَّا الْحَجَرَ

الْأَسْوَدَ، وَالرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ) (أخرجه الترمذي برقم 858، وقال حسن صحيح)، وإنكار ابن عباس رضي الله عنهما مبني على أنه بدعة.

وقد ذكر ابن عمر رضي الله عنهما أن ذلك كان لعدم وجود المقتضي وهو أن الأركان لم تكن موجودة، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: (فَلَا أَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكَ اسْتِلَامَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الْحَجَرَ إِلَّا أَنَّ الْبَيْتَ لَمْ يُتَمَّ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ) (البخاري: أخرجه في الصحيح برقم 1583). ومسلم: أخرجه في الصحيح برقم 1333).

ويؤيد ذلك أن البخاري ذكر أن ابن الزبير رضي الله عنهما كان (يَسْتَلِمُهُنَّ كُلَّهُنَّ) (البخاري برقم 1608)، يعني الأركان الأربعة، قال الحافظ: "حمل ابن التين تبعاً لابن القصار استلام ابن الزبير لهما؛ لأنه لما عمر الكعبة أتم البيت على قواعد إبراهيم" (ابن حجر 1379هـ، 474/3)، وهذا يعني أنه استلمهما بعد قيام المقتضي وهو وضع الركنين في مكانهما.

وقال الحافظ: "وروى ابن المنذر وغيره استلام جميع الأركان أيضاً عن جابر وأنس، والحسن، والحسين من الصحابة، وعن سويد بن غفلة من التابعين". ابن حجر 1379هـ، 474/3).

وقال الأزرقي: "فَلَمَّا فرغ ابن الزبير من بِنَاءِ الْكُعْبَةِ... خرج مَاشِياً وَخَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ مَشَاةً حَتَّى اعْتَمَرُوا مِنَ التَّنْعِيمِ شُكْرًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ،، فَلَمَّا طَافَ بِالْكُعْبَةِ اسْتَلَمَ الْأَرْكَانَ الْأَرْبَعَةَ جَمِيعًا وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ تَرَكَ اسْتِلَامَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ الشَّامِيَّ وَالرُّكْنَ الْغَرْبِيَّ؛ لِأَنَّ الْبَيْتَ لَمْ يَكُنْ تَامًا. فَلَمْ يَزَلِ الْبَيْتَ عَلَى بِنَاءِ ابْنِ الزَّبِيرِ إِذَا طَافَ الطَّائِفُ اسْتَلَمَ الْأَرْكَانَ جَمِيعَهَا". (ابن الضياء: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، 2004م، 109).

ولم ينكر أحد من الصحابة والتابعين على ابن الزبير فعله فكان إجماعاً حتى أن ابن عباس رضي الله عنه الذي توفي سنة 68 هـ وبناء الكعبة كان سنة 64 هـ، وقد أنكر على معاوية رضي الله عنه كما ذكرنا سابقاً، ولم ينقل عنه أنكر على ابن الزبير رضي الله عنهما، وهذا يؤكد أن ترك النبي صلى الله عليه وسلم لمس الأركان الأربعة لعدم توفر المقتضى وهو وجود الركنين على قواعد إبراهيم فلما وجدا في عهد الزبير رضي الله عنهما قام بلمسهما في العمرة.

ثانياً: ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم وكان داخلياً في عموم فإنه يأخذ الحكم الذي شمله العموم لأن العام يكون حجة في كل ما يصلح أن يكون تحته.

مثاله: قوله صلى الله عليه وسلم: (من سمع المؤذن فقال: مثلما يقول ثم سأل الله لي الوسيلة وجبت له شفاعتي يوم القيامة). (أخرجه مسلم في الصحيح برقم 384).

فهل هذا ينطبق على من سمع الإقامة كذلك رغم أنه لم يرد دليل خاص بهذا الموضع، ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم فعله بل هو من التروك التي تفعل بعد موته، ولأن العموم يشملها، قال ابن حجر الهيتمي: "لم أر من قال بندب الصلاة والسلام أول الإقامة وإنما الذي ذكره أئمتنا أنهما سنتان عقب الإقامة كالأذان ثم بعدهما: اللهم رب هذه الدعوة التامة". (الهيتمي، د.ت، 1/129).

وقال الألباني: "وعلى من يسمع الإقامة مثل ما على من يسمع الأذان من الإجابة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب الوسيلة له وذلك لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول...) (الألباني، 1422هـ، ص214).

وتكون دلالته كدلالة العموم في الحديث السابق وهي النذب.

ومثاله: زكاة الخضر والفاكهة

فقد ذهب جمهور العلماء من المالكية والحنابلة والشافعية والصاحبان من الحنفية إلى أنه لا زكاة فيها (ابن رشد، 2004م، 2/14).

وقالوا: إنها كانت شائعة بين الناس في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يثبت عنه أنه أخذ الزكاة منها، ولا أمر عماله بذلك، فدلّ على أنه لا زكاة فيها، وأن عدم نقل ذلك ينزل منزلة نقل ترك أخذ الزكاة فيها وأن هذا مخصص لعموم ما ورد في الزكاة من نصوص.

قال ابن القيم: "وترك زكاة الخَضراوات حق، ولم يأتِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تخالفه البتة" (ابن القيم، د.ت، 3/371).

وذهب أبو حنيفة (الكاساني، 1328هـ، 2/53)، ومن تبعه إلى القول بوجوب الزكاة فيها. واستدل الحنفية بالعموم الوارد في بعض النصوص منها ما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ البقرة: 267.

ثانياً: قوله صلى الله عليه وسلم: (ما سقت السماء ففيه العشر، وما سقي بغرب أو دالية ففيه نصف العشر) (أخرجه البخاري في الجامع الصحيح برقم 1483).

الواضح أن الجمهور استدلوا بالترك المطلق، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل عنه أنه أخذ الزكاة من الخضر والفاكهة مع توفر المقتضى ولكن نسو أنها من التروك الفعلية التي يجوز فعلها بعد وفاته لدخولها في عموم النصوص الأمرة بأخذ الزكاة في كل خارج من الأرض مع عدم وجود المخصص. فيكون حكم زكاة الخضر والفاكهة الوجوب؛ لأن العموم ظاهر في إيجابها والله أعلم.

ثالثاً: دلالاته عند حكاية الأحوال بدون استفعال وهي كما ذكرنا سابقاً من القواعد التي اعتمد عليها الشافعي رحمه الله تعالى، ونقلها عنه أبو المعالي الجويني (1997م، 1/122).

فرغم أن الأحوال هي من الأفعال وأن العموم من عوارض الألفاظ إلا أن عدم التفصيل ينقلها إلى دائرة العموم.

قال الكاساني: "من غير فصل بين حال وحال فهو على العموم إلا ما خص بدليل؛ ولأن القيام من أركان الصلاة والصلاة خدمة الرب تعالى وتعظيم له والوضع في التعظيم أبلغ من الإرسال كما في الشاهد فكان أولى" (الكاساني، 1328هـ، 1/301).

مثاله: إيجاب الكفارة على المرأة التي جامعها زوجها برضاها في نهار رمضان حيث لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أوجب الكفارة على زوجة الأعرابي الذي جاء إليه وقال: (هلكت يا رسول الله، قال: ما أهلكك؟ قال: وقعت على أهلي وأنا صائم، قال: فهل تجد ما تعتق رقبة). (البخاري، برقم 6087)

وقد اختلف العلماء في إيجاب الكفارة على المرأة على قولين:

القول الأول:

إيجاب الكفارة عليها وهو قول المالكية. (ابن عبد البر، 1387هـ 5/193) والحنفية (المنجي، 1994م، 1/398)، وأحمد في رواية (ابن قدامة، 1983م، 1/446) (، وأحد قولي الشافعي، (الغزالي، د.ت، 6/444).

القول الثاني: عدم إيجاب الكفارة عليها وهو قول لأحمد (ابن قدامة، 1983م، 4/375) وأحد قولي الشافعي. (الغزالي، د.ت، 6/444).

قال أبو داود: سئل أحمد عمن أتى أهله في رمضان، أعلها كفارة؟ قال: ما سمعنا أن على المرأة كفارة (ابن قدامة، 1983م، 3/58).

قال ابن قدامة: ووجه ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم: (أمر الواطئ في رمضان أن يعتق رقبة، ولم يأمر في المرأة بشيء، مع علمه بوجود ذلك منها) (ابن قدامة، 1983م، 4/376).

وعملًا بالقاعدة السابقة يبقى إيجاب الكفارة على المرأة هو الصحيح حتى ولو لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم فعله لأن تركه داخل في العموم الذي حدث في حالة الرجل بسبب عدم الاستفصال عن حال زوجته و يكون حجة ويصح به الاستدلال وهو من الترك الذي يفعل بعده، وقد أسمىناه السنة التركبة الفعلية والله أعلم.

رابعاً: إذا ارتبط الحكم فيه بعلة فإن دلالة الترك تكون بحسب الأمر بالترك السابق المرتبط بتلك العلة، وكما قال ابن عقيل: "يجوز أن ينصب -أي الشارع- علة لثبوت أحكام مختلفة أو ترك، أو أفعال وترك" (ابن عقيل، 1999م، 1/382).

مثاله: ادخار لحوم الأضاحي:

فقد ورد النهي عن ادخار لحم الأضحية فوق ثلاث ليال في قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْ لَحْمِ أَضْحِيَّتِهِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) (أخرجه مسلم في صحيحه برقم 1970).

ثم رخص فيها عليه الصلاة والسلام ذاكراً المانع من النهي والذي بزواله ترك المنع من الادخار وهو قول عائشة، تقول: (دَفَّ أَهْلُ أَنْبِيَاءٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الْأَضْحَى زَمَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادْخَرُوا ثَلَاثًا، ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ»، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ الْأَسْقِيَةَ مِنْ ضَحَايَاهُمْ، وَيَجْمَعُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ: «إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَةِ الَّتِي دَقَّتْ، فَكُلُوا وَادْخَرُوا وَتَصَدَّقُوا». (أخرجه مسلم في صحيحه برقم 1970).

وقد نقل النووي (النووي، 1392هـ، 13/139)، وقال ابن عبد البر (ابن عبد البر، 1387هـ، 3/317) وغيرهم أن الحكم الأول منسوخ، ويبقى الادخار مباحاً دون التفات إلى الدافعة. وقالوا: هو مذهب الجمهور.

ورجح عدد من العلماء كما نقله الحافظ بن حجر أن الحكم ليس منسوخاً وقال: (إن القول بالنسخ ليس بجيد)، (ابن حجر 1397هـ، 28/1)؛ لأن المانع هو الدافعة فتكون سنة تركية فعلية، قال الشافعي: "فإذا دَفَّتِ الدَّافَةُ ثَبَتَ النِّهْيُ عَنِ إِمْسَاكِ لَحُومِ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، وَإِذَا لَمْ تَدِفْ دَافَةٌ فَالرَّخْصَةُ ثَابِتَةٌ بِالْأَكْلِ وَالزُّرُودِ وَالْإِدْخَارِ وَالصَّدَقَةِ"، (الإمام الشافعي، 1940م، ص 239). وقال القرطبي: "اعلم أن المرفوع بالنسخ لا يحكم به أبداً، والمرفوع لارتفاع علته يعود الحكم لعود العلة، فلو قدم على أهل بلدة ناس محتاجون في زمان الأضحي، ولم يكن عند أهل ذلك البلد سعة يسدون بها فاقتهم إلا الضحايا لتعين عليهم ألا يدخروها فوق ثلاث كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم". (القرطبي، 1968م، 4/12).

فتركه صلى الله عليه وسلم النهي عن ادخار لحوم الأضاحي بعد الثلاث كان لمانع وبزواله زال النهي وبعودته بعد وفاته يعود النهي ويكون سنة واجبة الاتباع.

ويؤيده خطبة على رضي الله عنه أيام عثمان رضي الله عنه حيث قال: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَاكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا لَحُومَ نُسُكِكُمْ فَوْقَ ثَلَاثَ)، وذكره الطحاوي في مشكل الآثار عن مَوْلَى ابْنِ أَرْهَرَ قَالَ: "شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعُثْمَانُ مَحْصُورٌ، فَجَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ فَخَطَبَ..)، وقال الطحاوي: "وَالصَّحِيحُ عَنْ عَلِيٍّ فِي ذَلِكَ مَا خَطَبَ بِهِ لَمَّا صَلَّى بِالنَّاسِ، وَعُثْمَانُ مَحْصُورٌ، فَأَمَرَهُمْ بِهَذَا، وَنَهَى أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ أَضَاحِيهِمْ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ"، (الطحاوي، 1994م، 168/13).

قال ابن حزم: "كان ذلك عام حصر عثمان - رضي الله عنه - وكان أهل البوادي قد ألجأهم الفتنة إلى المدينة وأصابهم جهد فأمر لذلك بمثل ما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين جهد الناس ودفت الدافعة) (ابن حزم، د.ت، 51/6).

وعليه يكون الفعل هنا عند وجود العلة وهي الدافعة ويحرم بسببها ادخار لحوم الأضاحي رغم ترك النبي صلى الله عليه وسلم لذلك في آخر أيامه.

خامساً: إذا اندرج تحت أصل وقاعدة عامة وإن لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم فإن دخوله تحت القاعدة العامة يجعله يأخذ حكمها.

مثاله:

رفع اليدين في الدعاء على المنبر يوم الجمعة فقد تركه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه إلا في الاستسقاء.

واختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: يجوز رفع اليدين في الدعاء على المنبر وهي رواية لأحمد ونسبها ابن تيمية لابن عقيل (ابن تيمية، 1422م، 95/4)، وحكاها القاضي عياض. (القاضي عياض، 1998م، 377/3) عن بعض السلف وبعض المالكية.

القول الثاني: أنها بدعة ولا تجوز رواية عن أحمد قال ابن تيمية (ابن تيمية، 1422م 95/4)، وهي الأصح، ونسبه الهوتي، (الهوتي، د.ت 37/2) للشافعية (النووي، 1392هـ، 163/6)، والمالكية. وقال أبو شامة المقدسي: (وأما رفع أيديهم عند الدعاء فبدعة قديمة)، (أبو شامة المقدسي: 1978م، ص 87). وقال السيوطي، بدعة (السيوطي، 1409هـ، ص 138).

واستدلوا بحديث عمارة بن رؤية بأن بشر بن مروان رفع يديه على المنبر، فقال له: (قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسيحة). (أخرجه مسلم في الصحيح برقم 874).

والذي أباح رفع اليدين استدل بفعله صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء وقالوا بأن رفع السبابة كان فعله صلى الله عليه وسلم وتركه لرفع اليدين جاء لعدم وجود المانع وهو حالة الشدة والكرب فلما وجدت رفع يديه فإذا قام المانع بعد وفاته من شدة أو ضرورة جاز الرفع.

وقد استشكل العظيم آبادي وغيره حديث عمارة بقوله: "هل المراد في حديث عمارة بالرفع المذكور رفع اليدين عند الدعاء على المنبر أو المراد رفع اليدين لا وقت الدعاء بل عند التكلم كما هو دأب الوعاظ والقصاص أنهم يحركون أيديهم يميناً وشمالاً ينهون السامعين على الاستماع" (العظيم آبادي، 1415هـ، 319/3)، ورجح الثاني وقال: قوله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ما يزيد على هذه يعني السبابة التي تلي الإيهام يؤيد هذا المعنى الأخير لأن رفع اليدين في الدعاء ليس مأثوراً بهذه الصفة، بل أراد الراوي أن رفع اليدين كليهما لتخاطب السامعين ليس من دأب النبي صلى الله عليه وسلم بل إنما يشير النبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه السبابة.

والأصل العام هنا إباحة رفع اليدين في الدعاء وهذا ثابت في أدلة كثيرة ذكر النووي أكثر من ثلاثين منها فلا يمكن وصفه بالبدعة بل هو سنة لها أصل في الشريعة (النووي: د.ت، 508/3).

الثاني: جانب المعاملات

على قول من حصروا البدعة في العبادات دون المعاملات يكون الترك في المعاملات غير المخالف للسنة، لأن الأصل فيها الإباحة كما قال ابن القيم: "وهو مذهب جمهور العلماء" (ابن القيم، دت، 1/259)، وقال ابن رجب: "وقد حكى بعضهم الإجماع على ذلك" (ابن رجب، 2001م، 166/2).

وقد قال صلى الله عليه وسلم: (مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ اللَّهِ عَافِيَتَهُ وَ مَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا). (أخرجه أبوداود في السنن برقم 3800)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 2256)، والهيثمي في مجمع الزوائد برقم 794).

قال ابن تيمية: "اعلم أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتباين أوصافها أن تكون حلالاً مطلقاً للأدمنين، وأن تكون طاهرة لا يحرم عليهم ملابسها ومباشرتها ومماسستها. وهذه كلمة جامعة ومقالة عامة وقضية فاضلة عظيمة المنفعة واسعة البركة؛ يفزع إليها حملة الشريعة فيما لا يحصى من الأعمال وحوادث الناس" (ابن تيمية، 2004م، 535/21).

فالمعاملات فعلها يكون سنة باعتبار تركها من النبي صلى الله عليه وسلم بسبب مانع، ومن المانع الدليل الذي يحرمها لضررها العظيم على الناس فإذا انتفى الدليل المحرم الذي ينتفي معه الضرر المذكور في حديث النبي صلى الله عليه وسلم (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) (أخرجه أحمد في المسند برقم 2865)، وابن ماجه في السنن برقم 2340)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 250، كان جائزاً وسنة تركية فعلية باعتبار أنه يحقق النفع للأمة، ولو أنها وجدت في زمانه صلى الله عليه وسلم لأجاز فعلها.

ويكون حكمها مطلق الإباحة إلا إذا توقفت عليها الواجبات فتدخلها قاعدة (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، أو تكون من وسائل الواجبات على قاعدة (الوسائل لها حكم المقاصد) ويمكن تفصيل ذلك في المسائل الآتية:

أولاً: صيغ البيوع المعاصرة كالتورق، والمرا بحة، والمضاربة، والتأمين التعاوني، ومسألة الأوراق النقدية وتعاملاتها.

ثانياً: المأكولات كلها التي لم يرد فيها حظر ولم يأكلها النبي صلى الله عليه وسلم، والمشروبات التي لم يرد فيها حظر والملبوسات التي لم يرد فيها حظر.

ثالثاً: الأحكام السلطانية، والنظام السياسي، والتراتب الإداري للدولة، وتدوين الدواوين والتقنين بوضع مسائل الشريعة في شكل مواد تسهيلاً للقضاة والمنفذين بسبب انتشار الجهل فلم يكن

النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لها ولا الصحابة ولا العصور المفضلة وزمان الأئمة فلما تولى القضاء من ليس بعالم احتاج الناس للتقنين.

الخاتمة:

إن السنة التركبية باب عظيم ومفيد للأمة وبعد دراستها في هذا البحث المتواضع أخلص إلي تدوين أهم النتائج:

أولاً: إن السنة التركبية الفعلية بكل أنواعها نوع من أنواع السنة المطهرة باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عدم وجود المقتضى أو وجود المانع لفعلها صلوات ربي وسلامه عليه.

ثانياً: لا بد من النص على المقتضى والمانع من النبي صلى الله عليه وسلم أو من أحد الصحابة رضوان الله عليهم في أي مسألة في باب العبادات خاصة لأن الفعل اكتسب سنيته من كلامه عليه الصلاة والسلام، ليكون الفعل سنة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم قيام المقتضى الذي بسببه ترك الفعل، أو انتفى المانع الذي بسببه ترك الفعل.

ثالثاً: التوسع في السنة التركبية الفعلية في باب المعاملات باعتبار أنه صلى الله عليه وسلم جعل الأصل فيها الإباحة فكانت السنية بالإذن العام منه.

رابعاً: إن أثر السنة التركبية واضح على أبواب الشريعة كما ذكرنا في داخل البحث.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

- ابن بطال: شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة الثانية، 1423هـ - 2003م.
- ابن تيمية، أحمد بن تيمية،
- جامع المسائل، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1422هـ
- مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده: ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، 1425 هـ - 2004م.
- المسودة في أصول الفقه، المؤلف: آل تيمية، بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: 652هـ)، وأضاف إليها الأب: عبد الحليم بن تيمية (المتوفى: 682هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (728هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الكتاب العرب.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986م.
- ابن حبان: صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (المتوفى 354 هـ)، المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها. المحقق: محمد علي سونمز، خالص أي دمير، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م
- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

- ابن حجر الهيتمي: **الفتاوى الفقهية الكبرى**، جمعها: تلميذ ابن حجر الهيتمي، الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكي المكي (المتوفى 982 هـ)، المكتبة الإسلامية، د.ت.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ). **المحلى بالآثار**، دار الفكر – بيروت، د.ت.
- ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى 311 هـ)، **صحيح ابن خزيمة**، حققه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه وقَدّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي (المتوفى 1439 هـ)، راجعه محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى 1420 هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1424 هـ.
- ابن رجب: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، المحقق: شعيب الأرنؤوط – إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة السابعة، 1422 هـ - 2001 م.
- ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى 595 هـ)، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، دار الحديث – القاهرة، 1425 هـ - 2004 م.
- ابن عبد البر: ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب 1387 هـ.
- ابن عقيل: أبو الوفاء بن عقيل، **الواضح في أصول الفقه** المحقق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1420 هـ - 1999 م.
- ابن قدامة: ابن قدامة الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى 620 هـ)،
 - **الكافي في فقه الإمام أحمد**، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1994 م.
 - **الشرح الكبير على متن المقنع** (مطبوع مع المغني)، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت. 1403 هـ - 1983 م.
- أبو شامة: **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، المحقق: عثمان أحمد عنبر: دار الهدى – القاهرة الطبعة الأولى، 1398 هـ – 1978 م.
- الألباني: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، **الأشقودري الألباني** (ت 1420 هـ).
- **صحيح الجامع صحيح الجامع الصغير وزياداته**، المكتب الإسلامي، د.ت.

- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب (المتوفى 1420هـ)، غراس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى لمكتبة المعارف، د.ت.
- البخاري: صحيح البخاري الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوَّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، طوق النجاة، دار - بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ.
- الهوتوي: منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس الهوتوي الحنبلي (المتوفى: 1051هـ) كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، د.ت.
- الجويني: إمام الحرمين (المتوفى: 478هـ) البرهان في أصول الفقه، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997م.
- السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1413هـ.
- السلمي: عياض السلمي، أصولُ الفقه الذي لا يَسْعُ الفَقِيه جَهْلُهُ، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م.
- السمعاني: أبو المظفر المروزي السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، 1418هـ/1999م.
- السيوطي، جلال الدين. حقيقة السنة والبدعة - الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، تحقيق: القحطاني: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، مطابع الرشيد 1409هـ.
- الشاطبي: الاعتصام، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008م.
- الشافعي: الرسالة، المحقق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر الطبعة الأولى، 1358هـ/1940م.
- الطحاوي: شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1415 هـ، 1494م.

- عبد الوهاب الشنقيطي، أحمد بن محمود بن عبد الوهاب الشنقيطي: الوصف المناسب لشرع الحكم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى 1415هـ.
- العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، 1415 هـ
- عفانة: حسام الدين بن موسى محمد، اتباع لا ابتداء. قواعد وأسس في السنة والبدعة، بيت المقدس - فلسطين، الطبعة الثانية، 1425 هـ- 2004 م
- العمري: بهاء الدين أبو البقاء، المعروف بابن الضياء. تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، المحقق: علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الثانية، 1424 هـ- 2004 م.
- الغامدي: سعيد بن ناصر الغامدي، حقيقة البدعة وأحكامها، مكتبة الرشد، الرياض، د.ت.
- الغزالي: فتح العزيز بشرح الوجيز، الشرح الكبير، عبد الكريم بن محمد الراجعي القزويني (المتوفى ٦٢٣هـ) الناشر: دار الفكر، د.ت.
- الغماري: حسن التفهم والدرك لمسألة الترك، تحقيق صفوت جودة أحمد، الناشر مكتبة القاهرة. الطبعة السادسة 1435هـ.
- الفتوحي: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى 972 هـ)، شرح الكوكب المنير - المختبر المبتكر شرح المختصر، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية 1418 هـ- 1997 م..
- القاضي عياض: شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَاذِ الْمُسَيِّ إِكْمَالُ الْمُعْلِمِ بِقَوَائِدِ مُسْلِمٍ، المحقق: الدكتور يَحْيَى إِسْمَاعِيلِ الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1419 هـ- 1998 م.
- القرافي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (المتوفى: 684هـ) شرح تنقيح الفصول، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة الأولى، 1393 هـ- 1973 م.
- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة الثانية، 1384 هـ- 1964 م.
- الكاساني: الكاساني الحنفي الملقب بـ «بملك العلماء» (المتوفى 587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الطبعة الأولى 1327 - 1328 هـ.
- محمد الأمين الشنقيطي: مذكرة في أصول الفقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، 2001 م.

- المنجي: علي بن زكريا (المتوفى 686 هـ) اللباب في الجمع بين السنة والكتاب، المحقق: د. محمد فضل عبد العزيز المراد، دار القلم - الدار الشامية - سوريا / دمشق - لبنان / بيروت الطبعة الثانية، 1414 هـ - 1994 م.
- المنياوي: أبو المنذر. الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول، مصر الطبعة الأولى، 1432 هـ - 2011 م.
- النووي: أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676 هـ)
- المجموع شرح المذهب (مع تكملة السبكي والمطيعي) الناشر: دار الفكر، د.ت.
- النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية، 1392 هـ.

ثبوت الإمامة بالنص والتعيين عند الشيعة الإمامية وموقف ابن خلدون من ذلك

أ.د. فيروز عثمان صالح عثمان

الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية- كلية الآداب- جامعة الخرطوم

المستخلص

هذه الدراسة تتعلق بمسألة مهمة أثارت - وما تزال تثير - جدلاً بين علماء السياسة الشرعية، وهي: هل النص والتعيين من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم طريقةً لاختيار الإمام؟ فعلى خلاف الرأي القائل بأن اختيار الخليفة منوط بالأئمة، وأنها صاحبة الحق في الاختيار والتعيين ترى الشيعة الإمامية استناداً على أدلة من النصوص الجلية والخفية أن الإمامة ثبتت بالنص والتعيين، وابن خلدون من أبرز الأئمة الذين تصدوا للرد على الشيعة في دعواهم تلك. والدراسة هدفت لبيان كل ذلك، وباستخدام المنهج الاستقرائي والتحليلي. واستصحباً لهدف الدراسة توصلت الدراسة لنتائج مهمة منها: أنه لدحض دعوى الشيعة الإمامية بأن الإمامة واجبة على الله من باب اللطف، وكذلك دعواهم بثبوت الإمامة بالنص والتعيين، قام ابن خلدون بتفنيد نصوصهم ورواياتهم التي استدلوا بها؛ فبرهن على أنها إما موضوعة، أو مطعون في سندها، أو متأولة بتأويلات فاسدة لا يعرفها أهل السُّنة.

الكلمات المفتاحية: السياسة الشرعية، ابن خلدون، الشيعة، السُّنة

Abstract

This study is related to an important issue that has raised - and still raises - controversy among scholars of Sharia politics, which is: the text and appointment by Allah and His Messenger (PPUH), regarding a method for choosing the Imam. Thus, contrary to the opinion that says the choice of the caliph is up to the nation and that it has the right to choose and appoint, the Imami Shiites considers, based on evidence from clear and ambiguous texts, that the imamate is proven by text and appointment, and Ibn Khuldun is one of the most prominent Imams who launched counter opinion against the Shiites in their claim. The study aims to explain all of this, and by using the inductive and analytical approach and by sticking to the aim of the study, the study reached important results, including: Refuting the claim of the Imami Shiites that the Imamate is obligatory upon Allah based on his kindness, as well as their claim that the Imamate is proven by text and appointment, Ibn Khuldun refuted their texts and narrations that they used as evidence, and has proven that they are either fabricated, or their reference is challenged, or they are interpreted using corrupt interpretations that the Sunnis do not approve

Keywords: Sharia politics, Ibn Khuldun, Shiites, Sunnis

مقدمة:

الحمد لله المستحق للحمد والثناء والصلاة والسلام على الرسول البشير النذير والسراج المنير وبعد:

فإن الشيعة كانت لهم آراء تتصل بالإمامة مفارقة لجمهور أهل السنة والجماعة، وبـل وبقية الفرق الإسلامية، والشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وجعلوا الإمامة ركن الدين، وقالوا بعصمة الأئمة (الشهرستاني، د.ت، 1/ 146).

ولا شك أن مباحث الإمامة متشعبة؛ لذا سنكتفي في هذه الدراسة بمعالجة دعوى الشيعة بأن النص والتعيين هي الطريقة التي يُختار بها إمام المسلمين وخليفهم، وسنقوم في هذه الدراسة بعرض أدلتهم، ورد العلماء عليها، مع التركيز على رد العلامة ابن خلدون.

وعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (732/هـ/1332 م. 808/هـ/1406 م) هو قمة شامخة في الفكر العربي الإسلامي السُّني، ما زالت آراؤه محل بحث مستفيض من جانب المستشرقين والعلماء العرب المعاصرين، الذين اهتموا بمجال أو أكثر من مجالات مقدمته الشهيرة لمؤلفه التاريخي (العبر)، وما كتبه ابن خلدون في المقدمة عن الإمامة هو جزء وعنصر أساسي في المقدمة، ونجد باحثاً كهاملتون جب يقول: إن إلقاء نظرة على تسلسل فصول المقدمة يُبين أنها تُفضي إلى الخلافة (Gibb, 1962, 169).

ذهب ابن خلدون، كغيره من العلماء إلى أن لقب خليفة أو أمير المؤمنين أو إمام هي ألفاظ ترجع إلى معنى واحد. انظر تفصيل ذلك في: (ابن خلدون، د.ت، 191 وما بعدها).

طرق اختيار الخليفة:

بالنسبة لطرق اختيار الخليفة وتنصيبه انقسم العلماء إلى فريقين:

الفريق الأول: ذهب إلى أن الخلافة قد ثبتت بالنص والتعيين.

الفريق الثاني: يرى أنها ثبتت بالاتفاق والاختيار (القلقشندي، د.ت، 1/ 28-29) وقد لخص الإمام الأشعري الخلاف المتعلق بطرق اختيار الخليفة قائلاً: "اختلفوا في الإمامة هل هي بنص؟ أم تكون بغير نص؟ فقال قائلون، لا تكون إلا بنص من الله وتوقيف، كذلك كل إمام ينص على إمام بعده،

فهو بنص من الله على ذلك وتوقيف عليه. وقال قائلون قد تكون بغير نص ولا توقيف بل بعقد أهل العقد " (الأشعري، 1954م، 2/ 148).

أما تفصيل القول في المسألة:

أولاً: النص والتعيين

ذهبت الشيعة إلى أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، وأنها تثبت بالنص عليه من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فذهبت الإمامية إلى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد نص على تعيين عليّ - رضي الله عنه - خليفة بعده بالاسم والتعيين المباشر، وأن الإمام ينص على من يليه في كل وقت (البغدادى، 1928م، ص 120، الموسوي، 1358 هـ، ص 120) الإمامية: هم القائلون بإمامة علي- رضي الله عنه - بعد النبي عليه السلام نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً، وقد طعنوا في كبار الصحابة، وهم متفقون في الإمامة وسوقها في أولاد علي إلى جعفر بن محمد الصادق، ومختلفون في المنصوص عليه بعده من أولاده، وقد انقسموا إلى عدة فرق منها: الباقرية، والجعفرية الواقفة، والإسماعيلية، والاثنى عشرية (الشهرستاني، د.ت، 1/ 162-169) فالإمامة من الله عز وجل وباختياره، وعهد من الله وأمانة يؤديها الإمام إلى الذي بعده. (النعماني، 2011م، 39). وهم يرون أن الأئمة هم عليّ وأبناؤه من فاطمة على التعيين واحداً بعد واحد إلى نهاية السلسلة؛ فساق الشيعة الاثنا عشرية الإمامة في اثني عشر إماماً رتبوهم تاريخياً على النحو التالي: علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي، علي زين العابدين بن الحسين، محمد الباقر بن علي، جعفر الصادق بن محمد، موسى الكاظم بن جعفر، علي الرضا بن موسى، محمد الجواد بن علي، علي الهادي بن محمد، الحسن العسكري بن علي، محمد المهدي بن الحسن. على أن الإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين - رضي الله عنهم - على رأي واحد، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها. ومختلفون في المنصوص عليه بعده من أولاده (الشهرستاني، د.ت، 165، الدهلوي، د.ت، 189، النعماني، د.ت، 142 وما بعدها) وعبارات ابن خلدون التالية تلخص مذهب الشيعة القائل بالنص على الإمام: " ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم... وأنّ علياً - رضي الله عنه - هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه " (ابن خلدون، د.ت، 196 - 197).

إن عبارات ابن خلدون السابقة تُبيّن أن قول الشيعة بثبوت الإمامة بالنص مبني على تصورهم لحكم نصب الإمامة، فهم يرون أن الإمامة أصل من أصول الدين، ونصب الخليفة واجب على الله لطفاً،

وعليه فالإمامة ليست من المصالح العامة المنوطة بالأمة، بل تثبت بالنص والتعيين. فنصب الإمام كما تزعم الشيعة "لطف وكل لطف واجب، أما لطف الإمامة فكونها مقربة من الطاعة مُبعدة عن المعصية... وأما كون كل لطف واجب فلكون اللطف محصلاً للغرض" (المطهر، 1985م، 30). كما أن "الإمام لطف باعتباره أن الناس معه أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن التنازع والهرج والمرج، وكان ذلك علة في وجوب نصبه كذلك كونه منصوباً عليه معيناً من عند الله تعالى، فإن الناس مع الإمام المنصوص عليه من قِبَلِ الله تعالى أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الهرج والمرج (المطهر، 1985م، 53).

وكذلك فإن الإمام عند الشيعة "يجب أن يكون معصوماً؛ فيجب أن يثبت التعيين بالنص لا بالاختيار لخفاء العصمة؛ لأنها من الأمور الخفية التي لا يعلمها إلا الله" (المطهر، د.ت، ص 50).

وقد أشار ابن خلدون إلى دعوى الشيعة في عصمة الإمام قائلاً: "ومذهبهم -أي الشيعة- جميعاً متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، يكون معصوماً من الكبائر والصغائر" (ابن خلدون، د.ت، 196).

وقد بين ابن خلدون بطلان الأساس الذي استند عليه الشيعة في قولهم بعصمة الإمام، فالذي دعا الشيعة إلى القول بالعصمة هو خطأ تصورهم لوظيفة الإمام والإمامة، فقد جعلوا الإمامة من عقائد الإيمان وأركان الدين، وقالوا أن طريقة نصب الإمام النص والتعيين وليس الاختيار. فمن ذلك قوله في المقدمة: "والحق بذلك الكلام في الإمامة، لما ظهر حينئذ من بدعة الإمامية من قولهم إنها من عقائد الإيمان، وإنه يجب على النبي تعيينها، والخروج عن العهدة في ذلك لمن هي له. وكذلك على الأمة، وقصارى أمر الإمامة أنها قضية مصلحة إجماعية ولا تلحق بالعقائد" (ابن خلدون، د.ت، ص 465).

وأكد ابن خلدون ضعف أدلة الشيعة في جعلهم الإمامة من عقائد الإيمان وقولهم بالنص، -كما سنبين عند مناقشة أدلتهم-، وقرر أن المعصوم هو مجموع الأمة، وليس الإمام فعند حديثه عن الإجماع قال: "وأما الإجماع فلا تفاهتهم رضوان الله عليهم على إنكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للأمة" (ابن خلدون، د.ت، ص 453) ويقول في موضع آخر من المقدمة: "وتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة... ثم ينزل الإجماع منزلتهم لإجماع الصحابة على النكير على مخالفتهم، ولا يكون ذلك إلا عن مستند؛ لأن مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت، مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة". وقول ابن خلدون مع العصمة الثابتة للأمة، وقوله مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة فيه إشارة للأدلة التي ساقها العلماء للتدليل على عصمة الجماعة، وقد ثبت أن ابن مسعود قد قال: "فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله

سئى (ابن تيمية، 1352هـ، 13/2) فلا مجال إذن للحديث عن عصمة الأئمة كما زعمت الشيعة الإمامية، بل الأمة هي المعصومة.

إذن فقد زعم الشيعة: أن الاعتقاد بوجود الإمام أمر أساسي لا يتم الإيمان إلا به، بل هو أصل الإيمان؛ لأنه السبيل إلى معرفة باقي المعتقدات والإيمان عندهم هو: الإيمان بالله وبرسوله وبكتابه وبولادة الأمر الذين هم الأئمة الذين يعترفون بهم. فليست الإمامة عندهم إذن من الفروع التي هي محل الاجتهاد، وللأمة فيها رأي، كما يقول أهل السنة وسائر الأمة، بل هي أمر قد فرغ منه وجاء به الشرع على سبيل التحديد. وهذا هو معنى قول ابن خلدون حين يتكلم عنهم.

أدلة الشيعة:

استدل الشيعة على مذهبهم القائل بثبوت الإمامة بالنص والتعيين بنصوص نقلوها وأولوها على مقتضى مذهبهم، والتي تنقسم إلى نصوص جلية وخفية (ابن خلدون، د.ت، 197) وسنقوم بمناقشة نماذج من هذه النصوص وتبيين مدى حجيتها في إثبات معتقدتهم.

أولاً: من الأحاديث الجلية التي استند إليها الشيعة حديث غدير خم (الدهلوي، د.ت، 159). الذي يقال أنه حينما نزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: 67].. كان الرسول عليه الصلاة والسلام في طريق عودته من حجة الوداع، فلما بلغ (غدير خم) أخذ بيد علي وخاطب جماعة من المسلمين قائلاً: يا معشر المسلمين أأست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت، ثلاثاً (ابن حنبل، د.ت، 2 / 199، الترمذي، د.ت 5 / 632، الطبرسي، 1960م، 6 / 152-153)

وقد زعمت الشيعة بأن هذا نص صريح في ولاية عليّ - رضي الله عنه - وفسروا المولى هنا بمعنى الأولى بالتصرف، وذهبوا إلى أن كونه أولى بالتصرف هو عين الإمامة، وقرروا أن الحديث يدل على أن علياً - رضي الله عنه - هو القائم مقام النبي. صلى الله عليه وسلم. بعد موته (الموسوي، د.ت، 155 - 158).

وقد لخص ابن خلدون هذا النص الجلي بالعبارات التالية: "فالجلي مثل قوله: من كنت مولاه فعلي مولاه، قالوا ولم تطرد هذه الولاية إلا في عليّ؛ ولهذا قال له عمر أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة" (ابن خلدون، د.ت، 9).

ثانياً: من النصوص الجلية التي استدلت بها الشيعة لإثبات معتقدهم قول النبي عليه السلام (أقضاكم علي) (ابن ماجه، 1953م، 1/ 55 والبخاري، د.ت، 6/ 23). فقد قرروا أنه نص في الإمامة؛ فإن الإمامة لا معنى لها إلا أن يكون أفضى القضاة في كل حادثة، والحاكم على المتخاصمين في كل واقعة وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59].

قالوا: فأولوا الأمر، من إليه القضاء والحكم، حتى وفي مسألة الخلافة لما تخاصمت المهاجرون والأنصار، كان القاضي في ذلك هو أمير المؤمنين عليّ - رضي الله عنه - دون غيره، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - كما حكم لكل واحد من الصحابة بأخص وصف له فقال: "أفرضكم زيد، وأقرؤكم أبي، وأعرفكم بالحلل والحرام معاذ" كذلك حكم لعلي - رضي الله عنه - بأخص وصف له، وهو قوله: "أقضاكم علي". والقضاء يستدعي كل علم، وليس كل علم يستدعي القضاء (الشهرستاني، د.ت، ص 163 - 164).

وقد لخص ابن خلدون هذا الدليل بقوله: "ومنها قوله (أقضاكم) علي. ولا معنى للإمامة إلا القضاء بأحكام الله وهو المراد بأولي الأمر الواجبة طاعتهم بقوله: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ) والمراد الحكم والقضاء، ولهذا كان حكماً في قضية الإمامة يوم السقيفة دون غيره" (ابن خلدون، د.ت، ص 197).

ثالثاً: لما أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]. جمع النبي - صلى الله عليه وسلم - بني هاشم وفهم عمه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب وقال لهم: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم، بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنني على أمري هذا، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها غير علي - وكان أصغرهم - إذ قام فقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم - برقبته وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع (ابن تيمية، د.ت، 4/ 80، الموسوي، د.ت، 224).

ومن نصوص الوصية التي اعتمد عليها الشيعة في التدليل على دعواهم بالنص على عليّ - رضي الله عنه - أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من الذي يبايعني على ماله؟ فبايعته جماعة، ثم قال من الذي يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي؟ فلم يبايعه أحد حتى مدّ أمير المؤمنين عليّ - رضي الله عنه - يده إليه فبايعه على روحه ووفى بذلك، حتى كانت قريش تعير أبا طالب أنه أمرَ عليك ابنك" (الشهرستاني، د.ت، 163، المظفر، 1982م، 52).

والشيعة قد زعموا أن نصوص الوصية صريحة في أن علياً - رضي الله عنه - أفضل الناس بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيه الدلالة الالتزامية على خلافته، ووجوب طاعته وأكدوا أن خلفاء الأنبياء هم

أوصياؤهم (الموسوي، د.ت، 225 – 226، النُعماني، د.ت، 143 وما بعدها) وقد أشار ابن خلدون إلى هذا الدليل الجلي قائلاً: "ومنها قوله من يبايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي فلم يبايعه إلا عليّ" (ابن خلدون، د.ت، 197).

رابعاً: ومن النصوص الخفية التي استدلت بها الشيعة على دعواهم بالنص على عليّ ما ذكره ابن خلدون في المقدمة قائلاً: "ومن الخفيّ عندهم بعث النبي . صلى الله عليه وسلم عليّاً لقراءة سورة براءة في الموسم حين أنزلت، فإنه بعث بها أولاً أبا بكر، ثم أُوحى إليه ليبخله رجلاً منك أو من قومك. فبعث عليّاً ليكون القارئ المبلغ، قالوا: وهذا يدل على تقديم عليّ. وأيضاً فلم يعرف أنه قدّم أحداً على عليّ، وأما أبو بكر وعمر فقدّم عليهما في غزوتين أسامة بن زيد وعمرو بن العاص، وهذه كلها أدلة شاهدة بتعيين عليّ للخلافة دون غيره" (ابن خلدون، د.ت، 197).

بيّن ابن خلدون بعد ذكره لهذه الأدلة أن الإمامية يرون أن هذه النصوص تدل على تعيين عليّ - رضي الله عنه - وتشخيصه، وأنهم يتبرأون من الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - . أما الزيدية - الزيدية: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. رضي الله عنهم - ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة - رضي الله عنها. ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي إماما واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين - رضي الله عنهما - وهم أصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية. (الشهرستاني، د.ت، 1/ 154-155) فقد ذهبوا إلى أن النصوص قد عينت عليّاً - رضي الله عنه - بالوصف لا بالشخص، وهم لا يتبرأون من الشيخين، ولكنهم يرون أن عليّاً أفضل منهما، ويجوزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل، يقول ابن خلدون مبيناً ذلك: "ثم منهم من يرى أن هذه النصوص تدل على تعيين عليّ وتشخيصه، وكذلك تنتقل منه إلى من بعده وهؤلاء هم الإمامية، ويتبرأون من الشيخين حيث لم يقدّموا عليّاً ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغمصون في إمامتهم، ولا يلتفت إلى نقل القدر فيهما من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم. ومنهم من يقول إن هذه الأدلة إنما اقتضت تعيين عليّ بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه، وهم الزيدية ولا يتبرأون من الشيخين ولا يغمصون في إمامتهما مع قولهم بأن عليّاً أفضل منهما، لكنهم يجوزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل" (ابن خلدون، د.ت، 197).

مناقشة الأدلة:

بالنسبة لحديث (غدير خُم) والذي أوردناه سابقاً فقد اهتم به الشيعة اهتماماً كبيراً، وخصص له الطبرسي فصلاً في كتابه الاحتجاج (الطبرسي، 1966، 66 – 84) على أن الحديث لم يرد في أمهات الكتب.

وأورد الترمذي جزءاً منه وهو: "من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" (الترمذي، د.ت، 5 / 632) فزيادة وانصر من نصره إلى آخر الحديث لم ترد عند الإمام أحمد ولا غيره، لهذا قال عنها ابن تيمية أنها مكذوبة (ابن تيمية، د.ت، 4 / 10). ووصفها الإمام أحمد بأنها "زيادة كوفية" (ابن حنبل، د.ت، 2 / 199).

بالنسبة للجزء الذي صح من الحديث وهو لفظ "من كنت مولاه فعليّ مولاه" فليس فيه ما يشير إلى تعيين عليّ رضي الله عنه للإمامة كما ذهب الشيعة، وإلى أنه رضي الله عنه - القائم مقام النبي بعد موته (الموسوي، د.ت، 138).

يقول الإمام الباقلاني في معرض الرد على الشيعة: "فإن قال الشيعة لِمَ تُنكرون أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نص على عليّ بقوله: "من كنت مولاه فعليّ مولاه" وذلك لأن النبي قرره على وجوب طاعته، وعلى أنه أولى بهم من أنفسهم؟ كان الرد عليهم: أنه لا يجب ما قلتم، لأن ما أثبتته لنفسه من كونه أولى بهم ليس هو من معنى ما أوجبه لعلّيّ بسبيل، لأنه قال: "من كنت مولاه فعليّ مولاه" فأوجب الموالاة لنفسه ولعلّيّ، وأوجب لنفسه كونه أولى بهم منهم أنفسهم" (الباقلاني، 1947 م، 172 - 173).

الواقع فإن تفسير الشيعة للمولى بمعنى الأولى بالتصرف لا تسنده مقاييس اللغة ولا اشتقاقاتها، يقول الإمام الدهلوي مبيناً ذلك: "قالت الشيعة في تقرير الاستدلال بهذا الحديث: إن المولى بمعنى الأولى بالتصرف، وكونه أولى بالتصرف هو عين الإمامة. ولا يُخفى أن أول الغلط في الاستدلال هو إنكار أهل العربية قاطبة ثبوت ورود (المولى) بمعنى (الأولى)" (الدهلوي، د.ت، 159).

فالمولى في اللغة يدل على عدة معان، فالمولى والولي بمعنى واحد في كلام العرب، والمولى في الدين هو الولي، والموالي العصبية، والمولى الحليف، والمولى المعتق، والمولى الناصر، والمولى الولي الذي يلي عليك أمرك، والمولى الذي يسلم على يديك ويواليك (ابن منظور، 1990 م، 20 / 288 - 293).

وقد بين الباقلاني أن قوله صلى الله عليه وسلم - (مولى) يحتمل في اللغة وجوهاً ليس فيها معنى أولى (الباقلاني، د.ت، 172) وبعد أن بيّن هذه الوجوه انتهى إلى أن ما قصده النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذه الكلمة يحتمل أمرين:

أحدهما: مَنْ كنت ناصره على دينه وحامياً عنه بظاهري وباطني، وسري وعلانيّ فعليّ ناصره على هذا السبيل.

الثاني: مَنْ كنت محبوباً عنده، وولياً له على ظاهري وباطني فعليّ مولاه، أي أن ولاءه ومحبته من ظاهره وباطنه واجب، كما أن ولائي ومحبتي على هذه السبيل واجب (الباقلاني، د.ت، 173).

وأكد الدهلوي أن المعنى الذي يُفهم من الحديث هو أن محبة عليّ - رضي الله عنه - فرض كمحبة الرسول - صلى الله عليه وسلم- إذ يقول: "فَعَلِمَ أن مقصوده - صلى الله عليه وسلم- بهذا الكلام إنما كان إفادة هذا المعنى الذي يُفهم منه بلا تكلف بوفق قاعدة لغة العرب، يعني محبة عليّ فرض كمحبة عليه السلام، وعداوته حرام كعداوته عليه السلام، وهذا هو مذهب أهل السنة، ومطابق لفهم أهل البيت في ذلك" (الدهلوي، د.ت، 160).

ومن مناقشتنا للحديث تبين أنه وبالرغم من صحته إلا أنه لا يدل على تعيين عليّ رضي الله عنه - للإمامة كما زعمت الشيعة، الذين أخطأوا في تأويلهم لمعنى الولي بالأولى بالتصرف، وتبين لنا صحة ما ذهب إليه ابن خلدون من أن الشيعة يستدلون بنصوص يؤولونها لتلائم معتقدهم ومذهبهم، إذ يقول في المقدمة: "بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة، ولا نقلة الشريعة" (ابن خلدون، د.ت، 197).

أما حديث (أقضاكم عليّ) الذي زعمت الشيعة أنه نصٌّ في إمامة عليّ - رضي الله عنه - فهو حديث موضوع لم يروه أحد من أهل الكتب الستة، ولا أهل المسانيد المشهورة، ولا أحمد ولا غيره بإسناد صحيح ولا ضعيف، ورواته معروفون بالكذب والتدليس (ابن تيمية، 1381 هـ، 4 / 408).

والحديث على ذلك لا يسند دعوى الشيعة في إمامة عليّ رضي الله عنه. ويؤكد ما ذهب إليه ابن خلدون من أن الشيعة قد "استدلوا بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ونقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم" (ابن خلدون، د.ت، 197) ويؤكد ما قرره ابن حزم من "أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة موضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها" (ابن حزم، د.ت، 4 / 148).

ومن النصوص الجليلة التي استدلت بها الشيعة النص الذي لخصه ابن خلدون قائلاً: "ومنها قوله من يبايعني على روحه، وهو وصيّ وولي هذا الأمر من بعدي، فلم يبايعه إلا عليّ" (ابن خلدون، د.ت، 197).

وقد ذكر ابن كثير الحديث في (البداية والنهاية) عند ذكره أول من أسلم، ثم قال بعده مباشرة: "تفرّد به عبد الغفار بن القاسم أبو مريم وهو كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الباقر" (ابن كثير، 1966 م، ج 3 ص 40).

وكذلك ذكر ابن كثير الحديث عند تفسيره لسورة الشعراء ثم عقّب عليه قائلاً: "تفرّد بهذا السياق عبد الغفار بن أبي مريم، وهو متروك كذاب شيعي، اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث، وضعّفه الأئمة رحمهم الله" (ابن كثير، 1986م، 33/351).

قد أكّد ابن تيمية أن هذا الحديث لم يرد في الصحاح والمسانيد بل أنه لم يرد في كتب السنن والمغازي والتفسير، ومن ثم فإن الحديث كذب موضوع ونصه مفتري على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تصح نسبته إليه (ابن تيمية، د.ت، 4/81-84).

مما سبق يتضح لنا أن الحديث باطل مكذوب لا أساس له من الصحة/ وهو مثال للأحاديث التي استدل بها الشيعة وقال عنها ابن خلدون: "أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة" (ابن خلدون، د.ت، 197).

أما ما ذكره الشيعة من إرسال النبي صلى الله عليه وسلم علياً لتبليغ سورة براءة في الموسم، برغم إرساله أبا بكر من قبل لتبليغها، وكذلك عدم تقديمه - صلى الله عليه وسلم - في الغزوات على عليٍّ أحد، فلا يسند دعواهم في النص على عليٍّ في الإمامة، وغاية ما تدل عليه تلك النصوص الخفية مناقبه وفضائله رضي الله عنه ومكانته في الدين - وهو الأمر الذي لا ينكره أحد-، ولقد اجتمعت لبعض الصحابة رضوان الله عليهم من المناقب ما تزيد على هذه، واجتمعت للواحد منهم مناقب انفرد بها عن غيره من إخوانه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

من استعراضنا لهذه النماذج من النصوص التي استدل بها الشيعة في دعواهم في النص على عليٍّ رضي الله عنه في الإمامة ومناقشتها يتبين لنا أنها إما موضوعة، أو مطعون في طريقها أو إسنادها، أو أنهم أولوها لتناسب دعواهم ومعتقدهم، وهو الأمر الذي أشار إليه ابن خلدون قائلاً: "ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوّض إلى نظر الأمة... وأن عليّاً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهاذة السُنّة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة" (ابن خلدون، د.ت، ص 196 - 197).

بالإضافة إلى ضعف النصوص التي استدل بها الشيعة لإثبات إمامة علي بالتعيين والنص، فإنه يُرد عليهم أيضاً بأن النص على الإمام لو كان واجباً على الرسول صلى الله عليه وسلم - بيانه لبيّنه على وجه تعلمه الأمة علماً ظاهراً لا يختلفون فيه (البغدادي، د.ت، 280). وكما يقول ابن حزم: "فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وجمهور الصحابة- رضي الله عنهم - حاشا من كان منهم في النواحي يُعلّم الناس الدين فما

منهم أحد أشار بكلمة يذكر فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصَّ عليه، ولا ادعى ذلك عليّ قط لا في ذلك الوقت ولا بعده، ولا ادعاه أحدٌ في ذلك الوقت ولا بعده" (ابن حزم، د.ت، 4 / 96).

وتبيّن أن الصحابة. رضوان الله عليهم - قد اختلفوا على الأشخاص الذين كانوا في أيامهم، من يكون خليفة منهم. وهذا الاختلاف على الأشخاص دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينص على شخص معين للخلافة (الجويني، 1950م، 419 والشهرستاني، د.ت، 1 / 22). فلا مجال للقول بأنه يوجد نص. وكما يقول الجويني: "فمثل هذا الأمر لا ينكتم في مستقر العادة" (الجويني، د.ت، 420 - 421). ولا يتصور في حق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتفاق على الباطل وترك العمل بالنص الوارد.

وقد وردت نصوص صريحة على أن الرسول . صلى الله عليه وسلم لم ينص على شخص معين للخلافة بعده منها:

- ما رواه مسلم بسنده عن ابن عمر قال: " حضرت أبي حين أُصيب فأتونا عليه وقالوا جزاك الله خيراً فقال: راغب وراهب. قالوا: استخلف؟ فقال: اتحمل أمركم حياً وميتاً، لوددت أن أحظى منها بالكفاف، لا لي ولا علي، فإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر- وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عبد الله فعرفت أنه حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مستخلف" (النووي، د.ت، 12 / 205). وقد ذكر ابن خلدون هذا النص في مقدمته للتدليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يوص لأحد من بعده للخلافة (ابن خلدون، د.ت، 212).

- كذلك فإن عليّاً رضي الله عنه حينما كان يوصي أولاده وصيته الأخيرة سأل رجل: " ألا تعهد يا أمير المؤمنين؟" فأجابه " لا، ولكنني أتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم" (ابن كثير، 1966م، 8 / 14.13).

- ومنها أيضاً ما ذكره ابن عباس: " أن عليّاً خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي تُوفيّ فيه، فقال له الناس: "يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله؟ فقال: أصبح بحمد لله بارئاً. فأخذ العباس بيده، ثم قال: يا عليّ... إني والله لأرى رسول الله سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرفُ وجوه بني عبدالمطلب عند الموت! فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا الناس. فقال له عليّ: إني والله لا أفعل، والله لئن منعناه لا يؤتينا أحد بعده" (ابن حنبل، د.ت، 4 / 116، ابن حزم، د.ت، 4 / 144). وقد ذكر ابن خلدون هذا النص للتدليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يوص لأحد من بعده للخلافة ثم علق

عليه قائلاً: " وهذا دليل على أن علياً عَلِمَ أنه . أي الرسول صلى الله عليه وسلم- لم يُوص ولا عهد إلى أحد" (ابن خلدون، د.ت، 212).

مما سبق يتضح أن الإمامة لم تثبت بالنص كما ادعى الشيعة، وعليه فهي تثبت بالاختيار والاتفاق " ففي فساد النص دليل بثبوت الاختيار الذي نذهب إليه" (الباقلائي، د.ت، ص 164) كما يقول الباقلائي.

ينبغي قبل أن ننتقل لخلاصة البحث أن نشير إلى ثمة حقيقة وهي: أن فريقاً من أهل السُنَّة - كالحسن البصري وابن حزم وجماعة من أهل الحديث منهم الإمام أحمد - قد ذهبوا إلى جواز انعقاد الخلافة بالنص، وإلى أن خلافة أبي بكر قد ثبتت بالنص من الرسول صلى الله عليه وسلم (الفراء، د.ت، 196 - 200 وابن تيمية، د.ت، 1 / 134). وكان هذا الموقف من قبيل الرد على القول بإمامة علي رضي الله عنه. ومن ذلك فإن الإمام الجويني قد رد على القول بالنص على علي رضي الله عنه قائلاً: " فذلك بهت، وهو دأب الروافض، فيجب أن يقابلوا على الفور بنقيض دعواهم في النص على أبي بكر رضي الله عنه " (الجويني، د.ت، 419).

واحتج هؤلاء بأحاديث منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اقتدوا باللذين بعدي أبي بكر وعمر" (الترمذي، د.ت، 5 / 60، ابن ماجة، د.ت، 1 / 37).

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر " (ابن حجر، د.ت، 15 / 150 - 151). وهذه الأحاديث تشير إلى مناقبه وفضائله، ولا تنص صراحة على إمامته. ويؤكد ابن خلدون أن احتجاج الصحابة على خلافة أبي بكر بقياسها على الصلاة في قولهم: ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لديننا؟ دليل على أن الوصية لم تقع (ابن خلدون، د.ت، 213).

كذلك فإن اجتماع السقيفة الذي تم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم واختيار خليفة المسلمين، يُعد دليلاً على أنه ليس هناك نصاً صريحاً على خليفة بعينه، وأن الأمر متروك للمسلمين يقررون فيه ما يلائمهم. وهذا يقوي من رأي الجمهور، وبعض الفرق القائل بأن الإمامة تثبت بالاختيار، وليس النص. يقول البغدادي مبيناً ذلك: "واختلفوا في ثبوت الإمامة من نص أو اختيار، فقال الجمهور الأعظم من أصحابنا، ومن المعتزلة والخوارج والنجادية طريق ثبوتها الاختيار من الأمة باجتهاد أهل الاجتهاد منهم، واختيار من يصلح لها" (البغدادي، د.ت، 270)

خاتمة:

من هذه الدراسة التي تناولت دعوى الشيعة الإمامية بثبوت الإمامة بالنص والتعيين، ومن ورد العلامة ابن خلدون عليها توصلنا إلى نتائج مهمة منها:

- لدحض دعوى الشيعة الإمامية بأن الإمامة واجبة على الله من باب اللطف، وكذلك دعواهم بثبوت الإمامة بالنص والتعيين، قام ابن خلدون بتفنيد نصوصهم ورواياتهم التي استدلو بها، فبرهن على أنها إما موضوعة أو مطعونة في سندها أو متأولة بتأويلات فاسدة لا يُقرُّها أهل السُنَّة، ولا جهابذة العلماء.
- هنالك فريق من أهل السنة ذهب إلى جواز انعقاد الخلافة بالنص، وإلى أن خلافة أبي بكر ثبتت بالنص من الرسول صلى الله عليه وسلم وكان هذا الموقف من قبيل الرد على القول بإمامة علي رضي الله عنه وقد رد عليهم ابن خلدون مؤكداً على أن الأدلة التي استندوا عليها لا تدل صراحةً على إمامة أبي بكر، ولا على أن الوصية قد وقعت.
- اجتماع السقيفة الذي تم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم واختيار خليفة المسلمين، يُعدُّ دليلاً على أنه ليس هناك نصاً صريحاً على خليفة بعينه، وأن الأمر متروك للمسلمين يقررون فيه ما يلائمهم. وهذا يقوي من رأي الجمهور وبعض الفرق القائل بأن الإمامة تثبت بالاختيار وليس النص.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب العربية

- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط1. مكتبة النهضة المصرية. مصر، 1954م.
- الباقلاني، أبو بكر محمد الطيب، التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة - دار الفكر العربي - القاهرة، 1947م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، طبعة دار الشعب، القاهرة 1348هـ.
- البغدادى، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين، مطبعة الدولة. استانبول، 1928م.
- الترمذي، أبو عيسى بن سورة. سنن الترمذي (الجامع الصحيح). دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم:
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، المطبعة الأميرية. بولاق، 1352هـ.
- مجموع الفتاوى، مكتبة الرياض، السعودية، 1381هـ.
- الجويني، أبو المعالي عبد الملك. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: الدكتور محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1950م.
- ابن حجر، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري. شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1959م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة المثني، بغداد، د.ت.
- ابن حنبل، أحمد، المسند، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، د.ت.

- الدهلوي، ولي الله أحمد عبد الرحيم، مختصر التحفة الاثني عشرية. تعريب: غلام محمد بن محي الدين الأسلمي، اختصره وهذبه: محمود شكري الألوسي، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض. ط 1، 1404هـ.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1967م.
- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج على أهل اللجاج، تعليقات وملاحظات: محمد باقر الخراساني، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، 1966م.
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بابن أبي زينب النعماني، الغيبة (أقدم كتاب حول الإمام المهدي)، تحقيق: فارس حسّون كريم، دار الجوادين، لبنان ط 1، 2011م.
- الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، علق عليه: محمد حامد الفقي. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط 2، 1961م.
- القلقشندي، أحمد بن عبد الله، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فرج، عالم الكتب. بيروت، د.ت.
- ابن كثير، عماد الدين بن فداء إسماعيل:

- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط 1، د.ت.

- تفسير القرآن العظيم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1، د.ت.

- ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، 1953م.
- المطهر، جمال الدين الحسن بن يوسف، الألفين في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مكتبة الألفين، بُنيد القار- الكويت، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1985م.
- المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، مطبوعات النجاش، بغداد، ط 2، 1982م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1990م.
- الموسوي، عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، منشورات قسم الدراسات الإسلامية، طهران، ط 3، 1358هـ.

- النووي، معي الدين يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية، القاهرة، 1349هـ.

ثالثاً: الكتب الأجنبية

- Gibb، H.A.R. *The Islamic Background of Ibn Khaldoun's Theory*. Ed. by Shaw and plok. Boston. 1962.

فلسفة الأخلاق التطبيقية

وعلاقتها بالقضايا المشتركة بين الثقافات

د. رشا علي البارودي

كلية الآداب – جامعة الخرطوم

المستخلص

إن أكبر تحدي يواجهه فلسفة الأخلاق اليوم هو القضايا متعددة الثقافات، بمعنى القضايا المشتركة والمتكررة والمتشابهة في مجتمعات ذات ثقافات متباينة، وقد زادت مساحة هذه القضايا بعد ثورة التكنولوجيا، وبالتالي كان لابد من البحث عن معايير أخلاقية مشتركة تلي حاجة المجتمعات المختلفة لحلول القضايا والمشكلات الأخلاقية دون التعارض الحاد مع ثقافات تلك المجتمعات. إن القيم المستمدة من ثقافات المجتمع الإنساني متعددة بتعدد الثقافات، بينما القيم المستمدة من الأديان السماوية متقاربة باعتبار أن المصدر واحد، وهذا لا يعني بالضرورة انصهار الأديان والثقافات في نموذج قيعي واحد؛ يؤدي إلى تلاشيها وإنما تحديد النقاط المشتركة بينها، وتوظيفها للخروج بمعايير مشتركة تخدم كل المجتمعات الإنسانية. وتمثل قضايا العلوم الطبيعية نسبة كبيرة من القضايا المشتركة في المجتمعات بالمقارنة مع قضايا العلوم الإنسانية، وهذه القضايا تجد حلولها في مجال الأخلاق التطبيقية فهو الاختبار الحقيقي للنظريات الأخلاقية، وهو الذي يمنحها الإجماع والثقة وامكانية استنباط المبادئ العامة والمطلقة.

ويأتي البحث في ثلاثة محاور:

أولاً: تعدد وتباين القيم المستمدة من الثقافات الإنسانية في مقابل وحدة، وإطلاق القيم المستمدة من الأصول الدينية.

ثانياً: حاجة القضايا الأخلاقية في مجال العلوم الطبيعية للمعايير المطلقة والثابتة أكثر منها في العلوم الإنسانية.

ثالثاً: المعايير المطلقة المستمدة من الأديان، ودورها في القضايا الأخلاقية التطبيقية.

فرضية البحث: إثبات أن الأخلاق التطبيقية ذات المصادر الدينية هي القادرة على إيجاد الحلول للقضايا المشتركة بين الثقافات المتعددة. منهج البحث: المنهج التحليلي.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق التطبيقية، الثقافات المتعددة، المصادر الدينية

Abstract

The greatest challenge facing the philosophy of ethics today is multicultural issues, common, recurring, and similar issues in societies with different cultures. The area of these issues has increased after the technology revolution, and therefore it was necessary to search for common ethical standards that meet the need of different societies for solutions to ethical issues and problems without sharp conflict with the cultures of those societies. The values derived from the cultures of human society are as diverse as these cultures are, while the values derived from the heavenly religions are close, given that the source is one. This does not necessarily mean the fusion of religions and cultures into a single value model that leads to their disappearance, but rather identifying the common points between them and employing them to come up with common standards that serve all human societies. Issues in the natural sciences represent a large proportion of common issues in societies compared to issues in the human sciences, and these issues find their solutions in the field of applied ethics, as it is the true test for ethical theories, and it is what gives them consensus, confidence, and the possibility of deriving general and absolute principles.

The research comes in three axes:

First: The multiplicity and diversity of values derived from human cultures as opposed to the unity and absoluteness of values derived from religious origins

Second: Ethical issues in the field of natural sciences need absolute and fixed standards more than in the human sciences.

Third: Absolute standards derived from religions and their role in applied ethical issues.

Research hypothesis: Proving that applied ethics with religious sources is capable of finding solutions to issues common to multiple cultures.

Research method: analytical method

Keywords: Applied ethics- multiple cultures- religious resources

مقدمة:

ارتبط مجال الأخلاق التطبيقية أو العملية بالتطورات الحديثة في مجالات العلوم والمهن المختلفة. وقد أثارت الكشوفات والتقنيات الحديثة في مجال العلوم الطبيعية قضايا أخلاقية تمس الإنسانية في مختلف أشكال وجودها، فوحدت هذه القضايا هموم الناس في مختلف الثقافات، ووحدت جهودهم لإيجاد حلول للمشكلات الأخلاقية المترتبة عليها، فعندما يتصدى الأطباء والعلماء والباحثين والأخلاقيين والمهتمين عموماً لقضايا مثل قضية الهندسة الوراثية أو نقل الأعضاء أو قتل الرأفة أو قضايا البيئة أو قضايا التكنولوجيا، فإنهم يتعاملون باعتبار الإنسانية في مواجهة هذه القضايا والمشكلات الأخلاقية، ويبحثون عن حلول تصلح للتعميم على كل الحالات.

يهدف هذا البحث أن إلى توضيح الفرق بين الأخلاق ذات المصادر الوضعية والمصادر الدينية، وأن الأخلاق التطبيقية تكتسب صفة الإطلاق والعمومية التي تؤهلها لمعالجة القضايا الأخلاقية المشتركة بين الثقافات من خلال استنادها للمصادر الدينية، ومن ثم التذليل على هذا ببعض النماذج من قضايا الطب والبيئة وتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي.

وهناك عدد من الدراسات السابقة في هذه المجالات. وقد توصلت لنتائج مختلفة ما بين مؤيد ومعارض لمسألة استناد الأخلاق التطبيقية للأديان، وما يتميز به هذا البحث هو التذليل على فرضية صلاحية الأخلاق التطبيقية لتقديم أحكام مطلقة وعامة وشاملة من خلال التطبيقات العملية لهذه المعايير.

أولاً: تعدد القيم المستمدة من الثقافات الإنسانية وتباينها في مقابل وحدة وإطلاق القيم المستمدة من الأديان

يشير مفهوم القيم Axiology في الفلسفة إلى الأخلاق والجمال والمنطق، ولكن تم استخدامه في هذا البحث في محور (الأخلاق) باعتبار أهميتها، ويتم التركيز بصورة أكبر على الأخلاق العملية أو التطبيقية. ومصطلح (الدين) سيطلق على الأديان السماوية مع تخصيص الدين الإسلامي باعتباره قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَا يُسَلَّمُ﴾ (آل عمران: 19).

يمكن القول أن السبب الأساسي في تعدد القيم المستمدة من الثقافات الإنسانية هو تعدد وتنوع المصادر التي يمكن أن تكون إما وضعية فقط أو وضعية دينية أو دينية فقط. أما الأخلاق ذات المصدر الديني فسبب وحدتها وإطلاقها هو وحدة المصدر، ونقصد بالأديان هنا الأديان السماوية؛ فالأديان الوضعية يمكن

أن تصنف من ضمن الثقافات فهي من وضع البشر وتتعدد بتعدد مجتمعاتهم وثقافتهم. وحتى تتضح فكرة التصنيف لمصادر الأخلاق يمكن وضع التقسيم التالي:

1- الأديان السماوية، وتلحق بها الثقافات التي مصدرها الدين.

2- الثقافات الإنسانية، وتلحق بها الديانات الوضعية.

وعليه يمكن مناقشة القيم الأخلاقية على مستويين:

المستوى الأول: القيم الأخلاقية المستمدة من الأديان السماوية، وهي تتميز بالوحدة والثبات والإطلاق باعتبار أن مصدرها واحد وثابت ومطلق وهو الوحي السماوي.

المستوى الثاني: القيم الأخلاقية المستمدة من الثقافات، وهي بالتأكيد مختلفة ومتباينة باختلاف وتباين الثقافات، فهي وضعية مصدرها إنسان الثقافة المعينة، وقد تكون الأديان السماوية والديانات الوضعية من مصادرها كذلك.

وهذا يقتضي عرض ومناقشة مفهوم الثقافة ومفهوم الدين ومفهوم الأخلاق وبالتحديد الأخلاق العملية والعلاقة بين هذه المفاهيم لتأكيد أن الدين هو الذي يعطي القيم الأخلاقية الوحدة والثبات والإطلاق.

وكما سبق الذكر فإن الأديان المقصودة هنا هي الأديان السماوية، وهي الأديان المشتركة في المصدر والأصول والمتقاربة في المقاصد. والتعريف المتفق عليه هو أن الدين السماوي هو الشرع الإلهي الملقى عن طريق الوحي، وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: 24) يدل على استمرار دور الأديان السماوية في المجتمعات الإنسانية، وأن الرسل كانوا يبعثون بالأديان لرد الناس إلى التوحيد كل ما ابتعدوا عنه، ولتجديد الشرائع التي تنظم علاقتهم بالله وبالناس، وهذا وفق الدين الإسلامي يعني أن التجمعات البشرية لم تخل من الدين. وقد أيد ذلك علم الآثار والبحوث الاجتماعية. وفي هذا يقول الفيلسوف الفرنسي (هنري برجسون) أنه وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنها لم توجد بغير ديانة؛ وربما يعني برجسون هنا الأديان السماوية والديانات الوضعية؛ لكن هذا يجتمع مع الرؤية الإسلامية في حاجة الإنسان للدين وإن اختلفت الآراء حول الدوافع للدين (الخلف، 1997م، 11-16). وبغض النظر عن دوافع الناس للدين، وعن الأديان والديانات التي ارتضوا الخضوع لها. فما نريد تأكيده هو أهمية الدين بمفهومه الواسع، وعلى وجه الخصوص الأديان السماوية في الحياة الإنسانية ودوره في تنظيم العلاقات في المجتمعات.

وبالنسبة لمفهوم الثقافة فيمكن عرض اتجاهين أساسيين في تعريفها، أولهما: الاتجاه الواقعي الذي يرى أن الثقافة صفة تلازم السلوك الإنساني، وأنها اللغة التي تعبر عن العادات والتقاليد والقانون، وهي مرتبطة بالجماعات الإنسانية، كذلك تتألف الثقافة عندهم من الأشياء المادية والأفكار غير المادية والمثل والعادات والتقاليد. والاتجاه الثاني هو الاتجاه المثالي: والذي يعرف الثقافة بأنها مجموعة الأفكار المتضمنة في عقول الأفراد والمخترعات والمرتبطة بالأعراف والسلوك الإنساني، فهم يرفضون الماديات باعتبارها مكون للثقافة ويربطون الثقافة بأفكار وآراء الأفراد، أنها عبارة عن نسق للمعرفة يستخدمه الأشخاص لتفسير الأفعال والأشياء والأحداث ولتنظيم العلاقات والسلوكيات في مجتمعاتهم. ويمكن القول أن كل جماعة اجتماعية تستخدم معرفتها الثقافية لتفسير خبراتها وتحديد سلوكياتها وكذلك يمكنها نقل هذه المعرفة الثقافية عن طريق التعلم، وهذا يمكن أن يعبر مفهوم الثقافة عن السمات السلوكية المكتسبة عن طريق التعلم في جماعة بعينها، ولما كانت الجماعات مختلفة ومتباينة في أنشطتها وطرق تنظيمها وبيئاتها ومعرفتها التكنولوجية فإن أنماط سلوكها ومعرفتها الثقافية ستكون مختلفة ومتباينة أيضاً (إسماعيل، 1980م، 83-101).

أما بالنسبة لمفهوم الأخلاق فقد ارتبط بالمجتمعات الإنسانية منذ بداية تشكيلها في كل جماعات صغيرة فرافقت الأخلاق مفاهيم الضمير والعرف ثم تداخلت مع القوانين باعتبارها من مصادرها الأساسية. وهناك تعريفات كثيرة للأخلاق، لكن ما يدخل في إطار هذا البحث منها هي التي ميزت بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية. فالأخلاق النظرية تهتم بوضع النظريات والمبادئ الأخلاقية العامة بالاستناد إلى فكر وتأمل الفلاسفة، بينما تهتم الأخلاق العملية بدراسة السلوك الإنساني في حياته اليومية وتضع معاييرها وفق هذه الدراسة. وظهر الاهتمام بمجال الأخلاق العملية بصورة كبيرة وواضحة مؤخراً نتيجة للثورات العلمية والتكنولوجية (البارودي، 2004م، 3). ويمكن القول أنه بالرغم من تقسيم الأخلاق إلى نظرية وعملية إلا أن هناك ارتباطاً وثيقاً وتداخل بين القسمين، فالأخلاق النظرية تضع مبادئها من خلال التأمل والنظر ويتم جدوى إثبات هذه المبادئ عن طريق التطبيق العملي، والأخلاق العملية تسترشد بالمبادئ النظرية في وضع معاييرها لقياس السلوك العملي.

ويمكن تقرير العلاقة بين الدين والأخلاق فيما يلي:

1. تشترك الأخلاق مع الدين في النظرة الميتافيزيقية، فهي تعتقد في وجود الخير والشر وحقيقة الزمان.
2. الدين يضمن للأخلاق اتصافها بالموضوعية؛ وذلك بجعل القوانين الأخلاقية قوانين إلهية مثلها مثل قوانين الطبيعة.

3. كثير من الدوافع الأخلاقية صادرة عن شيء وراء الطبيعة؛ وهذا ما دفع البعض لتعريف الضمير بأنه صوت الله في الإنسان.
4. فكرة الولاء الموجودة في الأخلاق، واعتقادنا بأن من واجبنا إطاعة القوانين مهما كان رأينا فيها؛ هي فكرة دينية الأصل.
5. فكرة الخلود التي ذكرتها الأديان تعطي قيمة للأفعال الأخلاقية التي لا يترتب عليها نتائج مادية أو نتائج في هذه الحياة الدنيا؛ فيكون مبرر الالتزام بهذه الأفعال هو الجزاء في الحياة الأخرى. (وليم، 2000م، 130-135).

ويرى أصحاب الاتجاه النظري التجريدي الذين ينظرون إلى (ما ينبغي أن تكون) أن الدين والأخلاق منفصلان من حيث النزعة والموضوع؛ فالدين يدعو إلى معرفة الحق الأعلى والأخلاق تحت على فعل الخير فاختص الدين بالفضيلة النظرية والأخلاق بالفضيلة العملية فظهر أنهما يهتمان بمجالين مختلفين (دراز، دت، 56-57). وقد تصح هذه الرؤية في العلاقة بين الأديان التي تقدم نموذج نظري فقط للحياة المثالية أما بالنسبة للأديان التي تقدم نماذج متكاملة لإدارة الحياة الإنسانية كالإسلام فلا تعارض بينها وبين الأخلاق فهي تقدم للأخلاق المبادئ والمعايير التي يمكن تطبيقها في الحياة الواقعية.

فيحتج البعض بأن علم الأخلاق يدرس في الثقافة الغربية بشكل منفصل عن الدين بالرغم من أن اليهودية تزخر بالتعاليم الأخلاقية ومن ضمنها الوصايا العشر، وكذلك النصرانية التي تتبنى قواعد أخلاقية تهدف إلى السعادة في الحياة الأخرى. ويبدو أن سبب هذا الانفصال بين الأخلاق والدين في الثقافة الغربية هو سوء تطبيق رجال الدين الغربيين في العصور الوسطى للتعاليم الدينية والأخلاقية؛ الأمر الذي دفع بالناس إلى البعد عن الدين، أو على الأقل فصله عن بقية أنشطة الحياة كما حدث بعد الثورة الفرنسية. أما في الثقافة الإسلامية فقد ارتبطت الأخلاق بالدين، واستمدت مبادئها منه، وبقيت هذا المبادئ فاعلة ومعتبرة لأنها أثبتت جدواها.

وبالرغم من سعي الغرب إلى فصل الأخلاق عن الدين إلا أنه وباعتراف عالم الاجتماع الفرنسي (دوركاييم) الذي يعد من أكبر المنادين بهذا الفصل- فإن " الأخلاق والدين قد ارتبطا ارتباطاً وثيقاً منذ أمد بعيد، وظلا طوال قرون عدة متشاكين، فلم تصبح العلاقات التي تربطهما علاقات خارجية أو ظاهرية، ولم يعد من السهل فصلهما بعملية يسيرة كما نتصور" (حلي، 2004م، 102).

ولتأكيد العلاقة بين الأديان السماوية والأخلاق فيمكن أن نجد أنها ابتداءً في الدين اليهودي في الارتباط المباشر بالمصدر الواحد وهو الله تعالى، إذ إن كل الأوامر والنواهي مرتبطة به حيث يبدأ الخطاب

فيه بقوله: "إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ"، وترتبط أيضاً بالجزاء مما يعطيها صفة الإلزام، وهي تحتوي على المبادئ الأخلاقية الموجودة في معظم الأنساق الأخلاقية. فقد ورد في الوصايا العشر نهي عن القتل والسرقة وغيرها من المبادئ الكلية (كريسون، 1979م، 132-133). فاليهود يستمدون مبادئهم من التلمود ويعدون هذه المبادئ ربانية المصدر لا يمكن التدخل فيها. لكن يلاحظ أن مبادئ اليهود متناقضة ومزدوجة، فهم يشرعون نوعين من الأخلاق: نوع للتعامل بين اليهود، ونوع للتعامل مع غير اليهود. وهذا الأخير يمكن فيه ممارسة كل التجاوزات الأخلاقية (الجمزاوي، 2021، ص 31-34)؛ وهذا يجعل تطبيق الأخلاق اليهودية على عموم الإنسانية أمر مستحيل لعدم عدالتها بسبب ازدواجية المعايير وتكريسها لمفاهيم تؤدي للعنصرية. هذا بالإضافة إلى المعاملة غير العادلة داخل المجتمعات اليهودية تجاه المرأة حيث تنظر المجتمعات اليهودية إلى المرأة باعتبارها كائناً أقل من الرجل "وَإِذَا بَاعَ رَجُلٌ ابْنَتَهُ أَمَةً، لَا تَخْرُجُ كَمَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ." (العهد القديم، سفر الخروج 21: 7)؛ كل هذا يبعد بالأخلاق اليهودية عن مفهوم الأخلاق العالمية أو المطلقة التي تصلح لأن تطبق في المشكلات المشتركة بين الثقافات المتعدد بصورة عادلة.

أما الأخلاق في المسيحية كما في الاصطلاح العام أو النصرانية كما في الاصطلاح القرآني فهي تستند إلى تعاليم الإنجيل وأعمال الرسل، والأخلاق المسيحية أخلاق فردية لا تعنى بالمجتمعات، وتدعو للزهد في الحياة الدنيا وتفضيل الآخرة، فقد ورد في إنجيل متى، الإصحاح السادس، آية 19: "لَا تَكْتَبُزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الْأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْتَبُزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لَا يُفْسِدُ سُوسٌ وَلَا صَدَأٌ". وقد انقسمت الأخلاق المسيحية إلى قسمين: قسم الأخلاق التي جاء بها المسيح عليه السلام، وهي تخاطب القلب وتعتمد على الوحي، وقسم يحاول أن يضع أسس نظرية للأخلاق الدينية ويربطها بالفلسفة وهي محاولات للمفكرين المسيحيين. وتقوم الأخلاق المسيحية على إنكار الذات وكبت الغرائز الفطرية في الإنسان، وهذا ما أدى إلى انقسام المجتمع المسيحي إلى طبقتين طبقة القساوسة والرهبان الذين يستطيعون تطبيق هذا النظام الأخلاقي القاسي وطبقة عامة الشعب الذين لا يطبقونه (الجمزاوي، 2021م، 41-42). وتركز الأخلاق المسيحية على السعادة، ولكن ليس السعادة الدنيوية وإنما السعادة الآخروية، وكذلك لا تولي كبير اهتمام للجزاء والعقاب؛ فالأخلاق في الإنجيل تدعو إلى الإحسان والعفو على عكس الأخلاق اليهودية التي تنادي بالعدل والقصاص (كريسون، 1979م، 137). وقد تكون الأخلاق المسيحية موجهة إلى الإنسانية جمعاء لاستنادها على الدين المسيحي المفتوح للجميع، والذي هو عكس اليهودية المغلقة، لكن كون هذه الأخلاق ليست ملزمة لكل طبقات الشعب حيث لا يطبقها إلا الرهبان والقساوسة، وأنها مأخوذة من تعاليم المسيحية التي تهتم بالآخرة دون الحياة الدنيا، هذا أيضاً يجعلها لا تقدم نموذجاً صالحاً لكل البشر، وللعمل به في تنظيم شؤون الحياة الدنيا.

أما الأخلاق في الإسلام فهي تستند للقرآن الكريم والسنة النبوية، وتقدم نظاماً أخلاقياً متوازناً بين الأخلاق اليهودية التي تهتم بالدنيا والأخلاق المسيحية التي تسعى للآخرة، فجاءت الأخلاق الإسلامية لتنظم حياة البشر في الدنيا، وتمهد طريق النجاة في الآخرة، فكانت ذات طابع عملي دون أن تهمل الجوانب النظرية، وتدعو إلى قيم ومبادئ الخير، وتركز على مفهوم الجزاء الديني والأخروي لجعل هذه القيم والمبادئ ملزمة. (كريسون، 1979 م، 54-55)، فيقول الله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ فِي مَآءِ اتَّكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنَسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ﴾ (القصص: 77).

وأفضل مقارنة بين المبادئ الأخلاقية في الأديان السماوية الثلاثة هي ما قام بها عبد الله دراز والتي أوردت أوجه الشبه بين الأصل القرآني واليهودي من خلال الوصايا العشر، ونأخذ منها على سبيل المثال المبادئ الأخلاقية التالية:

- 1- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء: 29) يقابله في التوراة "لا تقتل".
 - 2- قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ...، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾ (النور: 30-31)، يقابله في التوراة "لا تنز".
 - 3- قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...﴾ (المائدة: 38)، يقابله في التوراة "لا تسرق".
- أما أوجه الشبه بين الأصل القرآني والأصل من الإنجيل؛ فيمكن التذليل عليه بالأمثلة التالية:

- أ. قوله تعالى: ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: 89) يقابله في الإنجيل: "طوبى للأتقياء القلب" (5:8).
- ب. قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣٠ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: 30-31)، يقابله في الإنجيل "قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تنز، وأما أنا فأقول إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه" (متى: 27-29).
- ت. قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (النساء: 114)، يقابله في الإنجيل "طوبى لصانعي السلام" (5-9) (حلمي، 2004 م، ص 111-112).

إذن وكما أن الأديان السماوية تتفق في الأصل، فكذلك الأخلاق المستمدة منها. ومن جهة أخرى، تبدو استحالة اعتبار الثقافة مصدراً للأخلاق الشاملة في رأي بعض المختصين بأن المنظومة القيمية في أي مجتمع مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتراث الثقافي لهذا المجتمع، وهذا التراث الثقافي هو الذي يحدد مفهوم كل قيمة سلباً أو إيجاباً. وعليه فإن إدراك القيمة المعنوية الواحدة تختلف من مجتمع لآخر، فمثلاً مفهوم الأمانة

في عدد من الثقافات قد يتعلق بالأمانة المادية لكن في الثقافة العربية الإسلامية يمتد ليشمل الأمانة في الأمور المادية والمعنوية من عدل وتميز بين الخير والشر والالتزام بعمل الخير طاعة لله (النفيلي، 2008م، 96)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: 72)، بل ووفق الآية الكريمة قد يتسع مفهوم الأمانة ليشمل قيمة وجود الإنسان نفسه ودوره في إعمار الكون ومسؤوليته تجاه الكائنات الأخرى. وكذلك إدراك القيمة الواحدة يختلف داخل المجتمع الواحد باختلاف الطبقات والعصور؛ فثقافة المجتمع الواحد تختلف من عصر لعصر تبعاً للتغيرات التي تحدث للمجتمع. وقيمة العمل مثلاً في نفس المجتمع الأوربي في مرحلة المجتمعات الإقطاعية، وفي عصور العبودية كانت قيمة سلبية؛ لأن من يعمل كان من الطبقات الدنيا، ومن لا يعمل هم طبقة النبلاء ومن يملكون العمل، لكن في العصور الحديثة أصبح العمل شرف (النفيلي، 2008م، 97).

كل ما سبق يدل على أن الثقافات لا تستطيع أن تؤسس لأخلاق كلية شاملة تصلح لتقديم حلول للمشكلات المشتركة والمتكررة في هذه الثقافات؛ فقد تكون المشكلة الأخلاقية هي نفسها في كل الثقافات، لكن كل ثقافة ستقدم الحل من وجهة نظرها الخاصة التي تراعي ظروفها الخاصة، بل تفترض أنه الحل الصحيح والوحيد أن على الجميع أن يلتزم به.

وما نحتاجه في عصرنا الحالي ليس فقط المبادئ الأخلاقية الأساسية والفطرية التي تشترك فيها الإنسانية، فالتربية والظروف الاجتماعية والبيئية غيرت في فطرة الإنسان وبالتالي أخلاقه وقناعاته. فقيمة التسامح التي كانت تعد فضيلة في السابق أصبحت تعد ضعفاً في عصرنا الحالي ومجتمعاتنا المعقدة، ففي السابق كان الإنسان يتعامل بالتسامح في محيط مجتمعه الضيق والمعروف، وكان سلوكه يدل على النبل، أما في مجتمعاتنا المعاصرة والتي غلبت عليها النزعة المادية وتنوعت مكوناتها البشرية، وطمغت عليها روح المنافسة وأهمية المحافظة على الحقوق وتحقيق المصالح الفردية، وأن القوي هو من يمكنه النجاح فقد تضاعف مفهوم التسامح.

وحتى لو اشترك الناس في القيم والمبادئ الأساسية إلا أن مشكلات عصرنا الحالي تتطلب معايير تهتم بالتفاصيل، فالمشكلات الأخلاقية المعاصرة غالباً ما تحدث في التطبيقات الجزئية. وبالرغم من أن هذه المشكلات جزئية إلا أنها لا تحل بواسطة الأخلاق النسبية؛ لأنها أصبحت مشتركة بين مختلف المجتمعات والثقافات فهي تحتاج لمعايير مطلقة تطبق بنفس الطريقة على هذه القضايا المشتركة. وهذا ما لا تستطيع الثقافات المتعددة توفيره فتحتم علينا أن نبحث عنه في المصادر المطلقة والتي نجدها في الأديان السماوية. ويؤكد ذلك التصور القديم والحديث عن المبادئ الأخلاقية، فالتصور التقليدي للأخلاق يضع عدة خصائص للمبدأ الأخلاقي تلخص في أن يكون:

1- عاماً مطلقاً لا يختلف باختلاف الظروف والأحوال والزمان والمكان.

2- ضرورياً قبلية لا يستمد من التجربة.

3- يتصف بالوضوح في ذاته ولا يحتاج إلى دليل أو برهان.

4- يقينياً لا يقبل الشك ولا النقيض (الطويل، 1979م، ص 33).

وفي التصور الذي يقول بعالمية الأخلاق يذكر بعض النقاط التالية:

1- ليس بالضرورة أن يتفق غالبية الأفراد والأمم على هذه الأخلاق، وإنما الضروري هو أن يثبت

بالبرهان والدليل العملي أن هذه الأخلاق تستطيع أن تقدم حلول للمشكلات الأخلاقية العالمية.

2- الحوار بين المتدينين وغير المتدينين يساعد على رفع التحديات الدينية والأخلاقية العالمية.

3- الاعتراف بأن الأعمال الدينية ليست ذات جانب باطني فقط، وإنما لديها جوانب ظاهرة موجودة في كثير من المجتمعات.

4- القضايا الروحية تقبل النقاش العقلاني بصورة أوسع من القضايا المادية وأخلاقياتها أكثر رسوخاً.

5- عالمية الأخلاق لا تحقق بمحاولة إرضاء من يرفضونها، إنما من خلال إقناعهم بعالمية الدين وواقعية الأخلاق التي تستند عليه (عبد الرحمن، 2012م، ص 141).

ومهذا يمكن أن نؤكد أن التصور التقليدي للمبادئ الأخلاقية والتصور الحديث لأخلاق عالمية يتطلبان مصادر مطلقة لا تتوفر لهما سوى في الدين، وهو ما يظهر في الاحتياج الأخلاقي في كل من العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية.

ثانياً: حاجة القضايا في العلوم الطبيعية للمعايير المطلقة الثابتة أكثر منها في العلوم الإنسانية.

حتى نثبت فرضية هذا المحور لابد من تعريف مختصر للعلوم الطبيعية والإنسانية والفروقات

بينهم، وتمييز الأخلاق المطلقة، وما الذي يجعلها مؤهلة لحل قضايا العلوم الطبيعية؟ وما علاقة العلوم الطبيعية بالقضايا الأخلاقية المشتركة بين الثقافات؟

ويمكن التعرف على العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية والفروقات بينهما من خلال الظاهرة

المدرسة في كل علم، ومن خلال المنهج المستخدم فيه.

فالظاهرة المدرسة في العلوم الطبيعية هي الموضوعات الموجودة في الطبيعة بدون تدخل من

الإنسان سواء أكانت فيزيائية أو كيميائية أو الأحياء الطبيعية، وهي تحاول اكتشاف العلاقات بين هذه الموضوعات مستخدمة في ذلك الأدوات المتطورة. ويتميز الموضوع المدرس في العلوم الطبيعية بأنه ليس له

وعى بوجوده، ولا يعطي معنى لأفعاله، وهو ليس من نفس طبيعة الدارس كما يمكن إعادة إنتاجه، وهذا الموضوع بسيط ويقبل القياس ويقبل بالسببية (انجرس، 2006م، ص 58-64).

وموضوعات العلوم الطبيعية إذا كانت مادية أو حية غير واعية في الغالب تعطي نفس النتائج عند تعرضها لنفس الظروف، فالحديد يتمدد بالحرارة في كل زمان ومكان واستجابة حيوانات التجارب تتشابه بشكل كبير عند تعرضها لنفس المثيرات.

والمنهج المستخدم في العلوم الطبيعية هو المنهج التجريبي، ويتميز هذا المنهج بالدقة ويهدف إلى قياس أحد المتغيرات المستقلة أو أكثر على متغير تابع محدد، وذلك من خلال التحكم والسيطرة على كافة العوامل المحيطة بالظاهرة أو الموضوع، ويتكون هذا المنهج من خطوات محددة يتم اتباعها تمثل في مرحلة الملاحظة، ومرحلة تكوين الفروض العلمية وأخيراً مرحلة إثبات الفروض والوصول للنتائج (عبيدات وآخرون، 1999م، 40-41). ووحدة النتائج ووحدة المنهج ودقته في مجال العلوم الطبيعية يجعل من السهل جداً التعامل معها بالأحكام الأخلاقية المطلقة، فعندما تجرى تجربة ما في العلوم الطبيعية، ويكون لنتائجها تبعات أخلاقية فيمكن أن يعمم نفس الحكم الأخلاقي وإطلاقه على نتائج هذه التجربة في كل زمان ومكان، هذا لا يعني إغفال الاختلاف في بعض التفاصيل الدقيقة في العلوم الطبيعية لكن هذا الاختلاف لا يؤثر بصورة كبيرة في جودة استخدام المعايير والأحكام المطلقة في هذا المجال.

أما موضوع العلوم الإنسانية فهو الإنسان وسلوكه والجوانب المختلفة لحياته النفسية والاجتماعية، والتاريخية، والاقتصادية، والسياسية. والعلوم الفرعية للعلوم الإنسانية والتي تدرس جوانب حياته المختلفة كثيرة ومتجددة مثل الانثروبولوجيا، علم النفس، علم الاجتماع، التاريخ، الفلسفة، علوم اللغة، علوم القانون، والآثار، والسياسة، وغيرها.

ويتميز موضوع العلوم الإنسانية بأنه واعٍ ومدرك لوجوده ودوره في الحياة، يعطي معنى وقيمة لأفعاله وأنه من نفس طبيعة الدارس، وأنه موضوع معقد، ولا يمكن إعادة إنتاجه، وهو يقبل أن يقاس لكن بصورة جزئية، ويقبل التحليل التفسيري (عبيدات وآخرون، 1999م، ص 58-64).

والمنهج المستخدم في العلوم الإنسانية ليس منهجاً واحداً فهناك عدة مناهج مستخدمة في العلوم الإنسانية، وتختلف باختلاف فرع العلم المعين، وبعض الفروع يستخدم فيها أكثر من منهج في نفس الآن. ومن المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي وغيرها من المناهج التي قد لا تتمتع بنفس دقة المنهج التجريبي إلا أنها تناسب طبيعة موضوع العلوم الإنسانية، وقد ذهبت بعض العلوم

الإنسانية لاستخدام المنهج التجريبي لضمان دقة نتائجها لكن لم يكن تطبيق المنهج والنتائج المتحصل عليها بنفس الدقة كما في العلوم الطبيعية.

وعليه يتضح لنا أن هناك تباين كبير بين العلوم الطبيعية من حيث الموضوع والمنهج، فالعلوم الطبيعية تتميز بالثبات والدقة في حين أن موضوع العلوم الإنسانية إي الإنسان وسلوكه وفكره يتميز بالتغير والتعقيد والتفاصيل غير المتوقعة مما يفرض استخدام مناهج تستوعب طبيعة الموضوع أو الظاهرة المدروسة في العلوم الإنسانية، وبالرغم من محاولة بعض العلماء الوصول بالعلوم الإنسانية لما وصلت إليه العلوم الطبيعية من تطور باستخدام نفس مناهجها، إلا أن هذا لم يُجَدِ إلا في نطاق ضيق من فروع العلوم الإنسانية كعلم النفس وعلم الاجتماع، ولم يكن بنفس الدقة والنجاح.

وقد تواجه دراسة الأخلاق المتعلقة بالعلوم الطبيعية باعتراضات أو تقليل من الأهمية من أصحاب هذا المجال الذين يحتجون بأن العلماء يتمتعون بقدر كافٍ من الأخلاقيات، وأن العلم بوصفه موضوعياً يدرس الوقائع، ويستخدم مناهج موضوعية وهو بهذه الصفات يتميز بنتائج أكيدة ذات وحدة وثبات، بينما الأخلاق تدرس القيم، وتستخدم المناهج الذاتية، وتنتج آراء تثير الجدل فقط. ويحتج العلماء أيضاً بأنه ليس هناك داعٍ لشغل أنفسهم بدراسة قواعد الأخلاق الفلسفية ومفاهيمها، وكفي أن يعلموا طلابهم الأخلاقيات عن طريق توجيههم إلى ممارسة العلم الجيد والسلوك الأخلاقي القويم. لكن هذا التقليل من شأن الأخلاق في العلوم الطبيعية يترتب عليه مخاطر كبيرة خصوصاً مع المستجدات والتطورات العلمية التي تضغط على العلماء وتجعلهم يهملون الالتزام بالأخلاقيات مثل الاهتمام بالنجاح في المسار المهني مما يجعل العالم يتجاوز كثير من الضوابط في سبيل إكمال بحوثه، هذا بالإضافة إلى أن التمويل الحكومي لبحوث العلماء ومشاريعهم أصبح أقل وزادت المنافسة بينهم مما يجعل بعض العلماء يتغاضى عن التجارب غير جيدة والمعطيات المغلوطة و النتائج الغامضة في سبيل أن يخرجوا بنتائج تضمن استمرار التمويل، وأيضاً قد يتجهون للتمويل غير الحكومي (الشركات الخاصة) التي تضع مصالحها في المرتبة الأولى، وتتحكم في مسارات البحوث العلمية لخدمة هذه المصالح بغض النظر عن التجاوزات الأخلاقية (رزنيك، 2005م، 15-17).

وبالرغم من مجال عمل أخلاقيات المهن والعلوم في العلوم الطبيعية هو العلوم الطبيعية نفسها، وما يتصل بها من مهن إلا أن مصدر هذه الأخلاقيات هو العلوم الإنسانية. إذن العلاقة متبادلة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية بالرغم من الاختلافات بينهما، وهذه العلاقة تتمثل في الضوابط والمعايير التي توفرها العلوم الإنسانية بواسطة فروعها في الأخلاق والأخلاق العملية والتي تحتاجها العلوم الطبيعية، لكن بمواصفات خاصة تضمنها صفة الإطلاق في الأخلاق.

والمعايير المطلقة في الأخلاق تستمد من المبادئ والقيم المطلقة، وليس من السلوك الفردي، والمعايير الأخلاقية يجب أن تكون مطلقة حتى تكتسب صفة إلزام، وحتى تضمن استمراريته، فلو سلمنا بنسبية الأخلاق لأصبح لكل شخص أخلاقه التي يلزم بها لنفسه فقط، ويعارض أخلاق الآخرين التي لا تروق له، وبالتالي نقع في معضلة الصراع بين المبادئ الأخلاقية المتباينة والمتعارضة من جهة والخلاف مع من لا يرغبون أصلاً في الالتزام بالأخلاق؛ مما قد يؤدي إلى ضعف أو فناء دور الأخلاق في المجتمعات. ويمكن أن نحدد الأخلاق المطلقة من خلال ما ذكر سابقاً من صفات المطلق عموماً فتصبح المبادئ الأخلاقية المطلقة ثابتة ومستقلة وبديهية، فكما نقول: أن المثلث مكون من ثلاثة اضلاع نقول أن السرقة خطأ.

وبالرغم من محاولة النسبيين التأكيد على أن الأخلاق النسبية تراعي الظروف المختلفة للناس، إلا أن الأخلاق تسعى لأن تكون مبادئها وأحكامها مطلقة بقدر الإمكان حتى تكون ملزمة وحتى تكون عادلة عند التطبيق، والاختلاف في التطبيقات الجزئية يمكن أن نجد له حلول ويمكن أن تراعي نسبته طالما المبادئ مطلقة، لكن زوال المبادئ المطلقة يؤدي إلى زوال الأخلاق.

وحتى نؤكد على أحقية استخدام المبادئ الأخلاقية المطلقة في العلوم الطبيعية يمكن أن نستعرض المعايير الأخلاقية المستخدمة فيها وهي:

- 1- الأمانة: والتي تعني عدم اختلاق المعطيات والنتائج، والالتزام الموضوعية.
- 2- الحذر واليقظة: أي محاولة تقليل الأخطاء البشرية والتجريبية، وتجنب خداع الذات، وتضارب المصالح الخاصة.
- 3- الانفتاحية: بأن يتشارك العلماء المعطيات والنتائج وتقنيات البحث، وأن يكونوا منفتحين للنقد، وقبول مراجعات غيرهم من لأبحاثهم.
- 4- الحرية: وهو مبدأ سعي العلماء لتحقيقه، وجعل انتقاد الأفكار القديمة، وقبول أفكار جديدة ممكناً مما يساعد في تطوير العلم.
- 5- المسؤولية الاجتماعية: والتي تتحقق من خلال السعي لجلب النفع للمجتمع وتجنبه الضرر، وتحمل العلماء مسؤولية نتائج أبحاثهم.
- 6- المشروعية: طاعة العلماء للقوانين الخاصة بمهنتهم وعلومهم.
- 7- تكافؤ الفرص: توفير الفرص للعلماء بصورة عادلة يعد من الأسس الأخلاقية، ويعضد الموضوعية العلمية.
- 8- الاحترام المتبادل: والذي يعزز روح التعاون والثقة بين العلماء.

9- احترام الذات: أي الحفاظ على حقوق وكرامة الإنسان، واحترام الذوات غير البشرية عند إجراء البحوث العلمية (رزنيك، 2005م، 85-105).

وبعرض الأخلاق المطلقة على النقاط السابقة يمكن أن نستنتج أن مبدأ الأمانة، وما يترتب من عليه عدم اختلاق للنتائج والمعطيات. ومن سعي للموضوعية يتطلب مبادئ أخلاقية مطلقة تضمن أن يلتزم الجميع بالأمانة، كما أن الالتزام بالحذر واليقظة يجب أن يشمل جميع درجات العلماء عند إجراء أبحاثهم فلا يعفي العالم صاحب الخبرة الطويلة، وثقته بنفسه من ممارسة الحذر واليقظة في كل تفاصيل تجاربه، وعند تحديد معطياته وصياغة نتائجه. أما بالنسبة للانفتاح وخشية بعض العلماء من مشاركة معطيات بحوثهم أو نتائجها فإن المبادئ المطلقة تحفظ حقوق الجميع عندما ينفذها الجميع فتضمن لنا إيجابيات الانفتاح وتبادل المعلومات دون سلبياته. أما الحرية فهي في ذاتها مبدأ مطلق، وما يقيدتها من ضوابط إنما يقن طريقة تطبيقها، وطالما هناك حرية فهناك مسؤولية، ومسؤولية العلماء تجاه مجتمعاتهم تحتم عليهم خدمة مجتمعاتهم من خلال بحوثهم وتمليكهم المعلومات مهما كانت طبيعتها. وهذا حكم عام مطلق يشمل جميع العلماء الذين يعملون في القطاع العام أو الخاص، فلا يمكن تبرير نتائج بحوث تضر بمجتمع ما بحكم أنه تخدم مصالح الشركة الممولة للبحث. والمشروعية تلزم الجميع بطاعة القوانين العامة والكلية المنظمة لمهنتهم وعلومهم إذا تعارضت مع الضوابط الجزئية في أماكن عملهم أو ما تفرضه الجهات الممولة من شروط، أو تدفعهم له أحلامهم في الارتقاء في مسيرتهم المهنية. أما تكافؤ الفرص في مجال العلوم الطبيعية يقابله مفهوم العدالة في الأخلاق العامة، وهو كذلك مبدأ مطلق. وبالنسبة للاحترام المتبادل فهو من المبادئ التي تناقض النسبية، فلكي يكون هناك احترام متبادل بين الناس عموماً أو العلماء خصوصاً لا بد أن يطبقه الكل. وكذلك احترام كل الذوات البشرية وغير البشرية بحيث يتم الحفاظ على الحقوق يضمنها الأحكام المطلقة.

والاهتمام بالعلوم الطبيعية لا يعد إهمال للعلوم الإنسانية، أو تقليل لقيمتها لكن التطور الكبير والسريع الذي حدث في العلوم الطبيعية وانسحب على كل حياة الإنسان بما فيها مجالات العلوم الإنسانية، مع ثورة المعلومات والاتصال التي جعلت التطور العلمي يمس كل المجتمعات الإنسانية استدعي أن نبحث عن أحكام أخلاقية مطلقة ثابتة تصلح للتطبيق على الجميع.

وهذه الأحكام المطلقة يمكن أن تتوفر في الأخلاق التطبيقية والتي غالباً ما تكون أخلاقيات مهنة وأخلاقيات علوم فهي توضع في شكل قواعد أو قوانين تنظم العمل بالمهنة والعلوم والصفيتين الأساسيتين اللتين تضمنان تطبيق القواعد والقوانين هي الإطلاق والجزاء، وهاتان الصفتان كم أثبتنا سابقاً تتوفر في الأحكام الأخلاقية المستمدة من الأديان.

ثالثاً: المعايير المطلقة المستمدة من الأديان ودورها في القضايا الأخلاقية التطبيقية:

لإثبات أن المعايير المطلقة المستمدة من الأديان هي الأنسب للقضايا المشتركة بين الثقافات المتعددة، وأن القضايا المشتركة بين الثقافات هي في الغالب قضايا العلوم الطبيعية فلا بد من تقديم نماذج تطبيقية للأخلاق في هذا المجال. لكن قبل مرحلة التطبيق يمكن أن نتعرف بصورة مجملة على مفهوم القضايا التطبيقية ومعاييرها المطلقة المستمدة من الأديان، وهذا يستدعي ما سبق ذكره من تقسيم الأخلاق إلى نظرية وعملية، واهتمام الأخلاق العملية بالسلوك الإنساني الواقعي، وما ينبغي أن يكون عليه، وارتباطها بالتطورات العلمية والتكنولوجية لاحتوائها على فرع أخلاقيات المهن والعلوم، وهي معايير تقبل التطبيق.

والأخلاق التطبيقية هي مجموعة القواعد الأخلاقية العملية التي تطبق في مجالات العلوم والتكنولوجيا، وما يتعلق بها من مهن، وما يتصل بها من علوم اجتماعية وسياسية واقتصادية، وتضم الأخلاق التطبيقية فروعاً عدة مثل الأخلاق الطبية والحيوية وأخلاقيات البيئة، وأخلاقيات الاقتصاد والتجارة والأعمال، وأخلاقيات تكنولوجيا المعلومات، وأخلاقيات الإعلام والاتصال، أخلاقيات تكنولوجيا الفضاء، أخلاقيات التكنولوجيا عموماً، وأخلاقيات المهن (النشر، 2018م، 168).

ويمكن القول أن النسق الأخلاقي الإسلامي هو الأقرب للأخلاق التطبيقي، فمن جهة نجد ارتباط النظر بالعمل والقول بالفعل في كل من الثوابت العقدية والعلوم الأصولية والشرعية كما في علم المقاصد وفقه الأولويات، والانتاج الفلسفي لمفكري الإسلام. ومن جهة أخرى اتفاق آليات وضع الضوابط الأخلاقية للسلوك في الأخلاق التطبيقية مع آليات تقديم الحلول الفقهية فكلاهما يحتاط في وضع القاعدة، ويقدم دفع الضرر على جلب المصلحة، ويراعي الفروق الفردية، ويخطط لما يمكن أن يحدث مسبقاً (النشر، 2018م، 127)، من خلال الحديث عما ينبغي أن يكون.

ويتم تطبيق المعايير الأخلاقية المستمدة من الدين الإسلامي من خلال مراعاة المقاصد الشرعية والوصايا العشر على نماذج للقضايا الأخلاقية في العلوم الطبيعية مثل قضايا الطب، وقضايا علم البيئة، وقضايا الذكاء الاصطناعي، وكلها نماذج تدور حول الإنسان، فالأولى متعلقة بحياته وصحته بصورة لصيقة، والثانية ببيئته ومحيطه والثالثة بالتقنيات التي يستخدمها.

فبالنسبة للأخلاقيات الطبية فقد أخذت اليهودية بقواعد قسم أبقراط وأبقت على ما هو متوافق مع الدين اليهودي واستمدت أصولها من الوصايا العشر في التوراة مركزة على قدسية الحياة وحفظ كرامة الإنسان، وحاربوا السحر في علاج المرضى. وفي المسيحية فقد كان أثر أبقراط أكبر. وقد دمجت تعاليم أبقراط مع العقيدة الأخلاقية المسيحية مما أعطى الطبيب نوعاً من السلطة الأبوية مع مقدرات المسيح على الشفاء.

وكذلك أكدت المسيحية على مسؤولية الإنسان عن جسده باعتباره ملك لله، وقُدسية الإنسان الحي والميت. وفي كلا الديانتين اليهودية والمسيحية لا يمكن إنكار دور اللاهوتيين الكبير وأثره على الأخلاق الطبية وتطورها (البقصي، 1995م، 40-41).

أما في الإسلام فمن أهم الكتب التي تحدثت عن الأخلاق الطبية، واهتمت بالأخلاق العملية هو كتاب إسحاق بن علي الراوي (آداب الطبيب) وكان فيه أثر واضح لأبقراط وأفلاطون مع الاعتماد على الأخلاق الإسلامية، وهذا ما دعا بعض المفكرين إلى القول بأن الأخلاق الإسلامية عبارة عن تفاعل بين الأصول الدينية والأخلاق المستمدة من حضارات وثقافات أخرى.

وحقيقة الأمر أن الإسلام أبقى على الأخلاق الحميدة بالقياس على المبادئ الإسلامية. وما أعطى المبادئ الأخلاقية الإسلامية القوة هو استنادها على نصوص شرعية من الدين. وقد ركز الدين الإسلامي على حرمة المريض ومصلحته فأمر بحفظ أسرار المريض كما في توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)، والمحافظة على روح المريض المعنوية في قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله، فإن ذلك لا يرد شيئاً ويطيب نفسه). (البقصي، 1995م، 52).

وفي عصرنا الحديث هناك مجموعة كبيرة من اللوائح والضوابط التي تنظم العمل الطبي مثل (إعلان هلسنكي الطبي)، و(معاهدة جنيف)، و(اللائحة الأخلاقية للمساعدين الطبيين) وغيرها من الضوابط الأخلاقية التي صدرت في مجتمعات وثقافات متباينة، واختلفت عن الأخلاقيات التي كان مصدرها الأديان، واختلفت كذلك عن العلاقة الأبوية بين الطبيب والمريض في اليهودية والنصرانية إلى رغبة المجتمع في فهم ما يجري في مجال الطب، وقبول أو رفض ما يقدم له من خدمات طبية. وتعد هذه الضوابط أدى إلى تعقيد مهمة العاملين في المجالات الطبية. ويقدم الدكتور ارس (John D. Aras) انتقاداً لهذه الأخلاقيات المتعددة في ثلاث نقاط وضعها في مشكلة التطبيق، ومشكلة الاتساق، ومشكلة التشكيك الأخلاقي.

فبالنسبة لمشكلة التطبيق فهي تكمن في أن القواعد الأخلاقية لمهنة الطب لا يمكن تطبيقها على كل الحالات، وأيضاً لا يمكن تطبيقها بنفس الطريقة في كل الحالات. أما بالنسبة لمشكلة الاتساق فتحدث من وجود أكثر من لائحة أخلاقية في مجال الطب، وأن هذه اللوائح في بعض الأحيان تكون متعارضة مع بعضها البعض، أو مع أخلاق الطبيب الشخصية، فتظهر التساؤلات عن أي اللوائح يجب أن يختار. وما هو الدليل على صحة الاختيار المعين؟ والمشكلة الثالثة متعلقة بهل يمكن اعتبار هذه اللوائح الأخلاقية ثابتة وواحدة وصالحة للتطبيق باختلاف الزمان والمكان؛ فمثلاً أبقراط يفرض على الطبيب الولاء والإخلاص للعاملين معه في نفس المجال وذلك بحكم أنهم مجموعة طبية دينية يربطها نوع الطقوس، لكن في العصر الحديث ظهرت أهمية العلاقة بين الطبيب والمجتمع. فقسم أبقراط يعطي الطبيب والعاملين معه السلطة الأبوية التي

تجعلهم يعلمون مصلحة المريض أكثر منه، وبالتالي ولاؤهم لبعضهم البعض، أما في العصر الحديث ومع ظهور حركات حقوق المريض فيجب على الطبيب أن يكون أكثر انفتاحاً في مسألة ولائه على المجتمع ومرضاه.

هذا بالإضافة إلى أن لغة بعض اللوائح الطبية معقدة وتحتوي على عبارات مهمة أو قابلة للتفسير بأكثر من معنى، مثل أن تكون هناك لائحة تقول أن الطبيب يجب أن لا يؤدي المريض وفي نفس الوقت تقول أن الطبيب يجب أن يفكر بمصلحة المريض. فعند التطبيق قد يواجه الطبيب بالتعارض بين هذين البندين في نفس اللائحة عندما يحتاج أن يخفف من ألم بدواء له آثار جانبية في المستقبل فيتنازع بين استخدام عقار لتخفيف الألم من باب تجنب الأذى وبين التفكير في مصلحته بعدم إعطائه هذا العقار الذي قد يكون له آثار مستقبلية.

هذه المشكلات الثلاثة مع صعوبة وتعقيدات لغة اللوائح الطبية دعت (ارس) إلى القول بأهمية دور الفلسفة في تحديد الألفاظ والمفاهيم ومحاولة الوصول إلى مبدأ عام وشامل بدلاً من اللوائح المختلفة والمتناقضة (البقصي، 1995م، 52-55).

وقد يتم الاتفاق مع الرأي القائل بأن وضع ضوابط ونظم أخلاقية شاملة ومطلقة وواضحة يمكن أن يتم بواسطة فلسفة الأخلاق إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هو على ماذا ستستند الفلسفة في وضع هذه المبادئ؟ هل على الثقافات المتعددة أم الأصول الدينية الواحدة. ومثل هذه الأسئلة إجابتها متضمنة فيها فطالما الأخلاق تسعى لمبادئ ومعايير مطلقة وتقترن بصفة الوضوح والدقة والإلزام والجزاء، فإن المصدر الوحيد الذي يوفر لها هذه الصفات هو الدين الإسلامي. وهذه المعايير بهذه المواصفات تقدم الكثير للمجال الطبي فبالإضافة إلى أنها وفر له الضوابط التي يعمل وفقها فهي تمنح من يؤمن بها الثقة في النفس، لأنه يستند إلى مبادئ قوية وهذه الثقة تنعكس على أداء الطبيب وبالتالي على جودة، وتطور الحقل الطبي عموماً.

أما النموذج التطبيقي الثاني سيكون في أخلاقيات البيئة وهي من القضايا المعاصرة التي شغلت كل المجتمعات الإنسانية ووحدت أهدافها واهتماماتها وفي السابق كان البعض يرى أن الحديث عن البيئة من ترف القول أمام مشكلات مثل الفقر والجوع، لكن مؤخراً وبعد أن لمس الناس انعكاس قضايا البيئة بصورة مباشرة على حياتهم اعترفوا بأهمية مناقشة هذه القضايا بجدية. وهذا يؤكد دور الأخلاق العملية في لفت الانظار إلى القضايا الأخلاقية التي تؤثر على حياة الناس، ووضع معايير للتعامل معها قبل تصبح مهدد حقيقي.

وعلم البيئة هو علم العلاقات العضوية بالبيئة. والحديث عن حق الطبيعة قد يقابل بشيء من الاستهجان في ثقافتنا باعتبار اهتمامها فقط بحقوق الإنسانية، وأن الإنسان وحده هو الغاية. لكن في

المقابل نجد البعض قد طالب بالأ تعامل الطبيعة كوسيلة، بل ذهبوا إلى افتراض عقد طبيعي بين الإنسان والطبيعة مثل العقد الاجتماعي الذي بين الإنسان والإنسان. وحجتهم أنه طالما الطبيعة تعطي الإنسان فإن على الإنسان أن يقدم لها في المقابل، حتى يستطيع أن يستمر في الحياة، ولكن يبدو أن هذه الحجة تعيدنا إلى أن الإنسان هو الغاية (روس، 2001م، 123-124).

وحقيقة الأمر لا يمكن إنكار أن الإنسان هو الغاية طالما هو الكائن العاقل وطالما خلق لإعمار الكون وحمل الأمانة، وحتى من يهتمون بحقوق الإنسان فقط عليهم أن يعدوا العيش في بيئة صحية هو من حقوق الإنسان.

ومن وجهة النظر الوضعية فقد ظهرت مشاكل البيئة مع وجود الإنسان، وذهب بعضهم إلى أن الوجود الإنساني على الأرض مثل الورم السرطاني، وأن السبب الأساسي لتدهور البيئة أن الإنسان عندما حاول التأقلم مع محيطه لم يتكيف من داخل جسده، إنما احتاج إلى أدوات خارج جسده؛ ليضمن بقاءه. وفي سبيل صناعة هذه الأدوات استنفذ الموارد الطبيعية من مواد أولية ومصادر طاقة، هذا بالإضافة إلى أنه يعيد إلى البيئة المحيطة به كميات من النفايات الصناعية وغير الصناعية، فنتجت مشكلات البيئة مثل الجوع والفقر والاحتباس الحراري والملوثات البيولوجية مثل الأمراض والأوبئة، والملوثات الكيميائية مثل المبيدات والغازات المتصاعدة من المصانع والسيارات والرصاص والزئبق، والملوثات الفيزيائية مثل الضوضاء والتلوث الحراري والإشعاعات والتفاعلات النووية. ومما فاقم الأمر أن الإنسان لا يكتفي بالمحافظة على وجوده إنما امتلك الخيال الذي جعله يستنزف موارد الطبيعة؛ ليصل إلى اكتشافات جديدة وتقنيات مستقبلية (غصن، 2006م، 225-228).

هذا هو التصور الوضعي لعلاقة الإنسان بالبيئة ووجوده في الأرض، أما بالنسبة للأديان السماوية والدين الإسلامي بالتحديد فإن الأرض سخرت لخدمة الإنسان، وهي من نعم الله المخصصة له والإنسان خلق لعبادة الله والحفاظ على نعمه وإعمار الكون؛ وهذا يكون الحفاظ على البيئة من الأدوار التكليف الأساسية للإنسان. فإذاً ليس الخطأ في وجود الإنسان على الأرض كما قال الوضعيون وإنما في عدم التزام الإنسان بالموجهات الإلهية للتعامل مع الأرض والبيئة المحيطة به، إضافة إلى ذلك عدم وجود معايير وضوابط أخلاقية تواكب تطور العلوم وتطبيقاتها وآثارها على البيئة.

ويرى المهتمون بالبيئة أن الأخلاق لم تطور نفسها لتواكب التطورات العلمية. وللوصول إلى ذلك لابد من إيجاد مسوغات عقلية؛ لتكوين قواعد ومعايير أخلاقية لتنظيم التعامل مع البيئة، فطالما أن تطور العلوم ينطلق من العقل كذلك فإن الاخلاقيات المنظمة لها يجب أن تستند إلى حجج عقلية وليس الغيبيات.

ومن الجهود العالمية لحماية البيئة نجد أن هناك كثيرا من المنظمات والجماعات التي اهتمت بقضايا مثل حماية الأنواع المهددة بالانقراض، والزراعة العضوية، والحفظ على الطاقة والموارد الطبيعية. إلا أن جميع هذه الجهود لم تفعل في الواقع بصورة تضمن تقليل الآثار السلبية على البيئة (غصن، 2006 م، 236-241).

ولا تنكر الأمم المتحدة -في تقري لها- دور العلم والتكنولوجيا في تدهور البيئة من خلال مساهمتها في التحفيز البيئي، إلا أنها تري أنه يمكن توظيف العلم والتكنولوجيا في تقديم حلول لمشاكل البيئة من خلال البحوث في المجالات المختلفة. فمثلاً ساهمت التقنيات والممارسات الزراعية الجديدة منذ 1960م في زيادة الإنتاج الزراعي؛ مما أدى إلى مواجهة نقص الغذاء في كثير من المناطق، كما أتاحت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فرصة لتطور أنظمة الإنذار المبكر (جابر، وآخرون، 2007م، 308-309).

وهنا تظهر أهمية الضوابط الأخلاقية المستمدة من الدين، وما تقدمه من مسوغات وحجج عقلية ولما تضمن به التطبيق لارتباطها بجزاء سواءً دنيوي أو آخروي.

وتتفق الأخلاق البيئية المستمدة من الإسلام مع الأخلاق الوضعية في أن سبب فساد البيئة هو الإنسان، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: 41).

فالله سبحانه وتعالى خلق الأرض على أكمل وجه، وجعل فيها كل الموارد التي تساعد الإنسان على العيش الكريم قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجنات: 12-13).

وخلق الإنسان ليستفيد من هذه الموارد ويؤدي مهمته الأساسية بعد عبادة الله وهي تعمير الكون قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود: 61)، لكن الإنسان أساء استخدام موارد البيئة بالرغم من الموجهات الكثيرة التي وضعت له في الدين والتي لو التزم بها لما واجهنا مخاطر التدهور البيئي الذي نعاني منها اليوم. وكمثال لهذه الموجهات النهي عن الإسراف في الموارد كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: 31).

والدعوة إلى زيادة الغطاء النباتي في قوله صلى الله عليه وسلم: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدٍ أَحَدِكُمْ قَسِيلَةً، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا). (الألباني، د.ت، 2/38). أضف إلى ذلك أن تحقيق مقاصد الشريعة من حفظ للنفس والنسل والمال يتطلب الحفاظ على البيئة.

إذن ما نريد أن نؤسس له هو أن المعايير الأخلاقية للحفاظ على البيئة يجب أن تستند إلى الدين، فالمشكلة الحقيقية ليست في وجود معايير أخلاقية تنظم علاقة الإنسان لبيئة، فهناك جهود عظيمة على مدي سنين طويلة للخروج بقوانين وقواعد تضبط سلوك الإنسان في عمله مع البيئة، لكن المشكلة الحقيقية هي في مدي التزام الناس بهذه القواعد والقوانين. والحل الذي توفره الأخلاق المستمدة من الدين هي وجود المسوغات والحجج العقلية لمن لا يؤمنون بالإسلام مثلاً وارتباطها بالإيمان والعقيدة لمن يؤمنون به.

أما عن تقنية الذكاء الاصطناعي فيمكن التعرف عليها من خلال أهدافها ومعاييرها، فهدف الذكاء الاصطناعي هو تقديم عدد من الحلول لمسألة ما، أو اتخاذ قرار ما من خلال برامج الحاسب الآلي التي تحاكي الذكاء السلوك الإنساني. وبرنامج الحاسب الآلي هذا يصل للحلول والقرارات من خلال القيام بالعديد من العمليات الاستدلالية التي تم تغذيته بها. ومن المعايير التي يعمل بها الذكاء لاصطناعي القدرة على التعميم والتجريد، التعرف على أوجه الشبه بين المواقف المتشابهة، والتكيف مع الموقف المستجدة، واكتشاف الأخطاء وتصحيحها لتحسين الأداء في المستقبل. وطريقة عمل الذكاء الاصطناعي تستند إلى التفكير التجميعي (Combinatory Explosion)، الذي يؤدي لعدد من احتمالات الحلول لمسألة ما، أو ترجيح قرار ما كبير جداً لدرجة لا تحتملها ذاكرة الحاسب الآلي أو الإنسان كما أنها تتطلب زمن طويل ومجهود كبير جداً (بونيه، 1993م، 12). فالذكاء الاصطناعي يقدم خدمات كبيرة للإنسان، وتوفر له الجهد والزمن الذي يهدره في العمليات الذهنية المعتادة ليتفرغ للأبداع، فهو تقنية مثله مثل التقنيات الأخرى التي وضعها الإنسان لمساعدته، ولا يمكن أن تحل محله. وهي أيضاً مثلها مثل كل التقنيات تكون نتائجها على حسب طرق استخدامها، فما يجب أن نهتم به ليس تقييد تقنية الذكاء الاصطناعي وإنما تنظيم استخدام الإنسان لهذه التقنية من خلال قوانين وقواعد العمل المتخصصة بمجالات استخدامها والنظم والضوابط الأخلاقية.

وقد كان للذكاء الاصطناعي مساهمات إيجابية في عدة مجالات مثل الاقتصاد كمحرك الانتاجية والنمو الاقتصادي، والأمن السيبراني من خلال الحماية من التهديدات والثغرات ومراقبة مراكز البيانات والشبكات، الأمن الفيزيائي ومنع الجريمة، الروبوتات اللينة كصوفيا والتنمية المستدامة، أتمته التعليم من خلال زيادة التفاعل مع الطلاب ومساعدة المعلمين على اتخاذ القرار، وفي مجال الصحة مثل المعالجة الفعالة للجائحات، التنبؤ بالاكثئاب، تطوير جلد اصطناعي يتفاعل مع الألم، تحقيق التباعد في الحرم المكي والمدني (أحمد، 2021 م، 83).

ومن مساهمات التكنولوجيا عموماً ومن ضمنها الذكاء الاصطناعي أنها قاربت بين الثقافات؛ بجعلها تستخدم نفس التقنيات، وتتبادل المعارف والعلوم وتواجه نفس المشكلات الأخلاقية والمهددات الوجودية.

وبالرغم من مساهمات الذكاء الاصطناعي الكثيرة والفعالة والتي لا يمكن الاستغناء عنها، إلا أن هناك مخاوف من توسع استخدام هذه التقنية بسبب بعض المشكلات الأخلاقية التي تترتب عليها.

ومن المشكلات الأخلاقية للذكاء الاصطناعي بالإضافة إلى المشكلات الأخلاقية للتكنولوجيا عموماً، نجد نوعين أساسيين: يتمثل النوع الأول في تهديد الذكاء الاصطناعي لوجود الإنسان في سوق العمل. وهذا التهديد يلعب دور سلبي عندما يحتل وظائف الإنسان وأعماله، ودور إيجابي باعتباره محفز للإنسان لتطوير قدراته ومهاراته حتى يستطيع المنافسة. أما النوع الثاني فهو المشكلات الأخلاقية الناتجة عن استخدام الذكاء الاصطناعي أداة للتدمير من خلال استخدام الأسلحة المستقلة الذكية المبرمجة للقتل، والآثار الجانبية الخطرة لبرمجة الذكاء الاصطناعي لأعمال مفيدة، وتلاعب الشبكات الاجتماعية في الأخبار، والتزييف للمعلومات والمحتويات والشخصيات غير الحقيقية على الانترنت، واستغلالها في الابتزاز والارهاب، وأُسنة الذكاء الاصطناعي وقبول المجتمع لكائنات من السيلكون ذات ذكاء اصطناعي مجردة من الشعور للتعامل معها بصورة يومية (أحمد، 2021 م، 85-87). هذا بالنسبة للمشكلات العامة التي تنتج من استخدامات الذكاء الاصطناعي، وهناك مشكلات أخرى من تفاصيل استخداماته في البحث العلمي والتعليم والإجراءات الإدارية والممارسات الطبية، وغيرها من المجالات التي يطبق فيها.

وباعتبار الذكاء الاصطناعي من فروع التكنولوجيا الحديثة فإنه يشترك معها في كثير من المشكلات والقضايا، من المشكلات التي تنتج في مجال التكنولوجيا ما يسمى بالفجوة الرقمية فخلقت طبقتين مختلفتين من المجتمعات، بل طبقتين مختلفتين في المجتمع نفسه هم أغنياء المعلومات وفقراء المعلومات بسبب نقص الخبرة الرقمية وعدم الاهتمام بها، تفاوت إمكانية الوصول للمعلومات، دعم أو تقييد المجتمع لاستخدامات التكنولوجيا، تفاوت المهارات الحاسوبية وتفاوت الإمكانيات المادية (الأحمد، وآخرون، 2018 م، 62). ومن القضايا المهمة في تحديد قيمة أي تكنولوجيا هو الهدف الذي وضعت له. يرى الكثير من المفكرين أن الهدف من التكنولوجيا لابد أن يكون تحصيل سعادة الإنسانية، فيقول كارل بوبر في هذا السياق أنه "لا بد أن يكون لأي فعل عقلائي هدف معين، وهو عقلائي بنفس الدرجة؛ لأنه يتعقب هدفه بوعي وباتساق؛ ولأنه تحدد وسائله وفقاً لهذا الهدف، ولذلك فاختيار الهدف هو الشيء الأول الذي يتعين أن نفعله إذا رغبتنا في أن نُؤدي عملاً بصورة عقلانية" (الأحمد، 2017 م، 253).

وهناك عدد من الضوابط الأخلاقية التي وضعت لتقنية استخدام الذكاء الاصطناعي منها المستمد من أخلاقيات التكنولوجيا عموماً، ومنها المختصة بالذكاء الاصطناعي. وما يهمنا هنا الضوابط الأخلاقية المستندة على المصادر الدينية وبالتحديد الدين الإسلامي، فهو حتى إذا لم يتناول قضية من القضايا

المعاصرة بعينها، أو لم يصدر حكماً محدد تجاهها فنجد أنه وضع المعايير الكلية والمبادئ الشاملة و المقاصد العامة التي نستطيع أن نستنبط منها الأحكام على هذه القضايا الجزئية.

وأول المبادئ والمقاصد هو غائية الإنسان فالكون مسخر له والواجب حفظ كرامته، ومساعدته في أداء مهمته ورسالته، والسعي لتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَنَاءِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 70). فإذا نظرنا للذكاء الاصطناعي باعتباره وسيلة لخدمة الإنسانية لوجدنا الإسلام يدعم هذه التقنية، وبالنسبة للمشكلات التي تترتب عليها يقدم لنا حلول كلية يمكن تعميمها على كل المجتمعات، وطالما اعتبرناه ذكاءً موازياً للذكاء الإنساني فيمكن أن يطبق على استخداماته ما يطبق على استخدامات الذكاء الإنساني، بالإضافة إلى الضوابط المتعلقة بالتقنيات الحديثة. ومن هذه مبادئ التي يقرها في استخدام الذكاء الاصطناعي:

- 1- النزاهة والإنصاف: يتطلب مبدأ النزاهة والإنصاف عند تصميم، أو جمع أو تطوير أو نشر أو استخدام أنظمة الذكاء الاصطناعي، اتخاذ الإجراءات اللازمة للقضاء على التحيز أو التمييز أو الوصم الذي يتعرض له الأفراد أو الجماعات أو الفئات، وقد يحدث التحيز بسبب البيانات أو التمثيل أو الخوارزميات، ويمكن أن يؤدي إلى تمييز فئة ضد أخرى.
- 2- الخصوصية والأمن: يمثل مبدأ الخصوصية والأمن القيم والمبادئ الشاملة التي يُطلَب بموجها من أنظمة الذكاء الاصطناعي، طوال دورتها أن تكون مبنية بطريقة آمنة وتراعي خصوصية أصحاب البيانات الشخصية التي يتم جمعها بحيث تكون على أعلى مستويات الأمن في جميع العمليات والإجراءات المتعلقة بالبيانات وسريتها.
- 3- الإنسانية: يسلط مبدأ الإنسانية الضوء على ضرورة بناء أنظمة الذكاء الاصطناعي باستخدام منهجية عادلة مسموح بها أخلاقياً تستند إلى حقوق الإنسان والقيم الثقافية الأساسية، وذلك لإحداث أثر مفيد على الأطراف المعنية والمجتمعات المحلية والمساهمة في تحقيق الأهداف والغايات طويلة وقصيرة الأجل من أجل صالح البشرية.
- 4- المنافع الاجتماعية والبيئية: يعزز مبدأ المنافع الاجتماعية والبيئية الأثر الإيجابي والمفيد للأولويات الاجتماعية والبيئية التي يجب أن تفيد الأفراد والمجتمع ككل، والتي تركز على الأهداف والغايات المستدامة. لا ينبغي لأنظمة الذكاء الاصطناعي أن تسبب أو تسرع الضرر أو تؤثر سلباً على البشر.
- 5- الموثوقية والسلامة: يضمن مبدأ الموثوقية والسلامة التزام نظام الذكاء الاصطناعي بالمواصفات المحددة وأن نظام الذكاء الاصطناعي يعمل بشكل كامل وفق الآلية التي كان يقصدها ويتوقعها مصمموه.

- 6- الشفافية والقابلية للتفسير: يعد مبدأ الشفافية والقابلية للتفسير عاملاً مهماً لبناء الثقة في أنظمة وتقنيات الذكاء الاصطناعي والحفاظ عليها، لذا يجب بناء أنظمة الذكاء الاصطناعي بدرجة عالية من الوضوح والقابلية للتفسير، مع وجود ميزات لتتبع مراحل اتخاذ القرارات.
- 7- المساءلة والمسؤولية: يحمل مبدأ المساءلة والمسؤولية المصممين والموردين والقائمين على المشتريات والمطورين ومسؤولي ومقيمي أنظمة الذكاء الاصطناعي والتقنية نفسها المسؤولية الأخلاقية والمسؤولية عن القرارات والإجراءات التي قد تؤدي إلى مخاطر محتملة وأثار سلبية على الأفراد والمجتمعات (الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، 2022 م، 6-11).

الخاتمة:

إن هذا البحث -على نحو ما تم- هو في إطار توضيح الأسس العامة، والمفاهيم الكلية لعلاقة الأخلاق العملية بالقضايا العلمية التطبيقية، وإثبات معاييرها بوصفها قيماً تشاركها الثقافات المتعددة بكونها تنبع من مصدر عالمي هو الرسالة الإسلامية.

وأهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1. الأخلاق المستمدة من الثقافات المتعددة تكون متعددة ومختلفة باختلاف هذه الثقافات. كما أنها تراعي ظروف الثقافة المعين التي تأتي منها فلا تصلح للتعميم.
2. الأخلاق المستمدة من الأديان السماوية تتسم بالوحدة والإطلاق لوحدة مصدرها، ويمكن أن تجمع عليها غالبية الثقافات إما لإيمانها بها، أو لما تقدمه من مسوغات عقلية مقنعة.
3. الأخلاق التطبيقية تحتاج إلى استخدام معايير مطلقة في القضايا المشتركة بين الثقافات والتي في الغالب تنتمي إلى فروع العلوم الطبيعية، ويمكن أن تحقق هذا الإطلاق من استنادها للدين. ومن هذه النتائج يمكن الخروج بالتوصيات التالية:

1. هذا البحث يحفز على عمل مزيد من الدراسات التطبيقية التي تؤكد فرضيته. فهناك كثير من المجالات والعلوم والمهن، وكثير من القضايا والحالات الفردية التي تحتاج إلى دراسات منفصلة ومتعمقة.
2. ضرورة تقديم دراسات مستقبلية متخصصة من خلال المؤتمرات وورش العمل العلمية؛ لربط المعايير الأخلاقية التطبيقية للمستحدثات المعاصرة بالتكليفات التشريعية القانونية عليها المستمدة من الشريعة الإسلامية.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

- أحمد، أبوبكر سلطان، أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، 2021م.
- إسماعيل، فاروق مصطفى، الأنثروبولوجيا الثقافية، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، وشيء من فقها وفوائدها، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د.ت.
- انجرس. مورييس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات عملية، ترجمة بوزيد صحراري، كمال بو شرف، سعيد سبعون، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006م.
- البارودي، رشا علي، قضايا الطب المعاصر، منظور أخلاقي، الخرطوم، هيئة الأعمال الفكرية، 2004م.
- البقصي، ناهد، الهندسة الوراثية والأخلاق، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1995م.
- بونيه، آلان، الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله، ترجمة علي صبري فرغلي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1993م.
- جاجر، جيل، وكوك، مارسيل، ت. جيه، ومجموعة من المؤلفين، تقرير توقعات البيئة العالمية (GEO-4)، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، 2007م.
- الجمزوي، نهلة، فلسفة الأخلاق مفهومها، تاريخها، تطورها، وزارة الثقافة، الأردن، د.ت.
- حلمي، مصطفى، الأخلاق بين الفلسفة وعلماء الإسلام، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م.
- الخلف، سعود عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، ط1، 1997م.
- دراز، محمد عبد الله، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، الكويت، دار القلم، د.ت.
- رزنيك، ديفيد. ب، أخلاقيات العلم، ترجمة عبد النور عبد المنعم، مراجعة يمني طريف الخولي، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2005م.

- روس، جاكين، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، لبنان، عوידات للنشر والطباعة، ط. 2001م.
 - زيادة، معن، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الانماء العربي، ط 1، 1986م.
 - الطويل، توفيق، فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، ط 4، 1979م.
 - عبد الرحمن، طه، سؤال العمل، بحث عن الأصول العملية في الفكر والعلم، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2012م.
 - عبيدات. محمد، وأبو نصار، محمد، ومبيضين، عقله، منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات، عمان، دار وائل للطباعة والنشر، ط 2، 1999م.
 - كريسون، أندريه، المشكلة الخلقية والفلاسفة، ترجمة عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكرى، القاهرة، مطابع دار الشعب، 1979م.
 - النشار، مصطفى، الفلسفة التطبيقية وتطوير الدرس الفلسفي العربي، روابط للنشر والتوزيع، ط 1، 2018م.
 - النفيلي، علي عبد العزيز، أسرار التقدم والتأخرين تنوع البشر واختلاف الثقافات، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط 1، 2008م.
 - هاريزون، لورنس.أ، هنتجتون، صمويل. ب، الثقافات وقيم التقدم، القاهرة، ترجمة جلال شوقي، المركز القومي للترجمة، 2009م.
 - وليم، ليلي، مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة علي عبد المعطي محمد، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2000م.
- ثالثاً: المجلات والمنشورات
- أحمد، أحمد عبدالله، وعمر، ماجدة أحمد، وهديب، أمجد أحمد، دراسات. العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 45، العدد 2، 2018.
 - غصن، عصام، دور الوعي الأخلاقي في البيئة الحياتية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 22، العدد 3-4، 2006م.
 - الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي. مبادئ أخلاقيات الذكاء الاصطناعي الإصدار 1، 2022م.

دور مصادر المعلومات في رفع الوعي المعلوماتي لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الجزيرة (دراسة حالة كليات التربية)

د. يسرا حبيب حسن محمد

أستاذ مساعد بجامعة غرب كردفان أمين المكتبة المركزية بجامعة الجزيرة

د. كثيرة التجاني يوسف إبراهيم

أستاذ مساعد بجامعة غرب كردفان أمين المكتبة المركزية بجامعة الجزيرة

د. نفيسة عبدو حسن أحمد

أستاذ مساعد بجامعة غرب كردفان

المستخلص

تناولت الدراسة دور مصادر المعلومات في رفع الوعي المعلوماتي لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الجزيرة: دراسة حالة كليات التربية. وهدفت إلى معرفة دور مصادر المعلومات في رفع الوعي المعلوماتي لدى أعضاء هيئة التدريس بكليات التربية، والتعرف على نوعية مصادر المعلومات الأكثر استخداماً وملائمة لأعضاء هيئة التدريس. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ومنهج دراسة الحالة، وتم استخدام الاستبانة أداة لجمع البيانات. وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: توفر مصادر المعلومات بتلك المكتبات له دور في تنمية الوعي المعلوماتي لديهم. ومن ثم أوصت الدراسة بضرورة إدراج مقرر الوعي المعلوماتي من ضمن مقررات كليات التربية قسم المكتبات والمعلومات.

الكلمات المفتاحية: الوعي المعلوماتي، كليات التربية، هيئة التدريس، مصادر المعلومات

Abstract

The study has tackled the role of information sources in raising information awareness among Teaching Staff at Al-Jazeera University: a case study of Faculties of Education. The study aims to know the role of information sources in raising information awareness among Teaching Staff at Al-Jazeera University, and to identify the types of information sources that are most used and appropriate for Teaching Staff. This study has followed the descriptive analytical approach and the case study approach, and the questionnaire has been used as a tool for collecting data. The study has reached some results, the most important of which are: The availability of information resources in these libraries has a role in developing their information awareness. The study has recommended the necessity of including the information awareness course among the curricula of Faculties of Education, Library and Information Department.

Keywords: Information awareness Faculties of Education, Teaching Staff, information sources

1. الإطار العام للدراسة

1-1. مقدمة الدراسة:

أصبح الوعي المعلوماتي مقياساً للتقدم، بما أظهرته التقنية وثورة الاتصالات والشبكات وخاصة الإنترنت، التي جعلت المعلومات متاحة وتحتل مكانة بارزة في المجتمعات، ويُقاس تطور المجتمعات بمدى قدرتها على جمع المعلومات وتنظيمها ومعالجتها وإخراجها في قالب يناسب جميع الفئات للاستفادة منها. وتعد سمة التغيير والتطوير في بيئة عمل المكتبات في عصر ثورة المعلومات أمراً لا بد من القيام به، وأيضاً اختصاصي المكتبات يعد شريكاً في عملية نشر الوعي المعلوماتي داخل مؤسسات التعليم العالي (بامفلج، 2002م، 35).

هنالك مترادفات عديدة لهذا المصطلح منها الثقافة المعلوماتية، المعرفة المرئية، مهارات المعلومات، معرفة الحاسب الآلي. لذلك تهدف الدراسة إلى تناول موضوع الوعي المعلوماتي لدى أعضاء هيئة التدريس الناتج عن استخدام مصادر المعلومات بكليات القطاع التربوي جامعة الجزيرة. ونجد أن الوعي المعلوماتي هو نتاج مجموعة من مهارات المعلومات المكتسبة التي تجعلنا قادرين على تحديد المعلومات وتقويمها واستخدامها وعرضها، لذلك يجب على المكتبات الجامعية أن توفر مصادر معلومات تفي باحتياجات أعضاء هيئة التدريس، وتوفير نقاط الوصول إليها في الوقت المناسب بمختلف أشكالها وأنواعها التي تمكنهم من تنمية ذخيرتهم المعلوماتية. والوعي المعلوماتي هو حزمة من القدرات توفر للأفراد معرفة متى يحتاجون إلى المعلومات والقدرة على التحديد والتقييم والاستخدام الفعال للمعلومات (مكاوي، 2009م، 64).

والأمية المعلوماتية تعني العجز عن تحديد احتياجات الفرد من المعلومات والوصول إلى مصادر تلبية الاحتياجات (العمراني، 2008م، 18). كما تمثل المهارات المعلوماتية مجموعة من الكفاءات المطلوبة لتحقيق الوعي المعلوماتي وهي القدرة على فهم الحاجة من المعلومات والتعامل مع تقنيات المعلومات وتنظيم المعلومات واستخدامها باعتبارها مسؤولية أخلاقية (مكاوي، 2009م، 25). بينما عرفت الثقافة المعلوماتية بأنها: مجموعة من القدرات المطلوبة التي تمكن الأفراد من تحديد احتياجاتهم من المعلومات في الوقت المناسب والوصول إلى هذه المعلومات وتقييمها، ومن ثم استخدامها بالكفاءة المطلوبة (قاسم، 2006م، 76).

وعضو هيئة التدريس هو الشخص الذي يشترك مع طلابه في تحقيق النمو الذاتي الذي يصل إلى أعماق الشخصية ويمتد إلى أسلوب الحياة ويشترط في هذا الشخص أن تتوفر لديه مؤهلات تربوية وعلمية

ومن بينها شهادات الدراسات العليا التي تخوله للقيام بمهام التدريس والإشراف والبحث العلمي (غربي، 2012م، 17)

قسمت الدراسة كالآتي: الجزء الأول اشتمل على المقدمة والمنهجية، والجزء الثاني الإطار النظري والمفاهيمي، أما الجزء الثالث فخصص للدراسة الميدانية.

1-2. مشكلة الدراسة:

الوعي المعلوماتي من الموضوعات المهمة في عصر ثورة المعلومات، وذلك لأن مصادر المعلومات المتاحة لها دور كبير في عملية الوعي المعلوماتي الناتج من استخدامها، لذلك تمثلت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي الآتي:

استخدام أعضاء هيئة التدريس لمصادر المعلومات ينتج عنه وعي معلوماتي؟.

ومن هذا السؤال تفرعت الأسئلة الآتية:

- أ. إلى أي مدى هل مصادر المعلومات في المكتبات موضوع الدراسة تسهم في رفع الوعي المعلوماتي؟
- ب. إلى أي مدى أسهمت مصادر المعلومات في زيادة الوعي المعلوماتي للعينة موضوع الدراسة؟
- ج. هل توفر المكتبات موضوع الدراسة ما يساهم في تدريب أعضاء هيئة التدريس؟
- د. ما أكثر مصادر المعلومات استخداماً من وجهة نظر العينة موضوع الدراسة؟

1-3. أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- أ. التعريف بكليات القطاع التربوي بجامعة الجزيرة.
- ب. التعرف على الوعي المعلوماتي الناتج عن استخدام مصادر المعلومات بمكتبات جامعة الجزيرة.
- ج. التعرف على المشكلات والصعوبات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس بكليات القطاع التربوي في استخدام مصادر المعلومات.
- د. الكشف عن الوعي المعلوماتي لدى أعضاء هيئة التدريس من خلال استخدامهم لمصادر المعلومات المتاحة بمكتبات كلياتهم.

1-4. أهمية الدراسة :

موضوع الوعي المعلوماتي من الموضوعات المهمة جداً في مجال المكتبات والمعلومات ويُعول عليه في تحسين أداء أعضاء هيئة التدريس وتحسين بناء المجموعات وتنميتها بالمكتبات ويقاس به ترقية الأداء.

1-5. فرضيات الدراسة :

- أ. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين استخدام مصادر المعلومات من قبل العينة موضوع الدراسة ورفع الوعي المعلوماتي.
- ب. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين استخدام مصادر المعلومات وتطوير العملية التعليمية من قبل أعضاء هيئة التدريس موضوع الدراسة.

1-6. منهج الدراسة:

تستخدم الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ومنهج دراسة الحالة اللذين يسعيان إلى تحديد الوضع الحالي للظاهرة، ومن ثم يعملان على وصفها وصفاً دقيقاً، ودراسة الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة وتحليلها، بينما تعتمد الدراسة على الاستبانة أداة رئيسية لجمع البيانات.

1-7. حدود الدراسة:

- أ. الحدود الموضوعية: يتمثل موضوعها دور الوعي المعلوماتي الناتج عن استخدام مصادر المعلومات بالمكتبات الجامعية دراسة تطبيقية على أعضاء هيئة التدريس بكليات القطاع التربوي جامعة الجزيرة.
- ب. الحدود المكانية: كلليات القطاع التربوي، الحصاحيصا، حنتوب (جامعة الجزيرة).
- ج. الحدود الزمانية: استغرقت فترة الدراسة من أكتوبر 2022 م حتى ديسمبر 2023 م.

2. الدراسات السابقة:

أُجريت العديد من الدراسات عن الوعي المعلوماتي، ومن الدراسات السودانية، دراسة يوسف عثمان الطيب (2014م) بعنوان: دور مصادر المعلومات في تطوير مجتمع المعرفة: دراسة حالة بعض طلاب مكتبات جامعة الخرطوم - السودان.

هدفت الدراسة للتعرف على مدى إلمام الطلاب بمصادر المعلومات واستخدامها داخل مجتمع الطلاب، وتوعيتهم بأهميتها، ومعرفة الصعوبات التي تواجههم في الحصول عليها. أتبعَت الدراسة المنهج الوصفي بشقية المسح ودراسة الحالة. توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها أن مصادر المعلومات تسهم بدرجة كبيرة وفاعلة في بناء مجتمع المعرفة من خلال ما تحمله من معلومات تفيد هذا المجتمع. وأنها تسهم في تنمية وتطوير المؤسسات الأكاديمية، أوصت الدراسة بأن يتم تزويد مكتبات جامعة الخرطوم بأحدث مصادر المعلومات، كما يجب تدريب الطلاب على استخدام مصادر المعلومات على أن تقوم إدارة مكتبات جامعة الخرطوم بتوفير كل مصادر المعلومات.

وأيضاً دراسة عفاف محمد الحسن ونادية مصطفى العيدروس (2020م) بعنوان: الوعي المعلوماتي لدى طلاب جامعة الخرطوم حيث ركزت على مهاراتهم في البيئة الرقمية، حيث طرحت الدراسة العديد من الأسئلة منها: ما مستوى الوعي المعلوماتي لدى طلاب جامعة الخرطوم؟ وما الأدوار المطلوبة من المكتبات الجامعية لتحقيق برامج الوعي المعلوماتي؟ ومن أهم نتائجها يتمتع أفراد العينة المبحوثة من طلاب جامعة الخرطوم بوعي معلوماتي عالٍ، وأن المعلومات مهمة جداً في حل المشكلات العلمية واتخاذ القرارات.

ومن الدراسات العربية دراسة: موسى بنت ابراهيم الديبان (2011م) بعنوان: تنمية اتجاهات الوعي المعلوماتي الرقمي لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتأثيرها على تطوير البحث. حيث ناقشت الدراسة موضوع تنمية اتجاهات الوعي المعلوماتي الرقمي لدى أعضاء هيئة التدريس بالجامعة. وكان الهدف من الدراسة التعرف على مدى توافر مهارة تحديد الحاجة إلى معلومات لدى أعضاء هيئة التدريس إضافة للتعرف إلى السبل التي تستخدم من أجل تنمية مهارات الوعي الرقمي لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية موضوع الدراسة. ولقد اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي. أظهرت الدراسة نتائج من أهمها أن أهم السبل المتبعة في البحث عن التطورات الحديثة في مجال التخصص هو البحث عن طريق الإنترنت في المواقع ذات العلاقة بالتخصص. وتوصلت الدراسة إلى توصيات منها يجب اهتمام الجامعات السعودية بالدورات التدريبية واستمرارية التعليم لتفعيل استراتيجيات تنمية مهارات الوعي الرقمي، وتشجيع أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السعودية على استخدام كل المصادر المتاحة، وتأهيلهم وتطوير مهاراتهم باللغة الإنجليزية حتى يتمكنوا من الاستقلال الأمثل للتقنيات الحديثة.

ومن الدراسات الأجنبية دراسة: شيري جيليواسر Sherry Gelbwasser عام (2004) بعنوان: الوعي المعلوماتي لدى دارسي معاهد تعليم مدى الحياة. والتي هدفت إلى التعرف على مهارات الوعي المعلوماتي لدى الدارسين، ومعرفة مدى الحاجة إلى هذه المهارات وقد جمعت معلوماتها عبر الاستبانة

والمقابلة الشخصية والوثائق لعينة من خمس كليات للمجتمع في ولايتين لجنوب New England. وكان من أهم نتائج الدراسة إدراك الحاجة إلى تعليم الوعي المعلوماتي فضلاً عن استخدام طرق كثيرة لتنمية هذه المهارات تشتمل التوعية المكتبية والربط السريع بشبكة الإنترنت والدراسة على الخط المباشر.

من خلال مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة بأدب الموضوع والتي تبين أنها اتفقت مع الدراسة الحالية في تحديد مصطلح الوعي المعلوماتي. وحظيت بقدر كبير من اهتمام الباحثين في المجتمعات المحلية والعربية والأجنبية لما له من دور فاعل في بناء المجتمع وأهميته ودوره في اكتساب المعرفة، وضرورة إرساء قواعد الوعي المعلوماتي في سلوك الباحثين. إلا أن هذه الدراسة تناولت الجانب المرتبط بأعضاء هيئة التدريس باعتبارهم الأكثر حاجةً للمعلومات، ودرجة إلمامهم بها والمهارات المتعلقة بكيفية الحصول على تلك المعلومات مما ينعكس إيجاباً على مهنة التدريس والخروج بمجتمع واعٍ معلوماتياً.

3. نبذة عن جامعة الجزيرة:

هي جامعة حكومية سودانية تأسست في 9 نوفمبر عام 1975م، وهي عضو في الاتحاد العالمي للجامعات واتحاد الجامعات العربية واتحاد الجامعات الإفريقية واتحاد جامعات العالم الإسلامي واتحاد مجالس البحث العلمي العربي، وخلال عمرها القصير حرصت على تقوية الصلات العلمية بالجامعات والمؤسسات العلمية داخل البلاد وخارجها ووقعت عدد من الاتفاقيات الأكاديمية وبرامج التوأمة مع العديد من الجامعات والمنظمات العلمية خاصة في مجالات التدريب والتدريس والبحث العلمي وتبادل الخبرات.

تقع رئاستها في مدينة ود مدني حاضرة ولاية الجزيرة، توفر الجامعة العديد من الدرجات الأكاديمية التي يمكن للطلبة دراستها من دبلوم متوسط، بكالوريوس، دبلوم عال، ماجستير، دكتوراه.

تقدم الجامعة مجموعة متنوعة من البرامج الأكاديمية بما في ذلك العلوم الطبيعية والطبية والهندسية والاجتماعية والإنسانية والمرافق والبنية التحتية.

تضم الجامعة مجموعة متنوعة من المرافق والبنية التحتية الحديثة، تخرج من جامعة الجزيرة أكثر من 100 ألف خريج وخريجة يعملون في مختلف المجالات في السودان وخارجها (حسن، 2015م، ص 110).

3.1. نشأة كلية التربية حنتوب:

أنشأت كلية التربية نتيجة قرار أصدره مجلس جامعة الجزيرة المؤقر في اجتماعه الثامن والعشرين بتاريخ 22 يناير 1985م ضمن هيكل الجامعة التنظيمي، فكان إنشاؤها إضافة تنموية في مسار تطوير التعليم والبحث التربوي، حيث كانت الصيحة لحل مشكلة إعداد وتدريب معلمي المرحلة الثانوية وذلك وفقاً لتوصيات المؤتمر القومي للتعليم والذي عقد في ديسمبر 1982م. بدأت كلية التربية استقبال أول دفعة من الطلاب في العام الدراسي 1986-1987م وذلك في التخصصات: الكيمياء، الأحياء، واللغات الأجنبية، ثم بدأت الكلية بعد ذلك في التوسع فأضيفت أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية وقسم الجغرافيا والتاريخ وقسم الفيزياء والرياضيات. ومؤخراً في 2008م أضيف قسم اللغة الفرنسية وقسم علم النفس التطبيقي وقسم المكتبات والمعلومات. كما تمّ توسيع فرص القبول ونوعها (دليل، 2002م، 15).

3.2. نشأة كلية التربية الحصاصيا :

تأسست كلية التربية في عام 1994م بموجب القرار الإداري الصادر من وزير التعليم العالي والبحث العلمي، والقاضي بتحويل معاهد إعداد المعلمين إلى كليات تربية جامعية وذلك في إطار ثورة التعليم العالي، وتأهيل معلمي مرحلة الأساس لنيل الشهادة الجامعية. تضم الكلية قسم اللغة الانجليزية، اللغة العربية والدراسات الاسلامية، الجغرافيا والتاريخ، الكيمياء والأحياء، المكتبات والمعلومات، الفيزياء والرياضيات، وقسم المناشط والوسائل التعليمية (دليل، 2002م، 15).

4. عرض النتائج ومناقشتها:

تشتمل هذه الفقرة على الإجراءات المنهجية للدراسة، وتمثلت في المنهج المستخدم في الدراسة، مجتمع وعينة الدراسة التي تم اختيارها، وكذلك الأداة المستخدمة في جمع البيانات وقياس صدقها وثباتها وكيفية تطبيقها، والأساليب والاختبارات الإحصائية التي استخدمت في تحليل البيانات ومناقشتها، وعرض النتائج ووضع التوصيات المناسبة.

تكون مجتمع الدراسة من عدد 300 من أعضاء هيئة التدريس بكليات القطاع التربوي جامعة الجزيرة بكل فئاتهم: مساعد تدريس، محاضر، أستاذ مساعد، أستاذ مشارك، أستاذ. وأخذت عينة الدراسة من (168) عضو هيئة تدريس تم اختيارهم عن طريق العينة المسحية من مجتمع الدراسة حيث مثلت كلية التربية حنتوب عدد (115) عضو هيئة تدريس وكلية التربية الحصاصيا (80) عضو هيئة تدريس، حيث وجد عدد (27) عضو هيئة تدريس منهم (21) في كلية التربية حنتوب و(6) في كلية التربية

الحصاحيصا في إجازات وإعارات خارجية وانتداب أثناء فترة إجراء الدراسة الميدانية، واستخدمت الاستبانة أداة لجمع البيانات المتعلقة بأدبيات الموضوع، لمعرفة الوعي المعلوماتي لدى أعضاء هيئة التدريس الناتج عن استخدام مصادر المعلومات بالمكتبات الجامعية بكليات القطاع التربوي جامعة الجزيرة (التربية حنتوب، التربية الحصاحيصا). وبعد جمع البيانات وترميزها ثم تفرغها باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS Statistical Packages for Social Sciences)، وذلك لمعالجتها إحصائياً. واستخدمت مجموعة من المعالجات والاختبارات الإحصائية في تحليل البيانات مثل:

- التكرارات والنسب المئوية لتحليل المتغيرات الديموغرافية لأفراد عينة الدراسة.
- معامل ارتباط بيرسون Pearson Correlation Coefficients - لحساب الاتساق الداخلي للاستبانة.
- معامل ألفا كرونباخ Cronbach's Alpha - للتأكد من ثبات فقرات الاستبانة.
- المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لحساب استجابات أفراد العينة على محاور الاستبانة.
- ثبات الاستبانة: تم تطبيق ثبات الاستبانة على أفراد العينة الاستطلاعية وحجمها (20) وذلك باستخدام ومعامل ألفا كرونباخ والتجزئة النصفية.
- معامل ألفا كرونباخ: Cronbach's Alpha Coefficient: استخدمت طريقة ألفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبانة حيث بلغ 0.913.
- صدق الاستبانة: تم قياس صدق مقياس الوعي المعلوماتي عن طريق الصدق الظاهري (صدق المحتوى).

جدول رقم: (1) يوضح استخدام أعضاء هيئة التدريس للكتب

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 153 | 91.1% |
| أوافق لحد ما | 14 | 8.3% |
| لا أوافق | 1 | 0.6% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتبين من الجدول (1)، أن غالبية أعضاء هيئة التدريس بكليات القطاع التربوي يستخدمون الكتب كمصدر أساسي للمعلومات، مما يدل على أن الكتاب مصدر فعال لا غنى عنه لسهولة حمله، ولا يحتاج إلى كهرباء وغيرها من أدوات التشغيل، ويساهم في رفع مستوى الوعي المعلوماتي لديهم.

جدول رقم (2): استخدام أعضاء هيئة التدريس للدوريات

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 127 | 75.5% |
| أوافق لحد ما | 33 | 18.6% |
| لا أوافق | 8 | 4.8% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتبين من الجدول (2) أن غالبية أعضاء هيئة التدريس بكليات القطاع التربوي يستخدمون الدوريات، وهذا أمر جيد للغاية لما تحويه الدوريات من معلومات حديثة، تسهم في وعي معلوماتي بأحدث التطورات العلمية في مجالهم.

جدول رقم (3): يوضح استخدام أعضاء هيئة التدريس للرسائل الجامعية

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 116 | 69.0% |
| أوافق لحد ما | 42 | 25.0% |
| لا أوافق | 10 | 6.0% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتبين من الجدول (3) أن هنالك أقبالا كبيرا من قبل أعضاء هيئة التدريس لاستخدام الرسائل الجامعية لأهميتها في اكتساب وعي معلوماتي من شتى المستويات التعليمية الجامعية وما فوقها التي تحتوي على قياس أثر، دراسة واقع، وغيرها من التجارب الثرة.

جدول رقم (4): يوضح استخدام أعضاء هيئة التدريس للمصادر الإلكترونية

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 140 | 83.3% |
| أوافق لحد ما | 16 | 9.5% |
| لا أوافق | 12 | 7.1% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (4) أن هنالك استخدام للمصادر الإلكترونية من قبل أعضاء هيئة التدريس، وهذا أمر ضروري باعتبار أن المكتبات مهما كبر حجمها فإنها لا تستطيع اقتناء كل تأليف جديد، وتساعد المصادر الإلكترونية في حل مشكلة الوقت الزماني والمكاني للاطلاع على المصادر.

جدول رقم : (5) يوضح أن المصادر المتاحة كافية لإيجاد وعي معلوماتي لدى أعضاء هيئة التدريس.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 104 | 51.9% |
| أوافق لحد ما | 46 | 27.4% |
| لا أوافق | 18 | 10.7% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (5) أن مصادر المعلومات لن تتوفر بصورة مرضية، فلا بد من اقتناء احتياجات هيئة التدريس، بقدر ما أمكن، تجعل منه موسوعة في تخصصه.

جدول رقم : (6) يوضح أن التنوع في مصادر المعلومات مفيد بشكل أفضل

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 113 | 67.3% |
| أوافق لحد ما | 53 | 31.5% |
| لا أوافق | 2 | 1.2% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (6) يوجد إلى حد ما تنوع في المصادر، وهذا أمر جيد يدل على وعي إدارة المكتبة، فتنوع مصادر المعلومات تمكن هيئة التدريس ربط المعلومات القديمة بالحاضر، والتخطيط لمستقبل أفضل، (التفكير والاستنتاج).

جدول رقم : (7) يوضح وجود مصادر إلكترونية بالمكتبة

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|---------|-------|----------------|
| أوافق | 129 | 76.8% |

| | | |
|--------------|-----|-------|
| أوافق لحد ما | 33 | 19.6% |
| لا أوافق | 6 | 3.6% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (7) وجود مصادر إلكترونية، فالحاسبات الآلية تسهل الوصول إلى الإنترنت وقواعد البيانات ونشرها عن طريق معالج النصوص، والعروض التقديمية (البروينت وغيرها).

جدول رقم: (8) يوضح لمصادر المعلومات الإلكترونية دور كبير في رفع قدرات عضو هيئة التدريس.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 149 | 88.7% |
| أوافق لحد ما | 17 | 10.1% |
| لا أوافق | 2 | 1.2% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (8) أن المصادر الإلكترونية ترفع من قدراتهم، فلا بد من انتقاء واستيعاب أهمية تقدير مصداقية وموثوقية دقة المعلومة.

جدول رقم: (9) يوضح إمكانية تطبيق التعليم الإلكتروني.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 140 | 83.3% |
| أوافق لحد ما | 24 | 14.3% |
| لا أوافق | 4 | 2.4% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (9) أن معظم أعضاء هيئة التدريس يؤكدون على إمكانية تطبيق التعليم الإلكتروني مما يحسن من بيئة العمل داخل كليات القطاع التربوي ويُمكن من الربط الشبكي بها وتوسيع دائرة الاستفادة بينها، وهذا أمر لا بد منه، حيث أن الحروب وانتشار الأمراض والأوبئة المعدية زادت من الحاجة إلى التعليم الإلكتروني.

جدول رقم (10): يوضح أن الوعي المعلوماتي يسهل إمكانية التواصل بين الطالب وعضو هيئة التدريس.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 135 | 80.4% |
| أوافق لحد ما | 30 | 17.9% |
| لا أوافق | 3 | 1.8% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (10) أن معظم أعضاء هيئة التدريس يؤكدون إلى أن الوعي المعلوماتي يسهل من إمكانية التواصل بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، لأن مجتمع الطلاب غير متجانس، فالوعي المعلوماتي يجعل الطالب وأستاذه مفكرين وناقدين، وحينئذ يكونا أكثر نجاحاً في التنبؤ بالمستقبل واتخاذ القرار وحل المشكلات، وتشجيع إعادة اكتشاف النظريات العلمية والمظاهر التاريخية.

جدول رقم(11): يوضح أن الوعي المعلوماتي يُمكن من الوصول لمصادر غير موجودة بالمكتبة.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 130 | 77.4% |
| أوافق لحد ما | 32 | 19.0% |
| لا أوافق | 3 | 3.6% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (11) أن معظم أعضاء هيئة التدريس ذكروا أن الوعي المعلوماتي يمكنهم من الوصول الحر لمصادر معلومات غير موجودة بالمكتبة. وذلك من خلال اتساع أفقهم وخبرتهم ودرايتهم بكيفية الحصول على المصادر غير متاحة وطرق استخدامها في الوقت المناسب؛ لأن الشخص الواعي معلوماتياً يُدرك كيف يتعامل مع المصادر، والاستعانة بمصادر أخرى كالصحف والأخبار والمقالات القصيرة.

جدول رقم (12) يوضح أن الوعي المعلوماتي يساعد في تطوير طرق التدريس.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 150 | 89.3% |
| أوافق لحد ما | 18 | 10.7% |
| لا أوافق | 0 | 0.0% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (12) أن غالبية أعضاء هيئة التدريس يؤكدون على أن الوعي المعلوماتي يعمل على تطوير طرق التدريس لديهم، وذلك بتطوير أفكار جديدة وتوصيها للآخرين والعمل معهم بفاعلية واحترام وجهات النظر الأخرى، وأيضاً استخدام وسائل حديثة في التدريس كالسبورة الذكية والبروجكتور وغيرها من التقنيات.

جدول رقم (13): يوضح أن كفاءة العاملين بالمكتبة تُمكن أعضاء هيئة التدريس من الحصول على المصادر.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 120 | 71.4% |
| أوافق لحد ما | 37 | 22.1% |
| لا أوافق | 11 | 6.5% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (13) أن معظم أعضاء هيئة التدريس أكدوا على أهمية كفاءة العاملين بالمكتبة ومساعدتهم لهم في الحصول على المصادر المتوفرة بالمكتبة، وكيفية استخدامها بما ينعكس إيجاباً على رفع الوعي المعلوماتي لديهم، ومع ضخامة الإنتاج الفكري لابد للمكتبيين من عمل تحليل وثائقي، فكشف واستخلاص، وببليوجرافيات مختصرة بديلاً للوثائق الأصلية مما يسهل على هيئة التدريس عملية البحث.

جدول رقم(14) : يوضح خدمات الإرشاد والتوجيه التي تقدمها المكتبة بشكل مستمر لأعضاء هيئة التدريس.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 131 | 78.0% |
| أوافق لحد ما | 33 | 19.6% |
| لا أوافق | 4 | 2.4% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (14) أن معظم أعضاء هيئة التدريس يستفيدون من خدمات الإرشاد والتوجيه التي تقدمها المكتبات، وذلك من خلال المحاضرات الدورية والندوات والإحاطة الجارية بكل ما هو جديد وحديث بالمكتبة.

جدول رقم (15): يوضح تنمية القدرات البحثية لأعضاء هيئة التدريس.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 122 | 72.6% |
| أوافق لحد ما | 39 | 23.2% |
| لا أوافق | 7 | 4.2% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (15) أن الوعي المعلوماتي يعني القدرات البحثية لدى أعضاء هيئة التدريس، فكلما زاد الوعي زادت المعرفة والإدراك للحاجة، وبالتالي يسهل الوصول إليها، وتحديد مفاهيم البحث والقدرة على تحليل المصادر، والوعي بلوائح النشر، وتحديد الوقت اللازم لإنهاء بحوثهم.

جدول رقم (16) : يوضح الخدمات المرجعية الكاملة التي تقدمها المكتبة لأعضاء هيئة التدريس.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 152 | 90.5% |
| أوافق لحد ما | 16 | 9.5% |
| لا أوافق | 0 | 0.0% |

| | | |
|---------|-----|------|
| المجموع | 168 | 100% |
|---------|-----|------|

يتضح من الجدول رقم (16) أن غالبية أعضاء هيئة التدريس يؤكدون أن هنالك خدمة مرجعية تقدمها لهم المكتبة مما يؤدي إلى تنميته ذخيرتهم المعرفية ورفع الوعي المعلوماتي لديهم، وهذا ينعكس إيجاباً على أدائهم المهني، ومهم لفهم واستيعاب حاجات هيئة التدريس (خدمات تقليدية وحديثة أم الأثنين معاً) في ظل ازدياد حدة التنافس بين مقدمي المعلومات في مجال إتاحة المعلومات.

جدول رقم(17) : يوضح حاجز اللغة.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 128 | 76.2% |
| أوافق لحد ما | 32 | 19.0% |
| لا أوافق | 8 | 5.8% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (17) أن معظم أعضاء هيئة التدريس ذكروا أن حاجز اللغة لديهم يمثل مشكلة في عدم الاستفادة من الخدمات المكتبية، ونجد أن العالم يستخدم حوالى سبعين لغة في نشر الإنتاج الفكري، ولا يمكن لهيئة التدريس استخدام أكثر من لغتين، فلابد من عمل ترجمات باللغة الأم.

جدول رقم(18) : يوضح أن تردي البيئة الإلكترونية يعوق التعامل مع المصادر الإلكترونية.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 101 | 60.1% |
| أوافق لحد ما | 37 | 22.0% |
| لا أوافق | 30 | 17.9% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (18) أن معظم أعضاء هيئة التدريس يؤكدون على أن تردي البيئة الإلكترونية بالمكتبة يعوق التعامل مع المصادر الإلكترونية، لذلك لابد من العمل على إصلاحها، خصوصاً أن معظم المصادر أصبحت إلكترونية، وذلك من أجل الاستفادة القصوى منها، من اختيار نظام البحث، ونظم استرجاع المعلومات، وتحديد واختيار الكلمات المفتاحية المناسبة للبحث والشبكات والعمل على

استقرار التيار الكهربائي وغيرها.

جدول رقم(19) : يوضح ضعف إلمام أعضاء هيئة التدريس باستخدام المكتبة.

| العبارة | العدد | النسبة المئوية |
|--------------|-------|----------------|
| أوافق | 102 | 61.3% |
| أوافق لحد ما | 48 | 28.6% |
| لا أوافق | 17 | 10.1% |
| المجموع | 168 | 100% |

يتضح من الجدول رقم (19) أن معظم أعضاء هيئة التدريس ليس لديهم المعرفة الكاملة باستخدام مواد المكتبة مما يعوق سبل الوصول للمعلومات، فمن الجيد تطوير المهارات التي تشمل القدرة على استخدام المكتبة، بما يتضمنه من استخدام الفهارس ونظم التصنيف والكشافات والأدلة الببليوجرافية وقواعد البيانات وتوثيق المصادر التي تم الحصول عليها.

خاتمة الدراسة:

في ضوء البيانات التي جمعت وحللت توصلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها:

- أن أعضاء هيئة التدريس التربية -جامعة الجزيرة يستخدمون مصادر المعلومات من كتب، دوريات، رسائل جامعية، نشرات، تقارير، مصادر معلومات إلكترونية.
- توفر مصادر المعلومات بتلك المكتبات له دور فعال في تنمية الوعي المعلوماتي لديهم.
- تردي الخدمات الإلكترونية يعوق تعاملهم معها، ولم تهتم المكتبة بترجمة المصادر والمراجع الأجنبية كثيراً. وأن إلمام أعضاء هيئة التدريس بطرق تنظيم المكتبة واستخدامها غير مرضي.

بناءً على ذلك توصي الدراسة بالتالي:

- على إدارة الجامعة، عمادة المكتبات، وأعضاء هيئة التدريس بالجامعة تدريس مادة الوعي المعلوماتي من ضمن المقررات بقسم المكتبات والمعلومات بكليات القطاع التربوي، وعلى القائمين بعملية تزويد المكتبات اقتناء كل المواد المكتبية الجيدة التي تتناسب مع المناهج الدراسية خاصة المواد الحديثة من أشرطة وأقراص مدمجة ومواد سمع بصرية وغيرها وتوفير الميزانية اللازمة ما أمكن لذلك.

- القيام بترجمة العلوم والمعارف المنشورة بلغات أجنبية، وأيضاً تعليم الأساتذة وتدريبهم على كيفية استخدام المكتبة لبحث وتقييم مصادر المعلومات لاختيار ما يناسب أبحاثهم وتدريبهم.
- الاهتمام بجودة مباني المكتبات وتجهيزاتها حتى يشعر الأساتذة بالراحة لقضاء أطول فترة ممكنة.
- أن يعي الموظفون أن التعامل الحسن والألفة له تأثير جيد على تردد الأساتذة للمكتبة واستخدامهم لها.
- السودان بحاجة لمزيد من البحوث والدراسات عن الوعي المعلوماتي في كافة المؤسسات التعليمية والخدمية، لتحقيق جودة واللاحاق بمصاف الدول.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- إبراهيم، السعيد مبروك، تنمية الوعي المعلوماتي لدى العاملين بالمكتبات. القاهرة، مؤسسة الباحث للاستشارات البحثية، 2019م.
- إبراهيم، السعيد مبروك، الثقافة الرقمية والوعي المعلوماتي، المفهوم - أبعادها - وسائل التنمية. القاهرة، مؤسسة الباحث للاستشارات البحثية، 2018م.
- بامفلج، فاتن سعيد، خدمات المعلومات في ظل البيئة الإلكترونية. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2009م.
- تيلور، جوي. الوعي المعلوماتي ومراكز مصادر التعلم، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2008م.
- قاسم، حشمت محمد على، المعلومات والأمية المعلوماتية في مجتمعنا المعاصر، القاهرة، دار غريب للنشر والتوزيع، 2006م.
- قاسم، حشمت محمد على، مصادر المعلومات وتنمية مقتنيات المكتبات، القاهرة، مكتبة غريب، 2009م.
- مكاوي، عماد حسن مكاوي، تكنولوجيا المعلومات والاتصال، القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع، 2009م.
- محمد إبراهيم العمراني، الوعي المعلوماتي ومراكز مصادر التعلم، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2008م.

ثانياً: الدوريات

- عفاف محمد الحسن والعيدروس، الوعي المعلوماتي لدى طلاب جامعة الخرطوم للتركيز على مهاراتهم في البيئة الرقمية. تونس: الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، 2020م.
- غربي سليمة على، الممارسات الأكاديمية للأستاذ الجامعي. مجلة علوم الإنسان والمجتمع. 2012م.
- قاسم، حشمت محمد على، المعلومات والأمية المعلوماتية في مجتمعنا المعاصر / الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات، القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع. 2002م.

- موسى بنت ابراهيم الديبان، تنمية اتجاهات الوعي المعلوماتي الرقمي لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتأثيرها على تطوير البحث العلمي، مجلة دراسات المعلومات، 2001م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

- غادة عبد الوهاب أصيل، التقنية في خدمات الإرشاد وتعليم المستفيدين في المكتبات الجامعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج. رسالة دكتوراه، 2008م.
- حسن يسرا حبيب، واقع تطبيق الجودة الشاملة في المكتبات الجامعية السودانية. الخرطوم: جامعة الخرطوم، رسالة ماجستير، 2015م.
- يوسف عثمان الطيب، دور مصادر المعلومات في تطوير مجتمع المعرفة: دراسة حالة بعض طلاب مكتبات جامعة الخرطوم -السودان، إشراف زين الدين محمد عبدالهادي رسالة ماجستير، 2014م.

رابعاً: الأدلة

- جامعة الجزيرة ربع قرن من العطاء والتميز (1975-2002م) دليل. ود مدني جامعة الجزيرة، 2002م.
- عمادة الشؤون العلمية. دليل الجامعة للعام 2003م إعداد عمادة الشؤون العلمية. -ود مدني: جامعة الجزيرة، 2003م.

خامساً: المراجع الأجنبية

- Luu & Freeman 2017. Digital Literacy Considred as asset of Competence
[HYPERLINK "http://www.eera-ecer.de/ecerProgrammes"](http://www.eera-ecer.de/ecerProgrammes)

المناعة النفسية لدى لاجئ دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء ولاية الخرطوم

ثوبية إبراهيم مصطفى أحمد

قسم علم النفس – كلية الآداب – جامعة الخرطوم

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء ولاية الخرطوم وعلاقتها بالمتغيرات الديمغرافية الآتية: النوع، العمر، الحالة الاجتماعية، العمل، المرض المزمن، الإقامة قبل اللجوء. ولتحقيق هذه الأهداف استخدمت الباحثة المنهج الوصفي على عينة مكونة من 180 لاجئ، 76 ذكراً و 104 أنثى؛ تم اختيارهم بالطريقة القصدية. ولجمع بيانات البحث الحالي استخدمت الباحثة مقياس المناعة النفسية من إعداد شريف علاء (2015م). لتحليل البيانات استخدمت الباحثة برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) عن طريق المعادلات الإحصائية الآتية: اختبار (ت) للعينة الواحدة، واختبار (ت) لعينتين، ومعامل ارتباط بيرسون، واختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA). وتوصل البحث للنتائج الآتية: تتسم المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم بالانخفاض عند مستوى دلالة ($P \geq 0.05$) - لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى مجتمع البحث تبعاً للنوع عند مستوى دلالة ($P \geq 0.05$) - لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى مجتمع البحث تبعاً للعمر عند مستوى دلالة ($P \geq 0.05$) - لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى مجتمع البحث تبعاً للحالة الاجتماعية عند مستوى دلالة ($P \geq 0.05$) - لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى مجتمع البحث تبعاً للعمل عند مستوى دلالة ($P \geq 0.05$) - لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى مجتمع البحث تبعاً للمرض المزمن عند مستوى دلالة ($P \geq 0.05$) - لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى مجتمع البحث تبعاً للإقامة قبل اللجوء عند مستوى دلالة ($P \geq 0.05$). وفي نهاية البحث قدمت الباحثة عدداً من التوصيات أهمها: إنشاء مركز للإرشاد النفسي بمعسكر بانتيوم لتقديم خدمات نفسية واجتماعية لهؤلاء اللاجئين.

الكلمات المفتاحية: بانتيوم، جنوب السودان، السودان، المناعة النفسية

Abstract

This research aims to investigate psychological immunity among South Sudanese refugees in Bentiom camp, Jabal Awliya locality, Khartoum State, and its relation with the following demographic variables: gender, age, social status, work, chronic disease, and residence before asylum. The researcher used the descriptive method to achieve these objectives. Purposive sampling method was applied to select a sample of 180 refugees 76 male, 104 females. The researcher used the following scale to collect the data of the present research: psychological immunity scale which designed by Sharif Alaa (2015). Statistical package for social sciences was applied to analyze the data of this research by using: T-test for one sample, T-test for two samples, Pearson correlation coefficients, One Way Analysis of Variance (ANOVA). The results of the study are as follows; the psychological immunity among South Sudanese refugees in Bentiom camp, Jabal Awliya locality, Khartoum State is low at level of significance ($P \leq 0.05$) - there is no statistically significant differences in psychological immunity among study population according to gender at level of significance ($P \leq 0.05$) - there is no statistically significant differences in psychological immunity among study population according to age at level of significance ($P \leq 0.05$) - there is no statistically significant differences in psychological immunity among study population according to social status at level of significance ($P \leq 0.05$), there is no statistically significant differences in psychological immunity among study population according to work at level of significance ($P \leq 0.05$) - there is no statistically significant differences in psychological immunity among study population according to chronic disease at level of significance ($P \leq 0.05$) - there is no statistically significant differences in psychological

immunity among study population according to residence before asylum at level of significance ($P \leq 0.05$)- In the end of research; the researcher suggested some recommendations such as: Establishing a psychological counseling center in Bentium camp to provide psychological and social services to these refugees

Keywords: Bentium, South Sudan, Sudan, Psychological immunity

بدأ في نهاية التسعينيات من القرن العشرين اهتمام الباحثين والدارسين لسلوك الفرد، والنواحي النفسية للبحث عن قدرة الفرد على مواجهة الضغوط والأزمات والصعاب التي يتعرض لها في حياته، وكيفية التعامل معها، وتوصل الباحثون في ذلك إلى ما أسموه بالمناعة النفسية للفرد. وعرفت بمسميات أخرى كالمناعة الانفعالية، المناعة السلوكية، المناعة العقلية. (حلي، 2014م، 165). وقد ذكر في القرآن الكريم الحديث عن قوة الفرد ومناعته التي تجعله يتحمل ما يتعرض له من صعاب في الحياة قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) [البلد: 4]؛ وتعني لقد خلقنا الإنسان في شدة وعناء من مكابدة الدنيا (الطبري، 2001م، 412/24). ويعد دانييل جليبرت أول من تحدث عن اصطلاح المناعة النفسية في عام 1998م، كذلك ذكر أولاه عام 1999م أن هنالك تركيباً مرتبطاً بالصحة النفسية والضغوط البيئية وهذا التركيب هو المناعة النفسية؛ وعده من عوامل الشخصية، لذلك ينظر إلى الأحداث الضاغطة والأزمات وما يترتب عليها من آثار على أنها هي التي توضح مدى قدرة الفرد المناعية، وأكثرها وضوحاً الآثار النفسية المترتبة الناتجة عن الحرب والصراعات والنزاعات (حلي، 2014م، 188). لذا جاء اهتمام الباحثة بدراسة الجوانب النفسية للاجئين من دولة جنوب السودان بعد أحداث الحرب والعنف وما تبعها من أضرار نفسية واجتماعية ومادية منذ بداية الحرب عام 1955م، وما ترتب عليها من نزوح للجنوبيين إلى شمالي السودان حتى جاء انفصال دولة جنوب السودان في عام 2011م.

هذه الآثار المترتبة توضح لنا وضع المناعة النفسية لهؤلاء اللاجئين بعد أحداث الحرب. خاصة أنه بعد ذلك التاريخ توتر الوضع السياسي في دولة جنوب السودان في 15 ديسمبر 2013م وترتب عليه عودة أحداث العنف والحرب وتدهور الأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية؛ وانعكس ذلك على السكان المحليين، ونتج عنه هروب أعداد منهم إلى دولة السودان الأمر الذي يوضح لنا مدى تأثير الحروب عليهم خاصة من الناحية النفسية. وبمقتضى قانون تنظيم اللجوء السوداني لسنة 2014م أصبح سكان دولة جنوب السودان لاجئين في دولة السودان. وبذلك عاد الجنوبيون إلى السودان مرة ثانية لأسباب متعلقة بحروب ونزاعات. لذا جاء الاهتمام بدراسة المناعة النفسية للجنوبيين الذين عادوا إلى الجنوب وبدأوا الحياة والاستقرار النفسي والاجتماعي والشعور بالأمن والانتماء إلى دولة جنوب السودان لكن أعادتهم أحداث الحرب والعنف مرة ثانية لكل ما سبق. لذا تحاول الباحثة دراسة الجوانب النفسية التي ترتبت على اللجوء من خلال معرفة المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان.

مشكلة البحث:

اندلعت الحرب في جنوب السودان منذ عام 1955م نتيجة لأسباب عدة لذلك أصبح الجنوب منطقة حرب ونزاعات، وخلال تلك الأحداث تعرض الجنوبيون إلى أحداث عنفٍ وحربٍ واضطهادٍ وتفككٍ أسري واجتماعي وتدهور اقتصادي وبيئي وصحي؛ لذلك جاءوا نازحين إلى شمالي السودان، وقد أشارت دراسة (عبد الوهاب، 2000م، 34) إلى نتائج توضح أن نسبة الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية للنازحين من دولة

جنوب السودان قد ازدادت نسبة للضغوط العديدة التي تعرضوا لها من تغير سيئ ومفاجئ، وفقد للأراضي والعديد من أفراد أسرهم؛ مما جعلهم عرضة للإصابة بمختلف الأمراض النفسية والعصبية. ثم جاء انفصال الجنوب في عام 2011م وعادوا إلى دولة جنوب السودان وبدأت الحياة في الجنوب، لكن في ديسمبر 2013م عادت النزاعات مرة ثانية إلى دولة الجنوب ونتيجة لذلك توافد آلاف من الجنوبيين إلى دولة السودان مرة ثانية بسبب الحرب وأصبحوا لاجئين في معسكرات بمختلف ولايات السودان. هذا الأمر أصبح ذا تأثير نفسي عليهم. (معتمدية اللاجئين، 2019م، 3) حيث قُدر عدد اللاجئين من دولة جنوب السودان بحوالي 500 طالب لجوء يومياً (الجزولي، 2018م، 2) الأمر الذي يوضح تدهور الوضع النفسي لهؤلاء اللاجئين خلال تلك الأحداث، ومدى الضغوطات والأزمات التي مروا بها خلال تلك السنوات.

هذا الامر انعكس بصورة مباشرة على مناعتهم النفسية ومدي قدرتهم علي تحمل أزمات وضغوطات الحرب. ولهذا عمدت الباحثة إلى دراسة المناعة النفسية بعد التغيرات التي حدثت لهم من نزوح إلى السودان ثم الانفصال والشعور بالأمن والانتماء لدولة الجنوب، ثم اللجوء مرة ثانية إلى دولة السودان والعيش لاجئين في معسكرات، والتعرض لمشاكل نفسية متمثلة في: عدم الشعور بالأمن والسلام، والمروء بتجارب غير سارة، ومشاكل اجتماعية متمثلة في التفكك الأسري والاجتماعي، ومشاكل اقتصادية متمثلة في عدم القدرة على إيجاد فرص عمل جيدة في بيئة المعسكر وخارجه، والاعتماد على الأعمال الهامشية والمعينات التي تقدمها لهم المنظمات.

لكل ذلك تري الباحثة أن دور المناعة النفسية لهؤلاء اللاجئين يأتي باعتبارها نظاماً يعمل على تخفيف الضغط والإنهاك النفسي الذي يعانون منه جراء الوضع الذي كانوا ومازالوا يعيشون فيه، ومالها من دور في القدرة على مواجهة الأزمات، وإدارة الذات وحل المشكلات، فإن لكل شخص مقدارا معيناً من المناعة النفسية يستطيع أن يقاوم بها الجهد والإرهاق و ما زاد على هذا المقدار يعرضه للانهاك النفسي، وضعف القدرة على مواجهة الضغوط، لذلك يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما السمة العامة للمناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم؟
2. هل توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم تبعاً للنوع؟
3. هل توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم تبعاً للعمر؟
4. هل توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم

- محلفة جبل أولفاء بولاية الخرطوم تبعاً للحالة الاجتماعية.
5. هل توجد فروق دالة إحصائياً في المنة النفسفة لى لاجئف دولة جنوب السودان بمعسكر بانتفوم محلفة جبل أولفاء بولاية الخرطوم تبعاً للأمراض المزمنة ؟
6. هل توجد فروق دالة إحصائياً في المنة النفسفة لى لاجئف دولة جنوب السودان بمعسكر بانتفوم محلفة جبل أولفاء بولاية الخرطوم تبعاً للإقامة قبل اللجوء ؟

أهمية البحث:

الأهمية النظرفة:

1. فعد البحث الحالي أول دراسة محلفة تدرس متفر المنة النفسفة للاجئف من دولة جنوب السودان على حد علم الباحثة.
2. فمكن للبحث الحالي أن فكون مرجعاً للدراسات ذات الصلة بعلم النفس وعلوم الاجتماع والعلوم السفسفة.
3. فدرس البحث الحالي مجتمع بحث من منظور نفسي واجتماعف له خصائص اجتماعفة ونفسفة.

الأهمية التطبيقفة:

1. فوففر مفساس لمتفر المنة النفسفة للباحثف خاصة أنه متفر فدفث فف البحوث النفسفة.
2. الخروج بملاحظات مفدانفة عند التعامل مع أفراد العفنة، وعكس ذلك فف مناقشة نتائج الدراسة وفقفدم توصفات بناءً علها.
3. قد فخرج هذا البحث بنتائج تترتب علها توصفات تجد اهتماماً من قبل معتمدة اللاجئف والمنظمات الإنسانية خاصة فف مجال الرعاة النفسفة والاجتماعفة.

أهداف الدراسة:

1. معرفة السمة العامة للمنة النفسفة لى لاجئف دولة جنوب السودان بمعسكر بانتفوم بمحلفة جبل أولفاء بولاية الخرطوم.
2. معرفة الفروق الدالة إحصائياً فف المنة النفسفة لى لاجئف دولة جنوب السودان بمعسكر بانتفوم بمحلفة جبل أولفاء بولاية الخرطوم تبعاً للنوع، العمر، الحالة الاجتماعية، الأمراض المزمنة، العمل، مكان الإقامة قبل اللجوء.

فروض الدراسة:

1. تتسم المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم بالانخفاض.
2. توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم تبعاً للنوع.
3. توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم تبعاً للعمر.
4. توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم تبعاً للحالة الاجتماعية.
5. توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم تبعاً للأمراض المزمنة.
6. توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم تبعاً للإقامة قبل اللجوء.

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: المناعة النفسية (Psychological immunity)

التعريف اللغوي:

المناعة في اللغة (اسم) مصدر مَنَعَ - وَمُنَعَ وجاء في المعجم الوسيط أنها لفظة مولدة بمعنى "الحصانة من المَرَضِ وَنَحْوِهِ". (إبراهيم مصطفى وآخرون، دت، 2/ 888)

تعريف المناعة النفسية:

هي مجموعة من سمات الشخصية التي تجعل الفرد قادراً على تحمل تأثيرات الإنهاك والضغط، وعلى دمج الخبرة المكتسبة بنمط لا يؤثر على الوظائف الفعالة للفرد، كما أنه ينتج مناعة نفسية مضادة تحمي الفرد من التأثيرات البيئية السلبية (Albert-Lorincz, et al. 2012).

تعد قدرة الفرد على حماية نفسه من التأثيرات السلبية المحتملة للضغوط أو التهديدات والمخاطر والإحباطات والأزمات النفسية والتخلص منها عن طريق التحصين النفسي باستخدام الموارد الذاتية

والإمكانات الكامنة في الشخصية (عصام، 2013م، 19)

الشخصية المناعية:

هي الشخصية التي لا تتعامل مع أحداث الحياة الضاغطة بالإنكار، وإنما بالتقبل والمرونة والرغبة في التعلم والنمو، وتحب الفرد من الانهيار الانفعالي والجسدي. كذلك تعد هي الشخصية التي لديها قدرة على تخطي الازمات، ويستطيع الفرد أن يتخلص من مشاعر اليأس والعجز، وتدفعه إلى اتخاذ دور في مواجهة الظروف الصعبة، وتدعم قدراته وطاقته وبذلك يستطيع أن يحقق أهدافه ويخطط لمستقبله (حنصالي، 2014م، 85)

تستنتج الباحثة من خلال ذلك وجود نوعين من الشخصيات اعتماداً على القدرة النفسية لدى الأفراد: شخصية ذات مناعة نفسية قوية وتظهر ملامحها عند التعرض لأحداث أو مواقف ضاغطة فتكون لديها القدرة على التعامل مع الأحداث الضاغطة بطريقة إيجابية، وفي المقابل أفراد ذوي مناعة نفسية ضعيفة وهي التي تكون عرضة للأحداث والمواقف الضاغطة والازمات.

أهمية ما ورد عن المناعة النفسية:

تشكل المناعة النفسية عند الفرد منذ السنوات الأولى في حياته، وتنمو وتتطور شيئاً فشيئاً من خلال الدعم الذي يأتي من البيئة المحيطة بالفرد سواء أكان دعماً مادياً أم معنوياً من المحيط الأسري والاجتماعي. وتظل تشكل في المراحل التالية من العمر لأنها قوة كامنة داخل النفس البشرية استناداً على مجموعة من الأبعاد المعرفية والسلوكية والانفعالية والاجتماعية والبيئية. وتعمل على تقوية مناعة الفرد ضد التوتر وتعزز النمو النفسي والجسدي وتؤدي وظيفة المقاومة والحصانة. وكذلك تعمل المناعة النفسية مثل المناعة الجسدية التي تقوم الثانية بمهاجمة الأجسام الغريبة داخل جسم الإنسان. فالمناعة النفسية تعد نظاماً مناعياً نفسياً يعمل على حمايتنا من الاعتداءات النفسية من البيئة عبر آليات التكيف مع الضغوط (باربانيل، 2004م، 23).

النظريات المفسرة للمناعة النفسية

النظرية السلوكية

تحدث اسكندر في هذه النظرية بأن هنالك ما يعرف بالمظاهر السلوكية التي توصف بأنها شاذة أو سلبية فهي عبارة عن استجابات متعلمة للمنبهات البيئية المؤلمة والمزعجة التي يتعرض لها الإنسان لذا تسبب

حالة من انعدام الأمن النفسي خاصة لدى الأفراد ذوي المقاومة النفسية الضعيفة لذا فإن مدي قوة أو ضعف المناعة النفسية لدى الفرد تقاس من خلال هذه المظاهر السلوكية.

نظرية المواجهة والهروب:

جاء الحديث في هذه النظرية عن ما يعرف بالعوامل البايو كيميائية حيث فسرت الضغوط التي لها علاقه بإضعاف المناعة النفسية للفرد. يرى لوالتر كانون في هذه النظرية أن الأفراد عندما يتعرضون لمواقف ضاغطة إما يجاهدون لمقاومتها أو يهربون بعيداً عنها وتظهر عليهم عددا من التغيرات في حالة المقاومة مثل ارتفاع في ضغط الدم وزيادة ضربات القلب فهذا التغير أساسه عدم القدرة على المقاومة النفسية، ويحدث عند الهروب من المواقف الضاغطة. فهذه التغيرات مؤشر لضعف مناعة الفرد النفسية، وفي المقابل عدم ظهور هذه التغيرات يعد مؤشرا لقوة الفرد النفسية.

نظرية متلازمة التكيف العام:

يري هانس في هذه النظرية ان الضغط عبارة عن استجابة لعامل ضاغط يظهر على الفرد من خلال استجابة للبيئة الضاغطة لذا هناك ثلاث مراحل للتعامل مع الضغط متمثلة في مراحل التكيف العام وهي أولاً مرحلة المقاومة وهي مرحلة تحدث عندما يكون التعرض للضغط متلازماً مع التكيف فتختفي التغيرات التي تظهر على الجسم بل، وتظهر تغيرات تدل على التكيف و تليها مرحلة الإجهاد ويكون فيها الجسم قد تكيف مع الضغط ثم تأتي مرحلة الفزع وفيها تظهر على الجسم تغيرات. واستجابات هذه المرحلة توضح درجة مقاومة الفرد النفسية لتكون فزع في حالة التعرض لضغط نفسي ما. (حنصالي، 2014م، 88)

أنواع المناعة النفسية:



1. مناعة نفسية طبيعية:

وهي مناعة موجودة عند الإنسان منذ طبيعة تكوينه النفسي الذي يولد به، و تنمو من خلال التفاعل بين الوراثة والبيئة.

2. مناعة نفسية مكتسبة:

يكتسبها الفرد من الخبرات والمهارات والمعرفة التي يتعلمها من خلال مواجهة الأزمات والصعوبات. وهي تعد خبرات نفسية تعمل على تنشيط جهاز المناعة النفسية وتقويته.

3. مناعة نفسية متعلمة:

وهي التي يتعلمها الفرد من خلال تعرضه عمداً لمواقف مثيرة للتوتر والغضب مع تدريبه على السيطرة على انفعالاته وأفكاره ومشاعره وتعويدته على إبداله بأفكار ومشاعر إيجابية في هذه المواقف. (منفي، 2018م، 182)

تجد الباحثة أن المناعة النفسية الطبيعية هي أساس تكوّن المناعة النفسية لدى الفرد، ثم تلها المناعة النفسية المكتسبة حيث يكون للبيئة المحيطة بالفرد دور في اكتسابها عبر التعرض لخبرات نفسية. أما المناعة النفسية المتعلمة هي مناعة تتكون لدى الفرد عن طريق التجربة حيث يمكن الاستعانة بالتجارب في تقوية مناعة الفرد المنخفضة وتعزيزها في عملية العلاج النفسي.

جهاز المناعة النفسية:

يعد جهازاً نفسياً يتكون في مرحلة الطفولة الأولى معتمداً في ذلك على وجود الآباء في حياة الطفل، وما يصاحب هذه المرحلة من رعاية واهتمام ومواجهة التغيرات التي تحدث له خاصة في مرحلة الحضانه فهي تعد مرحلة الهدوء وغياب المثيرات المفاجئة وغير السارة، وبمرور السنين يطور الطفل قدراته النفسية من خلال وظائفه المتمثلة في تعديل تقلبات المزاج والفصل بين ما هو خيال وما هو واقع لذا يظهر الأفراد فروقاً في مستوى كفايتهم الانفعالية فالعقل البشري يخضع لتطورات بعد الولادة على عكس أجهزة الجسم الأخرى فهو مصمم خصيصاً للاستجابة للظروف البيئية التي يكبر فيها الطفل، ثم تبدأ مرحلة النمو الحاسمة من عمر سنتين وتستمر التغيرات حتى سن البلوغ، لذا يتكون من الميكانيزمات المعرفية التي تكمن وراءها الكثير من الانفعالات وهو يقوم بدور وقائي وعلاجي. (حنصالي، 2014م، 87).

وظائف المناعة النفسية:

1. تساعد الأفراد على الشعور بالتحسن بعد أن عانوا من عاصفة وانفجار نفسي.
2. تساعد على إيجاد تغيير منطقي للمشاعر السلبية وإبطال مشاعر الرفض.
3. المساعدة على استعادة التوازن النفسي للفرد.
4. إحداث توازن بيئي بين التخيلات والتصورات الواقعية (Albert-Lorincz, etal. 2012)

مظاهر فقدان المناعة النفسية:

1. ضعف السيطرة الذاتية والتحكم الذاتي.
2. ضعف مقاومة الفشل والاستسلام له.
3. ضعف درجة النضج الانفعالي.
4. الانغلاق والجمود الفكري ومقاومة التغيير.
5. الانعزالية وضعف التفاعل مع الآخرين.
6. الميل إلى الحزن والتشاؤم وقلة الإحساس بالمتعة والفرح والسرور في الحياة (عبد الوهاب، 2002م، 12)

تري الباحثة أن هذه المظاهر تعج مؤشراً لضعف مناعة الفرد النفسية مثلها مثل المظاهر الجسدية أو الأعراض التي تظهر عند الإصابة بمرض عضوي مع ضعف مناعة الفرد الجسدية.

ثانياً: لاجئو دولة جنوب السودان (South Sudanese refugees)

تعريف اللجوء في اللغة:

كلمة لجوء مشتقة من لجأ إلى فلان ويقال لجأ إلى الشيء أو المكان، لجأت إلى الشيء أي ألجأه واضطره. ويقال لجأت إلى فلان أي استعنت به (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م، 51)، وكأن اللجوء بهذا المعنى إشارة إلى الخروج والانفراد.

تعريف المفوضية السامية للأمم المتحدة UNHCR للاجئ العام 2006م

اللاجئ هو الشخص الموجود خارج دولته لخوف مبني على أسباب مثل التعرض للاضطهاد بسبب العنصر أو الدين أو الجنسية أو فئة اجتماعية أو سياسية ونتيجة لذلك لا يرغب في التمتع بحماية تلك

الدولة (بلال، 2016م، 7)

تعريف قانون تنظيم اللجوء السوداني لعام 2014م:

يقصد به الحماية والمساعدات التي تمنح للأشخاص الذين ينطبق عليهم وضع اللجوء وفقاً لأحكام قانون واتفاقية الأمم المتحدة واتفاقية منظمة الوحدة الأفريقية.

أسباب اللجوء:

جاء في اتفاقية الأمم المتحدة لعام 1951م عن أسباب اللجوء وهو ما ورد عن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين:

1. الخوف وهو حالة نفسية تستدعي من اللاجئ الهرب إلى مكان يشعر فيه بالأمان.
2. الاضطهاد: هو التعرض للتهديد وانتهاك للحقوق الإنسانية.
3. التمييز: وهو الاختلاف في المعاملة والحقوق والتمييز الاجتماعي والديني بين الأفراد.
4. العرق: هو الانتماء إلى فئة اجتماعية معينة تشكل أقلية ضمن مجموعة من السكان (فرج، 2009م).

الآثار النفسية الجسمية المترتبة علي الحرب وأحداث اللجوء:

أولاً: الآثار النفسية وهي التي تظهر آثارها في النواحي النفسية للفرد، وتكون في شكل أعراض نفسية يتم من خلالها تشخيص المريض بناء عليها. ومن هذه الاضطرابات القلق والاكتئاب والسلوك الاندفاعي والصدمة النفسية والاضطرابات النفسجسمية.

ثانياً: الآثار الجسمية وتظهر في شكل أعراض جسمية أي عضوية لدى الفرد متمثلة في التوتر المزمن للعضلات، وأمراض القلب وزيادة نشاط المعدة وسرعة التنفس (كوج، 2019م)

عوامل تزيد من حدوث المشكلات النفسية والاضطرابات بعد الحرب:

1. شدة الحادث الصادم ومدى عنفه وطول مدة التعرض له.
2. المشكلات السلوكية في الطفولة.
3. التاريخ الأسري للاضطراب النفسي.
4. معدل القلق بعد حدوث الحرب.

5. التعرض لصدمات سابقة.

6. العمر فإن متوسطي العمر أكثر عرضة للإصابة بالمشكلات. (محمد، 2010م، 11).

لاجئو دولة جنوب السودان:

تقع دولة جنوب السودان في الجزء الجنوبي من جمهورية السودان، وعاصمتها مدينة جوبا، ويحدها من الشمال ولايات السودان الشمالية وتقدر مساحتها حوالي 600,000 كيلومتر مربع، وتتكون من 10 ولايات، وتضم أكثر من مائة قبيلة.

خصائص مجتمع دولة جنوب السودان

يتميز مجتمع دولة جنوب السودان بعدد من الخصائص الثقافية والاجتماعية منها (الولاء لزعماء القبيلة، تعدد قبائل الجنوب، تعدد اللهجات واللغات، هيمنة الأديان المحلية).

تعرضت دولة جنوب السودان إلى حروب أهلية ونزاعات مسلحة في فترات متفاوتة الحرب الأولى كانت في عام 1952-1964م، وحرب ثانية من 1966-1972م، ثم حرب ثالثة 1984-2002م، ثم أحداث 2013م بعد عودة النازحين إلى الجنوب؛ نتج عن هذه الحروب وجود آلاف النازحين من الجنوب في ولايات السودان. وتعد حرب الجنوب أحد أسباب لجوء عدد كثير من أبناء الجنوب. (البربري، 2002م، 1)

لاحظت الباحثة أن مجتمع دولة جنوب السودان له خصوصية ثقافية واجتماعية منها ما ذكر سابقاً. فمن خلال ملاحظة الباحثة الميدانية يعد زعيم القبيلة ممثلاً للسلطة الحاكمة لديهم. وهو الذي يهتم بشؤون القبيلة لذلك يكون الولاء له، إضافة لتعدد اللهجات والثقافات والديانات. وتعد الاغلبية منهم من ذوي الدخل الاقتصادي البسيط، ويعملون في مجال الحرف والعمالة اليومية.

تداعيات لجوء سكان دولة جنوب السودان:

أوضحت لائحة اللجوء في السودان عام 1974م أن وجود الخلافات بين السلطة الحاكمة ومجموعات السياسيين والقبليين ورجال الدين أدت إلى عدم الاستقرار في كل أو جزء من البلاد، إضافة إلى التدخل الأجنبي والغزو والعمليات الحربية كذلك الأسباب الطبيعية المتمثلة في الفيضانات والجفاف والتصحر والمجاعات والأسباب السياسية المتمثلة في النظم الاستبدادية والعنصرية والعدوان والاستعمار والتدخل والسيطرة الأجنبية والحروب والنزاعات الإقليمية والصراعات القبلية والتمييز العنصري والثقافي وأسباب اقتصادية جميعها أدت إلى نزوح سكان جنوب السودان إلى ولايات السودان، وبعد انفصال دولة

الجنوب في يوليو 2011م أصبح الجنوب دولة مستقلة عن السودان. لكن اختلال الأوضاع الأمنية في دولة جنوب السودان في 15 ديسمبر 2013م أدى إلى تدهور الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية مرة أخرى نتج عنه هرب أعداد كبيرة من المواطنين تجاه الحدود مع السودان نازحين ومنها أصبحوا لاجئين (معتمدية اللاجئين 2019م، 3).

ثالثاً: الدراسات السابقة

جاءت دراسة عبد الوهاب (2002م) للتعرف على الحالة الاجتماعية والنفسية للنازحين من الإقليم الجنوبي. واتبع في ذلك المنهج المسحي وتمثلت نتائج هذه الدراسة في أن هناك 60% منهم مصابون بالفصام، و 15% مصابون باكتئاب، و 20% إدمان خمر وذلك بأعمار متفاوتة. وأكثر الإصابات بين 20-30 سنة بنسبة 50%، و من 30-40 سنة بنسبة 70% ومن سن 50-70 بنسبة 1%، والرجال أكثر من النساء بنسبة 85% مقابل 14%. أيضاً هدفت دراسة حمدين (2005م) لدراسة التوافق النفسي والاجتماعي لدى النازحين الشباب بمدينة ربك ولاية النيل الأبيض. واستخدم في ذلك المنهج الوصفي وجاءت نتائج الدراسة متمثلة في عدم وجود فروق دالة إحصائية في التوافق النفسي والاجتماعي بين الشباب النازحين العاملين وغير العاملين، وتوجد فروق دالة إحصائية في التوافق النفسي والاجتماعي بين الشباب النازحين حسب النوع وتوجد فروق بين الشباب النازحين تبعاً للزمن الذي قضاه النازح لصالح 10 سنوات فأكثر. وتوجد فروق دالة إحصائية بين الشباب النازحين تبعاً للعمر لصالح الفئة 20-18. أما دراسة رزوقي (2013م) هدفت للتعرف على المناعة النفسية وعلاقتها بالمساندة الاجتماعية لدى طلبة جامعة ديالى، واستخدم في ذلك المنهج الوصفي حيث تكونت عينة الدراسة من 630 طالباً وطالبة وتوصلت النتائج إلى أن طلاب الجامعة يتمتعون بمناعة نفسية مرتفعة. وهناك فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية بين الذكور والإناث لصالح الذكور. أيضاً في دراسة منفي (2018م) هدفت الدراسة للتعرف على مستوى المناعة النفسية لدى طلبة الجامعة العائدين وأقرانهم غير العائدين من الزوج. استخدم المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من 30 طالباً، وجاءت النتائج أن أفراد العينة بمستوى جيد من المناعة النفسية مع وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين العائدين وغير العائدين من الزوج لصالح غير العائدين من الزوج. كما توصلت دراسة ملير (2002م) إلى التعرف على العزلة الاجتماعية ومستوى النشاط اليومي لدى اللاجئين البوسنيين واتبع في ذلك المنهج التجريبي وضمت الدراسة عينة إكلينيكية تكونت من 59 لاجئاً ومجموعة غير إكلينيكية 40 لاجئاً، أظهرت النتائج أن العزلة الاجتماعية تزداد ومتعلقة باضطراب ما بعد الصدمة في المجموعة الثانية وجاءت أعراض الاكتئاب متعلقة بمكان اللجوء وأن أعراض الاكتئاب لدى المجموعة الإكلينيكية تعزى لتجارب حدثت أثناء الحرب.

منهج واجراءات البحث

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، ويعرف بأنه المنهج الذي يهدف إلى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة ما، أو موقف معين، لوصفها مع محاولة تفسير هذه الظواهر والحقائق تفسيراً دقيقاً. (الدليمي، 2014، 86).

مجتمع البحث:

هو جميع الأفراد أو الأشياء الذين يشكلون مجتمع مشكلة البحث، أ جميع العناصر ذات العلاقة بمشكلة الدراسة التي يسعى الباحث إلى أن يعمم عليها نتائج البحث (عباس، 2009، م102). ويتمثل مجتمع البحث الحالي في لاجئ دولة جنوب السودان.

جدول رقم (1) يوضح مجتمع البحث

| النوع | التكرار | الفئة العمرية | النسبة المئوية |
|------------------------|---------|----------------|----------------|
| الإناث | 2319 | 59-18 سنة | 43% |
| الذكور | 1828 | | |
| المجموع | 4147 | | |
| الإناث | 310 | 60 سنة فما فوق | 6.4% |
| الذكور | 329 | | |
| المجموع | 639 | | |
| مجموع الكلي 4786 49.4% | | | |

الجدول رقم (1) يوضح مجتمع البحث المتمثل في الفئة العمرية من 18 سنة - 60 فما فوق حيث بلغ حجم الفئة العمرية 59-18 سنة 4147 لاجئاً بنسبة 43% من المجتمع الكلي وبلغ حجم الفئة العمرية 60 سنة فما فوق 639 لاجئاً بنسبة 6.4% من المجتمع الكلي.

عينة البحث:

هي مجموعة جزئية من مجتمع البحث، وممثلة لعناصر هذا المجتمع أفضل تمثيل بحيث يمكن تعميم نتائج تلك العينة على مجتمع البحث بأكمله والقيام باستدلالات حول معالم المجتمع. (قندلجي 2007م، 55).

اختارت الباحثة العينة بالطريقة القصدية وهي أن يستخدم الباحث الحكم والرأي الشخصي في اختياره للعينة على أساس أنها هي الأفضل لتحقيق أهداف الدراسة (عباس، 2009م، 103). حيث بلغ حجم عينة البحث 180 لاجئاً ومثلت 3.7 % من مجتمع البحث.

جدول رقم (2) يوضح وصف عينة البحث تبعاً للنوع

| النوع | التكرار | النسبة المئوية |
|---------|---------|----------------|
| الذكور | 76 | 42.2% |
| الإناث | 104 | 57.8% |
| المجموع | 180 | 100% |

الجدول رقم (2) يوضح العينة تبعاً لمتغير النوع، جاء عدد الذكور 76 بنسبة 42.2% وعدد الإناث 104 بنسبة 57.8%.

جدول رقم (3) يوضح وصف عينة البحث تبعاً للعمر

| الفئة العمرية | التكرار | النسبة المئوية |
|----------------|---------|----------------|
| 17 – 26 سنة | 49 | 27.2% |
| 27 – 36 سنة | 36 | 20 % |
| 37 – 46 سنة | 49 | 27.2% |
| 47 – 56 سنة | 31 | 17.2% |
| 57 سنة فما فوق | 15 | 4.8% |
| المجموع | 180 | 100% |

الجدول رقم (3) يوضح العينة تبعاً لمتغير الفئة العمرية، يبلغ حجم الفئة العمرية 17 – 26 سنة

49 بنسبة 27.2%، والفئة العمرية 27 – 36 بعدد 36 بنسبة 20% والفئة العمرية 37 – 46 سنة بعدد 49 ونسبة 27.2%، والفئة العمرية 47 – 56 سنة بعدد 31 بنسبة 17.2%، والفئة العمرية 57 سنة فما فوق 15 بنسبة 4.8%.

جدول رقم(4) يوضح وصف عينة البحث تبعاً للحالة الاجتماعية

| النسبة المئوية | التكرار | الحالة الاجتماعية |
|----------------|---------|-------------------|
| 45.0% | 81 | متزوج |
| 32.2% | 58 | غير متزوج |
| 8.9% | 16 | منفصل |
| 13.9% | 25 | أرمل |
| 100% | 180 | المجموع |

الجدول رقم (4) يوضح أن عدد المتزوجين 81 بنسبة 45.0%، وغير المتزوجين 58 بنسبة 32.2% والمنفصلين 16 بنسبة 8.9%، والأرامل 25 بنسبة 13.9%.

جدول رقم(5) يوضح وصف عينة البحث تبعاً للعمل

| النسبة المئوية | التكرار | العمل |
|----------------|---------|---------|
| 35.6% | 64 | يعمل |
| 64.4% | 116 | لا يعمل |
| 100% | 180 | المجموع |

الجدول رقم (5) يوضح أن عدد من يعملون 64 بنسبة 35.6% والذين لا يعملون 116 بنسبة 64.4%.

جدول رقم(6) يوضح وصف عينة البحث تبعاً للمرض المزمن

| النسبة المئوية | التكرار | المرض المزمن |
|----------------|---------|--------------|
| 58.3% | 105 | يوجد مرض |
| 41.7% | 75 | لا يوجد مرض |

| | | |
|---------|-----|------|
| المجموع | 180 | %100 |
|---------|-----|------|

الجدول رقم (6) يوضح أن عدد المصابين بأمراض مزمنة 105 بنسبة 58.3% وغير المصابين 75 بنسبة 41.7%.

جدول رقم (7) يوضح وصف عينة البحث تبعاً لمكان الإقامة قبل اللجوء

| مكان الإقامة قبل اللجوء | التكرار | النسبة المئوية |
|-------------------------|---------|----------------|
| جنوب السودان | 69 | %38.3 |
| السودان | 111 | %61.7 |
| المجموع | 180 | %100 |

الجدول رقم (7) يوضح أن عدد الجنوبيين الذين كانوا مقيمين في دولة جنوب السودان 69 لاجئاً بنسبة 38.3% وعدد الجنوبيين الذين كانوا مقيمين في دولة السودان 111 بنسبة 61.7%.

أدوات البحث:

مقياس المناعة النفسية:

وصف المقياس:

صمم هذا المقياس لقياس سمة المناعة النفسية، وقام بتصميمه الشريف علاء في عام (2015م، 64) بهدف الحصول على تقدير كمي لقدرات الفرد الشعورية واللاشعورية في مواجهة الأحداث الصادمة من خلال ثلاثة أبعاد موزعة على 68 عبارة.

جدول رقم (8) أبعاد مقياس المناعة النفسية في صورته الأولية

| البعد | اسم البعد | عدد العبارات |
|--------------|--------------------|--------------|
| البعد الأول | المشاعر | 14 |
| البعد الثاني | المعتقدات والأفكار | 29 |
| البعد الثالث | المهارات | 25 |

صدق المقياس:

1. الصدق الظاهري (صدق المحكمين):

قامت الباحثة بعرض النسخة المبدئية لمقياس المناعة النفسية على أساتذة متخصصين في علم النفس من مختلف الجامعات حيث أشاروا إلى التوجيهات التالية:

1. إعادة صياغة العبارات من عبارات استفهامية إلى عبارات تقريرية أو خبرية.
2. الفصل بين العبارات التي تحتوي على معنيين معاً.
3. تعديل في خيارات الإجابة للمفحوص من (تنطبق تماماً، تنطبق كثيراً، تنطبق لحد ما، تنطبق قليلاً، لا تنطبق) إلى (دائماً، أحياناً، نادراً، لا يحدث)
4. نقل بعض العبارات في البعد الأول التي تعبر عن الأفكار إلى البعد الثاني الذي يقيس المعتقدات والأفكار و العبارات التي تشير إلى المهارات إلى البعد الثالث الذي يقيس المهارات، ونقل بعض العبارات التي تعبر عن المشاعر الموجودة في البعد الثالث إلى البعد الأول الذي يقيس المشاعر.

2. صدق البناء أو الاتساق الداخلي:

قامت الباحثة بتطبيق المقياس على عينة استطلاعية بلغ عددها (20) لاجئاً للتحقق من مدى الاتساق الداخلي لبنود المقياس باستخدام معامل ارتباط بيرسون العزمي ومعامل الفاكرونباخ والصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي ومن ثم حذف العبارات السالبة والضعيفة.

جدول رقم (9) يوضح وصف العينة الاستطلاعية

| النوع | التكرار | النسبة المئوية |
|---------|---------|----------------|
| الذكور | 2 | 10% |
| الإناث | 18 | 90% |
| المجموع | 20 | 100% |

الجدول رقم (9) يوضح العينة الاستطلاعية التي قامت الباحثة بأخذها للتحقق من الصدق والثبات لمقياس المناعة النفسية. وجاء الذكور بتكرار 2 بنسبة 10 % والإناث بتكرار 18 بنسبة 90%.

جدول رقم (10) يوضح الاتساق الداخلي لبنود مقياس المناعة النفسية باستخدام

ارتباط كل بند بالدرجة الكلية للمقياس

| اسم البعد | رقم العبرة | قيمة الارتباط | رقم العبرة | قيمة الارتباط | رقم العبرة | قيمة الارتباط | رقم العبرة | قيمة الارتباط |
|-----------------------|---------------|------------------|---------------|------------------|---------------|------------------|---------------|------------------|
| المشاعر | 1 | 0.444 | 2 | 689.0 | 3 | 0.426 | 4 | 0.254 |
| | 5 | 0.558 | 6 | 0.554 | 7 | 0.293 | 8 | 0.299 |
| | 9 | 0.543 | 10 | 0.313 | 11 | 0.220 | 12 | 0.287 |
| | 13 | 0.055 | 14 | 0.229 | 15 | 0.656 | 16 | 0.535 |
| | 17 | 0.112 | 19 | 0.342 | 20 | 0.410 | 21 | - |
| المعتقدات والأفكار | 18 | 0.255 | - | - | - | - | - | 0.578 |
| | 22 | 0.466 | 23 | 0.388 | 24 | 0.284 | 25 | 0.201 |
| | 26 | 0.358 | 27 | -0.042 | 28 | 0.218 | 29 | 0.374 |
| | 30 | 0.638 | 31 | 0.243 | 32 | 0.322 | 33 | 0.011 |
| | 34 | 0.424 | 35 | 0.320 | 36 | 0.255 | 37 | 0.224 |
| | 38 | 0.280 | 39 | -0.079 | 40 | 0.245 | 41 | 0.383 |
| المهارات | 42 | 0.322 | 43 | -0.135 | 44 | 0.351 | 45 | 0.279 |
| | 46 | 0.494 | 47 | 0.232 | 48 | 0.594 | 49 | 0.041 |
| | 50 | 0.554 | 51 | 0.356 | 52 | 0.267 | 53 | 0.499 |
| | 54 | 0.428 | 55 | 0.427 | 56 | 0.403 | 57 | 0.344 |
| | 58 | 0.316 | 59 | 0.370 | 60 | 0.466 | 61 | 0.366 |
| | 62 | 0.233 | 63 | 0.036 | 64 | 0.392 | 65 | 0.356 |

الجدول رقم (10) يوضح معامل الارتباط فقرات مقياس المناعة النفسية حيث تراوحت ما بين (0.220، 0.689) بهذا تبين أن ارتباط العبارات ذا دلالة إحصائية وعند مستوى دلالة (0.05) ماعدا العبارات رقم (13، 17، 33، 49، 63) فهي ذات ارتباط ضعيف والعبارات رقم (27، 39، 43) ذات ارتباط سالب لذلك يجب حذفها حتى لا تؤثر على الاتساق الداخلي للمقياس، ليصبح المقياس في صورته النهائية يتكون من 58 عبارة بدلاً عن 66 عبارة.

ثبات المقياس:

جدول رقم (11) يوضح الثبات والصدق الذاتي لأبعاد مقياس المناعة النفسية

| الصدق بواسطة الجذر التربيعي للثبات | الثبات بواسطة ألفا كرونباخ | العبارات المتبقية | رقم العبارات المحذوفة | | عدد العبارات | اسم البعد |
|------------------------------------|----------------------------|-------------------|-----------------------|---------|--------------|----------------------------------|
| | | | الضعيفة | السالبة | | |
| 0.891 | 0.794 | 15 | 2 | - | 17 | البعد الأول: المشاعر |
| 0.823 | 0.678 | 18 | 1 | 1 | 20 | البعد الثاني: الأفكار والمعتقدات |
| 0.899 | 0.809 | 24 | 2 | 2 | 28 | البعد الثالث: المهارات |
| 0.871 | 0.760 | 57 | 5 | 3 | 65 | المجموع |

الجدول رقم (11) يوضح معامل ألفا كرونباخ لمعرفة الثبات لأبعاد مقياس المناعة النفسية حيث بلغ بُعد المشاعر (0.794) والصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي (0.891)، بينما بلغ الثبات بواسطة الفا كرونباخ في بعد الأفكار والمعتقدات (0.678) والصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي (0.823)، بينما بلغ الثبات بواسطة ألفا كرونباخ في بُعد المهارات (0.809) والصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي (0.899).

بعد حذف العبارات الضعيفة والسالبة الارتباط نستنتج أن المقياس يتمتع بمعاملات ثبات عالية ودالة إحصائية ومن ثم يصلح لقياس السمة المبحوثة.

جدول رقم (12) يوضح الثبات بواسطة ألفا كرونباخ والصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي لمقياس المناعة النفسية

| الصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي | الثبات بواسطة الفا كرونباخ | عدد العبارات |
|------------------------------------|----------------------------|--------------|
| 0.921 | 0.850 | 66 |

الجدول رقم (12) يوضح معامل ألفاكرونباخ للثبات الذي بلغ (0.850) والصدق الذاتي بواسطة الجذر التربيعي الذي بلغ (0.921) لمعامل الثبات لمقياس المناعة النفسية. وبعد حذف العبارات ضعيفة وسالبة الارتباط نستنتج أن المقياس يتمتع بمعاملات ثبات عالية ودالة إحصائية ومن ثم يصلح لمقياس السمة المراد قياسها.

الأساليب الإحصائية:

1. استخدمت الباحثة الأساليب الإحصائية التالية:
2. اختبار (ت) للمجموعة الواحدة.
3. اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين.
4. اختبار تحليل التباين الأحادي.
5. معامل ارتباط بيرسون العزمي.
6. اختبار شيفي البعدي

عرض ومناقشة النتائج:

نتيجة الفرض الأول:

الفرض: تتسم المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء بالانخفاض.

جدول رقم (13) يوضح اختبار (ت) للمجموعة الواحدة لمعرفة ما إذا كانت المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم محلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تتسم بالانخفاض.

| اسم البعد | حجم العينة | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | الوسط المحكي | درجة الحرية | قيمة ت المحسوبة | القيمة الاحتمالية | الاستنتاج |
|-----------|------------|---------------|-------------------|--------------|-------------|-----------------|-------------------|----------------------|
| المشاعر | 180 | 35.0500 | 7.10124 | 37.5 | 179 | 4.629 | 0.00 | يتسم البعد بالانخفاض |

| | | | | | | | | |
|-----------------------|-----|---------|----------|-------|-----|--------|-------|------------------------------|
| المعتقدات والأفكار | 180 | 45.9111 | 7.06181 | 55 | 179 | 17.268 | 0.00 | يتسم البعد بالانخفاض |
| المهارات | 180 | 58.9222 | 9.45111 | 50 | 179 | 12.666 | 0.00 | يتسم البعد بالارتفاع |
| المجموع الكلي | 180 | 139.882 | 17.19337 | 142.5 | 179 | 2.042 | 0.043 | يتسم المجموع بالانخفاض |

يوضح الجدول رقم (13) اختبار (ت) للعينة الواحدة أن المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تتسم بالانخفاض عدا في بُعد المهارات اتسمت بالارتفاع وبدرجة دالة إحصائية، وعند مستوى الدلالة (0.05) لذا جاءت نتيجة الفرض متفقة مع افتراض الباحثة عدا في بُعد المهارات فقد جاءت سمة المناعة النفسية فيه مرتفعة. اتفقت نتيجة هذا الفرض مع دراسة (رمضان، 2014م، 56) بأن المناعة النفسية لدي مراهقي الأسر المتضررة بالعدوان على غزة جاءت منخفضة، أيضاً وجدت الباحثة اتفاقاً بين الدراستين فهما بحثتا المناعة النفسية بعد أحداث حرب وعدوان وعنف على الأفراد. واختلفت نتيجة الفرض مع نتيجة دراسة (منفى، 2018م، 187) فقد جاءت المناعة النفسية لدى الطلبة العائدين وغير العائدين مرتفعة. حيث رأت الباحثة أن المناعة النفسية هي قدرة الفرد على حماية نفسه من التأثيرات السلبية المحتملة للضغوط والتهديدات والمخاطر والإحباطات والأزمات النفسية والتخلص منها عن طريق التحصين النفسي؛ لذا لم تكن لدى لاجئي دولة جنوب السودان تلك القدرة على حماية أنفسهم من تأثيرات الأحداث السلبية التي وقعت عليهم خلال تلك السنوات. ومن المعروف أن أحداث الحرب تعد أحداثاً عنيفة وصادمة، وأدت بهم إلى الزواج سابقاً، ثم اللجوء خاصة وأن الأحداث التي جرت في الجنوب في ذلك الوقت كان تأثيرها أكبر على السكان المحليين، أما سمة المناعة النفسية في بُعد المهارات فقد جاءت مرتفعة، حيث تفسر الباحثة ذلك بما تحدثت عنه النظرية السلوكية في تفسيرها للسلوك، فهي تري أن السلوك يمكن أن يتعلم أو يكتسب والمهارات تعد سلوكيات يمكن أن يتعلمها الفرد ويكتسبها، فإن هذه النظرية تحدثت عن ما يعرف بالاستجابات المعدلة وهي أن الضغوط سواءً أكانت عنيفة أم عادية يمكن أن تغير من الاستجابات المناعية فتجعلها استجابات سلبية متأثرة بالضغوط، لكن في حالة وجود عوامل أخرى يمكن أن يحدث تغير أو تعديل للاستجابة ويكون ذلك في إطار الرغبة في التكيف والتأقلم

مع الوضع الحالي وذكر (جولد، 2011م، 17) أن من خصائص المتسمين بالمناعة النفسية المرتفعة أنهم يمتلكون مهارات جيدة في بناء العلاقات مع الآخرين وباعتبارها أحد أهم المهارات الاجتماعية تفسر الباحثة وجود سمة العلاقات الاجتماعية وسط لاجئي دولة جنوب السودان كونهم مجتمعاً قبلياً. ومن المعروف أن المجتمعات القبلية ذات طابع اجتماعي، و لكل قبيلة في جنوب السودان خصوصيتها الثقافية والاجتماعية.

نتيجة الفرض الثاني:

الفرض: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم محلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للنوع.

جدول رقم (14) اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم محلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للنوع.

| اسم البعد | مجموعات المقارنة | حجم العينة | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجة الحرية | قيمة ت المحسوبة | القيمة الاحتمالية | الاستنتاج |
|--------------------|------------------|------------|---------------|-------------------|-------------|-----------------|-------------------|-----------------------------|
| المشاعر | ذكور | 76 | 34.3816 | 6.74481 | 178 | 1.080 | 0.282 | لا توجد فروق |
| | إناث | 104 | 35.5385 | 7.34440 | | | | |
| المعتقدات والأفكار | ذكور | 76 | 46.0395 | 7.29464 | 178 | 0.208 | 0.836 | لا توجد فروق |
| | إناث | 104 | 45.8173 | 6.92086 | | | | |
| المهارات | ذكور | 76 | 61.0921 | 8.30932 | 178 | 2.678 | 0.008 | توجد فروق دالة لصالح الذكور |
| | إناث | 104 | 57.3365 | 9.94705 | | | | |
| المجموع الكلي | ذكور | 76 | 141.512 | 16.93713 | 178 | 1.088 | 0.278 | لا توجد فروق |
| | إناث | 104 | 138.692 | 17.36254 | | | | |

الجدول رقم (14) يوضح نتيجة اختبار (ت) لعينتين مستقلتين وذلك لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم محلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للنوع. مما يدل على أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى

لاجئي دولة جنوب السودان تبعاً للنوع، ما عدا بُعد المهارات حيث وجدت فيه فروق دالة إحصائياً تبعاً للنوع لصالح الذكور وبدرجة دالة إحصائياً، وعند مستوى الدلالة (0.05). وبذلك جاءت نتيجة الفرض غير متفقة مع افتراض الباحثة المتمثل في وجود فروق دالة إحصائياً في المناعة النفسية تبعاً للنوع، عدا في بُعد المهارات حيث وجدت فيه فروق دالة إحصائياً لصالح الذكور.

وقد اختلفت نتيجة الفرض مع دراسة (حمدين، 2005م، 221) وذلك في وجود فروق دالة إحصائياً تبعاً للنوع. أما وجود فروق دالة إحصائياً في المناعة النفسية في بُعد المهارات لصالح الذكور دون الإناث اتفقت نتيجة هذا البعد مع نتيجة دراسة (رزوقي 2013م، 193) في وجود فروق لصالح الذكور. وهنا ترى الباحثة أن طبيعة الحياة في المعسكرات لا تعطي اللاجئ الحرية والفرص الكافية لتقديم أو التعبير عن مهاراته واحتياجاته، كذلك تعد بيئة المعسكرات للاجئ بيئة غير مستقرة وغير دائمة فهي مجرد توفير للسكن والأمن والحماية لذلك يقوم اللاجئ بأدوار محدودة ونمط حياة محدد خاصة أن هنالك بعض القوانين التي تحد من حركة اللاجئ خارج حدود المعسكر أو القيام بنشاطات أخرى، في ذلك لاحظت الباحثة أن هنالك مجموعة من الأدوار في معسكر بانتيوم يقوم بها الذكور دون الإناث متمثلة في (سلاطين المعسكر، معلمي المدارس، أعمال الصيانة والبناء داخل المعسكر، الأعمال اليومية خارج المعسكر) فإن هذه الأدوار تجعل الفرد يمتلك مجموعة من المهارات مثل القدرة علي حل المشكلات، اتخاذ القرارات، الشخصية القيادية، الثقة بالنفس، إدراك الذات، الإحساس بالانتماء، تحمل المسؤولية لذا قد يكون اكتساب المهارات والقدرة على التعبير عنها لدى الذكور في بيئة المعسكر ربما أفضل من الإناث.

نتيجة الفرض الثالث:

الفرض: توجد فروق ذات دلالة احصائية في المناعة النفسية لدى لاجئ دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للعمر.

جدول رقم (15) اختبار تحليل التباين الأحادي لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في المناعة النفسية لدى لاجئي جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للعمر.

| اسم البعد | مصدر التباين | مجموع المربعات | متوسط مجموع المربعات | درجات الحرية | قيمة ف | القيمة الاحتمالية | الاستنتاج |
|-----------|---------------|----------------|----------------------|--------------|--------|-------------------|-----------|
| | بين المجموعات | 472.858 | 118.214 | 4 | 2.419 | 0.050 | توجد فروق |

| | | | | | | | |
|-------------------|-------|-------|-----|-----------|-----------|----------------|--------------------|
| | | | 175 | 48.878 | 8553.692 | داخل المجموعات | المشاعر |
| | | | 179 | 9026.550 | | المجموع | |
| لا توجد فروق دالة | 0.788 | 0.429 | 4 | 21.651 | 86.605 | بين المجموعات | المعتقدات والأفكار |
| | | | 175 | 50.514 | 8839.973 | داخل المجموعات | |
| | | | 179 | 8926.578 | | المجموع | |
| لا توجد فروق دالة | 0.947 | 0.183 | 4 | 16.614 | 66.457 | بين المجموعات | المهارات |
| | | | 175 | 90.985 | 15922.454 | داخل المجموعات | |
| | | | 179 | 15988.911 | | المجموع | |
| لا توجد فروق دالة | 0.651 | 0.617 | 4 | 183.914 | 735.656 | بين المجموعات | المجموع الكلي |
| | | | 175 | 298.165 | 52178.894 | داخل المجموعات | |
| | | | 179 | 52914.550 | | المجموع | |

جدول رقم (15) يوضح نتيجة اختبار تحليل التباين الأحادي لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للعمر. مما يدل على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء تبعاً للعمر، ما عدا في بُعد المشاعر حيث وجدت فروق دالة إحصائية لصالح الفئة العمرية 17-20 وعند مستوى الدلالة (0,05). وبناء عليه جاءت نتيجة الفرض غير متفقة مع افتراض الباحثة في وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية تبعاً للعمر عدا في بُعد المشاعر وجدت فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الفئة العمرية 17-20 سنة. اتفقت نتيجة الفرض مع دراسة (فريحان 2018م، 79) في عدم وجود فروق تبعاً للعمر. أما عن وجود فروق في بُعد المشاعر لصالح فئة عمرية معينة ومعرفة مصدر هذه الفروق في المناعة النفسية فقد استخدمت الباحثة اختبار شيفي البعدي لمعرفة الفروقات حسب الفئة العمرية.

جدول رقم (16) يوضح اختبار شيفي البعدي لمعرفة الفروقات داخل المجموعات في بُعد المشاعر.

| الفئة العمرية | التكرار | الوسط |
|---------------|---------|---------|
| 20-17 سنة | 28 | 38.0357 |
| 30-20 سنة | 34 | 33.0882 |
| 40-31 سنة | 43 | 35.8837 |
| 50-41 سنة | 38 | 34.9211 |
| 50 سنة فأكثر | 37 | 33.7568 |

وبما أن الفئة العمرية 20-17 سنة هي الفئة لأعلى وسطاً عن بقية الفئات وجدت الفروقات لصالح هذه الفئة. اتفقت نتيجة هذا الاختيار مع دراسة (حمدين، 2005م، 223) حيث وجدت فروق بين الشباب النازحين تبعاً للعمر لصالح الفئة العمرية من 20-18 سنة.

ترى الباحثة أن الفئة العمرية من 20-17 سنة تعد مرحلة عدم اكتمال خبرة التعامل مع أحداث الحياة غير السارة، والتعبير عن هذه الأحداث بمشاعر الحزن والغضب واليأس يكون ناضجاً ومكتملاً؛ فإن الفرد في هذه المرحلة العمرية يعيش مرحلة المراهقة و تكون فيها المشاعر متأثرة و مرتبطة بالأحداث المحيطة بالفرد مع عدم النضج الانفعالي المصاحب لهذه المرحلة، فيبدأ تكوين المناعة النفسية المكتسبة المرتبطة بوجود مناعة نفسية طبيعية لذا يعد حدوث المشاعر السلبية في مرحلة المناعة النفسية الطبيعية ذا أثر علي تكوين المناعة النفسية المكتسبة خاصة في ظل ظروف الحرب واللجوء.

نتيجة الفرض الرابع:

الفرض: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للحالة الاجتماعية.

جدول رقم (17) اختبار تحليل التباين الأحادي لمعرفة الفروق في المناعة النفسية لدى لاجئي جنوب السودان بمعسكر بانتيوم محلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للحالة الاجتماعية.

| اسم البعد | مصدر التباين | مجموع المربعات | متوسط مجموع المربعات | درجات الحرية | قيمة ف | القيمة الاحتمالية | الاستنتاج |
|-----------------------|-------------------|-------------------|----------------------------|-----------------|-----------|----------------------|-------------------------|
| المشاعر | بين المجموعات | 231.352 | 77.117 | 3 | 1.543 | 0.205 | لا توجد فروق دالة |
| | داخل المجموعات | 8795.198 | 49.973 | 176 | | | |
| | المجموع | 9026.550 | - | 179 | | | |
| المعتقدات والأفكار | بين المجموعات | 125.882 | 41.961 | 3 | 0.839 | 0.474 | لا توجد فروق دالة |
| | داخل المجموعات | 8800.696 | 50.004 | 176 | | | |
| | المجموع | 8926.578 | - | 179 | | | |
| المهارات | بين المجموعات | 379.578 | 126.526 | 3 | 1.427 | 0.237 | لا توجد فروق دالة |
| | داخل المجموعات | 15609.333 | 88.689 | 176 | | | |
| | المجموع | 15988.911 | - | 179 | | | |
| المجموع الكلي | بين المجموعات | 1332.620 | 444.207 | 3 | 1.516 | 0.212 | لا توجد فروق دالة |
| | داخل المجموعات | 51581.930 | 293.079 | 176 | | | |
| | المجموع | 52914.550 | - | 179 | | | |

جدول رقم (17) يوضح نتيجة اختبار تحليل التباين الأحادي لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للحالة الاجتماعية حيث بلغت قيمة (ف) المحسوبة على التوالي (1.543, 0.839 1.42 1.516)، بينما بلغت

القيمة الاحتمالية على التوالي (0.205,0.474,0.237,0.212) مما يدل على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المنة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للحالة الاجتماعية وعند مستوى الدلالة (0.05). وقد جاءت نتيجة الفرض غير متفقة مع افتراض الباحثة المتمثل في وجود فروق ذات دلالة إحصائية في المنة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء تبعاً للحالة الاجتماعية. جاءت نتيجة الفرض بعدم وجود فروق بالرغم من وجود تباين في الحالة الاجتماعية لدى لاجئي جنوب السودان وفقاً للبحث الحالي حيث جاءت نسبة المتزوجين منهم 45.0% ونسبة غير المتزوجين 32.2% ونسبة المنفصلين 8.9% ونسبة الأامل 13.9%.

هذا يوضح أن متغير الحالة الاجتماعية لم يكن ذا تأثير في سمة المنة النفسية. وترى الباحثة أن إنسان الجنوب عاش لسنوات طويلة في دولة جنوب السودان، وفي دولة السودان دون وجود لانتماء أسري واجتماعي متكامل، فمنهم من عاش في أسرة غير مكتملة لسنوات بسبب أحداث الحرب. وتفسر الباحثة أن وجود الفرد في بيئة نزاعات وحروب مع فقدانه لجوانب أسرية واجتماعية يجعله بعيداً عن الاهتمام بالجوانب الاجتماعية بسبب خوف فقدان، أو عدم الاستقرار النفسي والمعيشي فتظل حاجة اللاجئ البحث عن الأمن والحماية؛ ومن ثم البحث عن حاجته الأسرية والاجتماعية.

نتيجة الفرض الخامس:

الفرض: توجد فروق في المنة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للعمل.

جدول رقم (18) اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في المنة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للعمل

| اسم البعد | مجموعات المقارنة | حجم العينة | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجة الحرية | قيمة ت المحسوبة | القيمة الاحتمالية | الاستنتاج |
|-----------|------------------|------------|---------------|-------------------|-------------|-----------------|-------------------|--------------|
| المشاعر | يوجد | 64 | 35.2656 | 7.44129 | 178 | 0.302 | 0.763 | لا توجد فروق |
| | لا يوجد | 116 | 34.9310 | 6.93664 | | | | |
| المعتقدات | يوجد | 64 | 46.1250 | 8.16788 | 178 | | | لا توجد |

| | | | | | | | | |
|---------------|---------|-----|---------|----------|-----|-------|-------|---------|
| والأفكار | لا يوجد | 116 | 45.7931 | 6.40586 | | 0.301 | 0.764 | فروق |
| المهارات | يوجد | 64 | 59.2656 | 9.65310 | 178 | 0.361 | 0.718 | لا توجد |
| | لا يوجد | 116 | 58.7328 | 9.37467 | | | | فروق |
| المجموع الكلي | يوجد | 64 | 140.662 | 20.10940 | 178 | 0.447 | 0.655 | لا توجد |
| | لا يوجد | 116 | 139.462 | 15.42972 | | | | فروق |

جدول رقم (18) يوضح نتيجة اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء تبعاً للعمل. حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة على التوالي (0.302, 0.301, 0.361, 0.447)، بينما بلغت القيمة الاحتمالية على التوالي (0.763, 0.764, 0.718, 0.655) مما يدل على أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء تبعاً للعمل وبدرجة دالة إحصائية وعند مستوى الدلالة (0.05). جاءت نتيجة الفرض غير متفقة مع افتراض الباحثة اتفقت نتيجة الفرض مع نتيجة دراسة (حمدين 2005م، 222) وذلك في عدم وجود فروق بين النازحين العاملين وغير العاملين وفي ثقافة أفراد جنوب السودان أنهم مقيمون يعتمدون في حياتهم على الأعمال البسيطة مثل ما هو حال أغلبية الجنوبيين الذين كانوا مقيمين في السودان قبل الانفصال، أما الذين كانوا مقيمين في جنوب السودان فكان للحروب التي مرت عليهم أثر واضح على وضعهم الاقتصادي والمعيشي، وأثرت أيضاً في وجود أعمال تحقق لهم ذاتهم في دولة الجنوب، كذلك طبيعة وجود هؤلاء اللاجئين في المعسكرات تعتمد في الدرجة الأولى على المعينات والمساعدات الخارجية من المنظمات وغيرها، وهي تعمل على سد حاجتهم المعيشية لذلك لم يكن لمتغير العمل في كونه موجوداً أو غير موجود لدى هؤلاء اللاجئين فرق في مناعتهم النفسية.

نتيجة الفرض السادس:

الفرض: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للأمراض المزمنة.

جدول رقم (19) اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في المناعة النفسية لدى لاجئي جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للأمراض المزمنة.

| اسم البعد | مجموعات المقارنة | حجم العينة | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجة الحرية | قيمة ت المحسوبة | القيمة الاحتمالية | الاستنتاج |
|--------------------|------------------|------------|---------------|-------------------|-------------|-----------------|-------------------|-------------------------------------|
| المشاعر | يوجد | 105 | 34.9524 | 7.35028 | 178 | 0.218 | 0.828 | لا توجد فروق |
| | لا يوجد | 75 | 35.1867 | 6.78371 | | | | |
| المعتقدات والأفكار | يوجد | 105 | 46.2952 | 7.27605 | 178 | 0.863 | 0.389 | لا توجد فروق |
| | لا يوجد | 75 | 45.3733 | 6.76192 | | | | |
| المهارات | يوجد | 105 | 57.6286 | 10.00890 | 178 | 2.196 | 0.029 | توجد فروق لصالح لا توجد أمراض مزمنة |
| | لا يوجد | 75 | 60.7333 | 8.34126 | | | | |
| المجموع الكلي | يوجد | 105 | 138.882 | 17.28922 | 178 | 0.930 | 0.354 | لا توجد فروق دالة |
| | لا يوجد | 75 | 141.292 | 17.07359 | | | | |

الجدول رقم (19) يوضح نتيجة اختبار(ت) لعينتين مستقلتين لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء تبعاً للأمراض المزمنة. حيث يلاحظ أن قيمة (ت) المحسوبة بلغت على التوالي (0.218,0.863,2.196,0.930)، بينما بلغت القيمة الاحتمالية على التوالي (0.828,0.389,0.029,0.354) مما يدل على أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء تبعاً للأمراض المزمنة بدرجة دالة إحصائية، ما عدا بُعد المهارات حيث وجدت فيه فروق دالة إحصائية تبعاً للأمراض المزمنة لصالح مجموعة لا توجد أمراض مزمنة وعند مستوى الدلالة(0.05).

جاءت نتيجة الفرض غير متفقة مع افتراض الباحثة، تحدث (منفي 2018م 193) عن أنواع من

المناعة النفسية عرفت بالمناعة النفسية المكتسبة وهي ناتجة عن الخبرات ومواجهة الأزمات والصعوبات فإن حدث الحرب والعنف يعد خبرة سابقة لدى لاجئي الجنوب هذه الخبرة كان لها الدور في عدم وجود هذه الفروق تبعاً للأمراض المزمنة وذلك بخلق نوع من المناعة النفسية المكتسبة وذلك للتأقلم مع حياة اللجوء.

نتيجة الفرض السابع:

الفرض: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للإقامة قبل اللجوء.

جدول رقم (20) اختبار(ت) لمجموعتين مستقلتين لمعرفة ما إذا كانت هنالك فروق في المناعة النفسية لدى لاجئي جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للإقامة قبل اللجوء.

| اسم البعد | مجموعات المقارنة | حجم العينة | الوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجة الحرية | قيمة ت المحسوبة | القيمة الاحتمالية | الاستنتاج |
|--------------------|------------------|------------|---------------|-------------------|-------------|-----------------|-------------------|------------------------------|
| المشاعر | جنوب السودان | 69 | 34.8551 | 7.88199 | 178 | 0.290 | 0.772 | لا توجد فروق |
| | السودان | 111 | 35.1712 | 6.60423 | | | | |
| المعتقدات والأفكار | جنوب السودان | 69 | 44.5507 | 7.90483 | 178 | 2.056 | 0.041 | توجد فروق دالة لصالح السودان |
| | السودان | 111 | 46.7568 | 6.37497 | | | | |
| المهارات | جنوب السودان | 69 | 58.6087 | 9.66987 | 178 | 0.350 | 0.727 | لا توجد فروق |
| | السودان | 111 | 59.1171 | 9.35146 | | | | |
| المجموع الكلي | جنوب السودان | 69 | 138.012 | 19.04754 | 178 | 1.151 | 0.251 | لا توجد فروق |
| | السودان | 111 | 141.052 | 15.91248 | | | | |

جدول رقم (20) يوضح نتيجة اختبار(ت) لعينتين مستقلتين لمعرفة ما إذا كانت هنالك

فروق دالة إحصائياً في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم محلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للإقامة قبل اللجوء حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة على التوالي:

(2.056, 0.350 1.151, 0.290)

بينما بلغت القيمة الاحتمالية على التوالي (0.772, 0.041, 0.727, 251)

مما يدل على أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً في بعدي المشاعر والمهارات، لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم محلية جبل الأولياء ولاية الخرطوم تبعاً للإقامة قبل اللجوء، لكن وجدت فروق في بُعد الأفكار والمعتقدات ذات دلالة إحصائية لصالح مجموعة السودان وعند مستوى الدلالة (0.05).

جاءت نتيجة الفرض غير متفقة مع افتراض الباحثة واختلفت نتيجة هذا الفرض مع دراسة (منفي، 2018م 193) في وجود فروق بين العائدين وغير العائدين من النزوح. إن عدم وجود فروق في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان تبعاً للإقامة قبل اللجوء يتمثل في الأحداث المشتركة التي لازمت حرب الجنوب في جميع الفترات من شعور بالخوف والاضطهاد والعنف للذين كانوا يقيمون في الجنوب، والذين كانوا يقيمون في السودان معاً، ولعدم وجود فروق في بُعد المهارات سواءً أكانوا مقيمين في الجنوب أم في السودان ذكر في ذلك (عصام، 2013، 66) أن الفرد يمكنه أن يتخلص من الضغوط والأزمات النفسية عن طريق استخدام الموارد الذاتية الموجودة لديه والإمكانات الكامنة في الشخصية فهي تمثل جزءاً من المهارات التي يقوم بها الفرد.

الخاتمة والتوصيات

نتائج البحث:

- تتسم المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم بالانخفاض ماعدا بُعد المهارات يتسم بالارتفاع عند مستوى الدلالة (0.05).
- لا توجد فروق دالة إحصائياً في المناعة النفسية لدى لاجئي دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء بولاية الخرطوم تبعاً للنوع، ماعدا في بُعد المهارات حيث وجدت فيه فروق

لصالح مجموعة الذكور عند مستوى الدلالة (0.05) وكذلك تبعاً للعمر، ما عدا في بُعد المشاعر حيث وجدت فيه فروق لصالح الفئة العمرية من 17-20 وعند مستوى الدلالة (0.05). وكذلك للحالة الاجتماعية وعند مستوى الدلالة (0.05). وكذلك تبعاً للأمراض المزمنة، ما عدا في بُعد المهارات حيث وجدت فيه فروق لصالح مجموعة لا يوجد مرض مزمن وعند مستوى الدلالة (0.05). أيضاً تبعاً للعمل وعند مستوى الدلالة (0.05) وكذلك تبعاً للإقامة قبل اللجوء، ما عدا في بُعد المعتقدات والأفكار حيث وجدت فيه فروق لصالح مجموعة دولة السودان، وعند مستوى الدلالة (0.05).

التوصيات:

- على الجهات المعنية بشؤون اللاجئين إنشاء وحدة إرشاد وتوجيه داخل مدرسة جورج كنقور بمعسكر بانتيوم.
- تفعيل برامج التوعية من خلال ندوات وورش عمل تتضمن برامج في إدارة المشكلات والأزمات، التربية السليمة، والتعايش السلمي، ثقافة السلام، السلوك الصحي، السلوك الديني، سلوك المساعدة.

مقترحات بحوث:

- المناعة النفسية وعلاقتها بالذكاء الوجداني لدى طلاب المرحلة الثانوية بمعسكر بانتيوم.
- الرضا الوظيفي وعلاقته بالمناعة النفسية لدى معلمي مدرسة جورج كنقور بمعسكر بانتيوم.
- الاضطرابات النفسجسمية وعلاقتها بالأمن النفسي لدى لاجئي معسكر بانتيوم.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن كريم

ثانياً: الكتب العربية

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت.
- الديليجي، على عبد الرحيم صالح، البحث العلمي أسسه ومناهجه، عمان، دار الرضوان للنشر والتوزيع، 2014م.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- عامر قندلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، الأردن، دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2007م.
- عباس محمد، مدخل الى مناهج البحث في التربية في علم النفس، الطبعة الثانية، عمان، دار الميسرة للنشر والتوزيع، 2009م.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب القاموس المحيط، 1980، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥ م.
- كامل عبد الوهاب، اتجاهات معاصرة في علم النفس. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2000م

ثالثاً: المجلات والدوريات

- أسيل صبار محمد منفى المناعة النفسية لدى طلبة الجامعة العائدين و أقرانهم غير العائدين من الزوج، مجلة المؤتمر السنوي يوم الصحة النفسية جامعة النبار، 2018م.
- حلمي وبدوي، جمعة فاروق حلمي، محمد ولاء بدوي، فعالية برنامج قائم على المناعة النفسية لخفض قلق المستقبل لدي أمهات الأطفال التوحدين، مجلة بحوث كلية الآداب، السعودية، 2014م.
- عصام زيدان، المناعة النفسية مفهومها وأبعادها وقياسها مجلة كلية التربية. جامعة طنطا، 2013م.

- علاء الشريف، المناعة النفسية وعلاقتها بالاغتراب النفسي لدى طلاب الجامعة، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، 2014م.
- فريحان وحيدر، فواز أيوب المؤمني فريحان، إسرائ حيدر، العوامل المتنبئة بالضغوط النفسية لدى اللاجئين السوريين. دراسات العلوم التربوية، مجلد 45، العدد الرابع الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، 2018م.

رابعاً: رسائل جامعية

- حميد بديوي حسن بلال، دور المنظمات الدولية الحكومية في حماية اللاجئين، المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، كلية الحقوق. جامعة الشرق الاوسط، رسالة ماجستير منشورة، 2016م.
- رولا محمد رمضان، فعالية برنامج إرشادي لتدعيم نظام المناعة النفسية وخفض اضطراب ما بعد الصدمة لدى مراهقي الأسر المتضررة بالعدوان على غزة، الجامعة الإسلامية غزة، رسالة ماجستير منشورة، 2014م.
- عثمان حمدين، التوافق النفسي والاجتماعي لدى النازحين الشباب بحي السلامة مدينة ربك ولاية النيل الأبيض، جامعة الخرطوم. كلية الآداب، قسم علم النفس، رسالة ماجستير منشورة، 2005م.
- محمد ياسر محمد سليمان، العدوان لدى المقاتلين العائدين من مناطق العمليات جنوب السودان وفعالية برنامج إرشادي نفسي مقترح لخفض درجة العدوان، رسالة دكتوراه منشورة، 2010م.
- مريامة حنصالي، إدارة الضغوط النفسية وعلاقتها بسمتي الشخصية المناعية في ضوء الذكاء الانفعالي لدى الأساتذة الجامعيين الممارسين لمهام إدارية، جامعة محمد خفيّر بسكرة، رسالة دكتوراه منشورة، 2014م.
- نادية زروقي، المناعة النفسية وعلاقتها بالمساندة الاجتماعية لدي طلبة جامعة ديالي، رسالة ماجستير منشورة، 2013م.

خامساً: تقارير ومذكرات ووثائق

- مروة حمد الجزولي، الوضع الراهن للاجئين، تقرير. 2018م.
- محمد الزين البربري، اللاجئين في السودان. مذكرة جامعة إفريقيا العالمية. 2002م.

- معتمدية اللاجئين، اللاجئين من دولة جنوب السودان المساعدات والحلول، مذكرة، (2019م).

سادسا: مراجع أجنبية

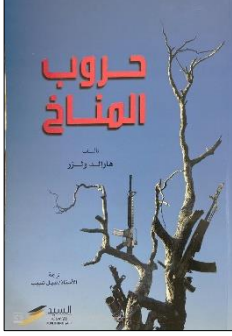
- Albert-Lorincz, E. etal. 2012. Relationship between the Characteristics of the Psychological Immune System and the Emotional Tone of Personality in Adolescents. *The New Educational Review* 23(1):103-111.

قراءة نقدية في كتاب حروب المناخ

تأليف هارالد ولزر - ترجمة نبيل شبيب

عرض وتقديم أ.د. عمر أحمد المصطفى حياتي

كلية الآداب - جامعة الملك فيصل



يضم الكتاب بين دفتيه مئتين وتسع وسبعون صفحة من القطع المتوسط (24 سم X 17 سم)، ويحوى خمسين موضوعاً، وزعت على عشرة فصول، ويتضمن تسعة جداول وخمسة أشكال. وقد صدرت الطبعة الأولى منه باللغة الألمانية في أبريل 2008م، لمؤلفه هارالد ولزر، الذي يحمل درجة الأستاذية في العلوم النفسية والاجتماعية، ويشغل منصب مدير عام مركز (بحوث العلوم البيئية) في معهد (الثقافات والعلوم) في مدينة إسن الألمانية. تُرجم الكتاب للغة العربية بواسطة نبيل شبيب، وصدرت طبعته الأولى عام 2010م عن دار السيد للنشر والتوزيع بالرياض

مقدمة:

من العسير جداً معالجة القضايا البيئية، وما يتصل بها من كوارث طبيعية وبشرية بمنهج يُبنى ويقوم على سبب واحد ليخلص لنتيجة واحدة، فيرى الأشياء إما بيضاء وإما سوداء؛ وذلك لتعدد القضايا البيئية نفسها، وتداخل عناصرها، وتباين مسبباتها. وعلى الرغم من أن نتائج البحوث والدراسات في مجال العلوم البيئية قد أشارت للعديد من المشكلات البيئية، إلا أن الإحاطة بكل جوانبها لا تزال قيد البحث والدراسة. ويتضح ذلك العسر في ظل استحداث تدخلات جديدة على النظم البيئية، بفضل ما يفرضه التطور الصناعي من ملوثات لها انعكاساتها البيئية السالبة، وتتعقد مكونات هذه الملوثات كلما تنوعت وكثرت تدخلات عملية التصنيع نفسها.

إن دراسة المخاطر الطبيعية تقتضي الإحاطة بعناصر إدارة الكارثة، باعتبار أن الكارثة نفسها تحدث نتيجة لتفاقم خطر معين وجد ضعفاً في بنية مجتمع ما. فالمخاطر هي حالة أو حدث طبيعي في أحد الأغلفة الثلاثة: الغازي، والمائي، والصخري، مثل العواصف والفيضانات والبراكين وغيرها، مما تترتب عليه أضرار محتملة على الإنسان وبيئته. أما الكوارث فهي تعطيل جدي وخطير في حركة العمل الطبيعي للمجتمع؛ يسبب خسائر بشرية ومادية وبيئية فادحة، تتعدى مقدرات المجتمع الذاتية للتعامل معها. وينبغي التنويه إلى أن للإنسان دوراً في حدوث الكارثة أو تعاضلها، فالفيضانات والتصحر والمجاعات لها أحياناً من الأسباب البشرية ما يساوي أو يفوق الأسباب الطبيعية.

إن الإدارة المنظمة والفاعلة للسيطرة على الكوارث تقوم على أربعة مراحل أساسية مرتبطة ومتداخلة مع بعضها البعض، تتمثل في: تخفيف حدة الكارثة، والاستعداد والتحضير لها في مرحلة ما قبل الكارثة، ومجابهتها أثناء حدوثها، وإعادة التوازن بعدها. وتحوم كل الدراسات والأبحاث في إدارة الكوارث في حى هذه المراحل. إلا أن كتاب حروب المناخ - موضع العرض والقراءة- انتهى منى مغايرا في عنوانه ومنهجه ومحتواه المعرفي الثر. ويعد إضافة نوعية لما هو متاح في مكتبة الدراسات البيئية وإدارة الكوارث. وهذه القراءة محاولة لعرض لأهم محاور الكتاب ومناقشتها وتحليلها، وليس كل ما ورد فيه.

السمات العامة للكتاب:

أولاً: دخر الكتاب بكم معرفي كبير جدا، جمعه المؤلف من 368 مرجعا ومصدرا، تميزت بالحدثة والجدة، شملت شتى ضروب المعرفة المتصلة بموضوع الكتاب بصورة مباشرة وغير مباشرة. واعتمد عليها المؤلف إطاراً نظرياً لكتابه، ومسوغات وأدلة لتثبيت فرضيته النابعة من فكرة الكتاب نفسه، الأمر الذي أعلى من فحوى الكتاب ومضمونه العلمي، وقيمته المعرفية، وبعده التوثيقي، محافظا على حقوق الغير، وسعة الاطلاع.

ثانياً: على الرغم من أن عنوان الكتاب (حروب المناخ) إلا أنه يتناول موضوع العنف بشكل عام: نشأته، أسبابه، أشكاله، والتنبؤ بما سيكون عليه في القرن الحادي والعشرين الميلادي، باعتبار أن العنف يستخدم في مواجهة مشكلات ناتجة عن التغير البيئي، (حسب رؤية المؤلف). وفي ربطه بين العنف والحرب والقتل لا يستعرض المؤلف الحروب المناخية فقط، وفقا لعنوان الكتاب، بل يستعرض الحروب بوصفها قرارا لممارسة القتل في إطار سلوك إنساني، وفقا لتخصصه الدقيق، الأمر الذي يجعل عنوان الكتاب مضللا بعض الشيء.

ثالثاً: يحاول المؤلف كثيرا - وبصفة خاصة- في الفصول الأولى من الكتاب، وتحديدًا من الثاني وحتى الخامس، والتي تعادل 17% من صفحات الكتاب، إبراز البعد المناخي من جوانب عدة، إلا أنه عند ربط عناوين هذه الفصول بمحتوى المادة العلمية، التي تمت معالجتها، تظهر مجددا ازدواجية التناول، والحديث عن القتل لأسباب عدة، وليس بسبب الظروف المناخية. فضلا عن أن العناوين الجانبية للكتاب كثيرا ما تتسم بعدم الوضوح، وقد لا تعبر عن المضمون تماما، لرمزية يستخدمها المؤلف، أو لتعبير عن جزئية محددة في المحتوى، فهي أحيانا لأسماء الروايات والقصص أقرب منها لكتاب علي.

رابعاً: تقوم الفكرة الأساسية للكتاب على التغير المناخي، باعتباره خطرا يحرق بالبشرية، ويهدد

استمراريتها مستقبلا. ويصنف كثيرا من الحروب القائمة، كالصراع القبلي في إقليم دارفور في السودان حربا مناخية. ويربط بين التلوث البيئي الناجم عن استهلاك مصادر الطاقة الأحفورية في الصناعة، ووسائل النقل، وارتفاع درجات الحرارة، وذوبان الجليد في المناطق القطبية بظهور أحداث مناخية متطرفة كالتصحّر والعواصف وموجات المطر الشديد وغير ذلك في مناطق لم تشهدا من قبل. وفي ذات الوقت يرى المؤلف أن القلق إزاء هذا الخطر يمكن مواجهته بإجراءات بعيدة المدى، للحد من ارتفاع درجات الحرارة.

خامسا: تصدر القتل موضوع الكتاب، وفقا لهدف المؤلف المشار إليه أعلاه، وبرز في الفصول: الأول والسابع والثامن والتاسع، بنسبة تبلغ حوالي 64% من صفحات الكتاب. بيد أن المؤلف تناول أسباب الصراع أو العنف أو الحرب المؤدية إلى القتل من كل الأطياف، وردها لأسباب تتصل بالإرهاب، والتزاعات الدينية، والتطهير العرقي، والنزاع على الحدود، والصراع حول الثروات، والحكم الذاتي، والسيطرة الإقليمية" وقد لا تكون هذه لأسباب بيئية فقط. الأمر الذي يباعد بين عنوان الكتاب ومحتواه، الذي يحاول المؤلف فيه جاهدا الربط بين جميع هذه الأسباب والبعد المناخي". (one cause and one effect).

سادسا: في كثير من الأمثلة التي يستشهد بها المؤلف في الكتاب يعقد مقارنة بين دول نامية فقيرة ودول متقدمة، مشيرا لأسباب العنف لكيفية إدارته فيهما. ويعزي العنف في الدول النامية، إلى جانب الصراع على الموارد والظروف البيئية، إلى انعدام المؤسسية، والهياكل المركبة التي تساعد على العنف، وثقافة الفرصة السانحة للوصول للحكم. فيما يشير إلى نقيض ذلك عند تناوله للدول المتقدمة. في حين أن المخاطر البيئية كامنة في أي ظرف بيئي متطرف، سواء أكان ذلك في الدول النامية، أو في تلك المتقدمة. وقد يؤدي إلى حدوث كوارث في أي تصنيف كان للدول، بغض النظر عن حجم الأثر. وأعتقد أن ميل المؤلف في ميزان مقارنته لإدارة أزمة العنف والقتل لصالح الدول المتقدمة غير منصف؛ لعدم تساوي قدرة الدول النامية والمتقدمة (العلمية، المالية، الإدارية، اللوجستية... الخ) في إدارة الأزمات الكوارث.

سابعا: رغما عن تنويه المترجم لعدم وجود مقابل لبعض المصطلحات في القاموس اللغوي العربي، فإن من المآخذ على ترجمة الكتاب تتمثل في: عدم وضوح فكرة بعض فقرات الكتاب وفحواه، وإن بعض الجمل فيه بنيت على مفردات أو مصطلحات ربما كانت غير مطابقة تماما؛ فجاء بناؤها غير منسجم، وغير مترابط أحيانا؛ الأمر الذي يجعل القارئ يتوه بحثا عن الفكرة العامة في بعض الأحيان.

ثامنا: حوى الكتاب مادة علمية ثرة جدا، في مجالات عدة اجتماعية واقتصادية وجيوسياسية إلى جانب

مجال البيئة. كما وثق لأحداث تاريخية أدت إلى العنف والقتل. فالكتاب بيئة خصبة للباحثين في حقل العلوم الاجتماعية والبيئية معا، ولا أعتقد أنه يصلح مطلقا أن يكون كتابا منهجيا في مرحلة جامعية.

دراسة تفصيلية للكتاب:

اشتمل الكتاب على مقدمة للمترجم وأحد عشر فصلاً، تناول الفصل الأول ماضي العنف ومستقبله، والثاني استعرض الأزمات المناخية، وناقش في الثالث ظاهرة ارتفاع حرارة الأرض، بينما خص الرابع بدراسة مشكلات بيئية قديمة؛ وذلك مما مهد للفصل الخامس الذي تناول مشكلة التبدل المناخي. ووجه المؤلف ثلاثة فصول لمناقشة القتل من حيث بعده النظري، وأسبابه باعتباره حتمية للحرب، فجاء الفصل السادس مستعرضاً القتل بالأمس، وخص بالسابع القتل اليوم، والثامن القتل غداً. أما الفصل التاسع فقد تطرق لازدهار أزمات قديمة ناجمة عن صراع لأسباب عقائدية، أو لأسباب تتصل بالسيطرة على الموارد وغيرها. أما العاشر والحادي عشر فقد تناولوا موضوعاً واحداً هو ما يمكن وما لا يمكن صنعه (1) و (2)، وهما بمثابة تصور وضعه المؤلف خاتمة لكتابه.

في مقدمة المترجم:

كشفت مقدمة مترجم الكتاب عن دوافعه لترجمة الكتاب، وعن رؤية المؤلف لكتابه، ومنهجه التاريخي، رغم عدم تخصصه في التاريخ، وهدفه الرامي إلى تخفيف حدة المشكلات المناخية عبر إجراءات طويلة المدى. كما عبر المترجم عن الصعوبات التي واجهته في عملية الترجمة، كبعض المصطلحات التي ليس لديها مقابل مباشر في اللغة العربية، وتصور الفكر الغربي لبعض القضايا العربية، الأمر الذي جعله أحياناً يضيف إلى الكتاب جملاً بين قوسين (ص 5) بغية تبسيط المعنى، وتقريبه للقارئ باللغة العربية.

الفصل الأول:

وسم المؤلف (سفينة في الصحراء) عنواناً للفصل الأول من كتابه، وهو بمثابة مقدمة عامة له. مستلهما العنوان من سفينة ألمانية معطوبة، يأكلها الصدأ، يعود تاريخها إلى عام 1891م تغرق في رمال الصحراء، بعيداً عن سواحل جنوب غرب إفريقيا، كانت تعمل في نقل الرق. ولعل العنوان يرمز إلى زحف الرمال، وحرب الإبادة الجماعية، وأسر مجموعات من قبائل الهيريرو والناما كرقيق والاتجار بهم (ص، 11)، والعنف الألماني الاستعماري مقابل الكفاح التحرري من قبل قبائل الناما، باعتبارها مشكلات تؤدي للقتل. ويميط المؤلف اللثام عن القتل بواسطة الأسلحة الألمانية، أو بواسطة العطش في صحراء أوماهيكى الخالية من الماء. ومضى مستعرضاً ألواناً من العنف، والقتل بشكل مقصود وغير مقصود لأسباب أيديولوجية وغيرها (ص 13). ثم يعود مستذكراً العلاقة بين المناخ، والعنف باعتبار أن المناخ مصدر خطر دائم يتطلب بحثاً عميقاً وتركيزاً من العلوم الطبيعية، لفهم عملية التحول المناخي ونتائجه، وشتان بين أسباب تتصل بتجارة الرق، والكفاح التحرري من ناحية والتحول المناخي من أخرى.

كما أشار المؤلف إلى أنه يركز في هذا الكتاب على العنف: "كيف نشأ في الماضي؟، ولماذا؟، وكيف يمارس في الوقت الحاضر؟، ليمكن بالقياس على ذلك تقدير ما سيكون عليه في المستقبل في القرن الميلادي الحادي والعشرين؟ وما الدروس العملية المستمدة من التاريخ؟" (ص 16). ولعل ما أشار إليه يعكس بعد المحتوى عن عنوان الكتاب ومنهجه، في كثير من جوانبه، فضلا عن تركيزه عمليا على القتل وليس العنف، وإن العنف (بسبب التحول المناخي أو غيره) سابق للقتل وربما تؤول نتائجه للقتل.

الفصل الثاني:

هدف المؤلف في هذا الفصل إلى عكس صورتين متباينتين لعالمين، أحدهما متقدم قصد به دول الغرب (أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية)، وآخر متخلف قصد به إفريقيا، الأول يحاول حماية نفسه من الثاني الذي يرفده بالمهاجرين غير الشرعيين. ويعتقد أن هذه الهجرة ناتجة عن التبدل المناخي وسوء التغذية والنزاعات والعنف والحروب والقتل. ويضرب مثلا لذلك التدهور بالتصحر في دارفور غربي السودان، وما نتج عنه من صراع على الموارد بين المزارعين والرعاة، ما أدى إلى قتل ونزوح ولجوء. لذا جاء الفصل يعالج العلاقة بين الغرب والآخرين (الدول الإفريقية وغيرها من الدول الفقيرة)، ومحاولات طرح حلول.

استعرض الفصل سعي الدول الأوروبية وتخطيطها وتنفيذها لحماية حدودها عبر "الوكالة الأوروبية للتعاون العملياتي على الحدود الخارجية للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي" وما سخر لها من موارد للقيام بمهامها، بالتركيز على الحدود الجنوبية (اليونان، إيطاليا إسبانيا وجزر كناري).

كما استعرض سعي الدول الأوروبية للتنبؤ بالتبدل المناخي عبر الدراسات العلمية القائمة على التقنية الحديثة، بغية الوصول لحلول ممكنة لمعالجة المشكلات الاجتماعية المتصلة بالتبدل المناخي، بشكل مباشر وغير مباشر، كعمليات التطهير العرقي والفقر والسرقة والتسول التي حدثت في ألمانيا، وكمبوديا، والصين وغيرها. واعتمد في ذلك على دراسات سويفت (1993، Swift) وباومان (1999، Bauman)، وغيرهما. وخلص إلى أن آليات التفسير المستخدمة في علم الاجتماع ليست مؤهلة للتعامل مع مثل هذه المشكلات؛ لأنها تستند إلى نماذج تصرف عقلاني تقليدي (ص 35) حسب رأيه.

وفي نهاية الفصل تناول مغزى القتل، متخذاً من حرب الإبادة الغازية والحروب الاستعمارية، وحرب الإبادة بين التوتوسي والهوتو في إفريقيا أنموذجا. مشيراً إلى أن هنالك اعتقاداً خاطئاً لمن يعدون قتل الآخرين من احتمالات حلول المشكلات. ويستشهد بمقولة هيرنتش هانس (1986، Heinrich) "ثبت في حل المشكلات أن صناعة الأسلحة أجدي في كثير من الحالات من صناعة الأدوات". (ص 38).

الفصل الثالث:

يعد الفصل الثالث من الفصول القصيرة جدا في الكتاب. وعلى الرغم من تسميته بـ (ارتفاع حرارة الأرض وكوارث اجتماعية)، إلا أن جل تركيز المؤلف فيه بني على تحليل متميز للكوارث الاجتماعية، ولم تتم الإشارة مباشرة لارتفاع درجة حرارة الأرض. وإنما ظهر ذلك بشكل غير مباشر عند تطرقه لإعصار كترينا في الولايات المتحدة الأمريكية 2005م باعتباره أحد نتائجها.

استعرض المؤلف مآلات إعصار كترينا في ولاية نيوأوليانز وتأثيره المدمر لقناتين مائيتين تصدعتا بسببه، وأدنا إلى فيضان غمر المدينة. وعلى تأثيره السلبي للبنية التحتية في المدينة، والذي تمثل في انهيار بعض المباني التي كان يسكنها الفقراء، وانقطاع التيار الكهربائي، وغمر المياه للطرق، وما تبع ذلك من عمليات نهب للمحلات التجارية، وعنف لم يتم السيطرة عليه إلا بعد تدخل القوات المسلحة بمشاركة 65 ألف جندي.

حلل المؤلف الحدث من زاوية إدارة الكارثة، وقيمها بالفشل، ابتداء من تجاهل السلطات للإنذار المبكر لحدث مناخي متطرف، وانتهاء بقصور عمليات الإغاثة. ويرى أن عدم معالجة المشكلات الاجتماعية الناجمة عن الكارثة سببه تقصير العلوم الاجتماعية والحضارية، وعدم جاهزيتها لتحديد البعد الاجتماعي للتبدل المناخي ولضعف اهتمامها بهذا الجانب على عكس العلوم الطبيعية. بيد أن المؤلف لم ينصف العلوم الاجتماعية، في تقديري، خاصة علوم إدارة الكوارث، وربما أنه لم يقف على دراسات لبيرتون وكاتس (Burton and Kates)، ولمان وملر (Wolman and Miller)، و واتس (P. Watts)، و سن (A. Sen) وغيرهم ممن ساهم في وضع نماذج إدارة الكوارث من زاوية اجتماعية.

الفصل الرابع:

حمل الفصل الرابع مشكلات بيئية قديمة، وتمحور النقاش فيه حول مشكلات بيئية لا علاقة لها بالتبدل المناخي كتلوث البحار، وتناقص أنواع الأحياء، وحرق الغابات الاستوائية، وجفاف الأنهار، واختفاء البحيرات، وتوسع المدن على حساب الأرياف وغير ذلك من المشكلات التي حدثت في سبعينات القرن العشرين وثمانيناته. ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى مقارنة الانبعاثات الغازية في بعض الدول بين عامي 1990م و 2005م؛ للتعرف على ما حققته الدول في ضوء الاتفاقيات الدولية للمناخ العالمي التابعة للأمم المتحدة، وبموجب توقيعها على اتفاقية كيوتو، مشيرا إلى ما حققته ألمانيا والنمسا وغيرهما من الدول، من جهود إيجابية في تقليل الانبعاثات. وتلك التي لم تلتزم به أصلا كالصين والولايات المتحدة الأمريكية. ويعتقد أن قابلية السيطرة على مشكلة الانبعاث الغازية ضعيفة للغاية، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف الدوافع. ثم

يعود في نهاية الفصل ليشير إلى أن هنالك بارقة أمل في أن يدرك البشر ما تسببوا به في الماضي من مشكلات بيئية قد تدفعهم للتفكير بما ينبغي ألا يصنعوه مستقبلاً. (ص 57)

الفصل الخامس:

(التبدل المناخي نظرة موجزة) كان هذا عنوان الفصل، والذي اعتمد فيه المؤلف على تقارير الهيئة الدولية للحكومات لشنئون التبدل المناخي (IPCC). واستعرض فيه النتائج العلمية المتصلة بالتبدل المناخي، ومدى التزام السياسيين بها. ومشيرا إلى تسجيلات ارتفاع درجات الحرارة قبل وبعد الثورة الصناعية، وحجم ذوبان الطبقات الجليدية، وارتفاع منسوب مياه البحار (ص 67-68). مؤكداً ذلك بأن قياس درجات الحرارة جارٍ منذ عام 1850م، وأن أعلى معدلاته كانت بين عامي 1995م و 2006م. أما فيما يتصل بارتفاع معدلات سطح البحر، فإنه يشير إلى عوامل أخرى معقدة بجانب ارتفاع معدلات درجات الحرارة وذوبان الجليد. ويربط ارتفاع درجات الحرارة بظهور أحداث مناخية متطرفة؛ كانهسار حدود المناطق الممطرة، وانتشار التصحر.

وفيما يتصل بمآلات التبدل المناخي، فإن المؤلف يعتقد أن آثاره ستكون محدودة نسبياً في دول شمال أوروبا وأستراليا ونيوزيلندا وأمريكا الشمالية نسبة لمستوى المعيشة المرتفع فيها، وخطتها الممتازة للحماية ومواجهة الكوارث. وفي المقابل ستكون الآثار في الدول الفقيرة، مثل الكونغو والصومال وإثيوبيا وتشاد، شديدة الوطأة نسبة للفقير والجوع، ونقص المنشآت العامة. وأعتقد أن المؤلف في هذه الجزئية من هذا الفصل قد نجح في الربط بين التعرض للكوارث (Vulnerability) والقدرات (Abilities).

الفصل السادس:

فكرة نهاية العالم، والقتل والتطهير العرقي، والإبادة الجماعية هي ما بُني عليه هذا الفصل، الذي تناول تاريخ الحروب والكوارث قبل 500 عام، وما نتج عنها من طرق تحليل في العلوم الاجتماعية، خاصة عندما تخرج الكوارث عن طور التوقعات. ويؤكد المؤلف عدم صحة فكرة نهاية العالم نتيجة تكرار الكوارث.

ثم انتقل بعد ذلك لمناقشة القتل الناجم عن التطهير العرقي، والمنظور الطبقي من زاوية الدفاع عن النفس، متخذاً من عمليات الإبادة الجماعية في رواندا بين الهوتو والتوتسي التي راح ضحيتها بين 500 إلى 800 ألف شخص عام 1994م، على الرغم من وشائج التواصل والصداقات والنسب بين القبيلتين. وفي مذبحه "ماي لاي" في الحرب الأمريكية الفيتنامية التي راح ضحيتها نساء وأطفال وعجزة، لم يحدد عددهم.

في تحليله للعنف والقتل بين الطرفين يشير إلى رمزين يستخدمهما كل طرف تجاه الآخر، هما: (نحن وهم). وكل يعتقد أن الآخر مصدر للعنف والقتل. ويعتقد أن كل فريق يرى نصره في زيادة عدد القتلى من الطرف الآخر، الأمر الذي يدفع كل فريق لزيادة عدد القتلى من الطرف الآخر، وبالتالي يزداد مستوى الصراع والعنف، ومن ثم عدد القتلى. ولكن ما تجدر الإشارة إليه إسهاب المؤلف في تحليل الصراع والقتل والحروب دون الربط بينها والمناخ عنوان الكتاب (حروب المناخ)، بل إن معظم الأمثلة ركزت على أسباب غير مناخية لصراع وحروب وقتل (ص 75-77). وأفاض في التحليل النفسي والاجتماعي للصراع والحروب وفقا لتخصصه.

ثم ينتقل الفصل لمناقشة العنف الجماعي في الحقبة الاستعمارية في 44 دولة مستعمرة، صنف منها 23 دولة كانت الأكثر عنفا في إفريقيا كسيراليون والكونغو والسودان وغيرها، ومنها دول في المعسكر الشرقي كغريزيا والبوسنة والهرسك وصربيا وغيرها. وهذه الأخيرة لا علاقة للصراع فيها بالمناخ، بقدر كونه صراعا اثنيا وصراعا حول الثروة والسلطة (ص 82). ويختم الفصل بمآلات العنف في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وما نجم عنهما من تحولات اجتماعية، وعدم استقرار وتبدل أنظمة.

الفصل السابع:

(القتل اليوم) هو عنوان هذا الفصل، استعرض فيه المؤلف علاقة التبدل المناخي بضعك المعيشة والعنف، والمذابح والإبادة الجماعية، وعلم البيئة الحربي، ورؤية مرتكبي العنف، وتناول العنف في الطرح النظري. ومحاولا الربط بين محتويات الفصل، تناول المؤلف الاستغلال غير الرشيد للموارد البيئية ومن ثم وتدهورها، مدخلا. مستشهدا بالنهاية المأساوية التي آل إليها سكان جزيرة أوستر الواقعة في المحيط الهادئ والتي تتبع (حاليا) لشيلى. هذه الجزيرة التي أستوطنها البولينزيون، الذين يشكلون 12 قبيلة. كانت الجزيرة تتمتع بظروف وموارد بيئية ثرة، من تنوع في البيئتين النباتية والحيوانية، وبلغت ازدهارها وقوتها البحرية في القرن الخامس عشر. وفي سبيل بناء تماثيل ضخمة بغرض التفاخر بين قبائلها عمد سكانها لقطع الأشجار دون النظر إلى العواقب الوخيمة التي يمكن أن يؤدي إليها هذا السلوك غير الرشيد. فتدهورت بيئة الجزيرة، وقل إنتاج الغذاء بسبب الصراع على الموارد المتدهورة. وعمت المجاعات، وبلغ بهم الحال أن أكل بعضهم لحوم بعض، وقل تبعاً لذلك عدد السكان بسبب القتل. وانتهى بهم المطاف أن أصبحوا عرضة لتجار الرقيق من البيرو في القرن الثامن عشر (ص 94).

بناء على هذا المدخل، يُلقي المؤلف اللوم على البحوث العلمية عن العنف والقتل الجماعي، لإيمانه بأنها لا تسلط الضوء على العوامل البيئية والسكانية، وتركز في تناولها وتصنيفها لها في إطار عرقي ايدولوجي. مدلا على ذلك بالدراسات التي تناولت حرب الإبادة بين الهوتو والتوتسي في رواندا من زاوية (نحن وهم) في

إشارة لنظرة كل طرف في النزاع للآخر، وإصباغه عليه صفة المعتدي والإرهابي ومصدر العنف. فيرى الهوتو، على سبيل المثال، أن العنف والقتل هو اجتثاث كل توتسي كما يجتث أو يحرق المزارع الحقل، لذا لم يستثنوا أحدا منهم طفلا كان أم كهلا.

وفي ذات الإطار، يسترسل المؤلف في محاولة فهم واستيعاب القتل لعملية القتل، وحصرها في: شدة الخوف، الخطر المتوهم، إحساس الفرد للتعرض للفناء، الإحساس والافتناع بضرورة القتل. ويرى أن القتل في فترة الاستعمار يتصل بالسيطرة على المواد الخام أكثر من اتصاله بأهداف وأسباب عقائدية أيديولوجية أو إبادة جماعية. (ص 99)

ينتقل، بعد ذلك، متناولا الصراع في دارفور في السودان من منظور بيئي، فيرى أن مرده في الأصل لصراع حول الموارد الشحيحة، بسبب التصحر، بين المزارعين والرعاة. وفي تقديره، أنه لن ينعم الإقليم بالسلام ما بقيت الظروف البيئية السيئة مستمرة. وأعتقد أن هذا التقدير غير منطقي، لأنه يعد إقليم دارفور جزيرة منعزلة بعيدة عن التدخل والدعم الخارجي، حالها حال جزيرة أوستر. فالإقليم جزء من السودان وإن إنتاج الغذاء وتوفره وتبادلته والقدرة على شرائه مرهون بتدخل الدولة ومنظمات العون الإنساني. وإن الأمن فيه يرتبط بنظم قبلية سائدة في الإقليم تساهم بقدر كبير في فض النزاعات. وإن هذه النظم والأعراف تسمح بوجود وسطاء من الداخل والخارج للمساهمة في فض أي نزاع.

وعوداً على بدء، لرؤية سابقة للمؤلف تتصل بتقصير البحث العلمي في تناوله لقضايا العنف، يشير لتقصير آخر له يطال الآثار البيئية للحروب. ويستشهد بقحط التربة في أفغانستان، وانتشار السموم في فيتنام، وتدمير البنيات الهيكلية والاقتصادية في كثير من الدول الفقيرة، وعدم مقدرتها على التعويض. ويعتقد أنها لم تجد حظاً كافياً من البحث العلمي، إلا في القرن العشرين. وحتى ما درس منها لم يكن يربط بين البيئة والعنف والنمو (ص 105 – 110). ويدلل على ذلك بأن العنف الناجم عن المشكلات البيئية مجتمعة؛ يؤدي إلى تدمير المؤسسات المنظمة للمجتمع، فتزداد، من ثم، حدة النزاع ويتطور، ويزداد الإقصاء والإبادة الجماعية والنزوح. وأعتقد أن أي عنف كان، غض النظر عن أسبابه بيئية كانت أم غير ذلك، يؤدي إلى تتابع ذات الأحداث.

وفي السياق نفسه، يقودنا المؤلف إلى نظرة بعيدة تتصل بالبيئة المستدامة، معبرا عنها بذات التسلسل أعلاه، إذ يرى أن الهجرة البشرية عبر الحدود نتاج طبيعي للتبدل المناخي، ولانعدام الأمن المائي والغذائي، نتيجة جفاف مياه الأنهار، وتناقص مساحة البحيرات (آرال - تشاد). فتصبح - حسب اعتقاده - البلدان الغربية (دول أوروبا وأمريكا) بمثابة جزر السعادة لهؤلاء المهاجرين. بينما يهاجر سكان الجزر المتأثرة بظاهرة ارتفاع منسوب سطح البحر، كجزيرة نوفالو في المحيط الهادي، إلى أستراليا ونيوزيلندا. في حين أن

الدول المهاجر إليها (الدول الصناعية) هي المسؤولة عن الاحتباس الحراري الناجم زيادة نسبة الكربون في الغلاف الغازي نتيجة تطور الصناعة فيها، والذي يؤدي بدوره إلى ارتفاع منسوب البحر. ورغم ذلك فإن بعضها لا يلتزم بالمعاهدات والاتفاقات الدولية الخاصة بانبعاث غازات الاحتباس الحراري. وهذا بالطبع يشير إلى عدم العدالة الدولية، التي يرى أن تطبق على الجميع من أجل الأجيال القادمة.

الفصل الثامن:

في الإطار العام للتبديل المناخي، حاول المؤلف توجيه هذا الفصل الموسوم بـ (القتل غدا): ليستشرف من خلاله مستقبل العنف عبر استقراء العنف في الماضي. ومتنولاً موضوعات أهمها حروب التطهير العرقي، وأسواق العنف، والنزاع البيئي، والإرهاب، وحرب الحدود. استعرض الفصل تاريخ الحروب منذ الكشف الجغرافية في القرن الخامس عشر، مروراً بالحربين العالميتين، والحقبة الاستعمارية في القرن الماضي وما صاحبها من تدخلات دولية، وانتهاء بالحروب والنزاعات المسلحة في الفترة بين عامي 1990م و 2005 م، والتي شهدت 67 نزاعاً عنيفاً (الصومال، دارفور، سيرلانكا، أفغانستان، العراق، الشيشان). علماً بأنها لم تكن جميعها لأسباب مناخية وامتاشية في ذات الوقت مع عنوان الكتاب (ص 142).

بانيا على زيادة خطر الاحتباس الحراري مستقبلاً، و ذوبان الطبقات الجليدية. يفترض المؤلف زيادة معدلات وأشكال العنف. ويتنبأ بحدوث نزاع بين شيلي والأرجنتين وبريطانيا حول المنطقة القطبية الجنوبية، واضمحلال بعض الجزر في 2025م، وظهور نوع من الحروب غير تقليدية، ولم تتوقعها النظريات الحربية. وظهور انقلابات عسكرية، وصراع مليشيات وعصابات شبابية، وحركات تمرد تقاوت القوات النظامية للدولة. وحتى القوات التي تشكلها الأمم المتحدة أو الاتحاد الأفريقي أو غيرهما، للحفاظ على الأمن في دولة ما، سيكون ردها قاسياً على المدنيين ما أن أجبرت على القتال.

وفي ربط محكم بين التبديل المناخي واقتصاد أسواق العنف، أشار المؤلف إلى أن المغنم المرجوة من تجارة السلاح، وابتزاز الأموال عن طريق اختطاف الرهائن، والرسوم الجمركية، والاتجار بالمخدرات، والعمليات الإغاثية كبيرة جداً، حتى يصبح للعنف قواعد اقتصادية. وتصبح معسكرات النزوح واللجوء ساحات سياسية وميادين تبشير ديني وتجنيد، وظهور مليشيات، الأمر الذي يزيد من وتيرة العنف والقتل، في إطار اقتصاديات العنف (ص 161). وعلى سبيل المثال، أن كلفة الحروب في إفريقيا وحدها، في الفترة بين عامي 1990م و 2005م، بلغت 211 مليار يورو.

مستشهداً بسبعين نزاعاً بيئياً في العالم، في الفترة بين عامي 1945م و 2006م، مرس فيها العنف في ذاك الوقت (ص 174)، تنبأ المؤلف بأن القرن الحادي والعشرين سيشهد تصاعداً ملموساً لمخاطر

العنف نتيجة مقابلته بالعنف للحد منه. وسيشهد القرن ذات الممارسات العنيفة التي سبقتها، من تشكيل دول على أسس عرقية. وأعتقد أن ذلك التنبؤ مبالغ فيه في ظل وجود قوانين مدنية تحول دون ذلك في كثير من الدول التي شهدت، أو تشهد نزاعاً أياً كان نوعه. وأن هذا التنبؤ لم يصدق في حالة رواندا، التي شهدت أعنف صراع عرقي في العصر الحديث، والتي تحولت فيها النظرة العرقية الضيقة بفضل القيادة الرشيدة إلى نظرة وطنية فسيحة، وأصبحت من أكثر الدول الإفريقية استقراراً ونماءً.

ويرى المؤلف أن الإرهاب ظاهرة اجتماعية، وأنه لا توجد علاقة مباشرة بينه والتبدل المناخي (ص 176-191)، وأن أسباب الإرهاب ترتبط بالتنشئة الاجتماعية، وضعف التواصل مع العالم الخارجي، والتصورات القيمية لبعض الجماعات، ومدى استيعابها لفكرة عالم مشترك خارج نطاقها، والعنصرية والنظرة الفوقية ضد الجاليات (المهاجرة) والأقليات في الدول الغربية وغيرها.

ولهذه الأسباب عمدت الدول الغربية للتقليل من الهجرات غير الشرعية، فمارس الاتحاد الأوروبي ضغوطاً على الدول الإفريقية، باعتبار أنها تواجه مشكلات بيئية، لتطوير الحواجز في مواجهة اللاجئين الأفارقة، والقضاء على منظمات تهريبهم ومساعدتهم على التسلل لدول الاتحاد الأوروبي. ومن جانبه أنشأ الاتحاد الأوروبي (الوكالة الأوروبية للتعاون العمليتي على الحدود الخارجية للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي) لتقوم بدعم وتأهيل موظفي مراقبة حدود الدول الأعضاء وحراستها، وتنظيم حملات ترحيل المهاجرين غير الشرعيين عن أراضي الدول الأعضاء.

متخذة ذات النهج، وفي سبيل تقليل شعور سكانها من خطر المهاجرين غير الشرعيين، ولتقليل العنف المتوقع منهم مستقبلاً، أقامت الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثين حاجزاً فولادياً بارتفاع أربعة أمتار ونصف المتر حول طرق النقل في ولاية أريزونا، على حدودها مع المكسيك. وفي عام 2006 م خصصت حوالي 102 مليون دولار لإنشاء حواجز بطول 1123 كيلو متر على حدودها مع ذات الدولة، ومطالبتها بوضع سياسات أمنية أكثر عنفاً. وفرضت قيوداً جديدة على قانون اللجوء السياسي إليها، وعقدت اتفاقيات مع كندا لمراقبة الحدود.

ورغماً عن احتياطات الدول الكبيرة للحول دون الهجرات غير الشرعية، يرى المؤلف أن الأخطار البيئية ستستمر وقد تحدث في أي وقت، كغيرها من إعصار كاترينا وغيره. ويرى أن عدم الاستقرار في ظل الظروف البيئية هو القاعدة، وإن الاستقرار هو الاستثناء، وأن العودة الطبيعية بعد انتهاء الأزمة، أي كانت، أمراً عسيراً إن لم يكن مستحيلاً. وأن الأجيال القادمة بقدر ما تتوارثه من استراتيجيات وتقنيات حديثة لحل المشكلات تورث أيضاً أخطاء مرتكبة في حلها (ص 220).

ولا يرى المؤلف، رغما عن هذا التحول الكبير والمتسارع في السياسات وعلى صعيد المجتمعات، نظريات في علم الاجتماع والسياسة والتاريخ حول هذه التحولات، بل ولا توجد صيغ ما لمجرد وصفها وتفسيرها، على حد قوله.

الفصل التاسع:

وهو فصل قصير لا يتعدى التسع صفحات، حاول فيه المؤلف معالجة ظاهرة تجدد العنف المرتبط بأزمات قديمة، كما يشير إلى ذلك عنوان الفصل نفسه (ازدهار أزمات قديمة). تناول فيه العنف من زاوية دينية تحت عدة مسميات (الصليبيين، والأصوليين، والجهاد والإرهاب وغيرها)، ومن زوايا أخرى كالنزاع حول الموارد الطبيعية والسيطرة عليها واستنزافها (نفط، يورانيوم، ماء)، ومن ثم ازدياد موجة العنف. وأعتقد بأنه ليس كل صراع على الموارد يصنف حربا مناخية، وهذه الازدواجية في الربط وتحليل مسببات النزاع وردت في كثير من فصول الكتاب. ويرى أنه أن الأوان لتحليل الظروف الاجتماعية الناجمة عن الآثار البيئية، والتي هي أشد تعقيدا من الظروف المناخية الطبيعية، وتضمن عنصر هذه الآثار في وصف النزاعات الاجتماعية؛ لأنها أصبحت تساهم في رسم معالم الواقع البشري.

ولا يرى المؤلف، في عرضه لهذه النزاعات، قديمة كانت أم جديدة، وجود وسائل فعالة لإيجاد حلول لها. نسبة لأن استخدام العنف، لأسباب بيئية وعلى موارد طبيعية، لا تأخذ بعدا واحدا، بل هي نزاعات متداخلة لعدة عوامل تتصل بالأعراق والعدالة والانتقام والأخذ بالثأر وما شابه ذلك.

الفصلان العاشر والحادي عشر:

الفصلان يحملان ذات العنوان، وهو: (ما يمكن وما لا يمكن صنعه). وتنضوي فكرتهما في وضع تصور لما يجب صنعه لتجنب مآلات التبدل المناخي مستقبلا. وبهذا الطرح يمكن اعتبار الفصلين بمثابة خاتمة للكتاب.

أطلق المؤلف استراتيجية (مواصلة السير على طريق مألوفة)، والتي ترمي إلى استمرارية النمو الاقتصادي (ص، 249). وهذا يتطلب، بالطبع، استمرار استيراد مصادر الطاقة الطبيعية والخامات الأخرى. وتعتمد هذه الاستراتيجية على:

1. التقليل من الاعتماد على طاقة النفط بالتركيز على الوقود الحيوي.
2. زراعة المزيد من النباتات الزيتية.
3. إبرام اتفاقيات ومعاهدات لضمان استمرار الإمداد بالمواد التموينية على المدى المتوسط.

4. استبدال المصانع التقليدية بأخرى توفر استهلاك الطاقة، والتأكيد على إجراءات تأمين العزل الحراري في الأبنية.

5. تقليص المساعدات الإنسانية التي تقدم للدول المتأثرة بالظروف البيئية، نسبة لأن عدد الأزمات، في تقدير المؤلف، سيرتفع ومن ثم أعداد اللاجئين.

ويركز المؤلف في هذه الاستراتيجية على السلوك الاجتماعي الإيجابي تجاه البيئة، الذي يعتمد على تعزيز هوية الآخرين، والتقييم المجتمعي للسلوك المرفوض. بيد أن المؤلف في منحا هذا، يعتمد على زيادة الوعي البيئي والسلوك الأخلاقي تجاه البيئة. وأعتقد أن المعرفة بمآلات السلوك البيئي غير القويم لا تعني أبدا التوقف عن الإضرار بالموارد البيئية بشكل، أو بآخر. والدليل على ذلك أن الدول الإفريقية الفقيرة التي تباع كميات كبيرة من الأخشاب، تعلم يقينا أنها تدمر بيئتها الطبيعية بهذا السلوك، وتبرر ذلك بأنه ليس لها مورد اقتصادي آخر.

وبالرجوع لمتطلب التقليل من الاعتماد على طاقة النفط، وتقليص نسبة انبعاث غاز ثاني أكسيد الفحم، يستدرك المؤلف أن ضبط هذه العملية صعبا، نسبة لعدم وجود منظمة دولية بصلاحيات كافية تخولها دفع دول ذات سيادة لتقليل هذه النسبة داخل حدودها، بما يتجاوز مدى محددا. وأنه في منظور تلك الدول أن هذا الإجراء (الصناعة) يعود بفائدة ما لم تعط صلاحيات أوفر لهذه المنظمات الدولية. (ص، 254)

ويتحفظ المؤلف على استخدام مزيد من التقنية في حل المشكلات، باعتبار أن التقنية الحديثة تحل جزءا من المشكلة وليس كلها، ووصف هذه الحلول بالبدايل الخاطئة (ص، 261). ويظهر ذلك في استخدام دول فقيرة لتقنيات، قديمة نسبيا، تساهم في تلويث البيئة سبق أن استخدمتها دول متقدمة وتركتها. ويرى أن تترجم المشكلة المناخية إلى مشكلة ثقافية حضارية، ويضرب مثلا لذلك باستخدام الطاقة بشكل مستدام في النرويج، وتطوير شبكة النقل في سويسرا، والتواصل الشبكي في أوستينيا. وبالتالي يعتقد أنه لا يمكن الإجابة عن السؤال: كيف يمكن صنع ما ينبغي صنعه؟ إلا بعد الإجابة عن السؤال: كيف يريد المرء أن يعيش؟. وهذا يتطلب وضع الأزمة (مشكلة المناخ) في نطاق الرؤية البعيدة المدى واستخلاص صيغ وأفكار، على الأقل غير مطروحة من قبل، تتطلب الجرأة عليها (ص، 265). وأن يكون المجتمع حريصا على ديمومته إلى أكبر درجة ممكنة، حتى يكون العالم أقل خطرا مما هو عليه الآن (ص، 269)، وبهذا المنظور يتحول التبدل المناخي ليكون نقطة البداية من أجل تحول ثقافي حضاري شامل.

خاتمة:

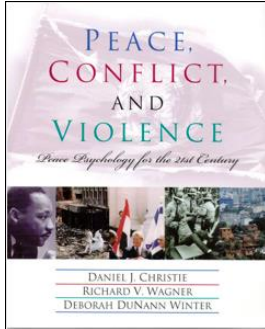
وبعد، فأعتقد في نهاية قراءة كتاب (حروب المناخ) لمؤلفه هارالد ولز وترجمة نبيل شبيب أن الكتاب إضافة علمية نوعية، ومجهود علمي مقدر يعالج موضوعه من رؤية اتخذت منهجا مغايرا لما هو متاح (حسب اطلاع الباحث) في أدبيات الدراسات البيئية، وتسد مادته فراغا فيها. وتنبع أهمية الكتاب من تنوع وغزارة المادة العلمية التي حوّاها، على الرغم من تقييم بعضها سلبا، كما أشارت هذه القراءة، وعدم الاتفاق الكامل مع منهجية المؤلف في كثير من المواضع. وإن الجوانب النقدية هذه لا تقلل، بشكل أو بآخر، من قيمة الكتاب العلمية، الذي يفتح مجالا جديدا للمختصين في دراسة الكوارث وإدارتها يركز على إدراك كامل لآثارها الاجتماعية. ويتيح للجغرافيين والمهتمين بالدراسات الأمنية مجالا آخر لإجراء دراسات نوعية على الصعيدين الإقليمي والعالمي.

المراجع

- هارالد ولزر. حروب المناخ. ترجمة نبيل شبيب، الطبعة الأولى. دار السيد للنشر والتوزيع بالرياض. 2010.

قراءة في كتاب " السلام والنزاع والعنف: علم نفس السلام في القرن 21"

عرض: د. عبير عبد الرحمن خليل عبد الرحمن
أستاذ مشارك - جامعة الخرطوم - كلية الآداب - قسم علم النفس



سنة النشر: 2001م

المؤلفون: دانييل كريستي وريتشارد واغنر وديبورا وينتر

Daniel J. J. Christie, Wagner, Richard V. Wagner,
(Deborah DuNann Winter)

عدد الصفحات: 426

اللغة: الإنجليزية

دار النشر: برينتس هول Prentice Hall - نيوجيرسي

يحتاج العالم الآن إلى التخطيط بدقة للسلام أكثر من أي وقت مضى، إذ لا تكاد رقعة في الأرض تخلو من العنف والصراع، وانعدام الأمن والاستقرار. ويحتاج التخطيط للسلام إلى فهم شامل متسع وعميق لقضايا العنف والصراع ومآلاتها، ربما يجد المعنيون بهذا الأمر مبتغاهم في هذا الكتاب الشامل. تقوم أطروحة الكتاب على أربعة أركان تكون تصوراً متكاملًا حول تحقيق السلام في القرن الحادي والعشرين، هذه الأركان قائمة في أقسام الكتاب الأربعة وهي: العنف المباشر، والعنف غير المباشر أو العنف البنوي، وصناعة السلام، وبناء السلام.

في القسم الخاص بالعنف المباشر يقدم المؤلفون صوراً متعددة للعنف، تبدأ من العنف داخل الأسر وبالتحديد عنف الأزواج الذي قد يصل حد القتل، مروراً بالعنف ضد المجموعات العرقية أو الدينية، أو العنف ضد الأقليات وما يسمى بجرائم الكراهية، وعنف الطوائف، وصولاً إلى جرائم العنف الكبرى مثل جرائم الإبادة الجماعية، والتطهير العرقي والحروب الكبرى

وقد اكتمل الحديث عن العنف المباشر في سبعة فصول. ثم يفصل المؤلفون حول العنف غير المباشر وقد سماه محررو الكتاب " العنف البنوي ". ويتخذ أشكالاً عدة تقع في سبعة فصول أيضاً، ويبدأ الأول منها بالحديث عن الظلم الاجتماعي الذي يمارس فيه التمييز العرقي والطبقي وغيرها من أنواع التمييز التي تخلق نوعاً من الغبن والمرارات، وتؤدي للعنف المباشر. ويدلف الكتاب هنا إلى تأثير الظلم الاجتماعي، وعدم التوزيع العادل للموارد، والإجحاف بالحقوق على الأطفال، وكيف يمكن أن يحرمهم حق النماء، والتطور

والبناء النفسي السليم. ثم يتجه الكتاب للتركيز على التمييز ضد النوع الذي تعاني منه الإناث في مختلف المناطق حول العالم، حيث يمكن أن يحرمن حق الغذاء المكفول في غالب الأحيان لرصفائهم الذكور. ثم ينتقل الكتاب في ذات المحور إلى استعراض صور أخرى من العنف البنيوي، مثل ما يحدث من هيمنة اجتماعية (للعسكرية) حين تستقطب الموارد الاقتصادية، وتستأثر بالثروات وينتج عن ذلك مستويات من الحرمان داخل المجتمع الواحد. ثم يستعرض الكتاب ما تحتويه العولمة من نشر للثقافة الغربية، وهيمنة على حساب الثقافات الأخرى؛ لينتج عن ذلك نوع من العنف البنيوي من خلال محو الثقافات المحلية. ويختتم قسم العنف البنيوي بالحديث عن التعدي على حقوق الإنسان، من حقوق سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، باعتبارها عوامل تسهم بقوة في تكريس العنف البنيوي.

بعد أن رسم الكتاب صورة كبيرة مفصلة عن العنف في القسمين الأولين، يأتي فيه الحديث عن كيفية صناعة السلام وبنائه في القسمين الثالث والرابع في ترتيب منطقي، حيث يأتي أولاً الحديث عن صناعة السلام باعتبارها عملية لازمة لمواجهة العنف المباشر، إذ إن صناعة السلام تتضمن الطرق التي تتبع في إيقاف الحروب والنزاعات، وتهدة الصراعات ومعالجة ما خلفته الحروب والنزاعات من خسارات مادية واجتماعية، مثل: مفاوضات حل النزاعات، وبرامج إعادة البناء في مجتمعات ما بعد الحروب، وإزالة آثار الصدمات، وآليات المصالحة والتصافي.

ثم ينتقل الكتاب في القسم الرابع والأخير إلى الحديث عن التحول من بنيات العنف وتبعاته إلى تكوين بنيات السلام، وكيفية غرسه وإشاعته، وتنشئة الأفراد عليه منذ نعومة أظفارهم. ويحتوي القسم فصلاً حول سايكولوجيا الليبرالية وحقوق الأفراد، وفصلين حول الزعيم الهندي المهاتما غاندي بوصفه رمزاً من رموز بناء السلام. وهنالك ثلاثة فصول حول أدوار بعض الفئات الاجتماعية في بناء السلام، مثل دور الأطفال ودور النساء، حيث تم تناول أفكار الأطفال حول السلام، وكذلك تمكينهم من خلال رعاية حقوقهم وإيفاء احتياجاتهم النمائية. وعن دور النساء، فقد تم التركيز على دور المنظمات والحركات النسوية في تحقيق بناء السلام، واختتم القسم بالحديث عن دور علماء النفس في تحقيق التغيير من خلال بناء (ثقافة) السلام.

يستند الكتاب على تحليل المشاهد والأحداث والوقائع التاريخية في تحديد الأفكار الرئيسية، والوصول إلى الخلاصات بدلا من الاستشهاد بما جرى في ساحة البحوث العلمية. ونسبة إلى أن طبيعة مدخل الكتاب نفسية اجتماعية، يتناول الكتاب تفاعلات الفرد في السياقات الاجتماعية المختلفة بأسلوب يمكن وصفه بأنه متوازن، إذ نجد أن المؤلف يبدأ الفصل بتجربة فردية تقوم عليها مكونات الفصل. ثم يهدف الكاتب من خلالها إلى مناقشة القضية الاجتماعية والسياسية المتصلة بالعنف أو السلام، ففي الفصل الأول مثلاً الذي يتناول العنف بين الأزواج، بدأت ناعومي ابراهامس بسرد إحصائيات وصفتها بأنها مثيرة للربح،

حيث تشير إلى ارتفاع نسبة العنف بين الأزواج إلى قرابة الثلث في المجتمع الأمريكي، ثم تستعرض الكاتبة حالات للعنف بين الأزواج انتهى بعضها بقتل أحد الزوجين للآخر؛ لتتحدث من خلالها عن تأثير الثقافة والدين والأسرة على العنف بين الأزواج.

وفي الفصل الخاص بالزعيم الهندي المهاتما غاندي - الذي يتناول دوره في بناء السلام محلياً وعالمياً- بدأ الفصل بمشهد عاشه غاندي مثل لحظة فارقة في حياته، ورسم خطوط مسيرة نضاله، والعبور بشعبه إلى بر الحرية والسلام. المشهد مؤثر للغاية، وقد حدث في الفترة التي عاش فيها غاندي في دولة جنوب إفريقيا حيث طرد من القطار لرفضه مغادرة مقعده في الدرجة الأولى وقد كان خاصاً بالببيض، وممنوع عن الملونين. ومنذ ذلك الحين جدَّ المهاتما غاندي في مقاومة التمييز الاجتماعي على أساس العرق واللون، وقاد حركة الحقوق المدنية، ومقاومة الاحتلال البريطاني إلى أن استقلت الهند. كان ذلك المشهد بداية لسرد المشاهد الاجتماعية وتحليلها تلك التي تحكي عن تأثير القائد في الجماعات، والمجتمع ومن خلالها استعرض الكاتب أفكار المهاتما غاندي حول بناء السلام بالوسائل السلمية.

بذات الأسلوب بدأ الفصل السابع والعشرون الذي يتناول أفكار السلام في أذهان النشء من أطفال ومراهقين، حيث بدأ الفصل بحديث طفلة في الثالثة عشرة من عمرها حول السلام، وقد أبدت فرحها بأن تسأل حول هذا الموضوع، وأشارت إلى أنها تملك أفكاراً كثيرة حول الحرب والسلام، وحل النزاعات لكن أحداً لم يسألها.

واستعرض الكاتبان هاكفورت وهاغلوند أفكار السلام لدى الأطفال بالمجتمع الهولندي والسويدي من خلال دراسة أجريها في ذات النطاق الجغرافي باستخدام المقابلات، ثم تحليل استجابات الأطفال والمراهقين التي حملت في طياتها طبيعة المجتمعين الهولندي والسويدي من حيث ميلهما إلى السلام والحرب، وما وراءه من إرث تاريخي للحرب العالمية الثانية، وحجم مشاركتهما فيها. واتسم تحليل الكاتبين لاستجابات الأطفال والمراهقين بالعمق حين تحدثا عن البعد النمائي في تفكير الأطفال الذي يتدرج من حيث مستوى التعقيد، فاستجابات الأطفال في عمر سبعة سنوات حول مفهوم السلام كانت تدور حول انعدام الحرب والنزاعات، وهي فكرة بسيطة عامة، ويطلق علماء نفس السلام على هذا النوع من السلام مصطلح (السلام السلبي) وذلك مقابل مصطلح (السلام الإيجابي) الذي يشمل شيوع ثقافة السلام، وما تشمله من العناصر الراحية للسلام المستدام، مثل المساواة والعدالة الاجتماعية، وإتاحة الموارد للجميع وغيرها.

وقد تضمنت استجابات الأطفال الأكبر سناً والمراهقين أفكار السلام الإيجابي، وذلك ينسجم بدرجة عالية مع ما تراكم من معارف نفسية حول تطور التفكير عند الأطفال من المحسوس إلى المجرد، حسب مصفوفة نمو العقل والمعرفة عند الأطفال كما قدمها جان بياجيه. ثم يشير هاكفورت وهاغلوند إلى ما يحتمل

من تنوع في الأفكار حول الحرب والسلام، مع تنوع تجارب الأطفال في مختلف مناطق العالم، وضرباً مثلاً بليبيريا وبوغندا والسلفادور حيث يتقلد الأطفال مسؤولية حمل السلاح، ومواجهة الأعداء ولو أنهم سئلوا حول الحرب والسلام لما انفصلت أفكارهم عن واقعهم.

يمثل هذا الجزء من الكتاب مثلاً واضحاً حول التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع في صياغة البنية النفسية للفرد وصناعة الأحداث الاجتماعية، فالطفل الذي استثارت البيئة عقله ودفعته ليفكر في الحرب والسلام قد يكون اللاعب الأساسي غداً في الصراعات القاتلة أو مفاوضات السلام.

مع توفر إرث زاخر من المعرفة النفسية التي تتسم بشيءٍ من العمق، خاصة في علم النفس الاجتماعي الذي نسج خيوط الكتاب، ليس هنالك ذكر للتجارب الشهيرة التي ساعدت على فهم بعض الظواهر الاجتماعية مثل تجارب سولمون آش حول المسيرة في المواقف الاجتماعية أو تجارب ميلغرام حول الطاعة، وهي بلا شك عمليات اجتماعية مؤثرة في مواقف العنف وقرارات الحرب والسلام. ورغم التحليل مترامي الأطراف للعنف بأنواعه المختلفة إلا أن هناك ابتعاداً ملحوظاً للحديث حول العدوان باعتباره ظاهرة نفسية مرتبطة بالطبيعة الإنسانية اهتم بها علماء النفس كثيراً، ولم يحسم فيها الخلاف الجوهري حول ما إذا كان العدوان عند الإنسان غريزة في طبعه؟ أم أنه مكتسب متعلم؟ وما يقف وراء هذه الجدلية من خلفية بايولوجية.

كذلك لم يتم تناول سايكولوجيا الشخصية بما تتضمنه من مكونات عقلية ووجدانية وسلوكية مرتبطة بمواقف العنف على تراتب مستوياتها، وهي بلا شك وحدة من وحدات العنف والصراع وديناميات الحروب الكبرى. وقد عرفها علماء النفس في أوجز وربما أدق تعريف بأنها: "نظام لإدارة الذات. ربما طبيعة الكتاب تميل إلى التأسيس للجانب التنفيذي في تحقيق السلام ومواجهة مآلات العنف والصراع والحروب دون الخوض في الأسباب، والتطرق فقط إلى جذور مشكلة العنف بما يحقق فهماً وتفسيراً إجرائياً معقولاً. وقد أدى الكتاب هذه المهمة بجدارة عالية، رغم التقصير الملحوظ (انظر سوفلا، 2003م Suffla) في إيراد منطقة مهمة من مناطق الصراع في العالم هي منطقة الشرق الأوسط، التي يؤرق سلامها القضية الفلسطينية، وما يصحبها من صراع عنيف ومستمر لعقود من الزمان، إذ لم يفرّد لها الكتاب الحيز الذي تستحق كما فعل في تناوله لأصناف العنف مستشهداً بمناطق جغرافية على امتداد الكرة الأرضية.

تم تأليف الكتاب من قبل سبعة وأربعين كاتباً، من مختلف أنحاء العالم من أستراليا، ومن جنوب إفريقيا، وعدد من دول أوروبا، بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ثلاثة من هؤلاء المؤلفين هم محررو الكتاب. وثراء التجارب الذي تميز به محررو الكتاب يضيف على الكتاب قيمة علمية عالية، إذ جمعوا بين التجارب الأكاديمية في مجال التدريس الجامعي، والبحث في جامعات أمريكية رصينة مثل: جامعة أوهايو،

وجامعة ميتشجان. والتجارب العملية في مجال علم نفس السلام مثل المشاركة في مفاوضات حل النزاعات، فبعضهم يعمل وسيطاً في فرق حل النزاعات، كما أن ثلاثتهم قد رأس من قبل الجمعيات المهنية التي تعمل في خدمة المجتمع، وخدمة مجال علم نفس السلام مثل (قسم علم نفس السلام في الجمعية النفسية الأمريكية)، وجمعية (علماء النفس والمسؤولية الاجتماعية). وثلاثتهم أيضاً يعملون في هيئة تحرير مجلة السلام والنزاعات التي تصدر عن الجمعية النفسية الأمريكية، كذلك الأمر بالنسبة لبقية مؤلفي الكتاب، فممنهم من قدم خدماته النفسية الاجتماعية حسب تخصصه في مناطق الحروب والنزاعات، مثل حروب البلقان والنزاعات الداخلية في عدد من الدول الإفريقية وجنوب شرق آسيا، بالإضافة إلى النشر والتأليف العلمي، وقد تميز البروفيسور جون غالتونغ JOHAN GALTUNG بأنه شارك في تأليف خمسة وثمانين كتاباً، ودرس قضايا السلام في خمسين بلداً، وشارك في حل أربعين نزاعاً حول العالم.

في خاتمة الكتاب يحاول المحررون إرساء أطروحة الكتاب في ذهن القارئ من خلال وصفها بأنها (نموذج رباعي) لفهم قضايا العنف والنزاعات والسلام، حيث أشاروا إلى أهمية التمييز بين العنف المباشر وغير المباشر، وصناعة السلام وبناء السلام باعتبارها مفاهيم، مع التأكيد على التداخل بينها باعتبارها مشاهد، وأحداث على مسرح الواقع.

كذلك قدم المحررون في هذا الفصل تصوراً ثنائياً ذا أبعاد متعددة للوسائل التي من خلالها يلعب علماء النفس أدوارهم في بناء ونشر ثقافة السلام، من هذه الوسائل، اتخاذ الإجراءات الاستباقية جنباً إلى جنب مع إجراءات ردود الفعل. ويشير المحررون هنا إلى أن علم نفس السلام ظهر وتطور باعتباره رد فعل للحرب الباردة التي سادت في بداية الثمانينات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، مع بدايات متعثرة في الحربين العالميتين الأولى والثانية. كذلك من ضمن الوسائل الثنائية المقترحة، تحليل الوقائع مقابل المشاركة النشطة من قبل علماء النفس في الأنظمة الاجتماعية والسياسية التي تمكن من تحقيق العدالة الاجتماعية ومكافحة الظلم.

ويؤكد المحررون هنا أن المشاركة النشطة من قبل علماء النفس مسؤولية مهنية أخلاقية، وأن المواقف المحايدة غير مجدية، ومن فوائد المشاركة النشطة، تحقيق الإنتاج المعرفي النافع في مجال علم نفس السلام. ومن الوسائل الثنائية أيضاً، سلمية الغايات مقابل سلمية الوسائل. ويشير المحررون هنا إلى اختلاف علماء نفس السلام حول ما إذا كان استخدام القوة وسيلة لتحقيق السلام قراراً سليماً، وما إذا كانت الوسائل غير العنيفة تجدي في كل الأحوال. ثم يؤكد المحررون مرة أخرى على أن من أهم العناصر في بناء ثقافة السلام، تخفيض الفقر والتوزيع العادل للموارد المتاحة والاعتناء بإشباع احتياجات الفرد. مع الإشارة إلى قضية مهمة جداً لم يتم تناولها في متن الكتاب، هي قضية الأمن البيئي، فقد يتسبب التلوث البيئي مثلاً،

الناجم عن سوء استخدام الموارد، في اشتعال الصراعات أو توتر العلاقات بين الدول. ويختتم الكتاب باستفهام تقريرى، هل يوجد ما هو أهم من بناء السلام؟.

يلاحظ أن هذا الكتاب متفرد بدرجة عالية من ناحية تكامله، واتساع أفقه وانتظام أفكاره وتسلسلها وترابطها وسلاسة أسلوبه، وذلك مقارنة بكتب أخرى في المجال نفسه، وبعضها لكتاب وباحثين بخبرات علمية عالية مثل كتاب (علم نفس السلام: مقدمة شاملة) للبروفسور هيربرت بلومبيرج، وزميله بول هير وأنا كوستين، وقد حوى كتابهم ستة عشر فصلا في ثلاثمئة وخمس وأربعين صفحة، أفردوا فيها مساحات لموضوعات ربما لم يتناولها كريستي وزملاؤه، لكنهم أشاروا إلى افتقار كتابهم إليها، مثل موضوع الإرهاب، والجانب اللغوي والتواصل في مجال السلام.

يمكن القول بأن الكتاب نجح بدرجة عالية في بناء أساس معرفي متين يستهدي به المتخصصون والباحثون، وكل المهتمين بقضايا العنف والسلام. فقد اعتنى بالمشاهد والأحداث الواقعية، وبنى عليها المفاهيم العلمية حين سرد التجارب الفردية والجماعية، كما أنه استطاع أن يضع بعض القيم الدينية مثل التسامح والصفح في قالب علمي، حين تناول دورها في بناء الثقة، وإعادة البناء في المجتمعات التي مزقتها الحروب. كما تدرج الكتاب في رسم صورة العنف حين بدأ في الفصل الأول بالحديث عن أصغر وحدات العنف، وهو العنف بين الأزواج؛ ليصل في الطرف الآخر إلى حوادث القتل الجماعي، والتطهير العرقي والحروب الكبرى.

وأكد الكتاب على أهمية مكافحة الظلم الاجتماعي، وتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال الاعتناء بالفرد، وإشباع احتياجاته جنبا إلى جنب مع إتاحة الاستفادة من الموارد من قبل المجموعات والمؤسسات بمختلف أنواعها. كما رسم الكتاب في خاتمته مسارات واضحة لدور علماء نفس السلام في غرس ثقافة السلام ونشرها، وتحقيق المنفعة من معارفهم.

المراجع

- Blumberg, H. H., Hare, A. P., & Costin, A. (2006). *Peace psychology: A comprehensive introduction*. Cambridge University Press.
<https://doi.org/10.1017/CBO9780511812682>.
- Suffla, S. (2002). Book Review: Peace, Conflict and Violence: Peace Psychology for the 21st Century. *African Safety Promotion: A Journal of Injury and Violence Prevention*, Vol. 1 No. 2, pp 48-51.

Association pour la Promotion de l'Archéologie Nilotique. 17-67.

- Reinold. J. 1991. "Néolithique Soudanais: les Coutumes Funéraires». In: Davies. W. V. (ed.): *Egypt and Nubia, Nubia from Prehistory to Islam*. London. British Library Cataloguing in Publication Data. London. 16-29.
- Reinold. J. 2000. *Archéologie au Soudan-Les Civilisations de Nubie*. Paris: Editions Errance.
- Reisner, G.A. 1910. *The Archaeological Survey of Nubia. Report for 1907-1908*, vol. I. Archaeological Report. Cairo.
- Reisner, G. A. 1917. Excavations at Napata, the Capital of Ethiopia, *Bulletin of the Boston Museum of Fine Arts* 15. No. 89 Reisner, 1919.
- Reisner, G. A. 1923. *Excavations at Kerma*, pl. I-III. Cambridge
- Sadig. A. M. 2004. *The Neolithic of Nubia and Central Sudan. An Intra-Regional Approach*. Unpublished PhD Thesis. University of Khartoum.
- Sadig. A.M. 2005. "Es-Sour: a Late Neolithic site near Meroe". *Sudan and Nubia*. The Sudan Archaeological Research Society, Bulletin No. 9: 40-46
- Sadig. A. M. 2010. *The Neolithic of the Middle Nile Region. An Archaeology of Central Sudan and Nubia*. Nile Basin Research Programme Publications. University of Bergen. Norway.
- Sadig, A. M and Elhassan, J. A. 2006. The role of archaeological theories and methods in interpreting tombs in ancient Sudan. *Adumatu*. Issue 13. 7-23.
- Salvatori, S and Usai, D. 2008. *A Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach. Excavations at Site R12*. Sudan Archaeological Research Society Publication Number 16, Oxford
- Salvatori, S., et al. 2011. Mesolithic site formation and palaeoenvironment along the White Nile (Central Sudan). *African Archaeological Review*, 28, 177–211.
- Shinnie. P.L. 1954. Excavations at Tangasi, *Kush* 2.66- 85.
- Smith, H. S. 1966. "The Nubian B-Group", *Kush* 14. 69-124.
- Smith. S.T. 2003. "The University of California Dongola Reach Expedition, West Bank Reconnaissance Survey: 1997-1998". *Kush*. XVIII. 157-169.
- Trigger, B.G. 1965. *History and Settlement in Lower Nubia*, New Haven.
- Welsby. D. 2000. "South of Kadruka: the Neolithic in the Northern Dongola Reach, Sudan. Recent Research into the Stone Age of Northeastern Africa". *Studies in African Archaeology*, 7. Poznan Archaeological Museum. 129-136.
- Wendorf, F. 1968a. Late Paleolithic Sites in Egyptian Nubia', in Wendorf. F (ed.), *The Prehistory of Nubia*, 791-953, Dallas
- Wendorf, F. 1968b. 'A Nubian Final Paleolithic Graveyard near Jebel Sahaba, Sudan', in Wendorf. F (ed.), *The Prehistory of Nubia*, 954-995, Dallas
- Wendorf, F and Schild, R. 2004. "Late Paleolithic Warfare in Nubia: The evidence and Causes", *Adumatu*. Issue No. 10. 2004, 7-28.
- Wildung. D. (ed.). 1997. *Sudan: Ancient Kingdoms of the Nile*. Paris: Flammarion.

- Edwards, D. 1989. *Settlement and Archaeology in the Upper Nubia in the 1st Millennium AD*, BAR International Series 537.
- Edwards, D. et al. 1995. "The SARS excavation at Gabati, Central Sudan. 1994-1995", *SARS Newsletter* 8: 11-27.
- Edwards, D. 2004. *The Nubian Past, An Archaeology of Sudan*. Routledge.
- Emery, W. B. 1938. *The Royal Tombs of Ballana and Qustul*, Cairo.
- Fuller, D.Q. 2004. "The Central Amri to Kirbekan Survey. A Preliminary Report on Excavations and Survey 2003-04". *Sudan and Nubia*. The Sudan Archaeological Research Society, Bulletin 8. 4-10.
- Geus, F. 1990. Enquete sur les pratiques et coutumes funeraires meroitiques. La contribution des cimetieres non royaux. Approche preliminaire. *Revue d'Egyptologie* 40: 163-85.
- Geus, F. 1991. "Burial Customs in the Upper Main Nile: An Overview". In: Davies, W.V. (ed.): *Egypt and Africa, Nubia from Prehistory to Islam*. London: British Museum Press. 57-73.
- Griffith, FL.I. 1923. "Oxford Excavations in Nubia", *LAAA*.10. PP.73-171.
- Haaland, R. 1993. Aqualithic sites of the Middle Nile. *Azania: Archaeological Research in Africa*, 28, 47-86.
- Honegger, M. 2006. Recherches prehistoriques sur les origines de Kerma: Des premieres societes sedentaires A l'emergence du royaume de nubie. In: Bonnet, Ch. et al (eds). *Kerma et Méroé. Cinq conférences d'archéologie soudanaise*. CCF - SFDAS. Khartoum, janvier 2006. Sudan Currency Printing Press. 14-17
- Kendall, T. 1999. The Origin of the Napatan State. El Kurru and the Evidence for the Royal Ancestors. *Meroitica* 15. 3-118. Berlin.
- Krzyżaniak, L. 1978. "New Light on Early Food-Production in the Central Sudan". *Journal of African History*, 19. 159-172.
- Krzyżaniak, L. 1992. "Some Aspects of the Later Prehistoric Development in Sudan as Seen from the Point of View of the Current Research on the Neolithic". In: Ch. Bonnet (ed.): *Études nubiennes. Conference de Genève, Actes du VIIe Congrès International- al d'Études Nubiennes* 3-8 September 1990. Vol. I. Genève. PP. 267-273.
- Lenoble, P. and Sharif, N.M. 1992. Barbarians at the Gates? The Royal Mounds of El Hobagi and the "End of Meroe". *Antiquity*, 66, 626-635.
- Muhammad-Ali, A. 2002. The Nile and the Desert during the Stone Ages, environmental contrast and cultural integration. *Adumatu*, Issue 7 7-30.
- Nordstrom, H. 1972. *Neolithic and A-Group sites*, Scandinavian University Books, Stockholm.
- O'Connor, D. 1993. "Chiefs or Kings? Rethinking Early Nubian Politics". In: Starkey J. and Starkey P. (eds). *Nubia: an Ancient African Civilization*. Philadelphia: University Museum of the University of Pennsylvania. 4-14.
- Paner, H. and Borowski, Z. 2005. "Gdańsk Archaeological Museum Expedition. A Summary of Eight Seasons Work at the Fourth Cataract". *Gdańsk: Gdańsk Archaeological Museum African Reports* 4, 89-115.
- Reinold, J. 1987. "Les fouilles pré-et proto-historiques de la Section Française de la Direction des Antiquités du Soudan: les campagnes 1984-85 et 1985-86». *Archéologie du Nil Moyen* 2. Lille:

References

- Adams, W.Y. 1965. "Post-Pharaonic Nubia in the Light of Archaeology", *Journal of Egyptian Archaeology* 51. PP: 160-78.
- Adams, W.Y 1977. *Nubia Corridor to Africa*, London and Princeton, Allen Lane and Princeton University Press.
- Al-Hassan, Gamal Jaafar Abbas. 2000, *Funerary practices and rituals in the post-Meroitic era (Al-Haraz Cemetery of the Fourth Cataract 350-580 AD)* (Unpublished MA Thesis), University of Khartoum. (In Arabic)
- Arkell, A. J. 1949. *Early Khartoum*, Oxford University Press. Oxford.
- Binford, L. 1962. "Archaeology as Anthropology", *American Antiquity*. 28. 217-225.
- Bonnet, Ch. 1986. Les fouilles archéologiques de Kerma Soudan', *Genava* 34: 5–20.
- Bonnet, Ch, Hakim, A. M. 1997. *Karma. The Kingdom of Nubia, an African heritage from the era of the Pharaohs*, Khartoum House for Printing, Publishing and Distribution. (In Arabic)
- Brass, M, etal. 2018. Jebel Moya: new excavations at the largest pastoral burial cemetery in sub-Saharan. Project Gallery. *Antiquity* 92 365, e6 2018: 1–6.
- Caneva, I. 1983. *Pottery Using Gatherers and Hunters at Saggai (Sudan)*, Roma.
- Caneva, I. 1988. *El-Geili, the History of a Middle Nile Environment, 7000 B.C. A.D. 1500*, Cambridge Monographs in African Archaeology 29. BAR International Series 424. Oxford.
- Caneva, I. 1991. "Prehistoric Hunters, Herders and Tradesmen in Central Sudan: Data from the Geili Region". In: Davies W.V. (ed.), *Egypt and Africa, Nubia from Prehistory to Islam*. London: British Museum Press. 6-15.
- Caneva, I. 1994. "New Methods of Data Collection and Analysis in Sudanese Prehistoric Archaeology". In: F. Geus (ed.): *Nubia Thirty Years Later. Pre-publication of Main Papers*, Society for Nubian Studies, Eighth International Conference 11-17 September. Lille.
- Caneva, I. 1996. "Post-Shaheinab Neolithic Remains at Geili". In: Krzyżaniak L. etal. (eds), *Interregional Contacts in the Later Prehistory of Northeastern Africa*. Poznan: Poznan Archaeological Museum. 415-320.
- Chaix, J. etal Bucrania from the Eastern Cemetery at Kerma Sudan and the Practice of Cattle Horn Deformation. *Prehistory of Northeastern Africa New Ideas and Discoveries Studies in African Archaeology* 11. Poznań Archaeological Museum 2012. 189-212
- Clark, J.D. 1989. "Shabona: An Early Khartoum Settlement on the White Nile. In: Krzyżaniak, L. and Kobusiewicz, M. (eds.). *Late Prehistory of the Nile Basin and the Sahara*, Poznan Polish Academy of Sciences and Poznan Archaeological Museum. 387–410.
- Crevecoeur, I. etal. 2021. New insights on interpersonal violence in the Late Pleistocene based on the Nile valley cemetery of Jebel Sahaba. *Scientific Reports*. 11
- Dunham, D. 1950. *The Royal Cemeteries of Kush, L El Kurru*, Cambridge

in describing it, in order to reconstruct past life, the history of culture, and the study of human behavior. This was one of the trends that led to the development of modern archeology advocated by Lewis Binford and others (Binford, 1962), and it followed at least three paths in interpreting culture:

The first path: It is the path of the anthropological concept, which has clear features in the works of William Adams and Bruce Trigger. Although it differs from the processual archaeology thoughts, it adopted its approach and worked to support their hypotheses with the results of their work in Sudan.

The second path: This is the path in which burials in particular are taken as evidence of human behavior and human culture as a whole. Meaning that the burial ground is an archaeological unit and evidence of human behavior, and it should not be studied in isolation from the other units surrounding it, and it should be treated as the second home of the ancient people, which may contain evidence that may not normally be obtainable among what they left behind in the remnants of their first life (all that they left with the exception of cemeteries). Such a path is noticeably clear in studies of the prehistoric period, given that burials were the primary means of talking about any topic related to society, its internal divisions, and its understanding of the afterlife.

The third path: This is the path that uses archeology in general to research cultural identity, communication, the origin of the civilization in question, pluralism, and interpretation of civilization. The people of this path took cemeteries as evidence of the authenticity of culture, a means of interpreting human behavior, and a solution for researching the components and drivers of behavior. In this regard, they are like those who follow the second path, except that they see that the local culture followed a continuous, sequential path in its development, meaning that it moves through history according to a series of sequential episodes extending until the present time.

In this paper, we attempted to conduct a review based on the archaeological data related to the burials, and the archaeological theories and methods used in interpreting some of these burials in prehistoric and ancient Sudan. It is clear that most of the approaches used consider cemeteries to be sites that constitute self-contained units containing rich and coherent data characteristic of their era. The burials have been used by many researchers as a basis for interpreting the entire Sudanese civilization concerned in this paper.

It is clear that some of these approaches and theories were based primarily on methodological and theoretical data that prevailed in the early twentieth century. However, most of these approaches and theories followed moderate theoretical foundations developed by archeology in the subsequent decades of the twentieth century. It ultimately led to confidence in the interpretations of archaeologists who used the evidence carried by the burials to establish a chronological, cultural, social and economic framework for the culture.

We believe that the approach followed by one of the researchers of this paper (Alhassan, 2000) in studying funerary rituals in the Haraz cemetery (Fourth Cataract) has proven its usefulness in such studies. The researcher chose variables that he believed shed more light on the reality of the cemetery and provide us with more information, including:

- a. The spatial and temporal contexts of the cemetery are the subject of the study, by placing the cemetery within its cultural context whenever possible, which makes it much easier to understand its data.
- b. The cultural unity of the cemetery as it represents an interconnected number of units (cemeteries) linked by topographical (spatial) and temporal factors and not individual units.
- c. Studying the tomb on the basis that it is an interconnected component in terms of architecture, finds, and skeleton.

In variable (c), the researcher agreed with what Reisner had previously stated, but he linked this variable to the other variables (a) and (b) to produce a better understanding that each of these variables affects one another. If the tomb pit is narrow, for example, circular, or otherwise, this will inevitably affect the position of the dead and the position of the funeral furniture as well.

As for the theoretical approach, it was based on the locations of the graves in the cemetery, and on conducting a comprehensive census of them in order to arrive at hypotheses dealing with population movements in the post-Meroitic period.

Such an approach is considered a comprehensive approach, which deals with the grave as a tool for general interpretation and not for interpreting a specific aspect of culture, which ultimately aims at the history of the culture in question and the interpretation of the phenomenon of Sudanese civilization.

4. Conclusion:

Anyone who looks at the examples of methods and theories of studying burials in the prehistoric and ancient historical periods in Sudan will notice that they can be divided into two main parts:

The first section: The school of cultural diffusion (Diffusionism), which prevailed in the first quarter of the twentieth century, and most of its supporters (especially the pioneers such as Elliott Smith and those who followed in their footsteps such as George Andrew Reisner) were Egyptologists who studied the burials by adopting three main paths for cultural change: migration, diffusion, and invasion.

The second section: The school of the processual archaeology (New Archeology), which prevailed at the beginning of the sixties of the twentieth century, and which believes that the primary task of the archaeologist is to interpret the data instead of being interested

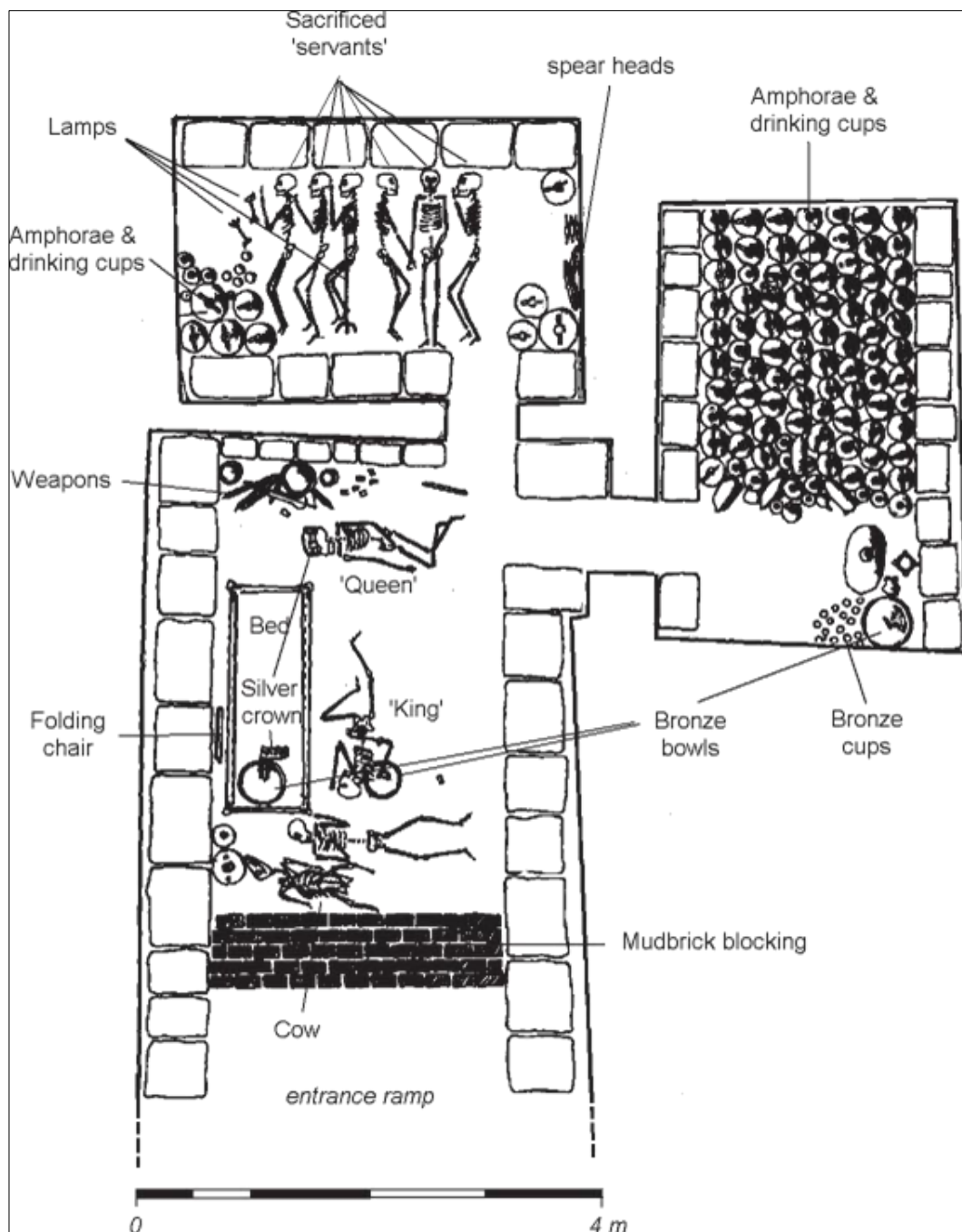


Figure (12): Burial chambers of a royal Nobadian tomb (B.95) of the late 5th century at Ballana. (From Edwards, 2004: Source: based on Emery 1938: Fig. 68)

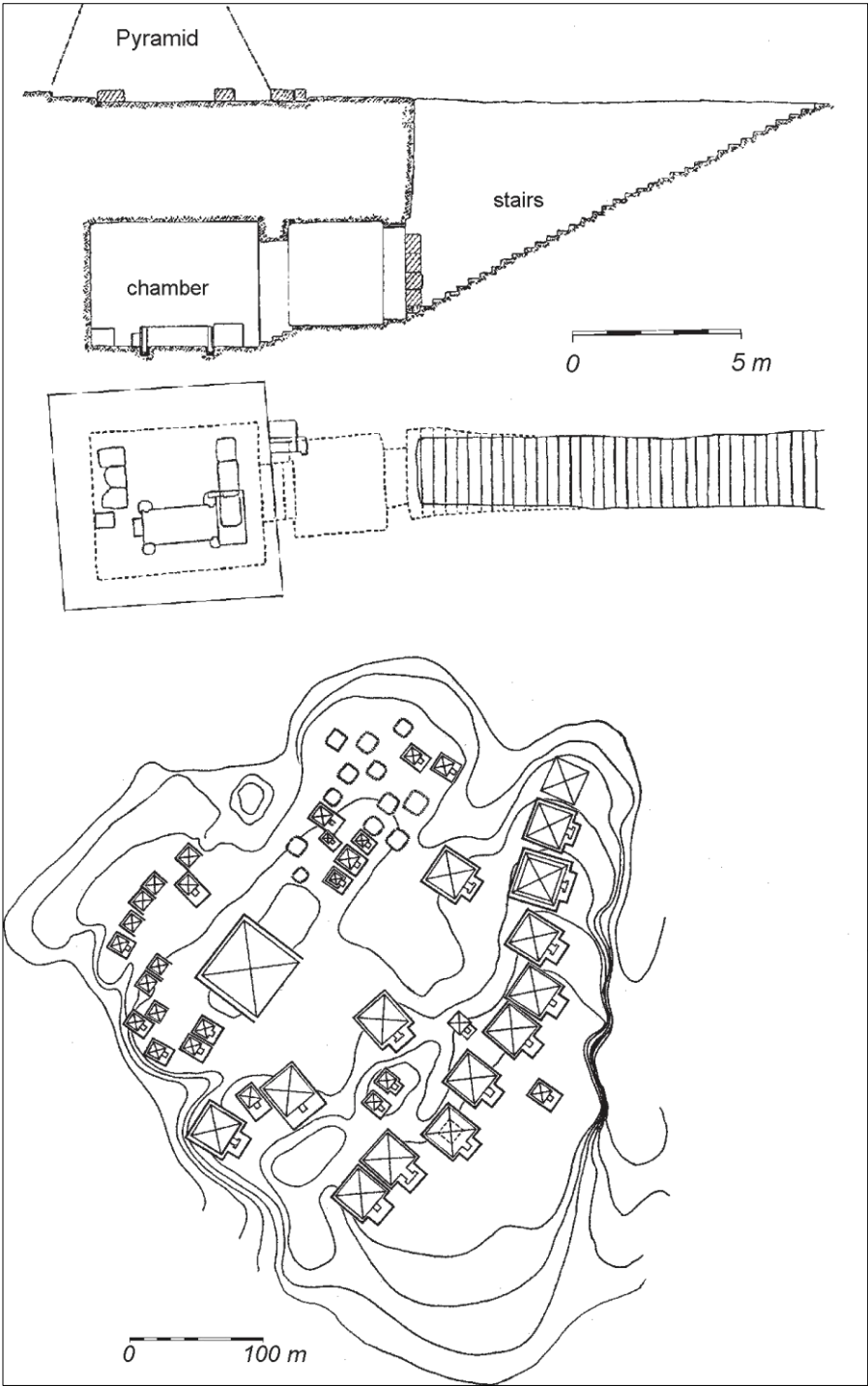


Figure (11): The Napatan Royal Cemetery at Nuri and queen's pyramid at el-Kurru. (From Edwards, 2004: Source: after Dunham 1950: fig.11a)

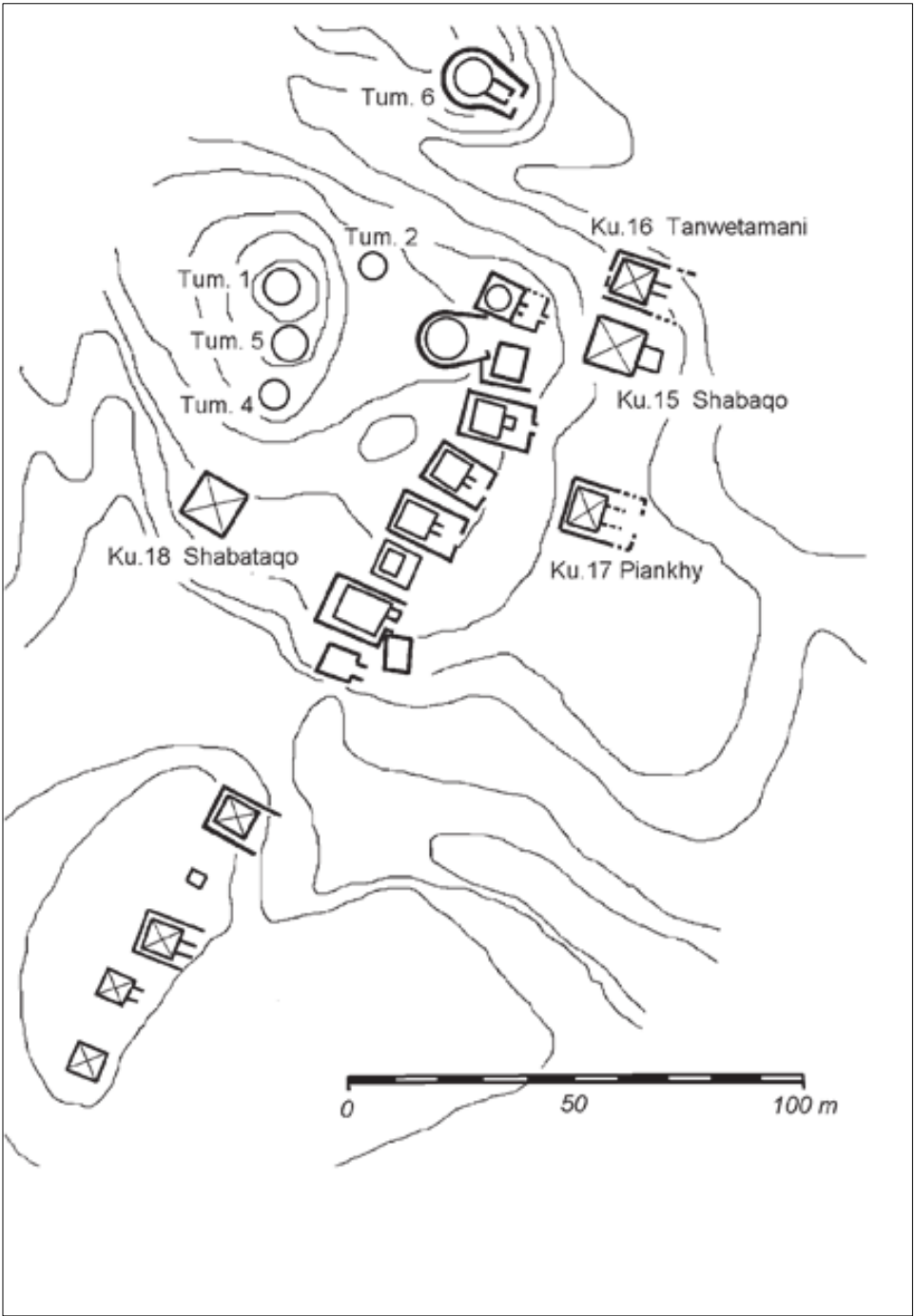


Figure (10): Napatan cemetery at el-Kurru: (From Edwards, 2004: Source: based on Dunham 1950: map II)

evidence that the external appearance of the tomb, in the Kushite Kingdom at least, and the type of funerary furniture have a great relationship with the buried person himself. Therefore, it can be assumed that what is most noticeable in the Meroitic burials is what we can call the principle of social differentiation in burials and the emergence of basic privileges related to differentiation according to age, gender, and lineage within society, and differences related to the rank of the buried himself, especially with regard to power and status. Anyone who looks at the history of burials dated to the Meroitic period notices the clear difference in burial patterns and the complete reliance in many cases on funerary furniture to prove the burial's proportion to a specific period of time. Excavations of the Meroitic cemetery in Gabati, 10 km from Meroe (Edwards, et al. 1995), where the Kushite burial system prevails with a north-south direction, indicated that there is a need to re-evaluate the forms of Meroitic burial, and clarify the difference between it and other forms are followed, especially in the north. This diversity in burial methods is evident in the use of different types of tomb shapes, the limited use of mastabas and pyramids for the Meroitic elite, and the common use of tumuli burials or leaving graves unmarked, especially in the main regions of the kingdom (Edwards, 1989: 41-139; Geus, 1990). Excavations in the margins of the Kushite state in the south, especially at Jebel Moya (Brass, 2018), also demonstrated important developments in burial systems, some of which were not known in many contemporary Kushite sites in the north. At 10ha in size and having yielded more than 3100 human burials, Jebel Moya provides scope for exploring the interactions between local pastoral and external traditions on the southern boundary of the contemporaneous Meroitic state, outside of direct Meroitic political control (Brass 2018).

Reisner used the same methods in studies that dealt with the burials of the period that followed the Kushite civilization, which is known conventionally to researchers as the post-Meroitic period or the X-Group period, according to Reisner's first classification. Reisner learned about this civilization through a group of burials uncovered during the first Nubia rescue campaign. Reisner considered it a new racial group, and Elliott Smith classified it among the Black groups. Its main royal burials were uncovered at the sites of Qustul and Ballana. During the Nubian second rescue campaign, the need arose to re-evaluate the antiquities of this civilization, especially since it contains many elements that were previously prevalent in the Kushite civilization (Figure 12).

The archaeological remains of this civilization were the subject of opinions and discussions that have not ended until today, most of which focused on its origin and ethnic identity without considering its cultural identity. This may be the result of the fact that most of the early researchers and some modern scholars did not view this civilization from the reality of the material evidence available to them, which is the burials, but rather founded their theories by relying on often contradictory classical sources (Emery, 1938, Adams, 1977, Shinnie, 1954, Trigger, 1965). Some other researchers looked at the burials of this period as definite evidence of cultural communication between Meroitic and beyond, and therefore their practical and theoretical approaches came from the reality of the approach followed in studying Meroitic tombs, which we referred to previously (the shape of the internal and external tombs and the funerary furniture) (Lenoble and Sharif, 1992).

1. Compare the shapes of the pyramids and their construction methods.
2. He subjected the funerary statues (Shawabti), alabaster vessels, obelisks, and other objects found in or near the pyramids to a classification approach.
3. The classification approach was used to study sacrificial items, including pottery and all possible tablets, whether with or without inscriptions, weapons, and others.
4. Compare the positions of the pyramids (Reisner: 1917).

In the end, Reisner proposed the existence of two independent kingdoms in Napata, an idea that faced criticism from many scholars.

In addition, some researchers did not accept Reisner's scheme in its entirety, including Adams, who doubted the idea of the continuation of the Napata royal family (Adams: 1965). Adams says there are only five pyramids at most. The pyramids of Nuri, Barkal and Meroe can be dated based on direct evidence. Almost half cannot be attributed to a specific king, and the idea that it represents a continuous royal succession seems very weak. Adams is accused of refusing to accept all the written material that was used by Reisner.

It is also clear that Reisner viewed burials as purely chronological determinants. Despite the effort that Reisner made in excavating these cemeteries, he remained dependent in his interpretation of the cemeteries on his theoretical approach through which he established the arrangement of the cultures that he studied during the first campaign. He left behind all the compelling evidence that this civilization differed from its counterparts in the north, whether in some burial patterns, archaeological materials, or the names of its founders, in order to rely on unconvincing evidence and attribute its origins to the Libyans (Reisner, 2019, 28-248). Reisner's belief that those buried in Al-Kurru were foreign rulers is no longer accepted, and it is now more accepted that those buried are members of a local family. Timothy Kendall, who conducted a detailed study of the finds in the same cemetery, argues that Reisner's opinion about the Libyan origin of the Kushite ruling family in Al-Kurru is illogical (Kendall, 1999: 6).

Griffith used another different approach to study Kushite cemeteries, in his excavations in the cemetery of Sanam Abu Dom (1922-1923 AD), which is located on the western bank of the Nile opposite Jebel Barkal. Griffith tried hard to divide the burials into types according to their internal structure. Griffith also strengthened his findings by studying funerary furniture, which proved, despite the dominance of Egyptian elements, the survival of non-Egyptian elements for a long period until the end of the Napata period (Griffith, 1923). The Sanam cemetery is unmistakable evidence of the difficulty of arriving at conclusions regarding the chronological sequence of cemeteries based on the form of the burials alone. Rather, everything related to them must be studied as stand-alone archaeological units. This is an exactly accurate matter, especially since Griffith was dealing with tombs that did not have specific features with regard to the superstructure, which Reisner relied mainly on to prove the chronological development of burials in Al-Kurru and other distinct Kushite burials that he studied. The latter, of course, can also be taken as

3. Historical Burials:

Reisner's work is a separate chapter in the history of archaeological research for the historical period in Sudan. It is considered a pioneering work in the field of studying the Kushite civilization (Napata and Meroe) (9th century BC - 4th century AD).

After excavating the sites of royal burials in Al-Kurru, Nuri, Barkal, and Al-Bajrawiya, Reisner believed that he built the history of the Kushite kingdom based on archaeological evidence. In general, he believes that he succeeded in revealing the historical continuity of the kingdom from the ancestral period until its fall (Reisner, 1919).

Reisner's approach in studying most of the Kushite burials in the sites of Al-Kurru (Figure 10), Nuri (Figure 11), Jebel Barkal, and Meroe was based primarily on the principle of distribution and topographical sequence of the burials. Reisner was mainly interested in the site and the organization and history of the royal tombs. Therefore, he neglected some key features such as social, economic, military and administrative systems. Reisner, too, believed that he was able to determine an approximate history for the royal family of Kush and based his work on some key criteria. For example, he tried to calculate the arrangement of the pyramids and link them to the names of those believed to be Kushite kings. He also gave each king an approximate date. Ultimately, Reisner concluded that the oldest pyramids occupied the best places, and therefore the worst place in the necropolis belonged to the last king in the series. Then, by examining the construction of each pyramid and according to the changes in construction style, Reisner divided the pyramids into groups. He assumed that within them were kings who ruled in succession.

By studying the contents of the graves and comparing them, he concluded that the pyramid and its contents represent the work of one generation of craftsmen, and therefore the craftsmen partly built the tomb of the next king themselves. But at the same time some of these older craftsmen were being replaced by others. Some funerary materials remained unchanged in successive graves, while others differed. Therefore, each successive pyramid contained some material of the same type as the previous grave. Based on the contents of the pyramids, Reisner built his theory that the most powerful and wealthy kings had the best pyramids. On the other hand, after Reisner arranged the pyramids in a successive series and attributed each pyramid to a king, he worked to give them approximate dates for their rule. He based this approximate date by calculating the average rule, which means that each generation of the kings of Kush ruled for 17 years. He tried to be more precise by giving more than 17 years of rule to the kings who were better equipped for their pyramids and less than 17 years to those who were buried in poor, or incompletely built, pyramids (Ibid: 59f).

It is clear that Reisner's approach to arranging kings and their chronology was built entirely on a hypothetical basis. Therefore, this scheme faced many difficulties even in his own assumptions. For example, Reisner faced difficulty in placing the two groups of Barkal pyramids. To date the tombs, he used data from the Jebel Barkal inscriptions, along with other texts discovered in Egypt, and he relied to the following methods:

The studies also included morphological analysis of skeletons, which is the study of the external shape and the composition of its parts. It was also possible to study the development of the cemetery and its funerary customs by analyzing the successive distribution in the funerary environment (ibid: 165).

Anyone who looks at the evidence provided by the Geneva Mission about the Kerma civilization notices that this may have emerged mainly from the approach followed by Charles Bonnet from the beginning, which was a product of the scientific and theoretical development that archeology has witnessed since the beginning of the sixties. Bonnet did not rush to conclude. Rather, he worked to use archaeological techniques and follow his modern methods in excavations and gave equal weight to burial sites and settlement sites. Thus, he was able to identify a large number of archaeological sites surrounding the Karma site. In addition, archaeologists, including Bonnet, began to gradually get rid of the influence of Egyptology, which proved after many years that it was not the appropriate method for studying Sudanese archaeology except with regard to texts or Egyptian antiquities remaining in some parts of northern Sudan. Also, looking at such local civilizations from the point of view of Egyptology greatly hindered reaching the truth.

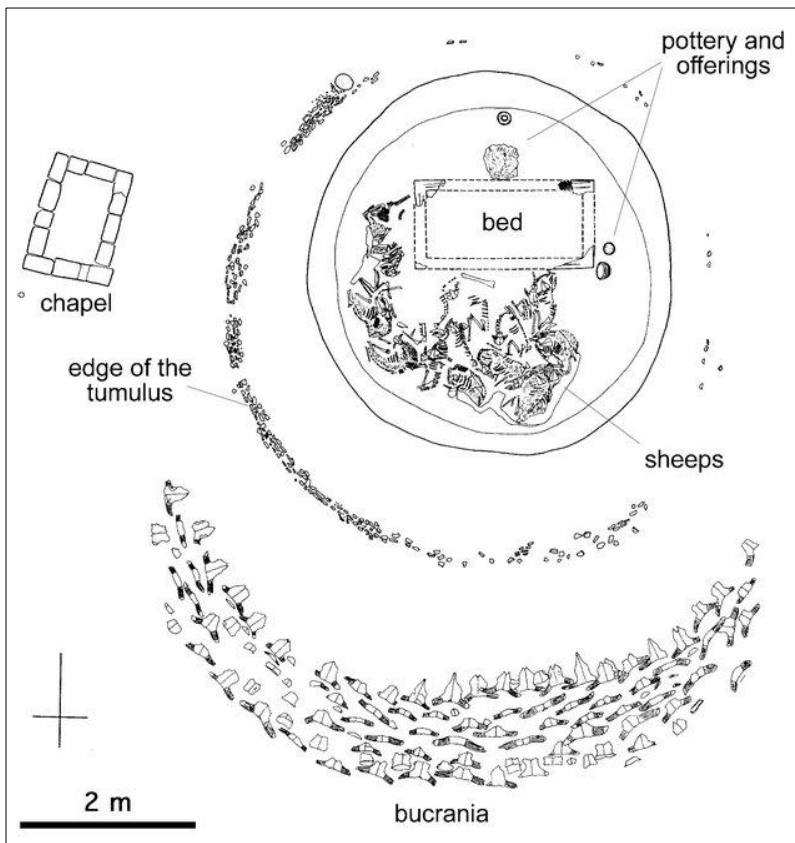


Figure (9): Middle Kerma burial. (From Edwards, 2004: Source: after Bonnet 1986, Fig.17)

Among the most important methods that were used in studying the burials in Kerma are applications of Paleoanthropology through the demographic study includes several variables, including gender, age, death rate, or life expectancy. The mission also paid attention to ancient pathology by relying on monitoring hard tissues, such as bones, teeth, and soft tissues, and using modern techniques, such as microscopic and radiological analysis for diagnosis. Special attention was also paid to studying the condition of the bones. (Taphonomy) to complete the study of bone diseases, which provides valuable information about the environment and the general condition of the bones, especially since it is essential in the study of funeral rituals, in which physical anthropology plays a key role. Many samples were taken to perform various advanced laboratory analyses such as biochemistry, biophysics, amino acids, and other primary elements, then the remains of fats and steroid hormones. Numerous analyzes were also conducted of the contents of the intestines and stomach to determine the type of food, study melanin, which is the coloring substance of the skin, hair, and bones, and trace genetic components (Ibid, 95-96).

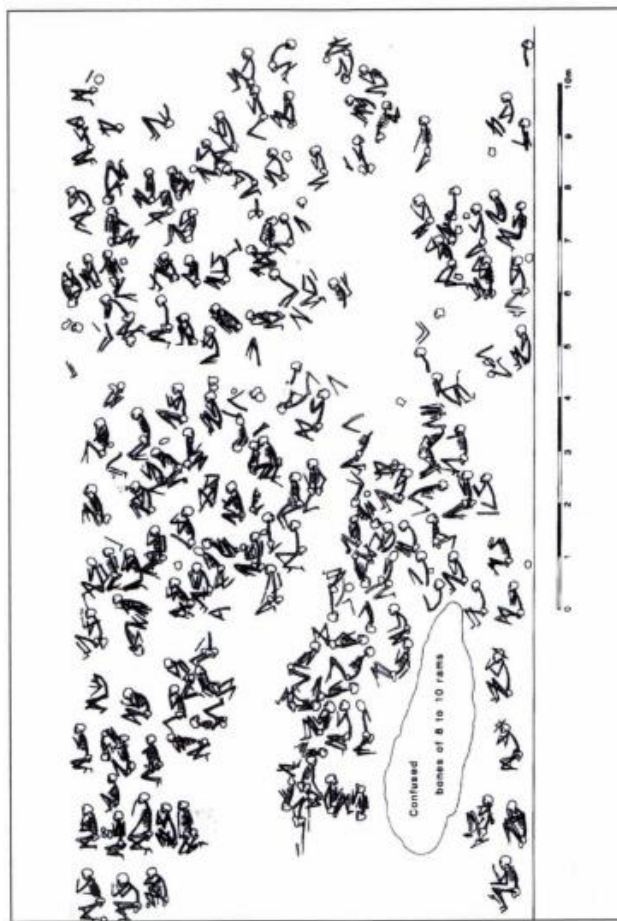


Figure (8): General layout of Cemetery (X) in the Eastern Kerma Cemetery, showing a group of human sacrifices (Reisner, 1923: part III. XXIV)

the Kingdom of Kerma in about 2500 BC, and the impact of the Egyptian model on the local Sudanese environment (Ibid, 95).

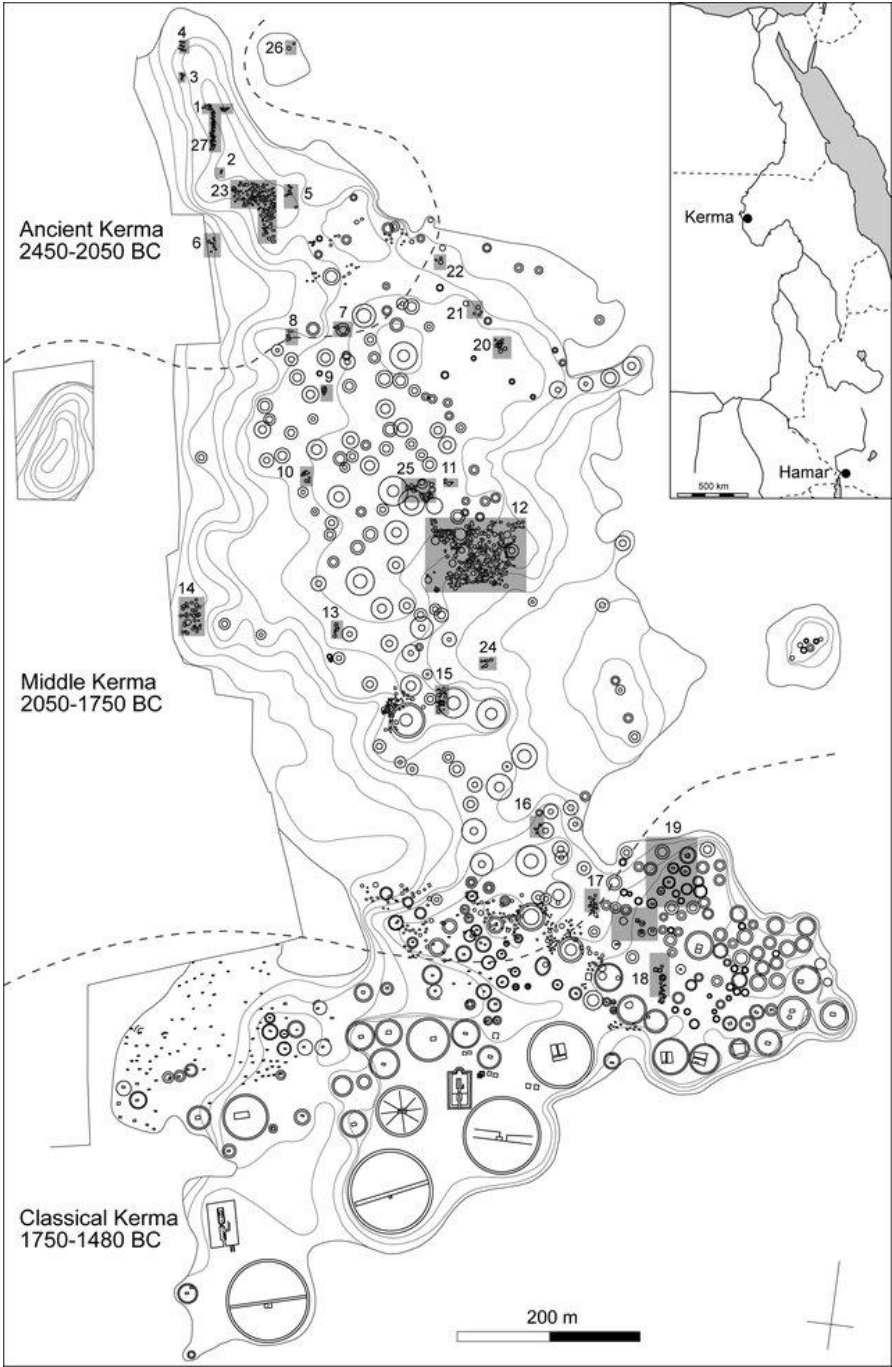


Figure (7): Plan of the Eastern Cemetery at Kerma (Chaix, J. etal, 2012)

context, one of the researchers of ancient Sudanese civilizations, the American William Adams, in his book (*Nubia Corridor to Africa*), avoided the customary implications of the term “group” and used instead a broader cultural term, which is “horizon,” putting the two groups (A) and (B) in one term, which is the A-Horizon (Adams, 1977). Trigger (1965) instead used the term Nubian Phase, to divide these cultures into stages, each with its own characteristics (Trigger, 1965: 17-18).

In fact, the term “group” carries a clear racial connotation. This was clearly demonstrated in Reisner’s division of cultures and their origins, according to their cultural impact, development, or decline. This has resulted largely from the findings of anatomist Elliot Smith regarding the racial origins of the skeletons, which were made at the sites themselves rather than in specialist laboratories. In addition, subsequent works worked to strengthen and develop the historical sequence established by Reisner. It has been proven that the cultural similarities between populations far outweigh the differences between them. It has become possible to view it as the result of a continuous process of development. The motivation for the continuity of local culture is internal, and the change in cultural patterns is not due to population migration from outside.

Reisner’s interpretation of the burials in Lower Nubia did not differ from his interpretation of the Kerma civilization in Upper Nubia (2500-1500 BC), the main site of which he worked when he returned to Sudan in the years 1913-1916, as director of the mission of Harvard University and the Boston Museum (Reisner, 1923). His research approach was characterized by the same approach as the first, that is, relying on large-scale excavations and focusing on burials to interpret culture. Nor did his original view of local cultures differ. The site of Karma was explained as representing an Egyptian commercial colony under the supervision of the Middle Kingdom, and that the purpose of its establishment was for the rulers of the Middle Kingdom to obtain the products of the regions located south of Kerma (*ibid*) (Figure 7, 8, 9).

As for the burials, Reisner divided them into four types: the major tombs, which number only eight, the smaller tombs, the middle tombs, and the independent tombs, based on the shape of the outer structure of the tomb and its contents. He also aimed to know the developments that took place in the ancient cemetery. Reisner assumed that the Egyptian occupation had an impact on the population of the region. At the beginning of his work in the southern sector of the cemetery, in which excavation was carried out in a regular manner, he called it the Egyptian Cemetery, while he called the tombs located to the north the Nubian Cemeteries, and perhaps he meant the popular cemeteries because they were characterized by extreme lack of furniture, according to his description.

A long period passed after Reisner, in which no attempt was made to conduct excavations at Kerma until the beginning of the seventies of the 20th century, when the Swiss mission (University of Geneva mission, led by the Swiss archaeologist Charles Bonnet) undertook the task of re-studying the site (Bonnet and Hakim, 1997). The goal of the Geneva mission has been since the beginning is to identify the elements that led to the emergence of

9. It might be due to the limited extent of the excavations. Many graves in the burial sites have not yet been excavated, and these might contain more children's graves.
10. In the Kadruka cemetery, greater attention was paid to analyzing the positions of the funerary furniture in the tombs and the orientation of the body.

2. Protohistoric Burials:

Credit for uncovering the burials of the first periods of Sudanese history, which will be called here the protohistory (about 3800-1000 BC), goes to the American Egyptologist George Andrew Reisner, who, during his work in Lower and Upper Nubia in the first decade of the twentieth century, was able to formulate a historical sequence of Sudanese cultures and civilizations is still largely acceptable. Reisner, like other early Egyptologists, was one of those who relied heavily on the principle of cultural diffusion, which is the school that believes that cultural change occurs through three main processes: diffusion, migration, or invasion. Based on this principle, and by relying on the burials and analyzing them, Reisner interpreted Sudanese cultures as a product of the spread of Egyptian civilization. In other words, he viewed cultural change as a product of the migration of groups arriving to the region. He also viewed these cultures, which he called the "Nubian Groups" (A, B, C, etc.), as separate social groups, and not a series of developed cultural communication of the human groups themselves. Moreover, Reisner suggested, based on what he believed to be racial differences in the skeletons in the burials, the appearance of two racial groups in the lower Nubia, represented by the names of A-Group, which he attributed to a society that lived in North Africa, which was of the white Caucasian race, and the African "Negro" race group which is mostly what he called B-Group and some skeletons found in the graves of what he called C-Group (Reisner, 1910).

Reisner was one of the Egyptologists who believed that the burial ground was a key and an archaeological tool to the ethnic interpretation of the cultures, and he dealt with it on this principle, without looking at it as a unit like any archaeological site that might reflect patterns of the lives of the ancients, their culture, and their relationships. Therefore, Reisner mixed the practical and theoretical approaches to reach his results. He was the first to lay the foundations for organized field work methods in recording, drawing, and surveying sites, which became the basis for subsequent field work in Lower Nubia and other regions in Sudan (Nordstrom: 1972).

Some researchers later worked (especially during the second and third rescue campaigns for Lower Nubia), through archaeological works and multiple research projects, to modify some of Reisner's assumptions, especially regarding the origin of these cultures (for example, see: Nordstrom: 1972). This was a result of radical changes in archaeological theories, and archaeologists' increasing doubts about racial theory (Adams, 1977). For example, the evidence provided by the second campaign and the third campaign of Nubia showed that society and culture during the period of these cultures were imprinted with purely local features. It also became clear that there was no difference between A-Group and B-Group (Smith, 1966), with a cultural relationship between A-Group and C-Group. In this

Although a significantly different interest in funerary data has developed in the archaeological world, which focuses on the information a cemetery can offer on both the ideology and the social context of the associated population, the Central Sudan case is slightly different. The Central Sudan examples focus either upon the interpretation of grave goods or upon the distribution of the graves as evidence of the social organization. A combination of the two approaches could be seen in the case of el Ghaba and el Kadada.

The major feature of the burial sites is the occurrence of a few graves with rich offerings, which could reflect some kind of social status. Variations among the grave goods and their social indications were not confined to one cemetery. The Neolithic graves at Kadero I, for example, showed considerable variations in their grave goods; while at el Kadada the animal sacrifices, human figurines and artifacts may indicate ritual and/or social aspects. Human sacrifices, if confirmed, may also indicate the social status of the deceased.

In summary, the following conclusions may be drawn from the Neolithic sites (Sadig, 2004: 61-62, 2010: 215-220):

1. The quality of the grave goods indicates the social status of the deceased. In other words, variability in burial practices reflects variability in social status.
2. It is clear that a process of social differentiation had occurred in the Khartoum area during the preceding extended period of settled life and that the differentiation had been consolidated by the established structure of a pastoral society. Through time, obvious signs of developing and more sophisticated social relations can be observed, as in the differentiation amongst the graves.
3. The cause of death might have played a key role in mortuary treatment (animal sacrifices at the site of el Ghaba).
4. The spatial patterning of graves within cemeteries forms an important dimension of mortuary practices (for example the distribution of graves at Kadero I cemetery).
5. The relationship between sex and age and the quality and the quantity of the grave goods is not yet clear. Moreover, we do not know the relationships between the differently sized graves and the varying quality and quantity of grave goods. This may be due to the dereliction of the researchers rather than the lack of data.
6. The occurrence of child burials inside the settlement may indicate that young children were not considered to be full members of the social group. In consequence, they were buried outside the cemetery (Reinold. 2000: 65). Some graves were furnished with rich goods, such as fine vessels, bucrania and polished axes. These rich grave goods reflect the status of their families in the social group (Reinold. 2000: 73). Yet, the complete absence of such graves in the other sites may be due to:
7. Poor preservation conditions and the poor condition of the bones; natural conditions might have destroyed the children's cemeteries.
8. A large number of children may have been buried elsewhere, not in the same cemeteries as the adults.

anthropology and bone chemistry (Caneva, 1988). The recent trend has contributed to identifying changes in the nutritional basis of diverse groups in the same cemetery, and then proposing a model for their specific economic activities and settlement patterns (Caneva, 1994, 82).

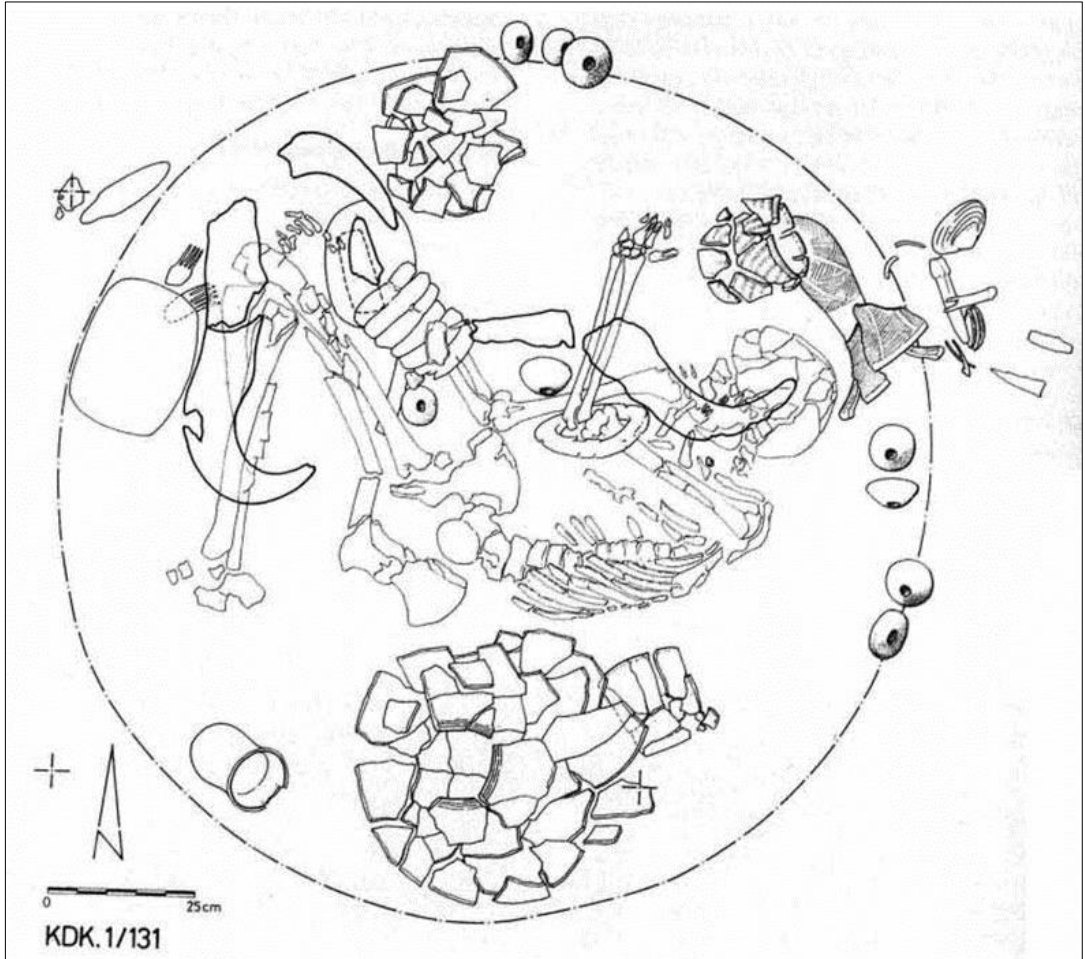


Figure (6): Cemetery no 1 in Kadruka, chieftain's' tomb (source: Wildung (ed) 1997.)

Another cemetery, R12, may give a reasonable picture of a Neolithic Nubian society and may contribute to unraveling problems about the cultural and chronological sequence of the Neolithic in Nubia (Salvatori and Usai. 2008). This cemetery, according to C14 determinations, was used for about 600 years, with the excavation revealing different grave layers, in spite of strong erosion which especially affected the northern and southern periphery in particular. This long use was responsible for graves frequently cutting into each other and for other disturbances. Apart from the risk of mixing of material, careful stratigraphic control often confirmed a chronological order among the different inhumations.

Khartoum. In these two sites, although two different missions excavated them, there was a clear reliance on the anthropological approach.

New analyses, based on both physical anthropology and bone chemistry, were possible for the cemetery of Geili. Besides sophisticated pottery, including pots with rippled, burnished surfaces and rarely with impressed patterns, the graves contain necklaces, stone palettes for cosmetics, disk mace heads, clay figurines and other objects such as axes or querns (Caneva. 1991: 13). Caneva observes some similarities between the Late Neolithic grave goods and those of el Kadada. She assumed that the Geili group was contemporary and “probably had trade links with that of Kadada, but it belonged to a local population which consistently maintained regional relations in its funerary practices” (Caneva. 1996: 320).

Systematic surveys and excavations along Kerma basin and Wadi el-Khowi, in the Northern Dongola reach, provide us with detailed information about Neolithic burial customs. The number of sites in this region suggests quite intensive occupation throughout the area (Welsby. 2000: 135). Cemeteries currently appear as isolated mounds, in a landscape which is today flat. Seventeen cemeteries have been located; of these only five were evaluated, three were excavated entirely and three are in the process of excavation. Since they cover the 4th to the 5th millennium in date, they inform us about the evolution of the funeral customs and the modifications of the social relations in these first communities to practice agriculture and cattle breeding.

One of the most important cemeteries in the area was discovered at Kadruka, in the Kerma Basin. This consists of medium-sized Neolithic cemeteries, including wealthy graves that have been tentatively interpreted as those of local chieftains (O'Connor. 1993: 13).

The most impressive example comes from cemetery KDK 1 (Figure 1, 6) where, according to its discoverer, grave 131, located at the top of the burial mound, displays the wealthiest grave furniture ever found in Nubia and Central Sudan in a Neolithic context. The other pits have been arranged around it, expanding out to form concentric circles using the first burial as a focus. Reinold did not use this discovery to infer a related territory that would have been controlled by the owner of the grave, but he concluded that such a finding implied expanding societies, in other words, societies with growing territories, which are a prelude to the emergence of kingdoms (Reinold. 1991: 28). The majority of pits are located on the high part of the kom, between contour lines 230.70 m and 231.10 m. The remainder, nearly a quarter of the total, is situated on the lower part at around 230.20 m. Initial observation indicates distribution ordered by gender. The higher are generally male burials, while the lower are female burials (Reinold. 2000).

It is clear that in the Kadruka cemetery, greater attention was paid to analyzing the positions of the funerary furniture in the tombs and the orientation of the body (Reinold, 2000). As for the Geili cemetery, the small number of Neolithic burials prevented any study of this latter type, and instead the cemetery was studied with the help of physical

At el Ghaba the deceased wears the ornaments used for adornment during his life and to which he probably attributed prophylactic powers. Different objects surround the dead, referring to their lifetime activities or social ranks. The whole cemetery seems to have developed along strictly chronotopographical lines, a likely indication of an egalitarian society structure (Geus. 1991: 58). The same was observed in the cemetery of el Kadada, where the female pottery figurines were perhaps one of the most important innovations.

One of the most important observations at el Kadada cemetery concerns the superimposed inhumations of two and three individuals. A comparative analysis of these burials indicates the presence of human sacrifice in those tombs containing three bodies. If confirmed, as Geus said, “this would be the first occurrence of a custom destined to become widespread in later times, particularly in Kerma” (Geus. 1991: 58). Geus argued that the presence of human sacrifices, the increasing complexity of the graves and their grouping in clusters are all factors that point to “a non-egalitarian society in which the elements of social differentiation were beginning to exist” (Geus. 1991: 58).



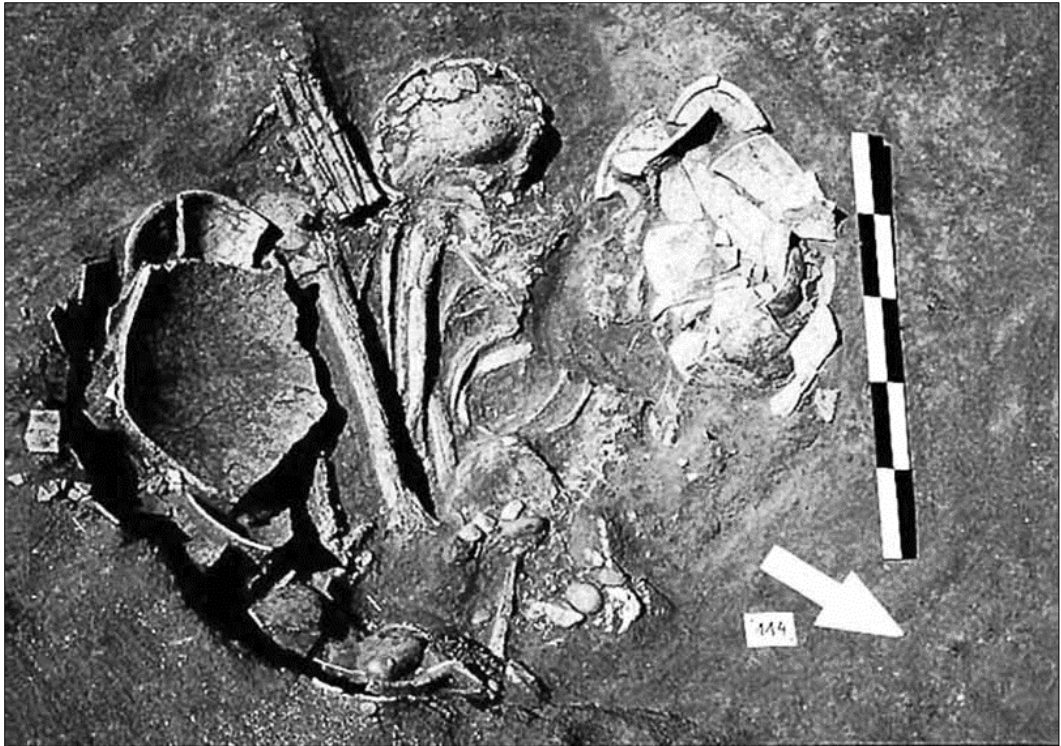
Figure (5): Tomb of an elite individual with human sacrifice of a youth at el Kadada (source: Wildung (ed) 1997.)

3.1. Kadruka and Geili cemeteries:

A different approach was adopted in the excavation of the Kadruka cemetery (Reinold, 1991: 2) near the Kerma and in the site of Geili (Caneva, 1988, 1994) north of

complexity of the graves and their grouping in clusters in el Kadada and el Ghaba are all factors which point to “a non-egalitarian society” or units reflecting corresponding social (family or ethnic) associations (Geus. 1991: 57-73; Reinold. 1987: 17-67).

It is possible that the variations in the Kadero I cemetery are due to factors suggested by Krzyżaniak. If confirmed, this would suggest that the emergence of a food-producing economy led to a new type of social organization.



(Figure (4): Rich Neolithic grave at Kadero (source: Krzyżaniak 1978.)

2.1. el Ghaba and el Kadada cemeteries:

A slightly different approach has been taken at the cemeteries of el Ghaba and el Kadada (Reinold. 1987: 17-67; 1991) (Figure 1, 5). More emphasis has been given to the social aspects in the analysis of the two cemeteries. Preliminary study of the graves was undertaken with the objective of analyzing cultural aspects. Subsequently, a series of attributes were analyzed and used to reconstruct a model of burial customs which reflects a degree of social complexity. The analysis was based mainly on the organization of the graves within the cemetery. Groups with either stratigraphic or topographic relationships were recognized. These groups were considered to be units reflecting corresponding social (family or ethnic) associations. The presence of peculiar vessel types and animal and possibly human sacrifices were also regarded as essential elements.

- Class I is composed of 38 burials (69%). These graves contain no furnishing. They contain only skeletal remains of both sexes and children of different ages.
- Class II is composed of 4 burials (7.2%). They contain a single pottery vessel in each grave with skeletal remains of both sexes and children of different ages.
- Class III numbers five graves (9.2%) and they contain one to three pottery vessels and/or utility ware, necklace of carnelian beads and other small personal adornments including small lumps of malachite/amazonite. They also contain skeletal remains of children.
- Class IV comprises eight graves (14.5%) which are demonstrably the richest in this cemetery. Their furnishing comprises fine pottery vessels, as well as beakers, personal adornments, and weapons. These graves contain skeletal remains of six adult males, two females and one child (Krzyżaniak. 1992: 270)

Krzyżaniak argues that the concentrated burials as found in the graves of Class IV and most of the graves of Class III represent “the graves of the individuals belonging to the elite of this Neolithic group” (Krzyżaniak. 1992: 270). The graves of Class I and Class II, on the other hand, seem to “belong to the individuals belonging to the lower part of the social pyramid of this group” (Krzyżaniak. 1992: 270).

At Kadero I cemetery, where the quality and quantity of grave goods has been used as an indication of social status, it may be that social status also played an important part in determining the location of the graves and their orientations. The graves of Class IV (“upper class”) occurred in a clear concentration and are located away from the graves of Classes I and II (“lower classes”), with most of the graves of Class I close to those of Class II.

The factors that govern the distribution of grave goods are not yet clear, but it is quite possible that social status played a key role in the distribution of grave goods in the cemetery of Kadero I. For example, mace heads, fine pottery vessels, personal adornments made of ivory and semiprecious stones were not in widespread use but seem to have been confined to the richest tombs.

This means that Krzyżaniak based his theoretical approach on two principles: the quality and the quantity of funerary furniture, in order to analyze the social position of this group, which may also indicate that the social position plays an important part in determining the location and directions of the grave. The factors governing the distribution of funerary furniture are not clear. However, we may assume that social status must have played a key role in this distribution, especially since most of the luxury items such as mace-heads, special pottery vessels, and personal adornments made of ivory or semi-precious stones were found in specific graves.

Krzyżaniak has used this finding to suggest that the presence of a mace- head in a male’s grave, when it is associated with other types of outstanding grave goods, is a symbol of power (Krzyżaniak. 1978: 169). While this kind of artifact was used as an indication of a chieftdom (Krzyżaniak. 1992: 271), the emergence of human sacrifices, the increasing

the Fourth Cataract, a total of 282 Neolithic sites, including graves, have been located on the Nile right bank between Karima and Khor el-Dagwali (Paner and Borcowski 2005, 91), but there has been no systematic excavation, or any detailed publication of the materials collected during the survey operations. Other Neolithic graves are documented in the Umm Melyekta Island. A total of 19 Neolithic graves have been excavated, but data from only one has been published (Fuller 2004). Infant pot burials beneath the floors of domestic houses or within the cemeteries are also found in sites dated to the Late Neolithic, especially at el-Kadada and es-Sour (Sadig 2005).

The Neolithic cemeteries provide us with a remarkable record displaying many similarities and testifying to a common link between the cultures along the Nile. There are, however, variations that may be interpreted as different modes of evolution or different regional adaptations. These cemeteries display many points in common, especially in material culture. The similarities and differences seem to translate to homogenous populations and indicate a fast evolution of the social order of the human groups.

What also distinguishes the Neolithic burials is that they have received special attention from archaeologists, as they are the basic complement to understanding Neolithic society and its customs, especially since they are an essential source for this type of study. Because of this interest, there have been many approaches used in studying graves and their contents. These approaches can be summarized in the following examples:

1.1. Kadero Cemetery:

In his excavations in the Kadero 1 cemetery north of Khartoum, Krzyzaniak (Krzyzaniak, 1992: 267-273) focused mainly on funerary furniture or grave contents (Figure 1, 4). He specifically aimed to identify social variation among Neolithic populations and the emergence of complex societies in the region. The early Kadero burials were divided on this basis into four categories according to the richness of the funerary furniture. Attention was also given to the spatial distribution of these graves in the cemetery. The application of this approach, however, depended largely on the breadth of the cemetery and the number of graves that could be studied. In other words, it is not feasible to apply it to a smaller number of cemeteries that do not allow clear boundaries for the differences in burial forms and rituals, depending on the funerary furniture.

After continuous studies in the cemetery that continued for more than 30 years, it was possible to identify the social composition of the Neolithic inhabitants of the region, as reflected in the Kadero cemetery, as consisting of four social classes, headed by the group whose graves were the richest graves with funerary furniture, and which called (the elite) (Krzyzaniak: 1992: 270).

The descriptions of these classes are:

specific cases (Arkell, 1949; Caneva, 1983).

In his excavations at the Khartoum hospital site, Arkell found several tombs under or near the dwellings. The tomb is a simple pit in which the dead are placed in a contracted position, with no convincing evidence of any sacrifices or grave goods. Arkell has noticed that the upper incisors have been removed from most of the skulls, which are similar to some of the southern Nile tribes who remove the lower incisors.

South on the White Nile, two tombs dated to the same period as the Khartoum Hospital site were excavated at Shabona (Clark 1989).

More than 100 burials have been recorded at El-Khiday 2 (16-D-4) dating back to the Pre-Mesolithic period (<9500->7000 cal BC). Most of them are simple graves containing elongated structures without any grave goods except for a single ivory bracelet (Salvatori et al. 2011). In northern Sudan, a cemetery dating from 7800–7000 cal BC was found containing fifty burials at el-Barga (Honegger 2006).

In general, there is little funerary goods in most of these excavated tombs. Often there is a suspicion that it is intrusive to the tombs. Grave goods mostly contain Mollusc shells, Nile oysters, bone tools, grindstones, and ostrich eggshell beads. Haaland (1993) pointed out the presence of a gazelle skull near the Damer site tomb on the Atbara River, and Arkell (1949) found a piece of pottery under one of the skulls.

It has been possible to identify more complex burial customs in Neolithic sites (5000 - 3000 BC), as evidenced by excavations at the sites of Kadero and Geili north of Khartoum (Krzyzaniak, 1992; Caneva, 1983) and Al-Ghaba and Kadada near Shendi (Reinold , 1987-1991). Most of these burials are characterized by the presence of superstructure that is often made of a low mound, or a pile of irregular stones, while the dead is buried in a contracted position in a circular or semi-circular pit, and is decorated with many jewelry, bracelets, necklaces, pottery vessels, polished axes, and stone coloring plates, bone and stone tools are placed next to it. Skulls of cattle and the skeletons of dogs and sheep were also found in some graves, the function of which remains unknown and may indicate the importance of these animals to society and funerary rituals. In addition, burials containing two or three individuals were found, which was explained by the practice of the custom of human sacrifices, which spread widely in a later period, especially in the period of the Kerma civilization (2500 - 1500 BC).

On the evidence of the first excavations at Shaheinab, Arkell suggested that Early Neolithic people were not burying their dead. Only since the late 1970s have significant numbers of burials been excavated in the Khartoum region, in the Shendi region, and at Kadruka, el-Barga, R12 and Al Multaga in Dongola region.

Other Neolithic cemeteries together with occupation scatters have been located along the Nile west bank north of Dongola by S.T. Smith (2003, 165). Further south, east of



Figure (3): Archival photograph illustrating the double grave of individuals JS 20 and JS 21 with pencils indicating the position of associated lithic artefacts. © Wendorf Archive, British Museum.

Despite the comprehensive exploration operations in Lower Nubia at that time, no burials from the Paleolithic period were found, and in fact no burials dating back to that period were discovered in the whole Sudan. This cannot be explained unless it is related to the research processes themselves and their methods for uncovering or exposing burial sites. This complete absence of Paleolithic cemeteries prevailed in every region of northern Sudan, until Neolithic cemeteries were revealed in the Kadruka and other sites near Karma.

On the other hand, archaeological exploration and research in the central Sudan region provided a few cemeteries dating back to the Mesolithic period, or what is known as the Early Khartoum period (about 8000 - 5000 BC), in which burial customs differ greatly from the cemetery of Jebel Sahaba. The most important of these differences is the absence of any super structure for the grave and the absence of grave goods except in a few cases, as in Saggai (Caneva, 1983: 21-24) and the Khartoum Hospital site (Arkell, 1949: 31-35).

Due to the lack of data related to the dead, such as the contents of the grave and burial rituals, the Mesolithic cemeteries did not receive adequate detailed study or a clear approach to obtaining information related to ancient society. The focus was instead on studying the settlements and their contents and studying ancient technologies and their regional parallels. Also, little consideration was given to studying bone evidence except in

entrusted to it, especially since there were many factors that affected the work of this mission and others, the most important of which was the breadth of the region. In addition, there was no other expedition working in Stone Age sites except the Scandinavian Joint Expedition SJE. There are other factors that affected the final results of the joint mission, as most of its members came to Lower Nubia for the first time from multiple countries, diverse backgrounds, and with little experience with the problems of African antiquities. In addition, the region itself was archaeologically unknown in the field of the Stone Ages, and the prevailing belief in the literature was that it had no contributions to that period. Therefore, it was a good opportunity to apply new methods and techniques in research. In most cases, field techniques followed western approaches, which were usually modified year after year.

According to Wendorf (Wendorf: 1968a), the basic unit of research is the collection of common tools from sites, which is called an Assemblage. The various assemblages are grouped into units according to the qualitative and technical similarities between them. He called these units industries, and it is believed that they reflect a degree of cultural homogeneity of a human group.

The Jebel Sahaba cemetery received increasing interest from the mission because it was the first cemetery found in Sudan from the Paleolithic period to contain such a large number of skeletons. Therefore, it was completely excavated, but in a noticeably short time, as allowed by the limited time for rescue work in the area, and because the mission is committed to covering the largest possible area through surveying and excavation. In every case, all the skeletons were carefully studied and their locations in the cemetery, their directions, and their position during burial were determined, and then the sex and age of each skeleton was determined (Wendorf 1968a, Wendorf and Schild, 2004).

Qadan is one of the most important Upper Paleolithic industries in Lower Nubia (13,000 to 9,000-8,000 years ago), which is characterized by microlithic stone techniques and residential camps near the river. Sites were small at first and then became larger in size. Archaeological remains also indicate a greater focus on large animals and fishing. For the first time, grinding tools are found as an indication of the importance of grinding wild grains. Tombs consisting of deep oval pits that were sometimes covered with slabs of stone, the most famous of which were those found near Jebel Sahaba, and in the Toshka area.

This cemetery of Jebel Sahaba was ultimately interpreted as a result of dispute or the outbreak of a conflict for several reasons, based on the adhesion of some stone arrowheads to the skeletons in which it was assumed that some of their owners died as a result of a fight. These results contributed to identifying several ideas related to the size and social structure of the human groups that existed in northern Sudan at that time, and the nature of the relationships between these groups. Perhaps the most interesting in this regard relates to the violence, the results of which were evident in a number of skeletons. But the conclusion reached by the mission was that violence was a very normal occurrence in the region at that time, given that this cemetery was ideal for this incident, and for reasons related to the environmental changes that prevailed at that time (Muhammad-Ali, 2003, 10-14).

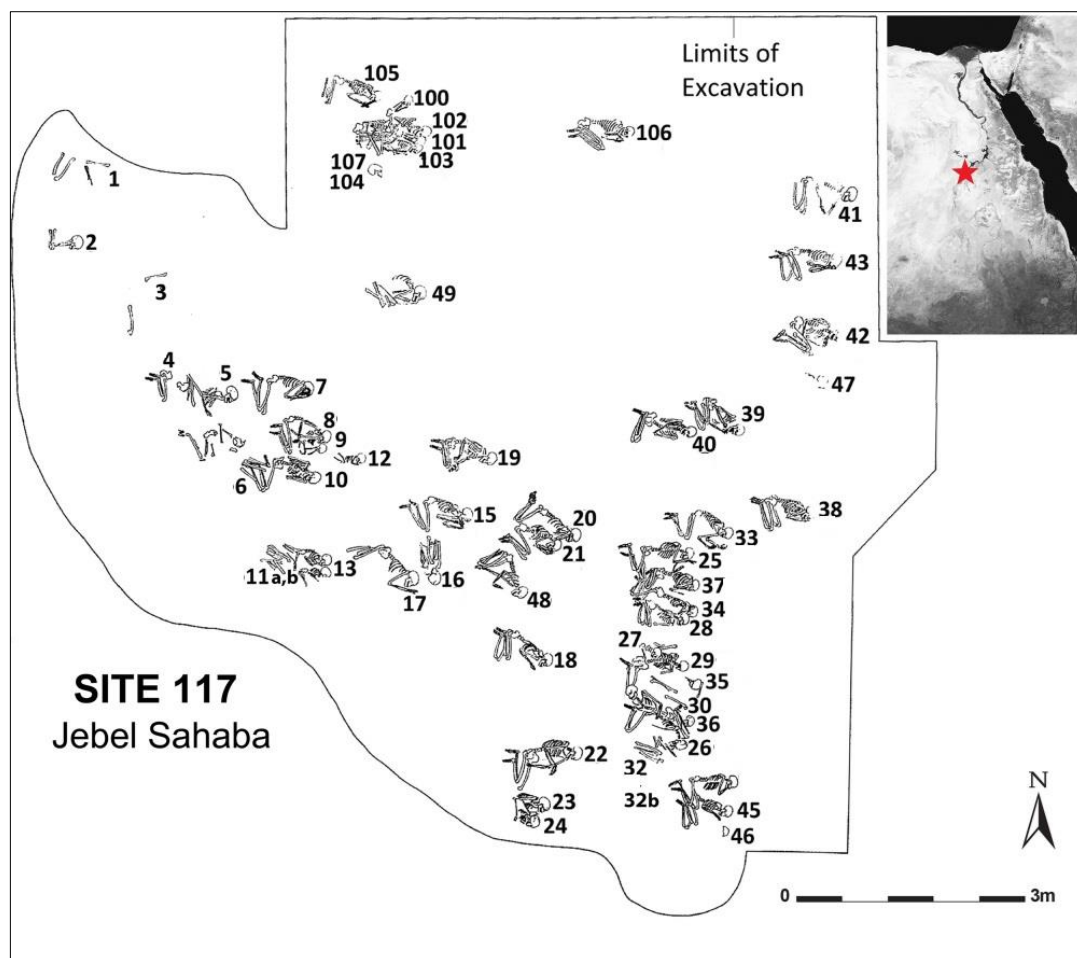


Figure (2): Location of the Jebel Sahaba cemetery, Site 117, and a general plan of the burials, showing the locations and positions of the skeletons (modified from Crevecoeur et al 2021 and Wendorf and Schild, 2004: 9)

These three groups of burials were among the most important discoveries of the prehistoric missions working in the International Campaign to Save the Monuments of Nubia (1959-1966 AD), as they are among the oldest burial evidence ever in the aforementioned region. It also formed a new basis for the history of archaeological research in Lower Nubia, which until the date of this campaign had largely neglected any of the Stone Age periods. Stone Age studies were introduced for the first time into the field work program despite doubts about the difficulty of finding important discoveries. One of the most important missions that conducted prehistoric studies was the Combined Prehistoric Expedition (CPE), which worked in a wide area extending from the Sudanese-Egyptian border in the north, to the south of the Second Cataract, and uncovered the aforementioned burials.

The approach followed by this mission was consistent with the difficulty of the task

called Abd al-Qadir), and dates to about 13,000 to 8,000 BC.

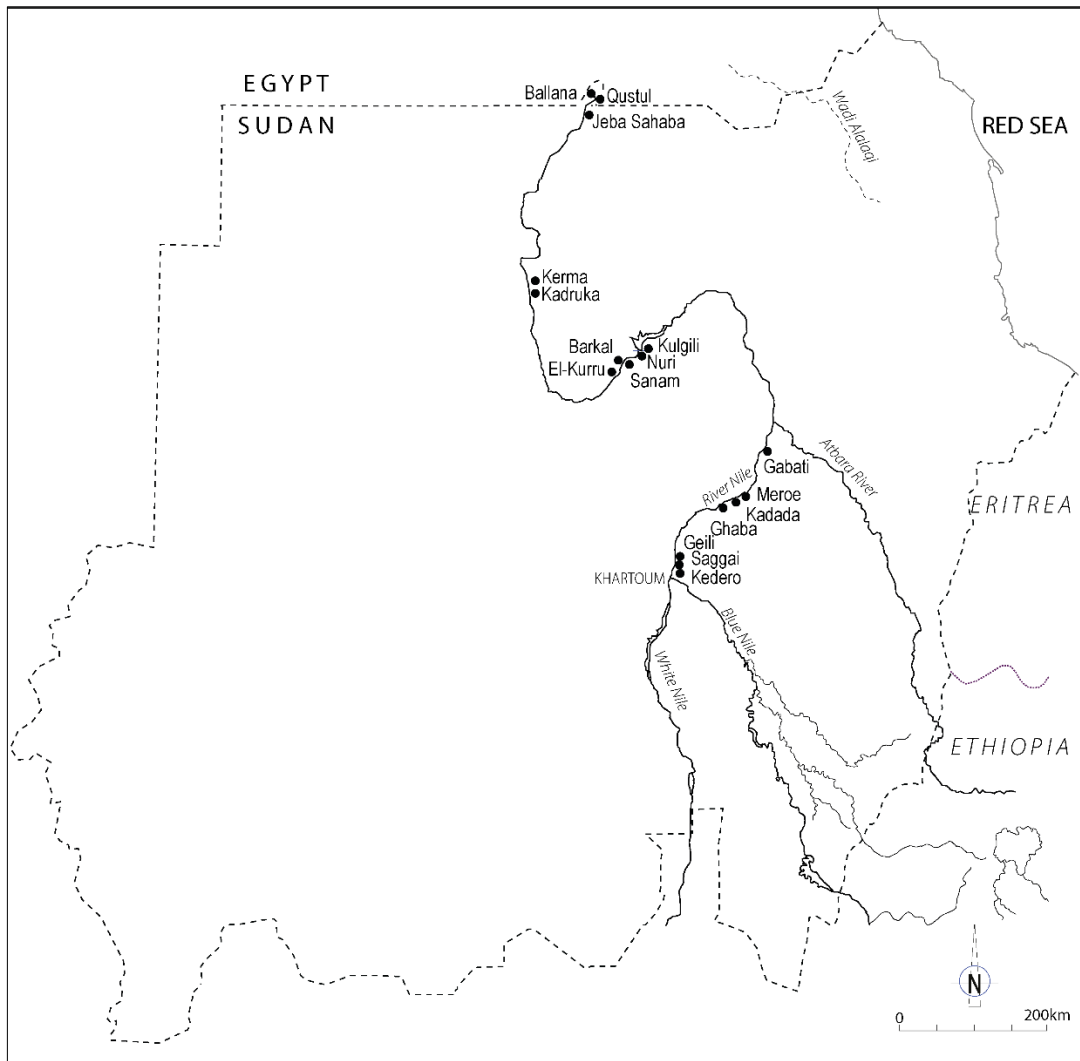


Figure (1): Some of the burial sites mentioned in the text.

The most famous of these burials is the one found near Jabal al-Sahaba, 3 km from Wadi Halfa, known as Site 117 (Figure 1, 2 and 3). This cemetery contains 58 skeletons of both sexes, and evidence indicates that at least 6 individuals buried in that cemetery died as a result of some violence, as 116 stone tools were found near 24 skeletons, 6 of which were inside the bones of those skeletons, which was interpreted as an indication of the outbreak of conflicts and territorial disputes between groups in that period (Wendorf, 1968b).

This paper was presented for the first time in Arabic in 2004 at the Union of Arab Archaeologists conference in Cairo and published in Arabic in 2006 (Sadig and Elhassan, 2006). The study contributed greatly to understanding many of the methodological and theoretical aspects of studying burial sites and the key role it played in the emergence and development of archaeology, especially in Sudan. The study provided a detailed explanation of the methodologies and interpretations that were developed to study burial sites in Sudan in the prehistoric and historical periods, with a special focus on the incorrect analyzes produced by the theory of diffusion at the end of the nineteenth century, which remained circulated in foreign and Arab literature about the origins of the population and their cultural role in the Nile Valley. We believed that publishing a revised and updated version in English would provide greater understanding to a wider range of readers around the world to understand the methodologies and theoretical explanations about prehistoric and ancient burials in Sudan.

In its early days, archeology was based on work on large-scale burials. Working in cemeteries has contributed to understanding cultural development and revealing the nature of many ancient cultures and civilizations. The cemeteries also preserved many more collectibles and archaeological finds than the settlements, which contributed to revealing this picture. Sudan was not an exception to this. Most of the early archaeological work in Sudan focused largely on excavating tombs, especially those surveys and excavations that took place in the northern part of Sudan, which contributed to establishing an approximate chronology of the history and civilization of ancient Sudan and shed light on many of its secrets.

In general, the cemeteries contributed to identifying multiple aspects of Sudan's history, extending from the Upper Paleolithic Age, until the period preceding the introduction of Christianity in Sudan, that is, the period extending from 13.000 BC to 580 AD (Figure 1).

This long period of time witnessed multiple types of burials, including mounds with simple, side or multiple pits, or rooms and *mastabas*, and pyramids. It has often been explained that the group of tombs and their internal and external structures may be evidence of the end of a period and the beginning of a new period in the history of ancient Sudan. For this reason, burials were given special treatment in archaeological research, and are referred to as one of the key features in distinguishing ancient cultures and civilizations. Hence, there are many approaches to studying burials. These approaches to interpretation and analysis were based on many archaeological and anthropological theories with multiple and disparate orientations.

1. Prehistoric Burials:

The oldest burials were uncovered in northern Sudan in Lower Nubia, at the sites of Jabal al-Sahaba (Wendorf, 1968a) and Al-Jazira Debrossa, near Wadi Halfa, and Toshka (Wendorf, 1968b, 869-875), and were attributed to the Qadan culture (according to site

Prehistoric and Historical Burial Sites in Sudan: Theory and Methods of Interpretation

Azhari Mustafa Sadig, Professor of Archaeology, King Saud University

Gamal G. Abbass Elhassan- Professor of Archaeology, University of Jazan

Abstract

This study aims to present theoretical and methodological models and interpretive data applied to the study of burial sites in Sudan dates to the prehistoric and historical periods (specifically between 13,000 BC and 580 AD). The study indicates the limitations of the archaeological methods and theories used as research foundations for studying these burial sites, despite their fundamental importance in exploring ancient social practices. Moreover, the study discusses the views of some early researchers who relied on the principle of the theory of cultural change, diffusion and migration in interpreting early burial sites in Sudan..

Keywords: ancient burials - prehistory - historical period - Sudan - archaeological theories and methods

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم النماذج النظرية والمنهجية والبيانات التفسيرية المطبقة على دراسة مواقع المدافن في السودان خلال فترات ما قبل التاريخ، والفترة التاريخية (تحديدا ما بين ١٣٠٠٠ قبل الميلاد و ٥٨٠ م). تشير الدراسة إلى محدودية المناهج والنظريات الأثرية المستخدمة بوصفها أسسا بحثية لدراسة هذه المدافن، على الرغم من أهميتها الجوهرية في استكشاف الممارسات الاجتماعية القديمة. علاوة على ذلك، تناقش الدراسة وجهات نظر بعض الباحثين الأوائل الذين اعتمدوا على مبدأ نظرية التغير الثقافي، والانتشار والهجرة في تفسير مواقع المدافن المبكرة في السودان.

الكلمات المفتاحية: المدافن القديمة – ما قبل التاريخ – الفترة التاريخية – السودان – نظريات علم الآثار ومناهجه

أنت/ي:

6. كنت/ي بزيارة لمكتب أبوك بالعمل وانكبت القهوة بالغلط على مكتبه، كيف تعتذر/تعتذرين منه؟

.....

7. ولد الجيران عمره 6 سنوات، دخلت/ي حصلة/حصلته يلعب بجوالك وشاشته مكسورة وضربته/ضربتته.

ولد الجيران: مو أنا اللي كسرتة

أنت/ي:

8. وعدت/ي صديقك/صديقتك تساعده/تساعديها بالمذاكرة في فترة الإمتحانات بس ما لقيت/ي وقت وماكنت/ي عند وعدك، كيف تعتذر/تعتذرين منه/ا؟

.....

9. تسلفت/ي كتاب من المكتبة لكن قبل ما ترجعه/ترجعيه أخوك الصغير شق الورقة الأولى

راعي المكتبة: شفيه الكتاب؟

أنت/ي:

10. وعدت/ي أخوك الصغير تشتريه آيس كريم يوم الجمعة وبنفس اليوم حصل لك ظرف طارئ ونسيت/ي وعدك لأخوك الصغير، لما رجعت/ي البيت:

أخوك الصغير: وين آيسكريمي؟

أنت/ي:

APPENDIX

هذا الاستبيان يتكون من عدة مواقف قد تحدث في حياتنا اليومية، يرجى التعليق على كل موقف بشكل صريح وواقعي باستخدام اللغة العامية.

جميع التعليقات سوف تؤخذ بعين الاعتبار وسيتم إدراجها في الورقة البحثية

القسم الأول:

الجنس: 1- ذكر 2- أنثى

القسم الثاني:

1. صديقك/صديقتك في العمل أعطاك/أعطتك ورق توصله/توصلها لشخص آخر لكن أنت/ي ضيعت/ي الورق.

صديقك/صديقتك: وصلت/ي الورق؟

أنت/ي:

2. كنت/ي تمشي/ن بمكان عام ودفعت/ي كبير/ة سن بغير قصد وطاح/ت عالارض، كيف تعتذر/تعتذرين منه؟

.....

3. قدمت/ي على وظيفة وفي موعد المقابلة تأخرت/ي نص ساعة بسبب زحمة الطريق ز لما وصلت/ي حصلت/ي المدير بانتظارك

المدير: أخيرا وصلت/ي

أنت/ي:

4. أبو صديقك/صديقتك توفي بس ما رحت/ي تعزيه/ا تقابلتوا بعد أيام.

صديقك/صديقتك: أهلا

أنت/ي:

5. وأنت/ي داخل/ه الكوفي صدمت/ي بالنادل وطاح الصحن اللي بيده.

النادل: انتبه/ي المرة الجاية

References

- Alsulayyi, M. N. 2016. Apology strategies employed by Saudi EFL teachers. *Advances in Language and Literary Studies*, 7(6), 70-83.
- Bataineh, R. F., & Bataineh, R. F. 2006. Apology strategies of Jordanian EFL university students. *Journal of pragmatics*, 38(11), 1901-1927.
- Bergman, M. L., & Kasper, G. 1993. Perception and performance in native and non-native apology. *Interlanguage pragmatics*, 4(1), 82-107.
- Demeter, G. 2006. *A pragmatic study of apology strategies in Romanian*. Oklahoma State University.
- Garcia, C. 1989. Apologizing in English: Politeness strategies used by native and non-native speakers.
- Harb, M. A. 2015. On gender and apology strategies: The case of Arabic. *Gender Studies*, 14(1), 224–265.
- Jebahi, K. 2011. Tunisian university students' choice of apology strategies in a discourse completion task. *Journal of pragmatics*, 43(2), 648–662.
- Nureddeen, F. A. 2008. Cross-cultural pragmatics: Apology strategies in Sudanese Arabic. *Journal of pragmatics*, 40(2), 279-306.
- Olshtain, E. 1989. Apologies across languages. *Cross-cultural pragmatics: Requests and apologies*, 155-173.
- Ugla, R. L., & Abidin, M. J. Z. 2016. A Study of Apology Strategies Used by Iraqi EFL University Students. *International Journal of Evaluation and Research in Education*, 5(1), 32-38

Abbreviations

| Abbreviation | Meaning |
|--------------|---------------------------------------|
| DCT | Discourse Completion Task |
| IFID | Illocutionary Force Indicating Device |
| RESP | Acknowledgment of Responsibility |
| EXPL | Explanation |
| REPR | Offer of Repair |
| FORB | The Promise of Forbearance |
| KSA | Kingdom of Saudi Arabia |

"I will not forget next time, I promise."

Unlike female responses, there were four situations in female responses used FORB; situation ten scored the highest number equally with male responses, followed by situation 1 (The Lost paper),

e.g., "اعطيني ورق ثاني واعدك ما راح اضيعه ثاني"

"Give me the papers again, and I will not lose them again, I promise."

Situation 5 (Bumping into the waiter), e.g., "إن شاء الله," which means if Allah wills, I will not bump you again, situation 8 (Helping friend). More females than males employ this strategy. It could imply that women view this as a sign of politeness or kindness.

The above Tables show that gender greatly influences how various apology strategies are used; this finding is similar to the results reported (AlSulayyi, 2016, 11). For instance, female students outperform male students by using apology strategies. Furthermore, instead of differences, there are similarities in using apology strategies between male and female students at Madrasah Secondary School. In addition, teenage students at Madrasah Secondary School used an apology with a compliment to apologize to parents.

Conclusion

The general goal of this research was to accomplish two goals: (1) identify the apology strategies used by teenage students at Madrasah Secondary School, and (2) determine if gender plays a role in using apology strategies between males and females. Regarding the first goal, the data analysis revealed that an IFID is the most used apology strategy by teenage students at Madrasah secondary school. EXPL, REPR, RESP, and FORB follow them. Q2 For the second goal of this research, the results show that gender greatly influences how various apology strategies are used. For instance, female students outperform male students by using apology strategies. In addition, teenage students at Madrasah Secondary School used an apology with a compliment to apologize to parents.

Recommendations for future studies

- Various methods (e.g., DCT, role-play interviews) should be used to get more accurate findings on how native Arabic speakers use apology strategies.
- Furthermore, a longer-term study is necessary to investigate apology strategies.
- The researcher suggests more studies on other social characteristics, including age.

Kissing the head of an older woman/man indicates excellent respect and appreciation in Madrakah village. With males, situation 6 (spilled coffee in father's office) is the second highest number,

e.g., "ما انتهت للقهوة فين المناديل امسحها"

"I did not notice the coffee; where are the napkins to clean it?"

"امسح اللي انكب وابوس راس طويل العمر"

"Wipe what spilled and kiss the head of the dear father."

These respondents tend to respect the Father as Abu Darda' heard the Prophet (ﷺ) say: "The Father is the middle door of Paradise (i.e., the best way to Paradise), so it is up to you whether you take advantage of it or not.*. Situations 3-4 (Coming late to meet the manager)- (Death of the friend's father) have no responses for both genders because they are things that have no compensation. The responses for situation 8 (Helping friend) are similar between males and females,

e.g., "ادفع له قيمة مدرس خصوصي"

"Pay for him the price of a private teacher."

"ارسل لها ورد اعتذار"

"Send her flowers as an apology."

"ابشري بالعووض وقهوتك اليوم عليا"

"I will pay for your today' coffee."

These are indications of the value of friendship between them.

3.2.5 The Promise of Forbearance (FORB)

The final apology strategy observed in the participants' responses was a promise of forbearance. (Harb,2015,27) explains this strategy as better behavior in the future. Table 6 shows that female students outperform male students when using the FORB apology strategy (6% vs. 3%); the difference is (3%). There was only one situation where male participants used FORB, with situation 10 (Forgot a promise to little brother).

e.g., "اوعدك ما انسى المرة الجايه"

The respondent here fixed an explanation with humor and compliments; it could ease the seriousness of the situation. This type of apology is often used with parents.

3.2.4 Offer of Repair (REPR)

Nuredeen (2008, 12) defines an offer of repair as the speaker making an effort to make amends or pay for the harm the offense caused. Table 5 shows that female students outperform male students when using the REPR apology strategy (38% vs. 25%); the difference is (13%). Males used REPR 25% and females 38%. Situation 10 (Forgot a promise to little brother) scores the highest number for both; it could tend to the Islamic religion recommended sympathizing with the little ones,

e.g., "الآن يجيك أحلى آيس كريم"

"The best ice cream comes to you now."

"شرايك نطلع انا وانت بكرة اشترى لك آيس كريم ونروح الالعاب؟"

"What do you think about you and me going out tomorrow, buying you an ice cream, and going to the games?"

And one of the responses,

e.g., "اوعدك بكرة اجيبلك بدل الآيس كريم عشر إن شاء الله"

"I promise you tomorrow I will bring you ten instead of one ice cream, god willing."

"بكرة أعوضك إن شاء الله"

"Tomorrow, I will compensate you, god willing"

It is an indication of generosity with the Saudi people in general. It has been discovered that this strategy includes the speech act of promise as one of the realizations. Also reflecting the cultural background of Saudi norms as a reflection of the Islamic community is the use of "Insha'Allah."

Situation 9 (Push an old adult) is the next rating with females,

e.g., "خليني أساعدك تقومين ياخاله وأحب راسها"

"Let me help you, aunt. And kissing her head."

3.2.3 Explanation (EXPL)

As Table 4 shows above, female students outperform male students when using the EXPL apology strategy (58% vs. 42%); the difference between them is (16%). Males' responses for all situations scored 42%, while females' responses scored 58%. Situation 3 (Coming late to meet the manager) scores the highest number for both.

e.g., "الطريق كان زحمة" "تأخرت بسبب زحمة الطريق"

"The road was traffic." "I was late because of the road traffic."

"طلعت بدري بس مسكتني زحمة حادث ما توقعتها"

"I went out early but found an accident traffic I did not expect."

With male responses situation, 2 (The torn textbook) was the second highest situation,

e.g., "اخوي الصغير شق الورقة بغير قصد منه"

"My little brother tore the paper unintentionally."

In contrast, with female responses situation, 1 (The Lost paper) scores the second highest number,

e.g., "ضاعت مني قبل اوصلها وماحصلتها اعذرني"

"It was lost before I delivered it, and I did not find it. Excuse me."

"اعتذر والله بس الورقة ضاعت مني مدري شلون ضاعت"

"I apologize, wallah. The paper was lost from me, and I do not know how it was lost."

Furthermore, situation 7 (Slapping the child) scores the lowest number for both; the age of the child may be a factor in this; the speaker (S) may have reasoned that the child would not grasp the reason(s) and perhaps that they would not matter to the child. As an alternative, it might be read regarding the child's status; it might be that young children have lesser status and are not thought to warrant an explanation (Harb, 2015, 24). One of the responses for situation 6 (spilled coffee in father's office) was

"القهوة من طيبكم قامت تصب روحها على مكانكم"

"The coffee poured itself in your place because of your kindness."

Table 2 shows that an IFID is the most common apology strategy category between both groups; participants used an IFID in all situations with different numbers. This comparison shows that female students outperform male students when using the IFID apology strategy (75% vs. 60%); the difference is (15%). Males used an IFID strategy at 60%. Situation 5 (Bumping into the waiter) scores the highest number, while situation 10 (Forgot a Promise to Little Brother) scores the lowest. In addition, females used an IFID strategy of 75%, while situation 3 (Coming late to meet the manager) scored the highest, unlike situation 7 (Slapping the child), which scored the lowest number. Here, both males and females do not apologize to children even if they slap them. It is emphasized that in Madrasah, it is not customary to apologize to children. It is believed that there is no need to do so because slapping is seen as part of the upbringing and discipline process. Jebahi (2011, 4) states that children do not receive apologies in Tunisia because they "will soon grow up and forget."

3.2.2 Acknowledgment of Responsibility (RESP)

AlSulayyi (2016, 2) explains this strategy as the apologizer makes an effort to apologize for their error using verbal and nonverbal actions. Harb (2015, 21) lists taking responsibility into three subcategories:

- Accepting the blame, e.g., (الغلط مني, the fault by me),
- Embarrassment, e.g., (الصراحة محرج منك, honestly I feel embarrassed of you),
- Lack of intention, e.g., (غصب عني, against my will)

Table 3 shows that female students outperform male students when using the RESP apology strategy (25% vs. 22%); the difference is (3%). Males used RESP 22% and females 25%, while situation 10 (Forgot a promise to little brother) Scored the highest number for both males and females equally, with situation 8 (Helping friend) with females,

e.g., "أدري إني وعدتك"

"I know I promised you"

It is essential to note that accepting responsibility is the "most explicit, most direct, and powerful apology strategy" (Nuredeen, 2008, 12). On the other hand, like in situation 7 (slapping the child), one of the female responses denies the responsibility.

e.g., "أنا شايفه الجوال بيدك يعني أنت اللي كسرتة"

"I see the phone with you, which means you are the one who broke it."

"Sorry"

"Apologize"

This finding is similar to the results reported by (Alsulayyi, 2016, 6). An explanation or account of the situation (EXPL) (53%) was the second highest rank of apology strategies,

e.g., "الطريق كان زحمة"

"أخوي شق الورقة الأولى"

"The road was traffic."

"My brother tore the first paper."

Followed by an offer of repair (REPR) (31.5%) was the third highest rank like the results reported by (Harb, 2015, 30),

e.g., "راح ادفع ثمن الكتاب"

"قهوتك اليوم علي"

"I will pay the price of the book."

"I will buy you a coffee today."

An acknowledgment of responsibility (RESP) (23%) was the fourth rank of apology strategies,

e.g., "انشقت بسبب خطأ مني"

"It tore by the wrong of me."

Finally, the lowest strategy is a promise of forbearance (FORB) (4.5%).

e.g., "أوعدك ما أنسى المرة الجايه"

"I will not forget the next time, I promise."

3.2.1 Illocutionary Force Indicating Device (IFID)

This strategy involves the use of common apology expressions like "I'm sorry" and "I apologize". (Harb, 2015, 19) lists these expressions into three subcategories:

- An expression of regret, e.g., (I am sorry, أنا آسف),
- An offer of apology, e.g., (apologize, أعتذر),
- A request for forgiveness, e.g., (forgive me, سامحني).

Bergman & Kasper (1993, 88) provide an example of the IFID strategy, The book that speaker A borrowed from speaker B has yet to be returned. I am sorry, Speaker A says in apology. I forgot to bring your book. Here, speaker A uses the word "sorry" to communicate his or her remorse to apologize for the wrongdoing.

| | | | | | | | | | | | | |
|--|--------|---|---|----|---|---|---|---|---|---|---|-----|
| | Female | 9 | 7 | 10 | 6 | 3 | 7 | 0 | 8 | 2 | 6 | 58% |
|--|--------|---|---|----|---|---|---|---|---|---|---|-----|

Explanation (EXPL) among male participants could be seen in all situations; among female students, it was seen in nine situations. Situation 3 (Coming late to meet the manager) scores the highest respondents rank with male and female students. Situation 7 (slapping the child) scores the lowest for male and female students, while situation 6 (spilled coffee in the father's office) scores the lowest for respondents with male students.

Table 5: Percentages of REPR among males and females:

| | | SITUATIONS | | | | | | | | | | |
|------|---------------|------------|----|----|----|----|----|----|----|----|-----|----------------|
| | <u>GENDER</u> | S1 | S2 | S3 | S4 | S5 | S6 | S7 | S8 | S9 | S10 | <u>TOTAL</u> % |
| REPR | Male | 0 | 3 | 0 | 0 | 0 | 5 | 2 | 2 | 4 | 9 | 25% |
| | Female | 2 | 5 | 0 | 0 | 1 | 7 | 1 | 4 | 8 | 10 | 38% |

The use of Offer of Repair (REPR) among male students could be seen in six situations, while in eight situations among female students. Situation 10 (Forgot a Promise to Little Brother) scores the highest rank for both male and female students.

Table 6: Percentages of FORB among males and females:

| | | SITUATIONS | | | | | | | | | | |
|------|---------------|------------|----|----|----|----|----|----|----|----|-----|----------------|
| | <u>GENDER</u> | S1 | S2 | S3 | S4 | S5 | S6 | S7 | S8 | S9 | S10 | <u>TOTAL</u> % |
| FORB | Male | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 0 | 3 | 3% |
| | Female | 1 | 0 | 0 | 0 | 1 | 0 | 0 | 1 | 0 | 3 | 6% |

The promise of forbearance (FORB) among male students could be seen only in situation 10 (Forgot a promise to little brother), while it was seen in four situations among female students. Situation 10 (Forgot a Promise to Little Brother) scores the highest rank for both male and female students.

3.2 Discussion

As shown in Table 1, teenage students at Madrasah Secondary School used an Illocutionary Force Indicating Device (IFID) (67.5%) more than other strategies.

e.g., "آسف" "أعتذر"

The tables below show the findings related to this research's second question, the gender role in using apology strategies between males and females.

Table 2: Percentages of IFID among males and females

| | | <u>SITUATIONS</u> | | | | | | | | | | |
|-------------|---------------|-------------------|----|----|----|----|----|----|----|----|-----|----------------|
| | <u>GENDER</u> | S1 | S2 | S3 | S4 | S5 | S6 | S7 | S8 | S9 | S10 | <u>TOTAL</u> % |
| IFID | Male | 7 | 6 | 6 | 5 | 9 | 7 | 3 | 8 | 8 | 1 | 60% |
| | Female | 9 | 7 | 10 | 8 | 8 | 9 | 3 | 7 | 9 | 5 | 75% |

Thus, the use of Illocutionary Force Indicating Device (IFID) among male and female student participants could be seen in all situations; situation 5 (Bumping into the waiter) scores the highest rank of respondents with male students, while situation 3(Coming late to meet the manager) scores the highest rank of respondents with female students. On an Illocutionary Force Indicating Device (IFID) strategy, female students outperform male students who use this strategy.

Table 3: Percentages of RESP among males and females

| | | <u>SITUATIONS</u> | | | | | | | | | | |
|-------------|---------------|-------------------|----|----|----|----|----|----|----|----|-----|----------------|
| | <u>GENDER</u> | S1 | S2 | S3 | S4 | S5 | S6 | S7 | S8 | S9 | S10 | <u>TOTAL</u> % |
| RESP | Male | 4 | 3 | 0 | 0 | 1 | 2 | 1 | 4 | 2 | 5 | 22% |
| | Female | 3 | 1 | 0 | 0 | 4 | 4 | 0 | 5 | 3 | 5 | 25% |

Thus, the use of Acknowledgment of responsibility (RESP) among male participants could be seen in eight situations and among female students in seven situations. Situation 10 (Forgot a Promise to Little Brother) scores the highest in respondents' rank with male and female students. Situations 3 (Coming late to meet the manager) and 4 (Death of a friend’s father) scored zero in respondents' rank for male and female students. In contrast, situation 7 (slapping the child) scored zero respondents with female students.

Table 4: Percentages of EXPL among males and females

| | | <u>SITUATIONS</u> | | | | | | | | | | |
|-------------|---------------|-------------------|----|----|----|----|----|----|----|----|-----|----------------|
| | <u>GENDER</u> | S1 | S2 | S3 | S4 | S5 | S6 | S7 | S8 | S9 | S10 | <u>TOTAL</u> % |
| EXPL | Male | 4 | 8 | 9 | 3 | 3 | 1 | 1 | 7 | 4 | 2 | 42% |

2.3 The use of the colloquial dialect

The situations in this research are written in the colloquial dialect of Saudi Arabia. Therefore, participants in this study used colloquial dialects to ensure that responses closely mirrored natural conversations. Asking informants to use their everyday language appeared more authentic and valid for capturing realistic responses.

2.4 Data Analysis

Percentages were used in discussing and analyzing the findings to determine which apology strategy has the greatest or lowest statistical frequency among respondents' selections. The data were collected based on the acceptable judgments of the responses.

2.5 Apology strategies

Five apology strategies are proposed by Blum-Kulka in 1984 (as cited in Harb, 2015, 19). These strategies include the following: Illocutionary Force Indicating Device (IFID), an acknowledgment of responsibility (RESP), An explanation (EXPL), an offer of repair (REPR), and A promise of forbearance (FORB).

3. Results and discussion

3.1 Results

Table 1 shows the DCTQ results. These findings relate to the research's first question, the apology strategies used by teenage students at Madrasah Secondary School.

Table 1: Apology strategies used by Saudi teenage students at Madrasah Secondary School

| <u>Apology strategies</u> | <u>Percentage</u> |
|---------------------------|-------------------|
| IFID | 67.5% |
| RESP | 23% |
| EXPL | 53% |
| REPR | 31.5% |
| FORB | 4.5% |

As seen in Table 1, the Illocutionary Force Indicating Device (IFID) has the highest percentage among all the apology strategies. An explanation (EXPL) is the second rank, followed by an offer of repair (REPR), an acknowledgment of responsibility (RESP), and A promise of forbearance (FORB) strategy, which is the lowest strategy.

Finally, (Harb 2015,1) aims to determine whether gender influences the apology strategies used by native Arabic speakers, i.e., how Arab males and females express apologies in different situations. Data for his research were gathered using a Discourse Completion Task (DCT) questionnaire that included ten real-life scenarios in the form of short descriptive statements. Participants' responses were analyzed and classified into five distinct apology strategies based on the Cross-Cultural Speech Act Realization Patterns: (Illocutionary Force Indicating Device (IFID), Responsibility (RESP), Explanation (EXPL), Repair (REPR), and Forbearance (FORB)). The researcher initially hypothesized that participants' apology strategies would show more differences than similarities among Arabic native speakers. Regardless of gender, the data analysis revealed more similarities than differences. There were no statistically significant differences found.

In fact, from all the previous studies mentioned above, this research will differ in some areas. For example, the research setting is Madrasah secondary school, and the participants are between (16-17) years.

2. Methodology

2.1 Sample of the research

This research consisted of twenty participants: ten males and ten females. All participants are from Madrasah secondary school, and their ages are between (16-17). All twenty participants are native speakers of Arabic.

2.2 Data collection instrument

The data instruments in this research are qualitative and quantitative data. Quantitatively, the participants' responses were analyzed to determine percentages, present the most used apology strategies, and identify the gender role in the responses between females and males. At the same time, qualitatively, the researchers categorized the responses to the DCT questionnaire. A Discourse Completion Test (DCT) was adopted from previous studies (see Harb,2015,40 & Jebani,2011,10) to elicit data because the DCT helps achieve research goals and accounts for gender differences.

The DCT questionnaire is made up of two sections:

- 1- demographic data (gender: male and female).
- 2- Ten situations, each of which involves a situation that requires an apology. Situation 1, for example, represented the situation of a friend's lost most essential papers. Respondents were asked to state what they would say to the friend when he asked about the papers (see the appendix).

face-saving and face-threatening for the hearer (Olstain,1989,156). Moreover, Garcia (1989:44) gives a further definition of apology: "an explanation offered to a person affected by one's action that no offense was intended, coupled with an expression of regret for any that may have been given; or a frank acknowledgment of the offense with an expression of regret for it, as a form of reparation."

1.5 Previous Studies on Apology

In the area of apology strategies, several researchers have conducted some research. For instance, AlSulayyi (2016,1) focuses on factors including social distance, power, and the seriousness of the offense while analyzing the apology strategies employed by 30 Saudi EFL teachers in Najran, Saudi Arabia. His research outlines gender variations in the respondents' speech—using a Discourse Completion Task, which consisted of 10 situations, intended to assess how respondents would respond when they imagined themselves to be members of various social statuses, whether higher, lower, or equal. The ten situations that make up the exam employed in his study also took social distance and power into account. According to the findings, IFID, downgrading responsibility (DR), upgrading, offering a repair, taking responsibility, and verbal redress are the strategies for apologizing to those Saudi respondents used the most frequently. The findings also showed that gender greatly influences how various apology strategies are used. For instance, males employ the IFID and upgrader strategies more frequently than females, and females use the DR strategy more frequently than males.

Moreover, Nuredeen's (2008,1) research outlines the type and extent of apology strategies in Sudanese Arabic, shedding light on the community's sociocultural attitudes and values. The corpus studied consisted of 1082 responses to a Discourse Completion Test (DCT) that included 10 different social situations with varying degrees of offense, the strength of social relationships, and power between hypothetical speakers and hearers. The informants were 110 adults from Khartoum, Sudan, with a college education. The corpus was examined to determine the strategies and frequency with which they were employed. Although this is a pioneering study in its societal context, the findings support previous findings indicating the universality of apology strategies; however, this study's choice of apology strategies reinforces the cultural-specific aspect of language use.

Furthermore, his research, (Jebani, 2011,1) focuses on using apology speech by Tunisian university students. A hundred Tunisian Arabic-speaking students were chosen at random for the research. The subjects' apology strategies were elicited using a discourse completion test (DCT). According to the findings, Tunisian university students used statements of remorse the most when the offender was a close friend, (ii) elderly, and (iii) had the power to influence the offender's future. Many subjects denied responsibility for the offense and shifted blame to other sources via accounts. Furthermore, other less common strategies included self-incrimination, an offer of repair, victim blaming, invoking Allah's name, intensification, minimization, and humor.

1. Introduction

The term pragmatics emerged as a branch of linguistics in the 1970s. Pragmatics is the study of communicative action in its sociocultural setting. It deals with the speaker's intended meaning and how the listener interprets it (Robert & Davies & Jupp, 1992; Kasper & Rose 2001; (as cited in Ugla & Abdin, 2016, 1). Pragmatic competence relates to the speaker's language understanding and the use of appropriateness and politeness rules in formulating and comprehending speech acts. Apologies, complaints, compliments, refusals, requests, and suggestions are the primary areas of interest in language pragmatics (Ugla & Abdin, 2016, 1).

Numerous studies have attempted to clarify what an apology is and how different ways of apologizing can be classified, as well as how this specific speech act is performed and perceived both in English and in different languages around the world (Determer, 2006, 15).

According to Bataineh (2006, 3), apology strategies are "the methods used by individuals to conduct the speech act of apology."

1.2 Statement of the Problem

Scholars are investigating the nature of apology and how certain social variables (gender, age, education) may affect the usage of apology strategies. Despite the enormous number of studies, the social component of gender appears to have received less attention, likely due to the general perception that females make better apologizers than males (Harb, 2015, 3). The present study investigates the use of apology strategies in Arabic by teenage students at Madrasah Secondary School. It also measures the effect of gender on the participants' use of apology strategies in Arabic. To the authors' knowledge, it is the first attempt to shed light on apology strategies used in the Saudi dialect of KSA with special reference to the Mekkah region (Madrasah Secondary School as a case study).

1.3 Research Questions

This research seeks to answer the following questions:

- What strategies do Saudi teenager students at Madrasah Secondary School use when apologizing?
- Does the participants' gender play a role in how they use apology strategies?

1.4 Apology definitions

The term apology refers to a verbal act that expresses support for the offended addressee. The speaker is willing to degrade himself to ensure that the apologies are both

Apology Strategies in Arabic Used by Teenager Students: A Case Study

Dr. Suzan Alamin Mubarak- University of Jeddah

Nehal Al_Rogi - University of Jeddah

Abstract

This research focused on apology strategies in Arabic used by Saudi teenage students at Madrasah() Secondary School and the gender role in using apology strategies. The participants were ten males and ten females, all native speakers of Arabic. The data for this research were collected using a Discourse Completion Task (DCT) questionnaire adopted from previous studies done by Harb (2015) and Jebani (2011). It consists of ten situations. The data were analyzed and classified into five apology strategies: ((Illocutionary Force Indicating Device (IFID), Responsibility (RESP), Explanation (EXPL), Repair (REPR), and Forbearance (FORB)). The results revealed that an IFID is the most used apology strategy by teenage students at Madrasah secondary school, followed by EXPL, REPR, RESP, and FORB. The results also show that gender greatly influences how various apology strategies are used. For instance, female students outperform male students by using apology strategies. In addition, teenage students at Madrasah Secondary School used an apology with a compliment to apologize to parents.

Keywords: Apology strategies, Gender differences, Madrasah, Teenager students

المستخلص

ركز هذا البحث على استراتيجيات الاعتذار باللغة العربية المستخدمة من قبل الطلاب المراهقين السعوديين في مدرسة مدركة الثانوية، ودور الجنس في استخدام استراتيجيات الاعتذار. شارك في البحث عشرة ذكور وعشر إناث، جميعهم من الناطقين الأصليين باللغة العربية. تم جمع البيانات لهذا البحث باستخدام استبيان لإكمال الخطاب تم تبنيه من دراسات سابقة. ويتكون الاستبيان من عشر حالات. وقد تم تحليل البيانات وتصنيفها إلى خمس استراتيجيات اعتذار: التعبير عن الاعتذار، إقرار المسؤولية، تفسير الحدث، إصلاح الموقف، وعدم تكرار الإساءة. وكشفت النتائج أن التعبير عن الاعتذار هي الاستراتيجية الأكثر استخدامًا من قبل الطلاب المراهقين في مدرسة مدركة الثانوية، تليها تفسير الحدث، وإصلاح الموقف، ثم إقرار المسؤولية، وعدم تكرار الإساءة. كما أظهرت النتائج أن الجنس يؤثر بشكل كبير على كيفية استخدام استراتيجيات الاعتذار المختلفة. على سبيل المثال، تتفوق الطالبات على الطلاب الذكور في استخدام استراتيجيات الاعتذار. بالإضافة إلى ذلك، يستخدم الطلاب المراهقون في مدرسة مدركة الثانوية الاعتذار مع الإطراء عند الاعتذار للوالدين.

الكلمات المفتاحية: استراتيجيات الاعتذار، الفروق بين الجنسين، المدرسة، الطلاب المراهقون

- Rond, M. and Miller, A. (2005). Publish or Perish Bane or Boon of Academic Life? *Journal of Management Inquiry*, 14(4), 321-329.
- Russell, D. (1997). Writing to Learn to Do: WAC, WAW, WAW — Wow! Language and Learning across the Disciplines Vol.2 (2), 3-8, DOI: 10.37514/LLD-J.1997.2.2.02
- Storer, N. (1966). *The Hard Sciences and the Soft: Some Sociological Observations*. Boston.
- Swales, J., & Feak, C. (2012a). *Academic Writing for Graduate Students: Essential Tasks and Skills* (3rd ed.). Ann Arbor, MI: The University of Michigan Press. doi:10.3998/mpub.2173936
- Widdowson, H. G. (1983). New starts and different kind of failure. In A Freedman, I. Pringle & J. Walden (Eds.), *Learning to Write: First Language/Second Language*, pp 34–37. New York, NY: Longman

References

- Altbach, G. (1978). *Scholarly Publishing in the Third World*. Graduate School of Library and Information Science. Accessed from <http://hdl.handle.net/2142/6994>
- Bazerman, C. (2010). *The Informed Writer: Using Sources in the Disciplines* (5th ed.). Fort Collins, CO: The WAC Clearinghouse.
- Boice, R. (1990). 'Professors as Writers: A Self-guide to Productive writing. *New Forums Press*
- Carter, M. (2007). Ways of Knowing, Doing, and Writing in the Disciplines. *College Composition and Communication*, 58(3), 385-418.
- Coolidge, H. and Lord, R. (1932). *Archibald Cary Coolidge: Life and Letters*. Houghton Mifflin Company, Boston.
- Ezza, E., Alhuqail, E. & Elhussain, S. (2019). Technology-based instructional intervention into an EFL writing classroom. *Cypriot Journal of Educational Science*. 14(4), 507-519. <https://doi.org/10.18844/cjes.v11i4.390>
- Ezza, E., & Drid, T. (eds.) (2020). Preface. *Teaching Academic Writing as a Discipline-specific Skill*. PA: IGI Global.
- Hangel, N. (2017). Why do you publish? On the tensions between generating scientific knowledge and publication pressure. *Aslib Journal of Information Management*, 69 (5), 529-544.
- Henning, E., Gravett, S., and Rensburg, W. (2002). '*Finding your Way in Academic Writing*'. (2nd Ed). Van Schaik Publishers, Pretoria.
- Hyland, K. (2002). 'Options of identity in academic writing'. *ELT Journal*, 56 (4), 351-358.
- Hyland, K. (2004). *Disciplinary Discourses: Social Interactions in Academic Writing*. Ann Arbor, MI: Michigan University Press.
- Hyland, K. (2009). Writing in the Disciplines: Research Evidence for Specificity. *Taiwan International ESP Journal*, 1(1), 5–22.
- Ivanic, R. (1998). *Studies in Written Language and Literacy: Writing and Identity - The Discoursed Construction of Identity in Academic Writing*, 5th Ed, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam
- Lee, A. & Boud, D. (2003) Writing Groups, Change and Academic Identity: Research development as local practice, *Studies in Higher Education*, 28(2), 187-200, DOI: 10.1080/0307507032000058109
- Nielsen, S. and Rocco, T. (2002). Joining the Conversation: Graduate Students' Perceptions of Writing for Publication. *International University USA*, Florida.
- Rahimivand, M. and Kuhi, D. (2014). An Exploration of Discoursal Construction of Identity in Academic Writing. *Procedia - Social and Behavioural Sciences*, 98, 1492-1501.
- Rawat, S. and Meena, S. (2014). Publish or perish: Where are we heading? *Journal of Research in Medical Science*, 19(2), 87–89.
- Rocco, T. S. (2011). Reasons to Write, Writing Opportunities, and Other Considerations. In T. S. Rocco & T. Hatcher (Eds.), *the Handbook of Scholarly Writing and Publishing* (pp. 3–12). San Francisco, CA: Jossey-Bass.

at the end may also discourage production of new works following promotion (Rond and Miller, 2005). In addition, this situation likely targets number of publication needed for promotion rather than the quality of the work as commented by some interviewees. This notion of “publish or perish” (Coolidge and Lord, 1932), places great pressure on scholars to publish and leads to decreasing in the value of resulting scholarship. Moreover, it raises ethical questions especially when it leads to the inclusion of the professor’s name on the paper even if he did not contribute to the research article, (Rawat and Meena, 2014).

It is worth to note that, the academic writing for those from hard sciences background is usually considered as a general skill and endpoint of the research and publication process, and even its impact is seen within this context. Accordingly, when we asked about the challenges and rewards it was linked more to the technical aspect of research rather than the writing itself, contrary to the belief that writing should play a central role research development process and that it should be considered as the initial activity rather than the endpoint of this process (Lee and Boud, 2003). This reasoning receives further support from the view that writing is a means of active learning, (Russel, 1997). This concept of integrating writing as a viable tool of disciplinary knowledge construction could bridge the gap between writing, doing and knowing in different disciplines (Carter, 2007). It could also help in capacitating the next generations of Sudanese Academics to become recognised writers within their fields.

Conclusion

This study has been an attempt to explore researchers’ view of academic writing in their personal, academic and professional lives in contexts that generally viewed writing as a peripheral activity. The basic rationale of the study was to practically persuade researchers in the hard sciences that writing plays a central role in the academia in that it is the only gate for personal, academic and professional development. This role has been widely reinforced by the belief that writing is a powerful tool of constructing, sharing and distributing knowledge; and a vehicle for shaping thoughts and building communities. Qualitative data collected from the study participants showed that they were aware of the need to develop academic writing conventions to participate in the disciplinary conversation through their published works despite the fact some participants still associate writing with a peripheral role. Generally speaking, the study findings inform that there are differences in young and seniors academics in writing motives which could be attributed to their personal, academic and professional objectives.

Knowledge and establish national database in my discipline". Storer (1966) described science as "nonservice profession" in which the scientist servicing the lay public indirectly while his main interest is servicing his colleagues through contribution to the existing body of knowledge. This contribution is rewarded by professional recognition by his colleagues and their subsequent contribution to his field. In our study, recognition was another reason that motivates professors in particular to write. Ivanic (1998) stated that the self-representation in relation to a community of readers is seldom made explicitly, it is almost at the heart of every acts of writing. While the hard science in particular has been related to impersonality (Storer, 1966) where the scientists "prefer to downplay their personal role to highlight the issue under study" (Hyland, 2002), it could be said that this self-representation is not about representing the person-identity through the text, but rather through positioning oneself as a researcher on the field through the act of writing and subsequent resulting publication. It is important to point out that recognition is not just self-serving, it also impacts the placement of the individual in a power position. This position in turn assists him personally by allowing him to have more influence and impact in the world.

As has been shown in this study, the young faculty have the passion to share their knowledge so the society could benefit from their work; however, it is notable that their motives are more concentrated around the area of self and career development which is a natural process given their need to move up the career ladder compared to the participants who are in the status of full professor. Accordingly, their selection of topics is based largely on these needs or the needs of the professional community to attract more attention and hence "make the publication easier". Hangel's (2017) a study of the motives behind publishing among academics and researchers in different career stages reports that the incentives of postdocs and junior professors were strongly career-oriented and it is also derived by their desire to become visible and positioning themselves within the scientific community. Interestingly, the article showed that one of the motives of senior academics is to educate young generations of academics and promote junior researchers through co-publishing or "sharing symbolic capital of recognition." It is unfortunate that it was not the case in this study. None of the professors interviewed in this study mentioned developing capacity of junior faculty among their reasons to write and despite their awareness of the language barrier and the need for training in academic writing skills among junior faculty. These findings highlighted to some extent the invisible gap of communication between senior and junior academics in the Sudanese institutions.

In collaborative sciences the motivation of professors to conduct research is fulfilled through their roles as principle investigators, chairs or supervisors (Hangel, 2017). Among our interviewees, three professors were also researchers in research institutions, while the fourth's only reason for writing was promotion; however, most of his publications drew on his on his students work. That is, he develops research assignments written by his students into studies that could be published in peer-reviewed journals. This practice however is not uncommon among Sudanese scholars as the research process is hindered by a dozen of obstacles and challenges including "lack of encouragement and supportive institutions that are not appreciating research which is not related to degree acquisition. Furthermore, the need to get a tenure or job promotion poses a great pressure on academics to publish which

Funding

| Participant | Status | Statement |
|-------------|-----------|---|
| 1 | Professor | Frequent publishing assists in accelerating proposal funding processes. |
| 2 | Professor | Publishing increases academic credibility, and thus it facilitates funding. |

Promotion

| Participant | Status | Statement |
|-------------|---------------------|--|
| 1 | Professor | Were it not for writing, I wouldn't achieve any career advancement. |
| 2 | Professor | Writing was my only gate to promotion to different statuses. |
| 3 | Professor | Writing for publication was only means of promotion to the professorship per se. |
| 4 | Professor | It is impossible to develop professionally without writing for publication. |
| 5 | Assistant Professor | I'm now under pressure to publish to establish myself as real academic. |

Almost all statements were made by participants who were in the professor status. This tendency is quite natural since most activities pertaining to knowledge production, funding and recognition are associated with academics who are in this high status. The statement made by a participant in assistant-professor status that ‘Writing makes my voice heard among frequently published scholars’ attest to this understanding. Recently Elzaem Elazhari University Administration released an ‘appreciation note’ that has subsequently been widely circulated in the social media, in recognition of quality research produced by faculty that enhanced the ranking of the University. The honour list included researchers who were in the Professor status. This recognition hint not motivates researcher to produce more quality research, it also puts more pressure on other researchers to publish and thus to establish themselves as academics as mentioned by a participant in the assistant-professor status.

Discussion

The permanence of written word makes writing a powerful vehicle for shaping thoughts and method of communicating ideas and sharing knowledge, (Nielsen and Rocco, 2002).The majority of our interviewees adopted this general concept in their writing. “I write to share knowledge and to conserve the scientific heritage in forestry for the next generation.” Further, an assistant professor in microbiology added “to foster professional

phone calls to arrange for interview sessions. Third, most participants had tight schedules because they were involved in many administrative and academic committees. However, most interview sessions took place in a friendly atmosphere at the participants’ offices and staff rooms. Part of the reason for this positive atmosphere was the participant’s familiarity with the topics, which remarkably facilitated the interviews. They even proposed points that were not part of the original interview questions, e.g., the institutional recognition of publishing in the University journals.

Results

Producing and sharing knowledge

| Participant | Status | Statement |
|-------------|---------------------|---|
| 1 | Professor | Publishing is a most important source of knowledge dissemination. |
| 2 | Professor | Writing for publication is the most effective way to share new scientific facts. |
| 3 | Professor | Writing is important for documenting lab work and make it known to other scientists in the field. |
| 4 | Professor | Scientific discoveries are useless if they are not shared with others through published research. |
| 5 | Assistant Professor | Writing is the only way to report the knowledge production process that takes place in the lab |
| 6 | Lecturer | Thesis writing trains postgraduate candidates in the techniques needed to produce knowledge and share it with other PhD students. |

Recognition

| Participant | Status | Statement |
|-------------|---------------------|--|
| 1 | Professor | Publishing brings many rewards, including high level appointments, invitations to speak at local, regional and international conferences, and citations. |
| 2 | Professor | Writing for publication means membership of university and ministerial-level committees. |
| 3 | Professor | Publishing is an important recognition tool inside and outside the academic institution. |
| 4 | Professor | Publishing qualifies academics to hold gate-keeping positions. |
| | | Writing for publication increases one’s connections locally and internationally. |
| 5 | Assistant Professor | Writing makes my voice heard among frequently published scholars. |

different factors, most notably distractions, self-doubts, procrastination, and rejections (ibid). In other words, writing attempts made by academics are distracted by other academic activities, the lack of confidence that they could write for publication, the feeling that they are not ready to write and the series of rejections of articles submitted for publication.

Method

Instrument

A semi-structured interview was used to collect the study data. The interview questions were collectively brainstormed by the researchers. After careful discussion, the interview was emailed to five experts along with the study questions and objectives to judge their face validity. Few amendments were proposed by the referees. Most importantly, referees proposed additional reasons for writing in the academia, including building CVs, and job-related writing tasks. They also proposed deletion of the reason pertaining to “solution for a given problem in industry” as it does not belong directly to the academia. The interview questions centred on the rewards and challenges of writing for publication in relation to the number and type of publications, language of publication, and publication contexts (i.e., local, regional or international). For example, there were questions about the relationship between the language of publication and recognition; if the publication contexts would enhance promotion opportunities, and publication challenges, to mention but a few.

Participants

The study participants were nine academics who were teaching at different (hard science) Departments at Elazhari University in Khartoum: biomedical sciences, applied statistics, social forestry, and petroleum and civil engineering. They were randomly selected from a total of 67 faculty members of whom 24 were non-tenured professors with regular research record. They represented different academic ranks (i.e., four professors, four assistant professors and one lecturer). The basic criteria for selection were the active participation in writing for publication and writing a thesis for a degree. These criteria reduced the number of potential participants because many assistant/associate professors ceased writing after promotion to the next rank. Also, many teaching assistants were enrolled in postgraduate programmes with no written component; i.e., the programmes were wholly offered by courses. The participants' publication rate ranged from 6 to 115 articles. The majority of publications were journal articles (94.3%) that had been written in English and published in local and international journals.

Procedure

It took almost two weeks to complete the interview for a number of reasons. First, most faculties were not located in the main campus, which required the researchers to shuttle between campuses to get the job done. Second, most participants had no rigid system of office hours to facilitate meetings. Thus, the researchers had to make frequent visits and

Introduction

Writing is one of the most important practices in the academic community. It is the place where thinking becomes alive and organised, knowledge constructed and academic identity created and negotiated (Henning et al, 2010; Rahimivand & Kuhi, 2014). Traditionally, writing has been viewed as mere mental and cognitive activity. However, another view considers writing as a collective social practice in the academic discourse community. During this practice, the writer engages in a conversation with a community of readers, who will be able to recognize the knowledge and claims created through the text (Rahimivand & Kuhi, 2014).

Writing is widely conceived to play a central role in the academia. Both the faculty and the students need it to achieve myriad academic, professional and personal goals. Academic goals pertain to knowledge production, contribution to the disciplinary conversation and gaining inside into the disciplinary culture, to mention but a few (Bazerman, 2010; Hyland, 2009). As to the role of writing in professional development, it is held that writing for publication weighs heavily in decisions about hiring, promotion, and tenure in academic settings (Boice, 1991; Rocco & Hatcher, 2003). On personal level, researchers are argued to “enjoy the power they derive from writing and the power derived from subsequent publication” (Rocco & Hatcher, 2003, p.3). Also, writing for publication helps to construct “an appropriate author persona” so that researchers could qualify for membership of a disciplinary community (Swales & Feak, 2012, p. 2). These goals ultimately enhance the visibility, ranking and reputation of the academic institutions with which researchers are affiliated. What is more, power emanating from writing for publication is enormously foregrounded in Hyland (2004) as manifested in the high frequency of three keywords; these are authority (58 times), credibility (33 times) and reputation (22 times). At a higher level such power-related terms could “mean Nobel Prize, Royal Society Fellowship or greater access to grants and commercial consultancies” (Hyland, 2004, p. 168). It is apparent therefore that “what academics principally do is write: they publish articles, books, reviews, conference papers and research notes; ...” (Hyland, 2004, p. 2); and that “the modern research lab devotes more energy to producing papers than to making discoveries ...” (Woolgar, 1979 as cited in Hyland, 2004, p. 2). Owing to these growing roles as summarised above, academic writing has received huge scholarship in the last four decades. According to Ezza & Drid (2020) efforts made to proliferate academic writing culture included the production of encyclopaedic resources, publication of top-tier journals and organization of international conferences. These efforts are intended in part to enculturate novice scholars and postgraduate students into the discourse conventions of their disciplines.

Despite the huge rewards brought by writing for publication as reported above, academics find it a most challenging task, and many of them would choose to avoid it (cf. Widdowson, 1983; Ezza et al, 2019). As such, they are conceived as struggling writers in the same manner as their own students. This claim receives support for the observation that globally 85% of publications are produced by 15% of faculty (Boice, 1991); however, compared to the students, academics suffer from writing challenges that are caused by

Reasons to Write in the Sudanese Academia: a Hard Sciences Perspective

El-Sadig Ezza- Professor of English, University of Khartoum

Marwa Elbasheer- Lecturer, Alzaiem Alazhari University

Shahenaz Nour- Lecturer, Alzaiem Alazhari University

Abstract

Writing is a tool of constructing and disseminating knowledge and thus, it plays a central role in the academic and professional development of academics. Given this general understanding of the function of writing in the academia, this study intends to explore the specific reasons underpinning the writing attempts made by Sudanese researchers affiliated with academic fields generally labelled as hard sciences. An interview was used to collect qualitative data from ten faculty members who were in the service of Alazhari University located in Khartoum; the participants were four professors, four assistant professors, and a lecturer in the fields of biomedical sciences, applied statistics, social forestry, petroleum and civil engineering. The interview centred on different motives to write, the rewards they gained from writing and the writing challenges. The results showed that the majority of the interviewees had reported that they would write to share knowledge. While the professors reported recognition as another important reason, the junior faculty reported career development as an important motive for writing. All of the interviewees reported the huge challenges they had to deal with in order to conduct a research, writing up and publishing their findings.

Keywords: writing, academia, writing rewards, motives to write, writing challenges, writing for, publication, recognition

المستخلص

الكتابة هي أداة لبناء المعرفة ونشرها، وبالتالي فإنها تلعب دوراً رئيسياً في التطوير الأكاديمي والمهني للأكاديميين. بالنظر إلى هذا الفهم العام لوظيفة الكتابة في الأوساط الأكاديمية، تعتزم هذه الدراسة استكشاف الأسباب المحددة التي تقوم عليها محاولات الكتابة التي قام بها الباحثون السودانيون التابعون للمجالات الأكاديمية التي تم تصنيفها عموماً على أنها علوم صلبة. تم استخدام المقابلة لجمع بيانات نوعية من عشرة من أعضاء هيئة التدريس الذين كانوا في خدمة جامعة الزعيم الأزهري الواقعة في الخرطوم. كان المشاركون أربعة أساتذة، وأربعة أساتذة مساعدون ومحاضراً في مجالات العلوم الطبية الحيوية والإحصاء التطبيقي والغابات الاجتماعية والبتترول والهندسة المدنية. ركزت المقابلة على الدوافع المختلفة للكتابة والفوائد التي اكتسبها من الكتابة والتغلب على تحدياتها. وأظهرت النتائج أن غالبية من أجريت معهم المقابلات أفادوا أنهم سيكتبون لإنتاج المعرفة وتبادلها. في حين ذكر الأساتذة أن التقدير هو سبب مهم آخر، ذكر أعضاء هيئة التدريس المبتدئين أن التطوير الوظيفي هو دافع مهم للكتابة. أبلغ جميع من أجريت معهم المقابلات عن التحديات الهائلة التي كان عليهم التعامل معها من أجل إجراء بحوث وكتابة النتائج التي توصلوا إليها ونشرها.

الكلمات المفتاحية: الكتابة، الأوساط الأكاديمية، مكافآت الكتابة، دوافع الكتابة، تحديات الكتابة، الكتابة من أجل النشر، الاعتراف

Appendix 2: A list of Arabic Transliteration Characters

| Transliteration characters/phoneme | Arabic letters | Transliteration characters/phoneme | Arabic letters | Transliteration characters/ phoneme | Arabic letters | Transliteration characters/phoneme | Arabic letters |
|---------------------------------------|----------------|---------------------------------------|----------------|--|----------------|---------------------------------------|----------------|
| a /a/ | أ | d /d/ | د | ḍ /ḍ/ | ض | k /k/ | ك |
| b /b/ | ب | ṣ /ṣ/ | ص | ṭ /ṭ/ | ط | l /l/ | ل |
| t /t/ | ت | r /r/ | ر | ẓ /ẓ/ | ظ | m /m/ | م |
| kh /χ/ | خ | z /z/ | ز | / /ʕ | ع | n /n/ | ن |
| j /j/ | ج | s /s/ | س | gh /ɣ/ | غ | h /h/ | ه |
| ḥ, ḥ /ħ/ | ح | sh /ʃ/ | ش | f /f/ | ف | w /w/ | و |
| | | | | q /q/ | ق | y /j/ | ي |
| '/? | الهمزة | i, ī/ii | كسرة | u, ū/uu | ضمة | a, ā/aa | فتحة |

Acknowledgement

I would like to thank *Gertrude Schinder Bloom* for her valuable effort in the proof reading of this paper, and he significant insights and useful comments which make it better.

Appendix 1: Dinka Orthography

The current Latin orthography is derived from the alphabet developed for the southern Sudanese languages at the Rejaf language conference in 1928. *Information and corrections are made by Michael Peter Füstumum* (<http://www.omniglot.com/writing/dinka.php> at 5/6/2017)

A a Ä ä B b C c D d Dh dh E e Ě ě Ė ė Ğ ğ Y y I i Ĭ ĭ J j K k L l M m
[a] [ä] [b] [c] [d] [d̥] [e] [ɛ] [ɛ̃] [ɛ̂] [g] [ɣ] [i] [i̇] [j] [k] [l] [m]

N n Nh nh Ny ny Ŋ ŋ O o Ö ö ɔ ɔ̃ ɔ̂ P p R r T t Th th U u W w Y y
[n] [ɲ] [ɲ̥] [ŋ] [o] [ɔ] [ɔ̃] [ɔ̂] [p] [r] [t] [t̥] [u] [w] [j]

Dinka pronunciation

Vowels - clear or creaky

a e ɛ i o ɔ
[a/á] [e/è] [ɛ/é] [i/í] [o/ó] [ɔ/ɔ́]

Breathy vowels

ä ë ě ĭ ö ɔ̃ u
[ä̃] [è̃] [ɛ̃̂] [í̇] [ò̃] [ɔ̃̂] [ũ]

Consonants

b c d dh g y j k l m
[b] [c] [d] [d̥] [g] [ɣ] [t̥] [k] [l] [m]
n nh ny ŋ p r t th w y
[n] [ɲ] [ɲ̥] [ŋ] [p] [r] [t] [t̥] [w] [j]

Notes

- Vowels without accents can be either clear or creaky
- Long vowels are indicated by doubling the vowel letters, e.g. aa, ee, etc

References in Arabic

- إمانويل أفيو لوك بنوك (2005): معجم ثنائي اللغة دينكاوي - عربي (أ، ب، ت، ف، م، ن)، ماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية للناطقين بغيرها.
- داؤود رياك نبال (1989): لغة الدينكا: علاقتها بالعربية وكتابتها بالحرف العربي، ماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية للناطقين بغيرها.
- شول دينق يونق (1989): أثر اللغة العربية على لغة الدينكا: دراسة على مستوى المفردات المقترضة، ماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية للناطقين بغيرها.
- عبد الله دينق نبال (1985): بين اللغة العربية ولغة الدينكا: دراسة تقابلية على المستوى الصوتي، ماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية للناطقين بغيرها.
- كاك لانكي كاك (1986): أثر لغة الدينكا على اللغة العربية في منطقة الرنك، دبلوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية للناطقين بغيرها.
- كاك لانكي كاك (1987): الفعل: دراسة تقابلية بين اللغة العربية ولغة الدينكا على مستوى التراكيب، ماجستير، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية للناطقين بغيرها.
- كور داو صنوبر (1987): دراسة تقابلية بين اللغة العربية ولغة الدينكا على مستوى الضمائر، دبلوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية للناطقين بغيرها.

- Robinson, Arthur E. (1925): "The conquest of the Sudan by the Wali of Egypt, Muhammad Ali Pasha, 1820-1824", in: *Journal of the Royal African Society*, vol. 25, No. 97 (Oct., 1925), pp. 47-58, Published by: Oxford University Press on behalf of The Royal African Society.
- Sankoff, Gillian (2020): "The Linguistic Outcomes of Language Contact", *The Handbook of Language Variation and Change*, ed. by J. K Chambers, Peter Trudgill, and Natalie Schilling-Estes, 639-668, Blackwell Handbooks in Linguistics, Malden, MA: Blackwell.
- Shinnie, P. L. (1967): *Meroe Civilization of the Sudan*. New York: F. A. Praeger.
- Snowden Jr., Frank M. (1970): *Blacks in Antiquities: Ethiopians in the Greco-Roman Experience*. Cambridge, Mass.: Belknap Press of Harvard University Press.
- Swenson, Janel (2015): "ATR quality in the Luo vowel system", in: *Psychology*, vol.1, pp. 101-145.
- Thomason, Sarah Grey, and Terrence Kaufman (1988): *Language Contact, Creolization, and Genetic Linguistics*, Berkeley: University of California Press.
- Thuɔŋjäŋ, Piöocku (2012): "The Evolution of the Dinka Sounds System". In: Archive for the tag "Dinka Alphabet". Retrieved at 25th February 2018 from:
- Trudinger, Fr. (1944): *English Dinka Dictionary, Padang Dialect* (photocopy of the original document, IAAS library 3).
- Tucker, A. N. (1978): *Dinka Orthography*. Linguistic Monograph Series (no. 9), Khartoum: University of Khartoum Press.
- Tucker, A. N. and Bryan, M. (1966): *Linguistic Analyses: The Non-Bantu Languages of North-East Africa*. London: Oxford University Press for the International African Institute.
- Tucker, A. N. and Bryan, M. (1966): *Linguistic Analysis of the Non-Bantu Languages of North Africa*. Oxford University Press. London.
- Westermann, D. and Ward, Ida C. (1933): *Practical Phonetics for Students of African Languages*. London: Oxford University Press for the International Institute of African Languages and Culture.

Websites:

- http://www.sprak.gu.se/digitalAssets/1309/1309450_modern-
- <http://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/03740463.1990.10411520>
- <https://pioockuthuongjangda.wordpress.com/tag/dinka-alphabet/>.
- <https://www.cambridge.org/core/journals/journal-of-the-international-phonetic->
- https://www.canil.ca/canilewp/volume1/Swenson-101_145.pdf
- [https://www.degruyter.com/dg/viewarticle/j\\$002fjall.2008.29.issue-](https://www.degruyter.com/dg/viewarticle/j$002fjall.2008.29.issue-)

- Kenstowicz, J. Michael (2014): Ablaut in Dinka nouns: A preliminary study,
- LaCharité, Darlene, and Carole Paradis (2005): "Category Preservation and Proximity versus Phonetic Approximation in Loanword Adaptation", in: *Linguistic Inquiry* 36, pp. 223-258.
- Mahmud, Ushari Ahmed (1983): *Arabic in Southern Sudan: History and Spread of a Pidgin-Creole*. Khartoum: FAL Khartoum advertising and printing Co. Ltd.
- Malou, Job (1988): *Dinka Vowel System* (SIL, Publication in linguistics, 82) Dallas: Summer Institute of Linguistics and the University of Texas at Arlington.
- Miller, Catherine (2003). "Linguistic policies and the issues of ethno-linguistic minorities in the Middle East". In: *Islam in the Middle Eastern Studies: Muslims and Minorities*, ed. by A. Usuki and H. Kato. Osaka: The Japan Center for Area Studies (JCAS), National Museum of Ethnology, pp. 149-174.
- Munsor, I. M (1983): *The Sudan Population Census*. Central Government Report, published by the Central Ministry of Finance, Department of Statistics and Population, Khartoum.
- Nashid, Sawsan Abdel Aziz Mohammed (1996): An Investigation of Lexical Borrowing in Dinka Language. MA thesis (unpubl.) Department of Linguistics, Faculty of Arts, University of Khartoum.
- Nashid, Sawsan Abdel Aziz Mohammed (2014): The Sociolinguistic Situation of Northern Bahr el Ghazal State (South Sudan): A Case Study of Aweil Town. PhD thesis (unpubl.). Department of Linguistics, Faculty of Arts, University of Khartoum.
- Nashid, Sawsan Abdel Aziz Mohammed (2015): Studies on Southern Sudanese Languages: Analytical Survey, unpublished paper.
- Nebel, F. A (1948): *Dinka Grammar (Rek Malual dialect) with texts and vocabulary*. Verona: Instituto Missioni Africane.
- Nebel, F. A (1979): *Dinka-English, English-Dinka Dictionary*. 2nd. ed. Bologna: Editrice Missionaria Italiana.
- Nyombe, Bureng G. V. (1997): "Survival or extinction: The fate of the local languages in the Southern Sudan", in: *International Journal of the Sociology of Language*, no. 125, pp. 99-130. Retrieved on 21.11.2012 from: <http://books.google.com/books?id=Ih6b9iupT6oC&pg=PA40&lpg=P>
- Ozburn, Avery (2019): "Target-Oriented Approach to Neutrality in Vowel Harmony, PhD thesis, the Faculty of Graduate and Postdoctoral Studies (Linguistics), University of British Columbia.
- Remijsen, Bert (2008): "The tone system of the Luanyjang dialect of Dinka". In: *Journal of African Languages and Linguistics*, Ed. by Ameka, Felix K. and Amha, Azeb, volume 29, Issue 2 (Jan 2008). Retrieved at 25th February 2018 from:
- Remijsen, Bert and Manyang, Caguor Adong (2009): "Luanyjang Dinka", in: *Journal of the International Phonetic Association*, International Phonetic Association logo, vol. 39, issue 1, pp. 113-124. Retrieved st 9/6/2020 from:

References in English

- Abu-Manga, Alamin (1991): "Arabic loan words in the Nilotic languages", in M. Lionel Bender Helmut Buske (ed.), *Proceedings of the Fourth Nilo-Saharan Conference, Bayreuth, August 30 - September 2 1989*. Hamburg: Helmut Buske, pp. 133-145.
- Akol, Deng (1989): Dinka Nominal Morphology, MA thesis (unpubl.). IAAS, University of Khartoum.
- Andersen, Torben (1990): "Vowel length in western Nilotic languages". In: *Acta Linguistica Hafniensia: International Journal of Linguistics*, volume 22, 1990 - Issue 1, pp. 5-26. Retrieved at 15th January 2018 from:
- Andersen, Torben. (1987): "The phonemic system of Agar Dinka", in: *Journal of African Languages and Linguistics* 9: 1-27.
- Arkell, J.A (1984). *Early Khartoum*. London: Oxford University Press.
- Ayom, E. B. G (1980): Some Aspects of the Dinka Phonology and Plural Formation, MA thesis (unpubl.). IAAS, University of Khartoum.
- Benkő, Loránd (1987): *A történeti nyelvtudomány alapjai*, Budapest: Tankönyvkiadó.
- Bloomfield, Leonard (1934): *Language*, London: Allen & Unwin.
- Brisco, Mike (2006): English to Dinka Glossary, Derived from SIL International's 2005 Draft *Dinka-English dictionary*, For use alongside that dictionary, Draft- for comment - 9 May 2006
- Coetsem, Frans van (1988): *Loan Phonology and the Two Transfer Types in Language Contact*, Publications in language sciences, Dordrecht, Holland: Foris Publications.
- Dimmendaal, Gerrit J. (2002): "Constraining plate/dish/saucer harmony in Nilotic: What does an optimal system look like?", in: *Journal of African Languages and Linguistics*, 23(2), 153-182.
- Greenberg, Joseph. H. (1970): *The Languages of Africa*, C.F. Voegedin: USA.
- Hall, R.M.R, B.L. Hall, S.A Antell, A. Myers, & L.P. Sheerin (1975): "Toward a reconstruction of Proto-Nilotic vocalism", in: *Proceedings of the Sixth Conference on African Linguistics*: 1-15.
- Heffernan, Kevin (2005): "Phonetic similarity and phonemic contrast in loanword adaptation", in: *Toronto Working Papers in Linguistics* 24. Pp. 117-123.
- Idris, Helene Fatima (2004). *Modern Developments in the Dinka Language*, Göteborg Africana Informal Series no. 3, Department of Oriental and African Languages, Göteborg University.
- Idris, Helene Fatima (2004): *Modern Developments in Dinka Language*, Goteborg African Informal Series no. 3, Department of Oriental African Languages, Göteborg University. Retrieved on 4.3.2009 from
- Jok, Lino Kiir Kuony (2004): Dinka Noun Systems and Their Impact on Learning English by Dinka. MA thesis, University of Juba, College of Education, Department of English Language and Literature. *SIL Language and Culture Archives*.

3. Conclusion

Arabic loan words are adapted into Dinka language by following the phonological patterns of the Dinka so that they could be integrated and used. It is recommended to have further studies on the other levels of language structure and use.

| | | |
|-----------|------------|-------------------|
| mi'laaya | málaáyá | bed sheet |
| ʕa'waayid | áwaáthá | taxes |
| khari'jia | kaárjìyà | abroad |
| 'lakhabṭa | lákbatá | disorganization |
| abd'dan | ábádán | never/ not at all |
| ingi'liiz | ṇáqálii`th | English people |
| ʕas'kari | álaáthkri | military/ |
| gha'raama | káráamá | martial/soldier |
| | | fine |

The two examples of a multisyllabic loan word *jàlaábìyà* and *árábìyà* display H-H-L-L tone.

| Arabic word | words in Dinka | glossary |
|-------------|----------------|-------------------|
| ja'laabiyya | jálaábìyà | men's local dress |
| ʕara'biya | árábìyà | car |

2.2. Summary

This section presents the summary of the findings. Arabic loan words are integrated into the Dinka language and have become part of the Dinka lexicon and they are used in everyday communication.

- Dinka borrowed Arabic words belonging to different semantic fields. The most common semantic fields of borrowing are administration, technology, trade and household. Most of the Arabic loan words remain semantically as they are, but a few of them have been semantically changed; extending their meanings.
- A schematization of the described phonological renditions of the Arabic loan words is given in the diagram below summarizing the adaptation of the Arabic loan words in terms of consonants:

| | | | | | | | | | | | | | | |
|--------|---|-----|---|---|-----|-----|---|---|------|---|-----|---|---|---|
| Arabic | ḍ | s/š | ṭ | ẓ | z | ḡ/ḫ | ʔ | ḥ | ʕ | j | ʃ | ḷ | t | f |
| Dinka | ḍ | ṭ/c | ṭ | ṭ | ḍ/j | k | Ø | Ø | a/ ó | j | j/c | l | j | p |

- Arabic loan words display a number of realizations whereby [a] is centralized and lengthened to compensate for the lost consonants, long vowels are shortened, /u/ is assimilated to /a/, short vowels are lengthened and, finally, vowels are altered. Syllabic structure of some loan words is changed and the number of syllables sometimes is reduced. Few loan words remain phonologically as they are.
- Monosyllabic Arabic loan words carry H, L and falling tone. Bisyllabic Arabic loan words carry H-L, L-L, and H-H tones. Trisyllabic loan words carry H-H-L, H-H-H tones besides there are some words carry H-L-L and L-H-L tones and multisyllabic loan words carry H-H-L-L tone.

| | | |
|---------------|---------|--|
| kib'riit | kíbriit | matches |
| ba'laagh | bálaák | official complaint/report of a fault or a problem |
| ri'yaal | ríyál | ten piasters |
| 'ruḥḥal | máraám | nomad |
| ju'waani | ju'wa'n | inside |
| 'waraga | wárgák | paper |
| maʕleesh | máléth | sorry/never mind/do not worry |
| 'hassa/hassii | háthá | right now |
| kha'laaş | káláth | enough, that's all |
| ba'laash | pálác | enough/ leave it |
| 'yalla | yélá | let's go/bye |

The majority of the trisyllabic Arabic loan words display H-H-L, H-H-H tones besides, there are some words carry H-L-L and L-H-L tones as appears in the following examples:

maápádíc, múwápìth, ákuúmà, íraáthà, kaárjìyà, nánàliith, álaáthkrì, thápiyà, áràbiyà, mùthájìl, táwuúnà, mábúteèr, íthaábaàt, ámaára, pàninà.

Trisyllabic Arabic loan words display H-H-H tone. They are:

maákámá, áwáthá, mákáná, kárábá, málaáyá, mádráthá, lákbátá, ábádán.

| Arabic word | words in Dinka ⁽¹²⁾ | Glossary |
|-------------|--------------------------------|----------------|
| 'maʕlaga | maálágá | spoon |
| mu'fattish | maápádíc | inspector |
| kub'baaya | kúbaa'yi` | cup |
| ʕa'fiiḥa | thápiyà | tin |
| ta'merji | témérjì | nurse |
| ma'kana | mákáná | engine |
| tala'fuun | télépuun | telephone |
| mus'ajjil | mùthájìl | recorder |
| mu'haafiz | múwápìth | governor |
| ʕa'maara | ámaára | pavilion |
| ṭa'ḥuuna | táwuúnà | grinding mill |
| kah'raba | kárábá | electricity |
| ḥa'kuuma | ákuúmà | government |
| 'maḥkama | maákámá | court/tribunal |
| ḥi'raasa | íraáthà | prison |
| ḥisa'baat | íthaábaàt | accounting |

⁽¹²⁾ The Dinka words in this paper are written in the Dinka orthography (see Appendix 1).

thànduùg, doòlaàp, bèrmil, tèrbeèc, miliì, thùkàr/thòkàr, cicìr, weèkà, càrit, dùkkaàn, jèlaàp, gìric, gírceèn, gènè, àliip, rèdì, gòmìth, màrkuùb/màrkuùk, mìthlìm, màthiì, màthjuùn, dhùlùm, lithà.

| Arabic word | words in Dinka ⁽¹⁰⁾ | Glossary |
|-------------|--------------------------------|----------------------|
| 'weka | weèkà | dried Accra |
| mi'lih | miliì | salt |
| suk'kar | thùkàr/thòkàr | sugar |
| jir'jiir | cicìr | a kind of lettuce |
| šan'duug | thùnduùg | box |
| doo'laab | doòlaàp | cupboard |
| bar'miil | bèrmil | barrel |
| sha'riit | càrit | cassette |
| 'girish | gìric | piaster |
| 'girsheen | gírceèn | two piasters |
| je'neeh | gènè | one pound |
| ?a'lif | àliip | thousand |
| 'dukkaan | dùkkaàn | shop |
| jal'laabi | jèlaàp | arab |
| ʕabid | àbìth | slave |
| 'rida | rèdì | short |
| ga'miis | gòmìth | shirt |
| mar'kuub | màrkuùb/màrkuùk | Sudanese local shoes |
| 'muslim | mìthlìm | Muslim |
| ma'siihi | màthiì | Christian |
| mas'juun | màthjuùn | prisoner |
| 'zulum | dhùlùm | injustice |
| 'lissa | lithà | not yet |

The loan words that display H-H tone are:

mádiir, mápaáth, mápaáth, póliíth, gédiá, kibriít, tíyaár, gìric, ríyál, júwán, wárgák, máraám, máléth, háthá, káláth, pálác, yélá. There are only three loan words that display the tonal pattern L-H: gècaác, ùthaác, màdhluúm.

| Arabic word | words in Dinka ⁽¹¹⁾ | Glossary |
|-------------|--------------------------------|-----------------------|
| mu'diir | mádiir | director/manager/boss |
| ma'baaḥith | mápaáth | detective |
| bo'liis | póliíth | police |
| ṭay'yaara | mabuteer/tíyaár | airplane |
| gadiyya | gédiá | case/ affair |

⁽¹⁰⁾ The Dinka words in this paper are written in the Dinka orthography (see Appendix 1).

⁽¹¹⁾ The Dinka words in this paper are written in the Dinka orthography (see Appendix 1).

| | | |
|----------|---------|-------------------|
| 'shaayi | caí | tea |
| 'faas | páth | axe |
| sa'ʕa | thaaa' | watch |
| da'hab | daaáb | gold |
| 'baş | páth | bus |
| 'shaahid | cäää't | witness |
| 'şahan | thäää'n | plate/dish/saucer |
| 'gaash | gaa'c | belt |

The tonal patterns for the disyllabic Arabic loan words are: H-L, L-L and H-H. The loan words which display H-L tone are:

maámuùr, thaábuùn, ákiim, thíjin, gaádhi, dhápìth, maámì, maábuùth, thíyàth, májrim, álaàm, jérdàl, gátàr, maáthuùr/maácuùr, taájir, taárip, gálám/gálàm, naájir, maálim, bádèn, lákin.

| Arabic word | words in Dinka ⁽⁹⁾ | Glossary |
|-------------|-------------------------------|---|
| maʔ'muur | maámuùr | paramount chief |
| 'taʕrifa | taárip | half-piaster |
| ma'suura | maáthuùr/maácuùr | water pipe |
| ḥa'kiim | ákiim | physician |
| si'jin | thíjin | prison |
| 'gaadi | gaádhi | judge/magistrate |
| 'daabit | dhápìth | officer |
| ga'tar | gátàr | train |
| 'raadi | raádi | radio |
| maḥ'buus | maábuùth | prisoner |
| şaa'buun | thaábuùn | soap |
| si'yaasi | thíyàth | politician |
| 'mujrim | májrim | criminal |
| 'ʕalam | álaàm | flag |
| 'jardal | jérdàl | bucket |
| baabuur | maábuùr | steamer |
| 'taajir | taájir | trader |
| na'zir | naájir | headmaster |
| us'taaz | ùthaác | teacher |
| 'baʕdeen | bádèn | later/afterward, next, then/too/also |
| 'laakin | lákin | but |

The group that displays L-L tone is represented by:

⁽⁹⁾ The Dinka words in this paper are written in the Dinka orthography (see Appendix 1).

maámi < Ar. *mu'haami* 'lawyer/advocate', maálim < Ar. '*mu?llim* 'teacher', maákámá < Ar. *mu'hakama* 'trial'.

Vowel harmony

Idris (2004: 26) talked about the Dinka tendency for vowel harmony, especially in the case/ affairs of compensatory lengthening when consonant is deleted; however, Dinka is one of the languages loose harmony and tongue root contrast as stated by Ozburn (2019: 178). According to Idris justification, the change in the following words could be attributed to vowel harmony:

san'duug < *thùnduùg* 'box', mufattish < *maa'pa'dic`* 'inspector'

'shaahid < *cäää't* 'witness', 'shaari? < *cäää'r* 'street',

Generally speaking, Arabic loan words display a number of realizations whereby /a/is centralized and lengthened to compensate for the lost consonants or for vowel harmony, long vowels are shortened, /u/ is assimilated to /a/, short vowels are lengthened, and, finally, vowels are altered. Syllabic structure of some loan words is changed and the number of syllables sometimes is reduced. Few loan words remain phonologically as they are.

ii. Tone

Arabic is stress language and as mentioned before, Dinka is a tone language with three tones: high, low and falling. However; Remijsen (2008), in his descriptive analysis of tone in the Luanyjang variety of Dinka, introduced four tonemes, High (H), Low (L), Rising (LH) and Falling (HL). Monosyllabic Arabic loan words carry H, L and falling (HL) tone. Bisyllabic Arabic loan words carry H-L, L-L and H-H tones. Trisyllabic loan words carry H-H-L, H-H-H tones besides there are some words carry H-L-L and L-H-L tones and multisyllabic loan words carry (H-H-L-L) tone. Stress syllable of the Arabic words carry the high tone in most of the loan words as shown below:

The Arabic loan words display certain tonal patterns:

As listed below, most monosyllabic Arabic loan words carry low tone as: deèc, kòòc, thuùg/cuùg, gaàc, kèp. A few of them carry high tone, such as: thäää'n, cäää't, thaaa', caí, páth, daaáb. Two words carry falling tone; rêeeth and páaàm.

| Arabic word | words in Dinka | glossary |
|----------------|----------------|-------------------|
| ra?'iis/rayyis | rêeeth | boss/chief/leader |
| fa'ham | páaàm | charcoal |
| 'jeesh | deèc | army |
| 'keef | kèp | how |
| 'suug | thùk/cuùk | market |
| 'kooz | kòòc | water mug |

Changing syllabic structure of Arabic loan word

According to Remijsen and Manyang (2009: 2), syllables in Dinka language tend to be closed, and consonant clusters are limited to the onset, where one or two semivowels may follow an initial consonant.

- The preferred syllabic structure in Dinka as mentioned before are cv, cvc, cvv, and cvvc, so vowel insertion, epenthesis occurs to dissolve consonant cluster. One of the medial consonants (cc) is removed because it is not preferred in Dinka language as shown in the following examples:

suk'kar < *thùkàr/ cùkàr* 'sugar', fa'nilla < *pàníná* 'undershirt', 'muaʔllim < *maálim* 'teacher', 'dukkaan < *dùkaàn* 'shop', 'yalla < *yéla* 'let's go/bye', 'hassa/hassi < *háthá* 'right now', 'lissa < *lithà* 'not yet', abd'dan < *ábádán* 'never', jal'laabi < *jèlaàp* 'Arab, rich man'.

- The deletion of the consonants /ʕ, ʔ, ʁ/ causes change in the syllabic structure in these examples: maʔmuur < *maámuur* 'paramount chief', 'taʕrifa < *taárip* 'half-piaster', maʁbuus < *maábuuth* 'Prisoner', ma'baahith < *mápaáth* 'detective', 'maʕlaga < *maálagá* 'spoon', 'maʕkama < *maákámá* 'court/tribunal'.
- Some of the bisyllabic words become monosyllabic when the consonants /h, ʕ, ʔ/ are deleted and vowel is lengthened as in:

-
- | Arabic word | words in Dinka | glossary |
|---------------|----------------|-------------------|
| raʔiis/rayyis | rêeeth | boss/chief/leader |
| fa'ham | páaam | charcoal |
| sa'ʕa | thaaa' | watch |
| da'hab | daaáb | gold |
| 'shaahid | cäää't | witness |
| 'ṣaḥan | thäää'n | plate/dish/saucer |
- As mentioned before, most words in Dinka are monosyllabic (cv, cvc, cvvc, cvv) and most polysyllabic words are compound words and loanwords. Deletion of the final vowels /a, i/ in a number of trisyllabic words reduced the number syllables to two syllables, thus, causing change in their syllabic structure. This deletion may be due to the Dinka tendency of syllable simplification by reducing the number of syllables as in:

ju'waani (inside) < *júwán* 'underwear', gi'zaza < *gècaàc* 'bottle', si'yaasi < *thíyàth* 'politician'.

The assimilation of vowel of the Arabic loan words

Some Arabic loan words are adapted by the assimilation of /u/ to the vowel in the second syllable /a/ after the loss of the glottal or pharyngeal consonant /ʔ, ʁ/ as:

Although all Arabic vowels /a, i, u, o, e/ exist in the Dinka language, our data display several irregular realizations of Arabic vowels; change in vowel length and vowel quality that can be shown as follows:

- Some vowels remain as they are:

kíbriit Ar. *kibriit* 'matches', kuùrà Ar. *kuura* 'ball', koòm < Ar. *'koom* 'heap'.

Change of vowel length

While there are two vowel length in Arabic: short and long, there are three vowel lengths in Dinka: short, medium-long and long, which is arbitrarily determined by phonetic and grammatical rules (Tucker 1978: 27). Vowels of the Arabic loan words are either lengthened or shortened as shown below:

- Long vowels /aa, ii, ee/ are shortened:

lákìn < Ar. *'laakiin* 'but', cìrcìr < Ar. *jir'jiir* 'a kind of lecttuce', káláth < Ar. *kha'laas* 'enough, very, extremely, that's all, so much for that, (n) salvation, deliverance', jènè < Ar. *je'neeh* 'one pound', kèp < Ar. *'keef* 'how', tháuuúnà < Ar. *'ṭaahuuna* 'grinding mill'; the overlong i.e. the lengthening of the long vowel /uu/ in the second syllable /uuu/ probably arose from the loss of the intervocalic pharyngeal consonants /ħ/ in the original Arabic words.

- /a/ is centralized when it occurs between /c/ and /r, t/, i.e. a > [+centralized]/[c_r/t]. In other words, first, /h/ is deleted so that two vowels of different quality /a, i/ meet each other, perhaps, this provokes the centralization, then /ä/ is lengthened to compensate for the lost consonant /h/:

cäää't < Ar. *'shaahid* 'witnesser', cäää'r < *'shaari?* 'street', càrìt < Ar. *sha'riṭ* 'cassette'. The overlong vowels of cäää't and cäää'r probably arose from the loss of the intervocalic laryngeal consonants in the original Arabic words (Kenstowicz 2014: 3). This may also be due to the tendency of vowel harmony in the case/ affairs of compensatory vowel lengthening when consonants are deleted as assumed by Idris (2004: 26)

- Short vowels are lengthened to compensate for the lost consonants, except in a word initial position where it remains as it is:

daaàb < Ar. *'dahab* 'gold', miliì < Ar. *'miliḥ* 'salt', káaraábá < *'kahraba* 'electricity', àliíp < Ar. *ṣa'lif* 'thousand', álaáthkri < *ṣas'kari* 'military/ martial/solier', álaám < Ar. *ṣa'lam* 'flag', íthaábaat < Ar. *ḥisa'baat* 'accounting'.

árábiyà < *ṣara'biya* 'car', áwaáthá < Ar. *ṣa'waayid* 'taxes', `ákiim < Ar. *ḥa'kiim* 'doctor', ákuúmà < Ar. *ḥa'kuuma* 'government'.

kálaáth < Ar. *kha'laas* 'enough, that's all', lákbátá < Ar. '*lakhabta* 'mess', kárciyà < Ar. '*kharijia* 'abroad', kárámá < Ar. *gha'raama* 'fine', bálaák < *ba'laagh* 'official complaint/report of a fault or a problem'. For further illustration, a schematization of the above described phonological renditions is given in the table below.

Table 1: Phonological changes in Arabic loan words in Dinka (consonants)

| Arabic | ḍ | s/ṣ | ṭ | ẓ | z | y/χ | ʔ | ḥ | ʕ | j | ʃ | l | t | f |
|--------|---|-----|---|---|-----|-----|---|---|-----|---|---|---|---|---|
| Dinka | ḍ | t/c | ṭ | ṭ | ḍ/j | k | ∅ | ∅ | a/∅ | j | c | l | ṭ | p |

Vowels

According to Jok (2004: 16), the vowel sounds are composed of five basic positions with features of short, long, breathiness, and lowering. They are described as:

- Front: (i, e)
- Back: (o, ɔ)
- Back: (ɑ)
- Or
- Closed: (i, o)
- Half-closed: (e, ɔ)

Each vowel position may have a non-breathy (NB) or breathy (B) form. The Dinka breathy vowels are: (ĩ, u, ě, ȳ, ä). Vowel length may be non-breathy or breathy: Non-breath long vowels are: (ii,oo, ee, ɔɔ, aa) and the long breathy vowels are: (ĩĩ, öö, ěě, ȳȳ, ää). These vowel phonemes /i e ε a ɔ o u/ combine fairly freely with the various supra-segmental distinctions – voice quality, vowel length, and tone. There are two restrictions. First, the high back vowel is invariably breathy. Second, the vowel /ε/ does not occur in the shortest level of vowel length (Remijsen and Manyang 2009: 2). There are several number of diphthongs in Dinka that start by /i/ or/ u/; such as /iε, iεε, iě, iěě, ia, iaa, iä, iää, uɔ, uɔɔ, uö, uöö (Jok 2004: 48). As mentioned before, three categories can be distinguished for polysyllabic words. First, there are native monomorphemic nouns that consist of two syllables. The composition of such forms is highly constrained: the first syllable is invariably /a/, and the second syllable conforms to any vowel. Native verb stems are strictly monosyllabic. The remaining two categories of polysyllabic words are loan words and native compounds (Remijsen and Manyang 2009: 2).

paác/paáth < Ar. 'faas 'axe', pàníná < Ar. *fa'nilla* 'undershirt', àliíp < Ar. *ʔa'lif* 'thousand', thaápiyá < Ar. *ʔafiiha* 'tin', maápádic < Ar. *mu'fattish* 'inspector'.

f) The substitution of the voiceless plosive /t/, by /d/, in the word *maápádic/ maápádhic*, instead of /t/ for example, may be due to its tendency to be weakening. According to Remijnsen and Manyang (2009: 2), voiceless plosives may undergo weakening, either to their voiced counterparts or to a homorganic fricative or approximant.

g) The alveolar fricative /s/ does not exist in the Dinka language. It is replaced by /t̪/ in Padang, Agar and Bor dialects and by /t̪/ or /c/ in Rek (Malual). This may be due to the fact that, in the articulation of /s/, there is a very little opening between the teeth and Dinka (Rek and Padang) used to take out their lower front teeth; this opening causes the tongue to be pushed forward to the front so the result is a sound half-alveolar and half dental⁽⁷⁾. Examples:

thùkàr/thòkàr < Ar. 'sukkar' 'sugar', cúuk/ thúuk < Ar. 'suug' 'market', maácuùr/ maáthuùr < Ar. *ma'suura* 'water pipe', mádráthá < Ar. 'madrasa' 'school', maábuùth < Ar. *mah'buus* 'prisoner'.

h) The voiced-alveolar fricative /z/ and its pharyngealized variant /z̤/ do not exist in Dinka. They are replaced by dh /d̪/ in initial and medial position and to c /c/ in a word final position. Examples:

dhùlùm < Ar. 'ẓulum' 'injustice', màdhlúm < Ar. 'mazlum' 'tyrannized', koòc < Ar. 'kooz' 'water mug', tàrbèc < Ar. 'tarabeza' 'table'.

i) The palato-alveolar fricative j /j/ fluctuates between /d/ and /j/. Examples:

cìrcìr < Ar. *jir'jiir* 'a kind of lettuce', thicìn < Ar. *si'jin* 'prison'.

j) The palato-alveolar fricative /ʃ/ does not exist in Dinka language, so it is replaced by the palatal plosive c /c/. Examples:

déec < Ar. 'jeesh⁽⁸⁾' 'army', bálaác < Ar. *ba'laash* 'enough/ leave it', maápádic < Ar. *mu'fattish* 'inspector', gircèèn < Ar. 'girsheen' 'two piasters'.

k) The consonants /x/ kh and /ɣ/ gh do not exist in the Dinka language. They are replaced by /k/. Examples:

⁽⁷⁾ This is based on my intuition as Dinka.

⁽⁸⁾ It is pronounced as *deesh* by some of the Sudanese people, so this may be the word borrowed by Dinka.

'government', íthaábaàt < Ar. *ḥisa'baat* 'accounting', thápiyà < Ar. *ṣafīḥa* 'tin', íraáthà < Ar. *ḥi'raasa* 'prison'.

| Arabic | Dinka | Gloss. |
|------------|-----------|-------------------|
| ḥa'kiim | ákiim | doctor |
| ḥa'kuuma | ákuúmà | government |
| ḥisaa'baat | íthaábaàt | accounting |
| ʔalif | àliíp | thousand |
| maʔ'muur | maámuùr | paramount chief |
| ṣafīḥa | thápiyà | tin |
| ṣaḥan | thäää'n | plate/dish/saucer |
| maḥkama | maákámá | court/tribunal |
| mi'liḥ | miliì | salt |
| mu'ḥaami | maámi | lawyer/advocate |
| ṭa'ḥuuna | táuuúnà | grinding mill |
| mu'ḥaafiz | múwápìth | governor |

There are exceptions in the case/ affair of /ʔ/, where a following short vowel is lengthened and a preceding short vowel is lengthened (compensatory lengthening). Example:

àliíp < Ar. *ʔalif* 'thousand', maámuùr < Ar. *maʔ'muur* 'paramount chief'

The following examples show the omitting of /ḥ/ and compensating by vowel lengthening:

thäää'n < Ar. *ṣaḥan* 'plate/dish/saucer', maákámá < Ar. *maḥkama* 'court/tribunal', miliì < Ar. *mi'liḥ* 'salt', maámi < Ar. *mu'ḥaami* 'lawyer/advocate', táuuúnà < Ar. *ṭa'ḥuuna* 'grinding mill', múwápìth < *mu'ḥaafiz* 'governor'.

c) The pharyngeal fricative /ʕ/ > /a/ or Ø (in just one word):

it becomes /a/ when it is followed by short vowel /a, u/ as in these examples: álaáthkri < *ʕas'kari* 'military/ martial/solier', álaám < Ar. *ʕalam* 'flag', maálim < Ar. *mu'ʕallim* 'teacher', árabiya < *ʕara'biya* 'car', thaaà < Ar. *sa'ʕa* 'watch'.

It becomes Ø in áwaáthá < Ar. *ʕa'waayid* 'taxes'.

d) The glottal fricative /h/ > Ø. Examples:

káraábá < Ar. *'kahraba* 'electricity', daaàb < Ar. *da'hab* 'gold'

e) The labio-dental fricative /f/ does not exist in all dialects of Dinka (Rek, Agar, Padang and Bor); it is replaced by the bilabial stop [p]. Examples:

2.1. Phonological adaptation of the Arabic loan word

The phonological adaptation of Arabic loan words into Dinka follows certain patterns, i.e. the alien sounds in these words are usually replaced by the nearest ones in terms of articulation (homo-organic). Besides, some others have been modified to suit the phonological patterns of the Dinka language. The following paragraphs present the mechanism through which Arabic loan words are subjected to the phonological patterns of the Dinka language.

i. Consonants⁽⁵⁾

To start with, three of the classical Arabic consonants do not exist in the Sudanese Colloquial Arabic (g, θ, ð). Many Arabic consonants do not exist in Dinka: the emphatic: /s, t, d, z/, the glottal: /ʔ, h/, the alveolar fricative /s, z/, the labio-dental fricative /f/, palato-alveolar fricative /ʃ/, and the pharyngeal /ʕ, ɣ, ʁ/. The Dinka plosives /th, dh/, and the nasal /nh, ny/ are also written /t̪, d̪/, and /n̪, ɲ/. Therefore, /t̪, d̪, n̪, ɲ/ will be used in this study. The semivowel /w/ is reported in the Luanyjang dialect which studied by Remijsen and Manyang (2009). The Dinka consonants are presented in the following Table:

Dinka consonants⁽⁶⁾

| | Labial | dental | alveolar | Palatal | velar |
|--------------------------|--------|--------|----------|---------|-------|
| plosive vl | b | th/t̪ | t | C | k |
| vd | p | dh/d̪ | d | j/ɟ | g |
| Nasal | m | nh/n̪ | n | ny/ɲ | ŋ |
| lateral | | | l | | |
| Trill | | | r | | |
| semi-vowel | w | | | Y | (ɣ) |

In the following lines, I will describe in detail in what way those Arabic phonemes which do not exist in Dinka are adapted to the sound system of the latter.

a) None of the Arabic emphatic consonants exist in Dinka: /d̪/, /s/, /t̪/ and /z/ lose the emphatic feature: /d̪/ > /d̪̣/, /s/ > /t̪̣/ /c/, /t̪/ > /t̪̣/ and, /z/ > /t̪̣/ and /d̪̣/. Examples:

gaádhi < Ar. 'gaaḍi 'judge/magistrate', thuùduùk/ cuùnduùk (Rek dialect) < Ar. ṣan'duug 'box'

dhápith < Ar. 'ḍaabit 'inspector', múwápith < mu'ḥaafiz 'governor'.

b) The glottal consonants /ʔ/ and /h/ do not exist in Dinka. /ʔ/ and /h/ > Ø in all phonological contexts. As shown in the Table below, ákiim < Ar. ḥa'kiim 'doctor', ákuúmà < Ar. ḥa'kuuma

⁽⁵⁾ See Appendix 2 for the Arabic transliteration characters used in this paper.

⁽⁶⁾ Source: Jok (2004: 16).

including entire branches of Western Nilotic Dinka-Nuer, which instead contrasts breathiness (Dimmendaal 2002)".

3. Vowel length is arbitrarily determined by phonetic and grammatical rules (Tucker 1978: 27). There are three vowel lengths: short, medium-long and long. According to Andersen (1990: 5), the ternary length contrast in Dinka has resulted from compensatory lengthening.

In language contact situations, words are the first to be borrowed from one language to another (Coetsem 1988: 26; Thomason and Kaufman 1988: 37). However, words are units combining multiple levels of language in themselves. In the process of borrowing, they may carry not only their semantic features to the borrowing language, but some of their formal properties as well (Sankoff 2002: 658). These formal properties include their sound shape: sounds, phonological segments and their sequences, prosodic features, and stress (Heffernan 2005; LaCharité and Paradis 2005). The sound shape of loan words, most of the time, conforms to the phonology of the borrowing language (Bloomfield 1934: 445). However, in the case/ affair of long and dynamic language contact, it may retain some of its non-native sound elements (Benkő 1987:197). The aim of the present paper is to state the phonological patterns of adaptation of loan words in the Dinka language.

2. Linguistic adaptation of the Arabic loan words

To state the patterns of linguistic adaptation of Arabic loan words, 104 Arabic loan words were randomly collected from eleven native Dinka informants in Khartoum, in addition to four other informants; each one representing one of the main four dialects, used as a reference to enhance the accuracy of data. Furthermore, the data has been cross-checked by Dinka young informants.

In the sample investigated, the primary sources of Arabic loan words are Sudanese Colloquial Arabic (SCA) and the Turco-Egyptian variety of Arabic. There are few words of English origin, e.g. *rādī*, *póliith* and *tèlèpuùn*. Relating the three linguistic and sociolinguistic factors mentioned by Greenberg (1970: 43)⁽⁴⁾ to Arabic loan words in Dinka, one can say that the source of borrowing would be oral, not written, due the close contact, involving speakers of the two languages. There is no case/ affair of "intermediary channel of diffusion"; the first factor, except for two words. One is the SCA word *fanilla* 'undershirt', which becomes *panina*. The replacement of /l/ by /n/ is not expected, since the phonological system of Dinka permits the medial occurrence of /l/. The second word is *baabuur*, 'steamer' in SCA, which becomes *maabuur*, encountered in the Agar dialect. The replacement of /b/ by /m/ is not justified. Thus, they might be borrowed indirectly through one of the neighbouring languages. The third factor, "the internal phonological change", is irrelevant to the present study, because borrowing of Arabic words is relatively recent. Most of the Arabic loan words are nouns, representing 81.8% (84/104), 9.6% (10/104) are adjectives; the remaining 9.6% (11/104) are function words and one verb.

⁽⁴⁾ The three factors are: the source of borrowing, intermediary channel of diffusion and the internal phonological change.

nh tends to be followed by /j/. As for the coda, there are two restrictions. First, voicing in plosives is not distinctive in this slot. On the basis of their phonetic realisation in citation form and in phrase-final position, coda plosives are represented as underlyingly voiceless. Underlyingly, because unvoiced codas may surface voiced intervocally. Second, the semivowel /ɥ/ does not appear in the coda slot, just as it is not found in complex onsets (Remijsen and Manyang 2009: 3).

3. There are many phonotactic constraints on consonants and the three-level vowel length distinction. For polysyllabic words, three categories can be distinguished. First, there are native monomorphemic nouns that consist of two syllables. The composition of such forms is highly constrained: the first syllable is invariably /a/, and the second syllable conforms to any vowel. Native verb stems are strictly monosyllabic. The remaining two categories of polysyllabic words are loan words and native compounds (Remijsen and Manyang 2009: 2). Voiceless plosives may undergo weakening, either to their voiced counterparts or to a homorganic fricative or approximant (ibid).
4. It is a tone language with three tones: high, low and falling. However; Remijsen (2008), in his descriptive analysis of tone in the Luanyang variety of Dinka, introduced four tonemes, High (H), Low (L), Rising (LH) and Falling (HL). According to Thuonjān (2012), there are three pitches in Dinka: high tone [´], low tone [`] or [,], and mid/flat tone [¯]. Eg.:

dūm 'farms' *dùm* 'to trample on sth' *dúm* 'action of trampling on sth'

lē`k 'pestles' *lē`k* 'types of fish' *lē`k* 'to throw at'

màc 'fire' *māc* 'to tie a cow to a peg' *mác* 'male name of a person'

According to Job (1988, cited in Jok 204: 20), low tone is the most common among the level tones. He argued that gliding tones are rare and rising tone is found only on long vowels. The function of tone in Dinka language is to distinguish lexical items and syntax as well.

1. There are two voice qualities in vowels: breathy and non-breathy (cf. Thuonjān: 2012, Jok 2004: 17-18).
2. Dinka (Hall et. al. 1975, Anderson 1987), which has a complex vowel system with contrastive ATR quality as well as breathy/creaky distinctions, similarly uses voice quality to mark the plural form with the [+breathy] feature; e.g. 'pipe' sg. [dak] pl. [dāk] (cited in Swenson 2015: 118). In contrary, Dinka is one of the languages loose harmony and tongue root contrast as stated by Ozburn (2019: 178) "[...] the harmony systems have developed in a number of distinct ways, with some descendant languages losing harmony and even tongue root contrasts entirely,

orthography is derived from the alphabet developed for the southern Sudanese languages at the Rejaf Language Conference in 1928. It is better to mention that the Transliteration is used in the present study to write Arabic words whereas Dinka is written by the orthography used by its speakers in South Sudan (See Annexes 2 and 3). Many contributions were made by the researchers and linguists after that: Nebel (1948; 1979) presented his findings on the Dinka grammar and also compiled a bilingual Dinka-English and English-Dinka dictionary, Trudinger's (1944) bilingual English-Dinka dictionary focuses on the Padang dialect, Malou (1988) studied the Dinka vowel system, Tucker (1987) presented his viewpoints on Dinka orthography, Ayom (1980) focused on some aspects of the Dinka phonology and morphology (plural formation) and Akol (1989) investigated the Dinka nominal morphology. The following contributions are written in Arabic: Kak (1986; 1987) studied the influence of the Arabic language on the Dinka language in the Renk area, in addition, he presented a comparative study of the syntax of Dinka and Arabic, Emanwel (2005) compiled a Dinka-Arabic bilingual dictionary, Dawuud (1989) studied the relationship between Dinka and Arabic language and the writing of the Dinka language with Arabic scripts, Kur (1989) conducted a comparative study of the pronominal systems of Dinka and Arabic, Abd Allah (1985) compared the phonology of Dinka and Arabic. There are four studies conducted on borrowings in the Dinka language: Chol (1989) studied the influence of the Arabic language on the Dinka language by focusing on loan words, Abu-Manga (1991) studied loan words in both Bari and Dinka in which he focused on the Atout dialect, Nashid (1996) covered the phenomenon of lexical borrowing in the four dialects of Dinka including loan words of different origins, and Idris (2004) studied loan words in relation to the modern development of the Dinka language. The present study focuses on the strategies and mechanisms of the linguistic adaptation of Arabic loan words.

The Dinka are geographically divided into four groups. Dialectal differences correspond to the geographical ones and each sub-section has minor dialectal variations. The four major dialects are the northern dialect, known as Padang, the eastern dialect Bor, the central dialect Agar, and the western dialect Rek (see Remijsen and Manyang 2009: 1). Some of the general characteristics of the Dinka language are as follows:

1. Most words are monosyllabic: V, VC, CV, CVC, being the most common syllabic structure (Jok 2004: 20). Most polysyllabic words are compound words and loanwords. Besides, there are comparatively few native monomorphemic nouns of two syllables.⁽³⁾ In other words, syllables tend to be closed, and consonant clusters are limited to the onset, where one or two semivowels may follow an initial consonant. Open monosyllables are highly uncommon among content words. By contrast, many of the function morphemes are open syllables (Remijsen and Manyang 2009: 2).
2. Any consonant can appear in a simple onset. When the onset is complex, by contrast, its composition is severely constrained. The main limitation is that the initial onset consonant can only be followed by one or two semivowels, i.e. consonant clusters are not permitted, but an initial consonant may be followed by one or two semivowels y, w. Also, /uq/ does not appear in complex onsets at all, and onset /n/

⁽³⁾ From: <http://www.languagesgulper.com/eng/Dinka.html>. Retrieved at 5.6.2017

1. Background information on Dinka

Dinka is an Eastern Sudanic language of the Nilo-Saharan phylum (Greenberg 1970: 85). It is spoken by at least 2,740,900 in 1993⁽¹⁾, who call themselves *jien* or *monjien*. However, the most popular and widely used name for this group in the literature is Dinka, which stands for both the people and the language they speak. The term Dinka was firstly used by their Sudanese Arab neighbors. This fact indicates that there was an ancient contact between Arabs and Dinka.

There is no recorded history about the time and place from where Dinka came to their present habitation, however, various traces found by several historians and archaeologists suggest the presence of African elements among the population of Nepta and Meroe (45-67 AD) (Snowden Jr. 1970; Arkell 1948; Shinnie 1967). What is known about Dinka dates back to the nineteenth century, when Mohammed Ali Basha⁽²⁾ invaded Sudan (1821-1881). That was the period in which Dinka became known to the others and an interest about the Dinka started.

Dinka land stretches over 6° latitudes (6°-12° N) from Renk in the north to Bor in the south, with a wide extension to the west. They are occupying much of the Bahr el Ghazal and Upper Nile areas (Akol 1989).

The southern Sudanese contacts with Arabs date back to the Turco-Egyptian period, which opened the south to contact with Arabic by different means as explained by Nyombe (1997). The permanent settlements established by slave traders at various locations in the Southern region “[...] caused radical changes within and between the two social structures and produced the Pidginization and Creolization of Arabic as well as its spread as more and more tribal communities were drawn into the new social interrelationships” (Mahmud 1983: 12). Also, Miller (2003: 161) noted that the spread of Arabic in the southern Sudan occurred in very specific historical circumstances: the establishment of a large-scale slave trade in the nineteenth century and, subsequently, the building of trade and military centers, which led to the emergence of a specific Arabic Pidgin used primarily as a lingua franca. Now, this variety of Arabic is the language of wider communication in the Greater Upper Nile and Greater Bahr el Ghazal areas. The Pidgin Arabic, which is a mixture of Dinka and Arabic, is used in the streets, market places, in worship and in inter-group communication along with South Sudanese languages (Nashid 2014: 78).

The Rejaf Conference of 1928 was the beginning of writing the Dinka language using the Latin alphabet. A number of methods for writing Dinka using the Latin alphabet were developed by missionaries during the 19th and 20th centuries. The current Latin

⁽¹⁾ Source: Abu-Manga and Abu Bakr (2006), modified from Bell and Hurreiz (1975).

⁽²⁾ Muhammad Ali Pasha al-Mas'ud ibn Agha, known as Muhammad Ali of Egypt and the Sudan, was the Albanian Ottoman governor and the de facto ruler of Egypt from 1805 to 1848. At the height of his rule, he controlled Lower Egypt, Upper Egypt, Sudan and parts of Arabia and the entire Levant (cf. Robinson 1925).

Linguistic Study of Arabic Loan Words in Dinka Language

Sawsan Abdel Aziz Mohammed Nashid

Department of Linguistics, Faculty of Arts, University of Khartoum

Abstract

The Dinka language (Thuɔŋ jien or Thuɔŋ monjien) is a widely spoken language in South Sudan in seven of the ten states (Nashid 2014). It is the language with the largest number of speakers in South Sudan. Arabic, as the official language of the former Sudan, being the language of education and administration, as well as the lingua franca, has a great effect on other Sudanese languages, including Dinka. Over years, many Arabic words have been borrowed and become integrated in the Dinka language. The present study investigates the linguistic adaptation of Arabic loan words in Dinka, thus focusing on the strategies and mechanisms by which Arabic loan words are phonologically adapted. Therefore, 104 Arabic loan words were randomly collected from eleven native Dinka informants in Khartoum, in addition to four other informants, each one representing one of the main four dialects, used as a reference to enhance the accuracy of data. Furthermore, the data has been cross-checked by Dinka young informants. It is found that Arabic loan words are integrated into the Dinka language and have become part of the Dinka lexicon and they are used in everyday communication in which they are adapted phonologically to suit the linguistic system of the Dinka language using certain strategies and mechanisms; vowel alternation is an important feature in nominal plural formation.

Keywords: Dinka language, Arabic loan words, strategies and mechanisms, phonological adaptation

المستخلص

يتحدث لغة الدينكا أو ما تُسمى لغة الجينق غالبية عظمى من سكان دولة جنوب السودان. وهي لغة واسعة الانتشار بوصفها اللغة الأولى من حيث عدد المتحدثين. للغة العربية تأثير كبير عليها وعلى اللغات السودانية الأخرى؛ لأنها كانت اللغة الرسمية للدولة، ولغة التعليم والإدارة قبل انفصال الجنوب، وكذلك اللغة المشتركة بين متحدثي اللغات السودانية الأخرى. من الظواهر اللغوية التي نتجت من هذا الاحتكاك والتواصل: اقتراض عدد من الألفاظ التي دخلت إلى أنظمة اللغة، وصارت جزءاً منها. تركز الدراسة الحالية على الآليات التي تُستخدم لإخضاع هذه الألفاظ لأنظمة اللغة الصوتية. وعليه تم التجميع العشوائي لعدد مائة وأربعة كلمة مقترضة من اللغة العربية من أحد عشر متحدثاً للغة الدينكا يمثلون الكتل الملهجية الأربعة، وكذلك تمت الاستعانة بأربعة متحدثين إضافيين للتأكد من صحة البيانات. وقد تم لاحقاً إعادة التأكد من البيانات مع متحدثين من فئة الشباب. من أهم ما توصلت إليه الدراسة أن الألفاظ العربية يتم إخضاعها للغة الدينكا باستخدام آليات معينة، وذلك بالإبدال والإحلال للأصوات العربية غير موجودة في لغة الدينكا ضمن آليات أخرى تم إدراجها في الدراسة.

الكلمات المفتاحية: لغة الدينكا، الكلمات العربية المستعارة، الاستراتيجيات والآليات، التكيف الصوتي

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يناير ويوليو من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية باللغة العربية والانجليزية والفرنسية مع مراعاة الآتي:

1. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
2. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
3. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني jurnal.art@uofk.edu أو prof.siddig.alrattyah@gmail.com.
4. يراعى في البحث ألا يتجاوز 10.000 كلمة، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (200) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية وعنوان البريد والبريد الإلكتروني باللغتين العربية والإنجليزية.
5. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (2000) كلمة كحد أقصى، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.
6. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث كالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة أو الصفحات) مثال: (صادق. 2021. 14) (Adams. 2000. 14). وتوثق في قائمة المراجع والمصادر كما يلي:
للكتب وبحوث المؤتمرات:
- أحمد بدوي. أسس النقد الأدبي عند العرب. القاهرة، دار نهضة مصر، 1964م.
- قاسم المومني. "علاقة النص بصاحبه دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعرية". عالم الفكر. الكويت: العدد الثالث يناير/ مارس 1997م. 113-128.
- يراعي في المراجع الأجنبية نفس النمط
7. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
8. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.
9. لا تقبل البحوث والدراسات التي تعد لإكمال مطلوبات إجازة الرسائل الجامعية (الدكتوراه).
10. لهيئة التحرير الحق في رفض أي بحث مقدم لها دون إبداء الأسباب.
11. دفع رسوم النشر المقررة على الباحثين غير السودانيين والسودانيين بالخارج أو من خارج الجامعة كل على حسب فئته.

Contents

Arabic Section

| | | |
|-----|---|-----|
| 1 | 1. تجليات التناصّ القرآني، نماذج من الشعر السوداني. د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه، د. عبد الحكيم أحمد سر الختم جيني..... | 1 |
| 23 | 2. علامة العنوان في ديوان أم درمان تحتضر للشاعر محمد الواصل - مقارنة سيميائية. د. عادل عثمان الهادي | 23 |
| 53 | 3. تقنيات السرد الرقمية. القصّة القصيرة جداً أنموذجاً: مقارنة سردية. د. فايز صلاح قاسم عثمانة..... | 53 |
| 67 | 4. الظواهر الصوتية في اللهجة العامية السودانية. دراسة وصفية من خلال الأمثال الشعبية. د. قريب الله بابكر مصطفى بابكر..... | 67 |
| 87 | 5. توظيف الإمكانيات الفنية للإذاعة القومية السودانية: برنامج دكان ود البصير أنموذجاً في الفترة من 2016-2017م. د. أمل إبراهيم أحمد أبوزيد، مصعب عبد الكريم هارون عثمان..... | 87 |
| 119 | 6. دلالة السنة التركية الفعلية. أ.د. علاء الدين الأمين الزاكي..... | 119 |
| 147 | 7. ثبوت الإمامة بالنص والتعيين عند الشيعة الإمامية وموقف ابن خلدون من ذلك. أ.د. فيروز عثمان صالح عثمان..... | 147 |
| 163 | 8. فلسفة الأخلاق التطبيقية وعلاقتها بالقضايا المشتركة بين الثقافات. د. رشا علي البارودي..... | 163 |
| 189 | 9. دور مصادر المعلومات في رفع الوعي المعلوماتي لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة الجزيرة: دراسة حالة كليات التربية. د. يسرا حبيب حسن محمد، د. كثيرة التجاني يوسف إبراهيم، د. نفيسة عبدو حسن أحمد..... | 189 |
| 209 | 10. المناعة النفسية لدى لاجئ دولة جنوب السودان بمعسكر بانتيوم بمحلية جبل أولياء ولاية الخرطوم. ثوبية إبراهيم مصطفى أحمد..... | 209 |
| 245 | 11. قراءة نقدية في كتاب حروب المناخ. تأليف هارالد ولزر - ترجمة نبيل شبيب. عرض وتقديم أ. د. عمر أحمد المصطفى حياتي..... | 245 |
| 261 | 12. قراءة في كتاب " السلام والنزاع والعنف: علم نفس السلام في القرن 21". عرض: د. عبير عبد الرحمن خليل عبد الرحمن..... | 261 |

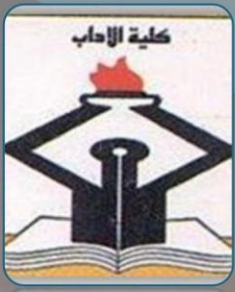
Foreign Section

| | |
|--|-----|
| 13. Linguistic Study of Arabic Loan Words in Dinka Language. Sawsan Abdel Aziz Mohammed Nashid..... | 269 |
| 14. Reasons to Write in the Sudanese Academia: a Hard Sciences Perspective. El-Sadig Ezza, Marwa Elbasheer and Shahenaz Nour..... | 293 |
| 15. Apology Strategies in Arabic Used by Teenager Students: A Case Study. Suzan Alamin Mubarak and Nehal Al_Rogi..... | 303 |
| 16. Prehistoric and Historical Burial Sites in Sudan: Theory and Methods of Interpretation. Azhari Mustafa Sadig and Gamal G. Abbass Elhassan..... | 321 |



Issue No. 50. January 2024

| Editorial Board | Advisory Board |
|---|--|
| <p>Editor-in-Chief Prof. Siddig Mustafa Elrayah</p> <p>Managing Editor Prof. Azhari Mustafa Sadig Ali</p> <p>Editorial Members Prof. El-Sadig Yahya A. Ezza Dr. Mohammed Alfatih Hayati Dr. Afaf Mohammed Elhassan Ibrahim Dr. Rasha Albaroudi Dr. Nadra Abdalla Ali Dr. Waleed Omer NourAldaim Dr. Ahmed AbdelMouniem</p> <p>Secretary Waleed Modather Sara Mamoun</p> | <p>Prof. Fadwa Abdel Rahman Ali Taha Prof. Ali Osman M. Salih Prof. Galal El-Din El-Tayeb Prof. Rugaia Elsayed Etayeb Prof. Tag Alser Harran Prof. Mubarak Husayn Najmalddin Prof. Hamadalneel M. Alhassan Dr. Younis Al-Amin Dr. Mahasin Hag Al-Safi Dr. Hassan Ali Eissa</p> |
| <p>Contributions: Addressed to the Editor: Faculty of Arts, University of Khartoum. P.O. Box 321 or by e-mail: Jurnal.art@uofk.edu or prof.siddig.alrayyah@gmail.com</p> | |



ADAB

Journal of Faculty of Arts, University of Khartoum

ISSN 0302- 8844

A Scientific bi-annual Refereed Journal Issued by the Faculty of Arts. University of Khartoum

Issue
50

January 2024